الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

الروايات الأوربية الاغريقية واللاتينية

الحملة الثالثة

١ ـ تاريخ أرنول وذيول تاريخ وليم الصوري

(دراسة)

٢ ـ ذيل تاريخ وليم الصوري (النص)

تأليف وتحقيق وترجمة

الأستاذ الدكتور سهيل زكّار

الجزء الثامن

دمشق ١٤١٤ / ١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

رأينا بشكل واضح في المجلد المتقدم مكانة وليم رئيس اساقفة صور ومعه كتابه الذي ارخ به لأحداث الحروب الصليبية حتى قبيل وفاته في سنة ١١٨٥ م. ومن المؤكد ان نجاح وليم كمؤرخ ، وتميزه عمن تقدمه من اللاتين ، يرجع الى ثقافته العربية وتأثره بطرائق المؤرخين العرب ، وعليه فإن كتاب تاريخ وليم الصوري وإن كتب باللاتينية وبروح صليبية متعصبة ، هو من حيث الطرائق والجغرافيا نتاج شرقي.

وكان وليم قد توفي في وقت عصيب جدا بالنسبة لمستقبل المملكة اللاتينية بالقدس ولشؤون صراعاتها ضد المسلمين بقيادة صلاح الدين يوسف بن ايوب ، لقد توفي وليم ايام مقدمات معركة حطين ، وصحيح انه عاصر حطين من رجالات صلاح الدين المؤرخين العماد الاصفهاني والقاضي ابن شداد ، لكن مادوناه لايغطي كامل الصورة من جميع الجوانب ، ولحسن الحظ توفر لاتيني فرنجي آخر من بين فرنجة الشرق ، قام بالتذييل على تاريخ وليم الصوري ، وغطى أخبار معركة حطين وتحرير القدس ثم حوادث ملحمة عكا وما يعرف باسم الحملة الصليبية الثالثة.

وهذا الذيل ، وإن اختلف حول تحديد هوية مصنفة ، على درجة عالية من الأهمية ، وكتب اصلا بالفرنسية القديمة ، التي عدت ناشئة وقتها ، وسلف ان نشر من قبل في القرن الماضي ، ثم قامت عالمة فرنسية في ايامنا هذه بتقديم اطروحة دكتوراه حوله بالانكليزية ، ثم اعادت نشره استنادا الى مخطوطات جديدة ومعطيات حديثة.

ولم يكن من الصعب الحصول على نسخة من النص الفرنسي المحقق جديدا من قبلها ، لكن وجدت صعوبات كبيرة جدا في تحصيل نسخة عن الدراسة الانكليزية ، وبذل اكثر من صديق جهودا مشكورة في انكلترا لرؤية نسخة من الكتاب لتصويرها فلم يفلحوا ، واخيرا تمكن احد الاصدقاء اليابانيين من رؤية نسخة منه في احدى مكتبات المؤسسات العلمية في طوكيو فصورها ، وبعثها لي مشكورا.

لقد انطبق علي في هذه الحال فحوى الوصية النبوية بطلب العلم ولو من الصين ، ودراسة النص ـ كما لاحظت ـ كانت دراسة لغوية المقاصد ولم تكن تاريخية ، ومع هذا هي مفيدة جدا ، لهذا قررت نقلها الى العربية وجعلها تشكل الشطر الأول من مجلد يحويها مع نص الذيل الأصلي.

والصعوبات التي واجهتها في نقل النص الانكليزي الى العربية لاتقارن ابدا بمتاعب النقل من الفرنسية القديمة ، انما من اعتمد على الله كان الله عونه ومرشده فالحمد لله دوما وابدا.

سيجد القارىء العربي فائدة كبيرة في مواد نيل تاريخ وليم الصوري ، وستغدو صورة الاحداث متكاملة لديه خاصة لدى العودة الى بقية المصادر العربية ، ولاأعني هنا ماكتبه كل من العماد الأصفهاني والقاضي ابن شداد فقط بل ماروا، غيرهما ووصلنا في مصنفات متأخرة ، نشرتها ضمن موسوعتنا هذه.

من الله استمد العون دوما ومنه التوفيق وله الحمد والشكر ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وأصحابه أجمعين.

دمشق ١١ ـ رجب الفرد ١٤١٥ هـ

١٣ / ١١ / ١٩٩٤ م

سهيل زكار

تنويه

رفعت الرسالة التي تقوم عليها هذه الدراسة الى كلية اللغات الحديثة ولغات القرون الوسطى تحت عنوان « نيول تاريخ وليم رئيس أساقفة صور حتى ١٢٣٢ » ويذهب شكري الأول للمشرف على بحثي البروفسور ت .ب . و . ريد . وهو دين سار بقدر أكثر أن أعترف به حيث انه قد علم أبي أيضا قبلي ، وبينما كان غائبا لفترة قصيرة في كندا ناب عنه السيد ا . د . كراو ، وقد أعطاني مساعدة بالغة الكرم .

وأثار تكييف بحث كتب من قبل لغوي الى سلسلة تاريخية كل المشكلات المرتبطة بدراسات تمر عبر نظامين ، وأنا مدينة للآنسة باربارا هارفي لمساعدتها الصبورة في عملية التنقيح وللبروفسور سزرن لعدد كبير من الاقتراحات والتعليقات المفيدة ، وكنت ممتنة أيضا لمختلف أنواع المعونة من البروفسور ر . هـ . ل . ديفز والدكتور جاروسلاف فوندا، والدكتور ر . س . سميل وأكثر الجميع لزوجي مورغان ر . و. مورغان الذي بدونه لم يكن هذا الكتاب ليكتب بالمرة ، واليه أهديه .

م . ر . مورغان

الرواميز

بابكوك وكري

« تاريخ الاعمال المنجزة فيما وراء البحار » سجلات الحضارة ٣٥ نيويورك ١٩٤٣

– ها.ف .تاريخ آداب فرنسا

م . ل . تاريخ ارنول وبرنارد الخازن – تحقيق لويس دي ماس لا تري ، باريس ١٨٧١

ب . ل مؤلفات آباء الكنيسة اللاتينية – تحقيق . ب ميني (٢٢١ مجلدة ، باريس ١٨٤٤ – ١٨٦٤)

ر هـ . س راشيل لتواريخ الحروب الصليبية طبع من قبل أعضاء أكاديمية الآداب والمخطوطات باريس ١٨٤١ – ١٩٠٦ وإذا ما استخدم هذا الرمز لوحده فإنه يشير الى سلسلة راشيل المستخدمة بشكل عام في هذه الدراسة وحددت الاشارة الى مؤرخي الغرب حيث قصد سلسلة أخرى براشيل لويس الأولى .

ريس المخطوطات الايطالية تحقيق ل . ا موراتوري ميلان ١٧٢٣ – ١٧٥١

رنسمان . س . س رنسمان تاريخ الحروب الصليبية كمبردج ١٩٥١

سميل ر . س سيل فن الحروب لدى الصليبيين ١٠٩٧ – ١١٩٣ – كمبردج ١٩٥٦

جدول المخطوطات

أعطيت حروف الاشارة الأولى في هذا الجدول للمخطوطات التي اعتمدت في هذه الدارسة ، وتشير الاعمدة التالية الى رقم كل مخطوط ، مع الحروف الاولى للمخطوطات إن وجدت في طبعات ماس لا تري وراشيل ، ورقم المخطوط في موجز رانيت

الاحصائي ، مع اشارة مــوجزة لأي نص تضــمه . وفقــط هـــي المخطوطات التي ذكرت في هذه الدارسة ، قد وردت في الجدول .

وا ستخدم تعبير موجز خلال الدرا ســة ليعني كل مــن نصي ا و ز معا ، ولسوفـ ترد أوصافـ مفصلة لكل المخطوطات المدرجة في هــذا الجدول في الصفحات (١٢ ـ ١٤) المقبلة.

	م.ل	ر ـ هـ ـ س	رانيت	
ا ـ ب ن ف فر ٢٦٣٤	—	ا	٤٧	ذيل هرقل حتى ١٢٦١ ذيل روسلين من ١٢٤٨ فما بعد
ا ـ أرسنال ٤٧٩٧	ا	٠	٢١	برنارد الخازن مع اسم المؤلف حتى ١٢٣١
ب ـ ب . ن. ف. فر ٢٦٢٨	٠	ب	٦٣	ذيل هرقل حتى ١٢٦٥ ،و يشكل هذا النص (١) ما دعاه ماس لاتري كولبرت فونتينبلو
ب ـ برن ٣٤٠	ب	٠	٢٤	برنارد الخازن مع اسم المؤلف حتى ١٢٣١ سف ا
س ج ـ ب . ن . ف . فر ٩٠٨٦	ج	س	٣٤	هرقل حتى ١٢٣١
د ـ ليون ٨٢٨	٠	د	٧١	هرقل حتى ١٢٤٨ مع كون القسم ١١٤٨ ـ ١١٩٧ غريب على هذه المخطوطة
غ ـ ب . ن . ف . فر ٩٠٨٢	غ	ج	٦٧	هرقل حتى ١٢٧٥
ز ـ سانت أومر ٧٢٢	٠	٠	١٣	أرنول مع اسم المؤلف حتى ١٢٢٧

مدخل

أن نيول تاريخ وليم الصوري باللغة الفرنسية القديمة والتواريخ المستقلة المتعلقة بها موجودة في تــواريخ مــرضية حــول الحــروب الصليبية ، ومن الناحية الشكلية هـــي أمثلة على الكتــابة النثــرية الفرنسية القديمة ، وهكذا فإنها قد لفتت في الماضي انتبــاه كل مــن المؤرخين واللغويين بصورة جيدة ، ولكنهــا تبقـــى بســبب ذلك كله مشكله صعبه ، ومؤرخون من مثل غروســيه ورتشــارد ورنســمان وبراور مكتفين فقط بتسمية الأكثر ظهــورا ، وهـــكذا يســتخدمون ارذول وهرقل كمصدر رئيس لجزء كبير من تــاريخ المملكة اللاتينية لبيت المقدس ، في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القــرن الثــالث عشر ، وهم مدركون بشكل جيد وهم يفعلون ذلك أنه لا يعرف بــأي درجة من التأكيد ما الذي كتبه أرذول أو أي نوع من النصوص يشكل تاريخ هرقل حقا ، وفيما يتعلق بأرذول فإن اعتمادهم على التــاريخ المعروف باسمه يقوم بقدر كبير على افتراض أن ارذول كان مــرا فقا مقربا لصاحب يبنا (١) وهكذا لا بــد أنه كانت لديه المعــرفة الأولى بكل ما حــدث ، وهـــذا ــ بصرف النظــر عن الحيازة ــ يؤكد كونه شاهد عيان أمرا صحيحا ، وهكذا يبدو من المرغوب فيه أن نعــرف ما الذي شهده أرذول بالضبط ، ومثل هذا ، إنه أمر بديهي أن نيول وليم الصوري التي تعرف اجمالا بتاريخ هرقل ، تسمى عادة بتاريخ ارذول وبرنارد الخازن ، وهي ترتبط نوعا ما ببعضها بعضا ، ولكن الطبيعة الدقيقة ومدى تلك العلاقة ، والأهمية التي يمــكن أن تــكون لها في ترسيخ كلا النصين ولتقــويم جــدارتهما النســبية كمصــادر تاريخية ، لم تحدد مطلقا بشكل واضح .

والأهمية الأدبية للنصوص أيضا برغم أنها معروفة بشكل غامض من قبل أغلب النقاد ومؤلفي التواريخ الأدبية وما يشابههم تختبــيء تحت عدد من المشكلات النصية الخطيرة المانعة التى تعــوق بشــكل

جدي ، إن لم تحل تماما ، دون أي تقـويم واضــح للمقـدرة الأدبية التي استخدمت في صياغة النصوص ، والعقبة الرئيسة أمام الناقـد التاريخي والأدبي على السواء هي حقيقة أن هناك الكثير جدا مـن النصوص ، التي كلها بلا شك ذات كيانات مستقلة ، ولكنها بلا ريب ترتبط ببعضها بعضا بشكل متساوي بأنواع مـن الطـرق الدقيقـة - وهذه النصوص هي :

« تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار » لوليم رئيس أساقفة صور ، والترجمات الفـرنسية القـديمة للتـاريخ وعدد مـن الذيول الفرنسية القديمة ، ويعرف هؤلاء معـا ويسـميان أجمـالا بـاسم «تاريخ(او كتاب اورمان) هرقل» وهو كتـب بـاللاتينية (٢) وهناك اخيرا عملان لاتدل عناوينهما على اي صلة بالبقية ولكنهما في الواقع مرتبطان بالذيول المكتوبة باللغة الفرنسية القـديمة وهمـا: تـاريخ ارذول وبرنارد الخازن (٣) المتقدم ذكره والعمل غير المنشور المعروف بصورة عامة باسم« تاريخ ماوراء البحار واصل صـلاح الدين (٤) » وهكذا فان المشكلة الرئيسية هــي تــرتيب هــذه النصــوص ومحاولة تحديد علاقتها ببعضها بعضا ، وكان المعروف من قبل من الدراسات المتقدمة أن النوع الأول من الذيول ، ذلك الذي ينتهـي في ١٢٣٢ ، قد أوجد المشـكلات المعقـدة والأكثـر أهمية الى حـد بعيد ، وبدا في الواقع أن هذه لو أمكن حلها فإن المشكلات المتعلقـة ببقية النص ستتوقف عن أن تكون مشكلات بالمرة ، وهو افتـراض أثبت صحته تماما بالنتيجة ، وهذه الدراسة بناء عليه محصـورة في هذا الفرع الأول من الذيول والأهداف الرئيسـة وراءهـا الاثنان : توضيح بنيتها وأن يعاد منها ومن النصوص المرتبطة بناء الصـورة الاصلية لتاريخ أرذول المفقود ، وبصرف النظـر عن هـذه المسـائل الرئيسة ، إن هناك ايضا غاية عامة فضفاضة ، أو اثنتان تختلفان عن الدراسات السـالفة ، وتتـطلبان التعـامل معهمـا ، إذا كان المسائل الرئيسة أن تسوى بصورة مرضية ، ومعظم هـذه النقـاط صغيرة وتظهر بشكل طبيعي تماما في مراحل معينة من الحل على أي حال ، ولكن إحداها أكبـر نوعا وسـتؤخذ بعين الاعتبـار بصـور

مستقلة في الفصل الخـامس ، وهـويتا المؤلفين المفتـرضين ارنول وبرنارد وتاريخيهما ستدرسان منفصلتين ، قبـل أن تـؤخذ جميع النصوص معا وتقـارن في محـاولة لكشـف بيئة النيول وعلاقتهـا ببعضها بعضا وبالتواريخ القصـيرة . وسـيذشأ عن هـذا التحليل إعادة بناء عمل ارنول الأصلي ، وهذا بدوره سيسمح بتحـديد بنية ومصادر التاريخ القصير المنسوب الى برنارد بـوضوح ، والفصـل التاسع مـوقف على تقـويم مـكان النصـوص بين أدب فترتها ، ويفحص العاشر الطرق التى تؤثر بها نتائج هذه الدراسـة في نظرتنا الى قيمتها كبينة تاريخية ، وتبقى مسألة ارتباط مخطوطة النيول بالمؤرخين بالضرورة بالغة التعقيد جزئيا بسبب العدد الكبير من المخطوطات (٥) ، وعلى اي حال أن الاساس قد اتضح الى حـد بعيد بفضل عملين هما: عمـل مـاس لاتـري« مبحـث التصـنيف » (٦) وعمـل كونت راينت (٧) « التحليل الاحصائي » الذي مع أنه يدعى بتواضع أنه ليس أكثر مـن تعـديل لتصنيف ماس لاتري ، قد أصبح المرجع المعياري للبحوث التالية في هذا المجال ، وكان نهجه تقسيم النصوص الى فئات بحسب التاريخ الذي تم فيه انجاز نيولها ، وهكذا فإن الفئة الاولى هي مخطوطات وليم الصوري بلانيول ، والفئة الثانية موجز وليم الصوري وتتمتـه حتى ١٢٢٨ أو ١٢٣١ مع ثلاثة أقسـام فـرعية ، مـع مـايسمى « تاريخ ارنول لما وراء البحار وبرنارد الخازن » والفـئة الثـالثة وليم الصوري مترجم ومكمل حتى ١٢٦١ ، والفئة الخامسة حتـى النيول ١٢٧٥ ،وهناك ضعفان واضحان في الطريقة :

الأول والأقل خطورة هو أن كل فئة في الواقـع تحـوي نصـوصا متباينة جدا (حتى أن الفئة الخامسة تحوي ليون ٨٢٨ التي تنتهي في ١٢٤٨ وليس في ١٢٧٥ بالمرة) ثانيا والاكثر خطورة أن الفئات تمضي الى ماوراء أسر المخطوط ، حتى أن المخطوطات التي تتشابه في الواقع في الكثير من أطوالها يمكن ان يفصلها راينت في تصـنيفه ببساطة لأن في واحد منها قسما إضافيا ملحقا بنهـايته ، ومـع ذلك فإن هذا التصنيف يبقى قيما كوسيلة لاختزال حالة معقدة بصـورة

متعذرة التجزئة تقريبا الى احجام أكثر قابلية التعامل معها ، وتمكننا في التمييز - مع أن ذلك قد يكون أحيانا بشكل محدود - بين نص وآخر ، فعمليات جرد رانيت اذا تزودنا بنقطة استدلال في المتاهات النصية ، والمخطوطات الفردية كانت ايضا موصوفة بصورة وافية في القسم الأعظم منها ، وفي بعض الحالات أكثر من مرة ، ويبدو من التكرار الممل أن تكرر كل هذه الأوصاف بطولها ، وقد اقتصرت بناء عليه على أن أصف في الملحق الأول مخطوطين فقط : مخطوط القديس أومر ٧٢٢ الذي لم يوصف بالمرة من قبل وانما ذكر فقط من قبل راينت (رقم ١٣ في قائمته) ومخطوط ليون ٨٢٨ من قبل ٧٣٢ و٨١٥ (راينت رقم ٧١) الذي وصف بشكل غير واف في مصنف راشيل ومحتويات كلا من هذين المخطوطين أساسية في مناقشتي .

وقد بدا من غير المرغوب فيه ابتكار مجموعة رموز جديدة من الحروف الاولى طالما أن هناك من قبل الحروف الأولى التي استعملها ماس لاتري ، وتلك التي استعملت من قبل محققي راشيل التي قد تتوافق جزئيا وتختلف ، وقد اعتاد المؤرخون الذين يستعملون تلك النصوص الاشارة اليها بعبارة « النص :د » وهلم جرا ، ذلك أن تغيير هذه الحروف الرامزة سيؤدي بالتأكيد الى التشوش ، وبدا أن الجواب هو تكييف النظام الموجود دون إضافة الى العدد الوفير من الأسماء والأعداد التي كانت تحيط من قبل بالنصوص ، وهكذا فمن أجل المخطوطات التي تذكر كثيرا جدا في مناقشتي قد استعملت حروف ماس لاتري ومحققي راشيل مميزة بينها حيث أنهم أحيانا يستعملون الحرف نفسه للاشارة الى مخطوطات مختلفة (مثل أوب اللذان يستعملان بصورة مختلفة في الطبعتين بوضع حروف ماس لاتري في صورة حرف كبير (جسم) وحروف راشيل في صورة حرف صغير وهكذا فان أشير الى المخطوط المختار من قبل ماس لاتري « ارسنال ٤٧٩٧ » (من قبل ٦٧٧ أ) في حين أن (آ) تشير الى ب. ن . ف . فر ٢٦٣٤ مخطوط (أ) من طبعة الأكاديمية ، وفي

حالتين وصف المخطوط من قبل كلا المحققين وفيهما جمعت بين الرموز هكذا غ . ج . س . ج وحيث أن كلا المحققين وصف وأعطى حروفا رامزة للمخطوطات التي استعملها قليلا جدا في تحقيقه ، وكذلك لتلك التي لقيت أغلب أهتمامة ، فان كل المخطوطات الرئيسة قد غطيت بهذه الطريقة باستثناء « القديس أومر ٧٢٢ » التي أعطيتها حرف (ز) الذي لم يستعمل حتى الآن للرمز لأي مخطوط .

وبالنسبة للمخطوطات الافرادية نواجه الآن أكثر الاسئلة صعوبة حول كيفية الاشارة الى النصوص ذاتها بطريقة مايجب أن تكون موجزة وواضحة ، طالما أن التعابير المستعملة يجب أن تتكرر في الحقيقة كثيرا جدا في أقسام معينة ، مع ذلك يجب أن لانحكم سلفا على المسائل التي بين أيدينا ، على سبيل المثال إنه من غير المرغوب فيه بوضوح الاشارة الى أي شيء على أنه « تاريخ أرنول » في حين لم يترسخ بعد ماذا كان تاريخ أرنول بالضبط ، وإن كل نص يوجد في مخطوطين على الاقل وعادة أكثر سوى ليون ٨٢٨ هو وحيد ، وبين مخطوطات أي نص يوجد نوع من الاختلافات هي التي تهم ، وتهم المرء الذي يحاول تحقيق اي واحد من النصوص ، ولكن المشكلة موضوع المناقشة في هذه الدراسة تعني مستوى آخر من الاختلاف تماما ، والاختلاف ليس بين المخطوطات العديدة لنص واحد بل بين نص وآخر ، ولهذه الغاية اخترت لكل نص مخطوطا واحدا يمكن أن يؤخذ بشكل موائم على أنه يمثل ذلك النص ، حتى أنه على سبيل المثال عندما تحتوي على النص نفسه مثل س . ج ، وهكذا فإن الاختلافات في القراءة بين مختلف المخطوطات لأي نص تترك جانبا على أنها عديمة الاهمية لغرض هذه الدراسة ، وهو فحص العلاقة بين محتويات كل نص وبين محتويات النصوص الاخرى ، وفي النهاية علاقة كل نص بالتاريخ الأصلي لأرنول .

واختيار هذه النصوص الممثلة كان في بعض الحالات يستوحي

من عمل المحققين المتقدمين ، وفي حـــالات أخـــرى أتـــى مـــن تصنيفاتهم ، وهكذا فإن اختيار المخطوطات غ ج ، س ج و ب و أ من قبل محققي الاكاديمية وماس لاتري على انها افضل المخطوطات للنصوص الخاصة بكل منهم يبدو عند الاختيار بأن له ما يســوغه ، وقد احتفظت بها كممثلة لنصوصهم ، ومن اجـل مــا يدعى تــاريخ أرذول » من جانب آخر ، اخترت مخطوط القديس أومر ٧٢٢ الذي لم يكن ماس لاتري يعرفه والذي يبدوا افضل من مخطوطة الاســاس بروكسل١١٤٢ لأسباب مشروحة مطولاً في مكان آخــر (٨) ، ومثــل هذا ان مخطوط ليون« د» برغم انه معروف لدى محققــي الاكاديمية ومطبوع من قبلهم بصــورة متنوعة ، فــانه لم يمنح الشــهرة التــي يستحقها ونصه فريد ، وسوف يعامل هنا كأسرة مستقلة ذات عضو واحد ستصبح اهميته الكبيرة بشكل متدرج ،ولايدخل« تاريخ ماوراء البحار » (راينت فئة ٢ ب) بشــكل عام في الأكثــر تعقيدا مــن الجدول النصي لأنه بين كل النصوص هو المخطوط الاقل إحــكاما في الارتبــاط بغيره ، وعلاوة على هـــذا يتعـــذر وصـــف كل من ب . ن . ف . فــر ٧٧٠ أو ١٢٢٠ على انه ممثــل لهـــذا النص (٩) وهـــكذا فحيثمــا يذكر فإنى أشـــير اليه ببســـاطة ب « تاريخ » .

والمخطوطات موضوع البحث هي .

أـ مكتبة آرســـنال في بـــاريس رقـــم ٤٧٩٧ (رقـــم سالف ١٦٧٧) (١٠) مــن القــرن الثــالث عشر لبــروفانسي غير معروف .

تاريخ بـــرنارد الخـــازن الذي يســـمى في شـــبارة دار النســـخ ف ١٢٨ ـ أ ،ويصـــفه مـــاسي لاتـــري في صـــفحة ٣٦ ، ويســـتعمله كمخـــطوط أســـاسي له للقســـم ١٢٢٩ ـ ١٢٣٢ مـــن النص ، انظـــر أيضـــا أدناه ص ٨ ـ ٩ .

آ ـ المكتبة الوطنية في باريس ـ مجموع فـرنسيس ٢٦٣٤ مـن أواخر القرن الثالث عشر أو أوائل القرن الرابع عشر ، يحتمـل أنه من شرقي بروفانس (قبرص احتمـالا تـاريخ هـرقل ـ مـكمل حتى١١٦١ مع كون القسم ١٢٣٤ ـ ١٢٦١٠ نيل روسلين .

واستعمل مع ب ادناه كمخطوط أساسي للفرع الأول من النيول من طبعة راشيل ولأجل وصـفهم له انظـر راشـيل ٢٠ مـن ١٤ ـ ١٥ وانظر أيضا ادناه ص ١٢ ـ ١٤ .

ب ـ المكتبة الوطنية باريس مجموع فـرنسيس ٢٦٢٨ القـرن الثالث عشر بروفانس ، ويحتمل أنه شرقي ، تاريخ هرقل مع نيول حتـى ١٢٦٤ انظـر (أ) أعلاه راشـيل ٢٠ . ب١٤ وانظـر ادناه ص ١٢ ـ ١٣ .

س ج ـ المكتبـة الوطنية بـاريس ـ مجمـوع فـرنسيس ٩٠٨٦ (١١) من أواخر القـرن الثـالث عشر أو أوائل الرابـع عشر ، ربما من شرقي بـروفانس ، تـاريخ هـرقل اسـتكمل حتى ١٢٣١ وصفه ماس لاتري ص ٤١ ولكنه استعمله تحليلا وقد استعمل لاغراض مختلفة من قبل محققي راشـيل الذين وصـفوه في راشيل ٢٠ ص ١٥ انظر ص ١٦ ـ ١٨ وأيضا ١٩ ـ ٢٠ .

د ـ مكتبة بلدية ليون (من قبل ٨١٥ و ٧٣٢) أواخر القـرن الثالث عشر ربما كتب في عكا والمنمنمات هي بالتأكيد من عمل ورشة من عكا ، تاريخ هرقل استكمل حتى ١٢٤٨ وهناك اجـزاء طـويلة من النص فريدة ، وقـد وصـفت بشـكل غير واف في راشـيل ٢٠ ص ١٥ ـ ١٦ ،ومن اجـل وصـف كامـل انظـر ادناه ١٩٢ ـ ١٩٣ .

وهي مطبوعة بأشكال مختلفـة في راشـيل وكثيرا مـا تكون غير مستوفاة . انظر هوغو بو ختال نقوش المنمنمات في المملكة اللاتينية

لبيت المقدس آ (أكسفورد ١٩٥٧) ص ٨٧ وماتلاها انظر أيضـا ادناه ص ١٣ .

غ ج ـ المكتبة الوطنية في باريس مجموع فرنسيس ٩٠٨٢ كتب في روما ١٢٩٥ ،تاريخ هـرقل اسـتكمل حتـى ١٢٧٥ طبـع في « إ . مارتيني و أو دوراند ـ مخـطوطات مختلفـة ومـذكرات تـاريخية وعقـائدية ومعذوية ـ مصـذفة ومجمـوعة» . (بـاريس ١٧٢٤ ـ ١٧٣٣) راشـيل ٢٠ ص ١٩ ـ ٢١ . انظر ما يلي ص (١٧ ـ ٢٧) .

ز ـ سانت اومر مكتبة البلدية ٧٢٢ ـ القرن الثالث عشر مـن دير القديس برتين ، تاريخ أرنول المذكور في ورقـة ٣٢ ظ وصـف ادناه في الملحق الأول ص ١٩٠ ـ ١٩٢ انظر ايضا ٨ ـ ٩ .

وبالنسبة للعناوين من مثل « تاريخ أرنول » وماأشبه ذلك التـي كثيرا ماتستعمل من قبل المحققين في الاشارة الى النصـوص ،فقـد استعملت فقط تلك التي لها مرجع لامجـال للخـطأ فيه ، مثـل نيل كوبرت فونتنبلوا ، وليس تلك التي تستعمل بصـورة مختلفـة ، أو التي لايسوغ استعمالها بما هـو معروف عن النص الذي تـطبق عليه عادة ، وكان من الضروري اجـراء اسـتثناء واحـد ، لتغيير الذي استعمله ماس لاتـري لوصـف النص الذي نشر مـن قبله وهـو ماسمي « تاريخ أرنول وبرنارد الخازن » واتباعا لاجرائه أشرت في كل مكان الى النص بكل الصور التـي وجـد فيهـا بـالاصطلاح الشامل « الموجز » مـن جـانب ، وعن التـاريخ القصـير الآخر « تاريخ ماوراء البحار » من جانب آخر . وهذا الاصـطلاح هـو تعبير لالون له بشكل معقول ، وكان ضروريا بصورة مـطلقة أن يكون هناك اسم ما يمـكن بـه الاشـارة الى النصـين (آ) و (ز) المأخوذين معا دوما دون تكرار كلا الرقمين ، ومع تدرج الجـدل فإن هذه المشكلة حول كيفية الاشـارة الى النصـوص تتناقص حيث أن

طبائعها الحقيقية تصبح ظاهرة ، ويمكن إعطاؤها أسماء موائمة بشكل صحيح وليست مجرد أسماء اعتباطية .

الفصل الأول

النصوص الباقية حتى الآن

مما لا شك فيه أن كتاب « تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار » لوليم الصوري (١) هو بصورة محققة أحد الأعمال الأكثر شهرة لكتابة التاريخ ،في القرون الوسطى ، وبه تلك الصفات من الدقة والتوثيق والموضوعية في الحكم وأناقة الأسلوب التي تعتبر الآن أساسية في كتابة التاريخ ، ولكنها كانت في زمانها غير شائعة بالمرة ، وفيه أيضا الحيوية نفسها التي كانت شائعة في كل التواريخ عدا الأسوأ منها في العصور الوسطى ، وهو الأكثر أهمية بينها بنجاحة المباشر ، لأنه كان موضوعيا ، وكانت هذه الصفة الأخيرة هي التي جعلته موائما ، بشكل بارز للترجمة الى اللغة الدارجة ، وجعلت من هذه اللغة بدورها أساسا لمؤلفات متنوعة كانت الأكثر رواجا في أيامها ، وبقيت شعبية زمانا طويلا بعد ذلك ، وينتهي « التاريخ » بشكل مفاجيء نوعا ما عام ١١٨٤ مع تعيين ريموند صاحب طرابلس وصيا على العرش من قبل بلدوين الرابع وهو على فراش الموت ، ولكن النص الدارج استكمل على مراحل عديدة حتى وصل أخيرا الى عام ١٢٧٧ .

والتاريخ ذاته عمل موحد ودقيق ، ونعرف قدرا كبيرا حول ظروف تأليفه مما ــ يخبرنا به المؤلف نفسه وباستثناء فصل واحد اكتشف حديثا ، وكان مفقودا حتى الآن (٢) ليس هناك غموض حوله ، والعكس هو الصحيح تماما حول الجزء الأساسي من الكتابات الفرنسية المرتبطة به ، وقد أضيفت النيول الفرنسية الى ترجمة التاريخ بشكل تراكمي على فترات طوال القرن الثالث عشر ، والأعمال التي تشكلت هكذا تعرف إجمالا باسم تاريخ

هرقل (أو الكتاب ، أو رومان) ونقرأ في الكلمات الافتتاحية للترجمة : التاريخ القديم للبطل الشهير هرقل حاكم الامبراطورية الرومانية » (٣) .

ومكونات النيول ، وهي أحد موضوعات هذه الدراسة يمكن أن يكون الافضل وصفها بأنها مشكالية : لأن عددا معينا من العناصر تشكل بشكل مستمر نماذج متبدلة ، وماهو الآن من التفاصيل يصبح في تشكيل آخر سمة رئيسة ، وماهو مركزي ومثار اعجاب في احداها لايظهر بالمرة في أي صورة أخرى ، واحيانا يظهر عنصر جديد تماما دون إنذار أو تفسير ، وعند مقارنة النصوص الرئيسة للنيول واحدا بالآخر ، يتضح على الفور أن الاصطلاحات مثل « مماثل » و « مخالف » ذات فائدة محدودة في وصف علاقاتها الواحد بالآخر . حيث أن هناك درجات عدة من التماثل والاختلاف. ومن الضروري التعامل بصورة مستقلة مع كل مستوى من التماثل (مثل مرضي ، صياغة الخ) وبصورة مستقلة ايضا مع كل قسم من النصوص ، طالما أن علاقة خاصة بين اثنين منهما في أحد الاقسام ليست بالضرورة دليلا ، وليست مطلقا ضمانا لعلاقة مماثلة في أي قسم آخر ، وكل هذه النصوص باستثناء وحيد وهو التاريخ نفسه عبارة عن تصنيف وتجميع ويجب أن تعامل هكذا .

ويبين الجدول التالي تنوع التجميع الذي تشكله النصوص ، حيث يمثل كل نص بالمخطوط الذي انتخب في وقت سالف (٤) والمخطوطان « أ » و « ب » هما مايسميهما ماس لاتري نيل كولبرت فونتبلو ، و « د » هو مخطوط ليون الوحيد و س . ج و غ . ج هما نصان « لهرقل » ينتهيان في ١٢٣١ و ١٢٧٥ على التوالي و « فزآ » هو النص المسمى بتاريخ برنارد الخازن ، و « ز » هو الذي يدعى « تاريخ أرنول » وذكر اسمه ، مع اصطلاح « تاريخ » ليشير الى « تاريخ ماوراء البحار » والتواريخ كلها تشير الى محتويات

النصوص ، وليس الى تواريخ تأليفها ، فمثلا « آ » يقوم على أنه انتهى في ١٢٣١ ، لان هذا هو تاريخ الحدث الاخير المذكور في النص على الرغم من أننا نعرف غ . ج مؤرخ ب ١٢٧٥ وليس ١٢٩٥ وكل قسم قد علم بتاريخ ينتهي فيه نص أو في حالة ١١٨٥ و ١٢١٨ ، وهو تاريخ بدأت فيه نصوص متماثلة في عدم الاتفاق أو نصوص مختلفة في الاتفاق :

١٠٩٥ ـ ١١٨٥ تتفق نصوص أ ، ب ، س ج ، غ. ج
وتتفق نصوص (آ) و (ز) د ،تاريخ
١١٨٨ ـ ١١٨٧ تتفق أ و ب وتتفق س ج و غ ج ، آ ، ز
د تاريخ
١١٩٧ ـ ١٢١٨ يتفق كل من أ ، ب ، س ج
د ، ج ٠، (آ) و (ز) جميعا
١٢١٨ ـ ١٢٢٧ تتفق (أ) و (ب) وتتفق س ج
د ، غ ج ، آ
١٢٢٧ ـ ١٢٢٩ ـ١٢٣١ تتفق أ ، ب وتتفق س ج
د ، غ ج ، آ
١٢٢٩ / ١٢٣١ ـ ١٢٤٨ تتفق أ ، ب ، د ، غ ج
١٢٤٨ ـ ١٢٦١ تتفق أ ، ب ، د ، غ ج
١٢٦١ ـ ١٢٦٤ تتفق (ب) و (غ ج)
١٢٦٤ ـ ١٢٧٥ غ ج

ويتضح من هذا أن الفترة الأولى من الذيول أعني حتى ١٢٣١ هي الى حد بعيد الاكثر اشتباكا ، أو حسب كلمة ماس لاتري الاكثر تشويشا ، وبعد ذلك يصبح النص واضحا بشكل جيد ، ومن الممكن التنويه ، وقبل ذلك لم يكن واضحا بالمرة عند النظرة الأولى كيف تم صدور التجمعات المتبدلة ، وأفضل مكان البدء بمقارنة النصوص الواحد بالآخر من أجل تصنيفها حسب محتواها هو القسم الذي لايوجد فيه العدد الأكبر من المجموعات

أعني ١١٨٥ ــ ١١٩٧ ، وهنا كما يحدث في مكان آخر أيضـــا فإن النصين الأكثر قربا كل منهما للآخر هما « آ و ز » .

أرنول : والنص الممثل في هذا الجدول في المخطوط « ز » يعـرف بتاريخ أرنول وذلك من ذكره لاسمه في النص ، ويبدأ : « وسأحدثكم الآن عن أرض القدس ، وعن الصليب المقدس الذي انتزعه المسلمون من المسيحيين » (٥) .

وهو عمل متقلب ديني ثم لاديني واقعي ثم أسطوري جاد ثم عابث بالتناوب ، والقسم المركزي هو ذلك الذي يغطي هــدف المؤلف كمــا ذكر في العبارة الافتتــاحية المثبتــه أعلاه ، ولكن حــول هــذا القلب تتجمع الأشياء ذات العلاقة ، وغير ذات العــلاقة في ســلاسل مــن الاستطراد تبدأ على الفور بعد تلك الجملة الأولى وتمتد الى فصــول عدة ، وهذه تتضمن فقرات توراتية وشبه توراتية ، وأساطير تتعلق بالأفاعي التي توجد في فلسطين ، وأوصاف لأجزاء من الجليل كلها مختلطة في تاريخ « موجز المملكة اللاتينية » مــن بـدايتها حتــى الفترة التي تشــكل مــوضوع المؤلف الحقيقــي ، أعني منتصـــف ١١٨٠ وماليها ، فمن هنا ومابعد يخبو التقسيم ويصبح الكتــاب بالغ الجدية ، ورواية تامة جدا عن تلك السنوات العصيبة ، وخــلال رواية قصة معركة الناصرة ، يرد ذكر اسم أرنول الذي ينفرد به هذا النص الذي اشتق منه الاسم المعطى له من مــاس لاتــري ، والذي يستعمل الآن عالميا .

'Dont fist descendre .i. sien vallet qui avoit non
Ce fu cil qui cest conte fist metre en escrit. (٦)

وقبل حصار بيت المقدس في ١١٨٧ هناك وصف تفصيلي للمدينة ويبدو أنه قد استعير من نص أقدم ويبدأ:

'Ainçois que je vous die coment
Salehadins assegei Iherusalem et coment il le prist vous dirai
je l'estat coment Jherusalem siet.(٧)

وهكذا برغم أن الجملة الافتتاحية في « ز » يبدو أنها تشير الى

بداية في *in medias res,* فإن هذا في الواقع بعيد عن الحقيقة .

ومثل هذا فإن المؤلف لايتوقف عندما يكون قد اتم المهمة التي ندب نفسه لها ، بل يتابع تاريخه لبعض الوقت مغطيا الحملتين الصليبيتين الثالثة والرابعة وحملة دمياط وحملة فريدريك الثاني الصليبية ، وحربه الخاصة ضد جان دي برين .

ويتوقف التاريخ اخيرا في منتصف هذه الحرب (١٢٢٩ م)

'Quant li empereres fu arivés si i enveia par toute se terre por saisir les maisons dou temple et quanques il avoit d'avoir et fist chacier tous les freres fors de se terre. Aprés s'amassa grant gens et grant ost et ala encontre le roi Jehan. Et manda son fil en Alemaigne.(٨)

وفي المخطوطات الاخرى لهذا النص (مثل بروكسل ١١١٤) تأتي فقرة تبدأ « سنة التجسيد » ثم تعدد بعض الاحداث في تاريخ المملكة اللاتينية .

برنارد الخازن

يختلف النص الوارد في المخطوط « ز » الموصوف آنفا عن النص « آ» قليلا جدا والفقرة « سنة التجسيد » ننتقل هنا الى البداية ، وذكر أرنول يحذف ببساطة ، وهناك اضافات صغيرة وتبديلات مثل تفسير عابر لما يعنيه اصطلاح « لاتينيون » عندما يستعمل لوصف سكان ماوراء البحار (٩)

ومن ناحية أخرى إن « آ » هو من نتاج « ز » حتى نهايته التي

بعدها يتابع « أ » دون توقف (كون المادة الجديدة على مايبدو أصلية) حتى أيلول ١٢٣١ وينتهي .

'Li empereres et li chevaliers de la terre firent volentiers quanque li rois Jehan lor devisa si com il avoient en couvent et li rois atant s'en tint.(١٠)

في المخطوط « أ » وواحد آخر من الأسرة (مخطوط ماس لاتري ب بيرن ٣٤.) فيما يلي اشارة الناشر

'Ceste conte de la terre d'outre mer fist faire li tresoriers Bernars de Saint Pierre de Corbie. En la carnation millesimo cc.xxij.'

ومن هذه الاشارة يعرف النص عموما بأنه تاريخ برنارد الخازن ، ولكن حقيقة أنه تقريبا جدا مشابه لما يسمى بتاريخ أرذول كانت مصدرا لغير قليل من التشويش ، وتعني أنه حيثما يذكر ناقد أيا من هذين النصين من الجوهري جدا التأكد مما يشير اليه بالضبط .

وقد نشر ماس لاتري في ١٨٧١ ،بعد أن قارن بدقة هاتين الأسرتين طبعة قامت على مخطوط من الأسرة نفسها مثل « ز » (بروكسل ١١١٤٢) ولكنه اضاف بحروف مائلة الى البداية والنهاية فقرة (سنة التجسيد) ثم قسم ١٢٢٧ ـ ١٢٣١ ـ على التوالي من المخطوط « أ » وأعطى لهذه الطبعة العنوان المركب« تاريخ ارذول وبرنارد الخازن» (١١) وكان هذا الاختيار قابلا للتسويغ ، ولكنه غير موفق ، لأنه جعل عقول القراء تتحيز ضد مسألة تأليف هذين التاريخين وقادهم الى الاعتقاد بصورة معقولة نوعا ما بأن الشخصين المسميين في العنوان هما مؤلفا العمل المعنون المسمى هكذا.

وماس لا ترى نفسه كما يتضح من كل نقده للنصوص ، وبرغم أنه مهيأ للاشارة اليها بهذه الاسماء لاجل القناعة ، اعتبر مسألة التأليف مسألة مفتوحة جدا في الحقيقة .

تاريخ ما وراء البحار : يبدو موائما كثيرا جدا لنصوص « ز » و « أ » التعامل بعد ذلك مع النص الثالث والاخير من النصوص الذي لا يضم ترجمة وليم الصوري ، وهو تاريخ ما وراء البحار . ومن المهم في الفترة التي ذشير اليها ١١٨٥ ـ ١١٩٧ أنها تقوم وحدها ويجب أن يضاف أنه حتى إذا بدا أنها تتفق مع نصوص أخرى ، فإن التوافق يكون دائما من النوع التقريبي جدا ، ويسمح بمزيد من الانحراف أكثر من أي توافق آخر بين نصين في كل الجدول وبدقة مطلقة يجب أن يبقي منفردا ، ولكن هذا لن يدل على التشابه الذي ينطوي عليه والذي كثيرا ما يكون محكما تماما في اجزاء متفرقة في نصه ، مع بعض ما في نصوص أخرى ، وبدا هاما اظهار هذا التشابه من الجدول المبين في ص (١٠ ـ ١١) حتى مع انه يجب أن يكون مبينا في وصف النصوص ، والواقع هو أن ال « تاريخ » نص مختلط جدا بالفعل ، وقد عالج مؤلفه مادته بيد أكثر حرية من أي مؤلف آخر لهذه النصوص ، وهكذا خرج المزيج الأكثر بعثرة وتشويشا بصورة لا يمكن تخيلها ، فهو يضع الروايات التاريخية الراسخة إلى جانب الاساطير الفاضحة متنقلا من الجانب الواحد الى الآخر جيئة وذهابا حتى مع كثير من الخفة والتحذير الاقل مما كان يفعله معاصروه ، ومع ذلك منصبه ذو اهمية لأنه يتضح من تلك الاقسام التي لها نظراء في أماكن أخرى أنها قد استخدمت بصورة مستقلة من مصادر قديمة ، وأنها لا تحتفظ فقط بتفاصيل كثيرة لا توجد في مكان آخر بل أيضا بمقاطع كاملة تتعلق بصلاح الدين وملك الكرك أرناط ورا ؤول دي بمبراك ، والاكثر اهمية من كل شيء هو القسم الاخير من التاريخ الذي يغطي السنوات ١١٩٧ ـ ١٢٣٠ وهو مكثف بشدة بالمقارنة مع « أ » و « ز » ويفتتح ال « تاريخ » شأنه شأن التواريخ الموجزة الأخرى « أ » و« ز » كما يلي : « وسأحدثكم الآن عن أرض القدس وعن خسارتها »(١٢) .

وهو يشبهها دون اختلافات كبيرة حتى وصول رينو دي شاتيلون الى فلسطين حيث الموضوع دون احتفال

- ٣٥٤٦ - 'Mais or se taist ici endroit une piece li contes de lui et dira dont li bons rois Salehadins ki tant fu preudom et renoumés de bien vint et de quel gent il fu estrait. Au tans passé ot un conte en Pontiu ki mout ama chevalerie et le siecle.(١٣)

وجاء اثر ذلك قصة الكونتيسة دي بونثيو وقصة كيف ان صلاح الدين قد تحدر من خلالها من بيت فرنسي نبيل ، والشريحة الرئيسة الأخرى التي توجد فقط في ال « تاريخ » وهي ليست تاريخا ، وتتعلق أيضا بصلاح الدين ،وقد أدخلت بعد معركة مونتغسارت (١٤) وهو نص منذور عن نظام الفروسية معروف جيدا في الشعر ولكنه على ما يبدو غير موجود في مكان آخر نثرا (١٥) والبطل همفري دي تورون في النصوص الأخرى هو وهنا هوغ دي تباري ويجب ان يفترض ان الكاتب قد وجد الحروف الاستهلالية هـ . د . ت . *prosateur* في الشعر ووسعها لتوائم ذاته ، وفي الواقع إنه من الممكن جدا أنه كان لديه بعض الاهتمام بأن يجعل من بطل القصة عضوا في عائلة التبريادي لأن العائلة اشتقت من أمراء القديس أومر الفركمبرغز ، ومخطوطا ال « تاريخ »(ب ، ن ، ف ، فر ٧٧٠ و ١٢٢٠) يعرفان من قبل مؤرخي الفن بأنهما قد صورا ، ويحتمل أيضا أنهما نسخا في ورشة في الشمال الشرقي من فرنسا (١٦) ، ويخدم هذان الاستيفاء ان المفترضان هدفا واحدا ، وهما نموذجيا بين كثير من الحكايات الاسطورية أو نصف الاسطورية التي كان المؤرخون الذين يكتبون للقراء الأوروبيين مضطرين للجوء اليها من أجل الخروج من الصعوبات الاخلاقية الكبيرة التي واجهتهم بها شخصية صلاح الدين ، فهو قد كان غير مسيحي ، ولكنه كان أخلاقيا جيدا ، ولم يكن فارسا ومع ذلك كان شهما ، وكان من الممكن أن يوجد حل واحد فقط للمظاهر المتناقضة برغم كل دليل على العكس ، لا بد أن صلاح الدين كان في الواقع مسيحيا ، وفارسا أيضا ، وعليه فإن عددا من القصص قد صدر ليظهر ان هذا الامر كان كذلك ،وهاتان تصوران على التوالي كيف كان صلاح الدين عند الاوروبيين ، بل فوق هذا ايضا من أصل فرنسي ، وكيف انتزع من الاسير فرانك اسرار الفروسية وهذه امثلة ممتازة على النوع (١٧) .

وبالاختصار إن نص ال « تـــاريخ » يختلف عن « أ » و « ز » بطريقتين رئيستين ، فهو يحتوي على القصـــتين الموجـــزتين أعلاه اللتان من السهل تمييزهما ، ولا تتطلبان أي تفسير لوجودهما ، إذ انهما إقحام بسيط محرف يحتوي أيضـــا على كمية مـــن الروايات التاريخية بادية الجدية التي لا تـــوجد في مـــكان آخـــر ، وهـــي كالاسطورتين تتمركز حول صلاح الدين وينتهي النص في ١٢٣٠ :

'En celui point s'asemblerent .x. mille Sarrasin et vinrent en Jherusalem et le quidierent prendre. Et cil de la vile les requellirent bien et les ochisent tous et prisent et misent fors y larra cinc [*sic*. B.N.f.fr. 12203: ocisent tous fors .ij.] ke li emperes y avoit laissiés pour garder le sepucre (١٨)

قبل ترك ال « تاريخ » من الضروري ذكر كتاب مـــطبوع ســـبب بعض الجدل في الماضي ، ومازال حوله بعض الغموض (١٩) ، ومـــن الواضح انه نص من ال « تاريخ » ويحمل العنوان نفسه ولكنه كما نشر من قبل ستري دي لاغويت بالفرنسية الحديثة يختلف عن النص في المخطوطين الباقيين من ناحية واحـــدة يمـــكن أن تـــكون هـــامة جدا ، عندما تعني تثبيت الصور الأصـــلية للنص ، فقـــد ســـبق أن لاحظنا أنه في النص الباقي الشريحـــة التـــي تغـــطي الســـنوات ١١٩٧ ــ ١٢٣٠ مكثفة جدا بالمقارنة مع الشريحة المقـــابلة في « ز » و « أ » . هذا ونص ستري دي لاغويت ما يزال أكثـــر تـــكثيفا ، وفي الحقيقة لن يكون من المبـــالغة القـــول إنه ليس هناك في الواقـــع شيء يمكن للمرء أن يسميه رواية تاريخية بعـــد وفـــاة هنري شـــامبين في ١١٩٧ ، وهناك تفسيران محتملان الاول أن ستري دي لاغويت كان أقل إخلاصا لمخطوطه مما يدعي ، وأنه ببســـاطة قـــد كثـــف هـــذه الشريحة بنفســـه ، والجـــدل المؤيد لذلك هـــو أن المخـــطوط « ب ، ن ، ف ، فر ٧٧٠ » إذا كان هذا هو الذي اســـتعمله ، بـــه الآن ، وربما كانت تنقصه بالتأكيد في حينه أوراق عديدة مفقودة قبل الورقة الأخيرة مباشرة ، وأسرع طريقة للتعامل مع هذا النقص لابد انها كانت ببساطة معالجة النص من الورقتين الأخيرتين الموجودتين

معا ، حيث يخفي التكثيف بفعالية ، الثغـرة التي في الرواية ، ومقابل هذا على أي حال يجب أن نوازن الحقيقة التي لا نزاع فيها وهي انه في الحقيقة في مكان آخر كثير التدقيق في تتبع مصدره ، وايضا أنه في كل موضع من النص توحي التفاصيل الهامة برغم صغرها بوجود اختلاف بين مخطوطه والمخطوطات الباقية ، وحتى يحين الوقت الذي يمكن ان يخرج فيه مخطوط جديد مثل ال« تاريخ » الى النور فإن الافتراض السليم الوحيد انه كان هناك آخر في الوجود ، مع شرط أن نص ستري دي لاغويت لا بد أن يكون قد عولج بحذر ، ولم يؤخذ به كاثبات أكيد على أن مخطوطا آخر كان موجودا (٢٠) .

تاريخ هرقل المخطوطان س ج و غ ج

بصرف النظر عن المخطوطات الثلاث « ز » و« آ » وال « تاريخ » فإن كل المخطوطات الأخرى المذكورة في الجدول الوارد في الصفحة ٤ تبدأ بترجمة فرنسية لتاريخ وليم ، يربطون بها نيولا ذات اتساع أكبر أو أقل ، وعندما نبدأ بمقارنتها مع بعضها نرى على الفور معوقات نهج راينت في التصنيف (٢١) ، فقد قسم النصوص الى فئات على معايير التاريخ الذي تنتهي به ، وكان لهذا تأثير فصل النصوص التي هي في الواقع متماثلة تقريبا في القسم الاكبر من محتواها ، وعلى سبيل المثال يمكن أن يرى في الجدول أن س ج و غ ج يظهران دائما في المجموعة نفسها في كل شريحة من نصوصهما ، ولكنهما يوصفان في زمرتين مختلفتين من قبل راينت ببساطة لان نص س ج ·ينتهي أبكر بنحو ست وأربعين سنة من نص غ ج ، ومضمون هذين النصين يمكن أن يوصف ببساطة تامة ، والى ١١٨٣ أنهما يتألفان من الترجمة الفرنسية لوليم ، ومن ١١٨٣ الى ١٢٣١ يتوافقان مع الشريحة نفسها في «آ»(ومن اخذ طرابلس (٢٢) حتى نهاية آ) (٢٣) ويتصل الجزءان معا بشريحة وصل من ثلاثة فصول في س ج وفي غ ج بأول الثلاثة

فقط ، وبعد ١٢٣ يمضي س ج بالمتابعة نفسها الموجودة في ب الى مدى يصل الى ١٢٦٤ ، ومن ١٢٦٤ الى ١٢٧٥ هناك نيل آخر خاص به في حين ينتهي س ج في الموضع نفسه كما في آ ، وفي الواقع بالكلمات نفسها (فلنراجع أعلاه ص ٩) دون إشارة الناشر بالطبع ، وفي الشريحة من ١١٩٧ ـ ١١٨٣ ، يبدي س ج و غ ج احيانا اختلافات هامة عن نص آ ، ولكن هذه الشريحة هي دائما وبشكل جلي ترجمات مختلفة للنص الاساسي نفسه ، وأيضا من ١٢١٨ الى ١٢٣١ فإن اس ج أكثر دقة قليلا من غ ج ، ولكن هذه الدقة تأخذ صورة الاقتصاد في الصياغة وليس أي تكثيف في المادة ، والشيء نفسه في كل التفاصيل في كل مواضع هذه الشريحة ، وهذان النوعان من الاختلاف بين النصوص لا يدعان مجالا للشك في حقيقة أن المخطوطات الثلاث كلها تحوي في نصوصها الخاصة النص الاساسي نفسه للفترة ١١٨٣ ـ ١٢٣١ ، وقبل هذا إنها بالطبع مختلفة تماما حيث في « آ » فصوله التسع والنصوص الاولى مشوشة سواء فيما يتعلق بمادة الموضوع أو طريقة عرضها وفي « س ج » و « غ ج » ترجمة وليم ، وهكذا تبدي مظهرا مهنيا وموحدا أكثر من « آ » كثيرا ، وواضح مع ذلك أن مؤلفي « س ج » و « غ ج » كانوا يعرفون الشريحة القديمة من « آ » وأحدهما يعطي في « غ ج » في وسط معركة حطين رواية انتخاب هركليوس لبطركية بيت المقدس وأسلوبه السيء السمعة (٢٤) في الحياة ، الامر الذي ذكرته « آ » و « ز » في نقطة مبكرة أكثر ، في ترتيبه الزمني المناسب ، أما الآخرون فيعطي « س ج » مباشرة قبل حصار القدس وصفا للمدينة (٢٥) ، يوجد في المكان نفسه في « آ » ، في حين حذف في « غ ج » ، وهذان النموذجان مثاليان بشكل جيد في نص ال « تاريخ » اجمالا ، في أن فرديتهما لا تأتي من احتواء أي مادة جديدة ، بل من جمع جديد للعناصر الموجودة في مختلف النصوص الاخرى ، حتى أن « س ج » على سبيل المثال لا يشبه أي نص آخر ، ومع ذلك فإن كل من مكوناته على حدة له نظير بالضبط في أي مكان آخر .

تاريخ هرقل والمخطوطات«أ» و«ب»

ويختلف نوعا ما عن« س ج» و « دغ ج» نصان آخران في الهرقل ممثلان في الجدول بالمخطوطين « أ » و « ب » وحتى ١٢٤٨ فإن هذين الاثنين يمكن أن يعتبرا في الواقع كنص واحد ، ولكنهما بعد ذلك يختلفان كليا ، ومثل « س ج » و « غ ج » يبدآن بترجمة اوليم تعقبها الفصول الواصلة الثلاث الموجودة في « س ج » ثم ينتهيان بما يبدو في البداية مثل النيل نفسه كما في « س ج » و « غ ج » ولكن عند الرواية حول معركة حطين يبدءان في تقديم فقرات كثيرة ومطولة لا تشبه أبدا أي شيء في « س ج » و «غ ج » وواضح أنه هنا لا يقتصر الامر على مجرد تنويع في النص نفسه كذلك الذي يلاحظ في مقارنة « س ج » و « غ ج » و « أ » بل شيء ما يجب أن يعتبر تتمة مختلفة بالمرة ، ويستمر نص « أ » و « ب » في الاختلاف بصورة متقطعة عن نص « س ج » و « غ ج » ، حتى وفاة هنري دي شامبين في ١١٩٧ ، ومن هناك تتفق كل النصوص مع بعضها حتى ١٢١٨ (و وفاة أوتو الرابع ، حيث توجد قفزة مفاجئة في الترتيب الزمني وفي مادة الموضوع ، ومنذ الحملة الصليبية الرابعة تعاملت الرواية فقط مع اوروبا والامبراطورية البيزنطية (٢٦) . والآن ينتقل المشهد الى المملكة اللاتينية وتتابع جميع النصوص القصة عند موت عموري ، ولكن برغم أن مادة الموضوع هي نفسها فإن النصوص ليست كذلك ، ومن هنا حتى ١٢٢٩ يختلف « أ » و « ب » مرة أخرى جذريا عن « س ج » و « غ ج » فقط في موضوع واحد زيارة جان دي بريين لاوروبا في عام ١٢٢٢ وزواجه من برنغاريا الكاستليه وحربه ضد فردريك الثاني حيث لا يوجد أي تشابه وسيناقش هذا الاستثناء مفصلا فيما بعد ، والصورة العامة بين « س ج » و « غ ج » من جانب « أ » و « ب » من جانب آخر هي صورة الفترة من : ١١٨٣ ـ ١١٩٧ ، فالمجموعتان متماثلتان جزئيا ولكنهما بشكل عام تختلفان بقدر كبير تماما فهما متماثلتان من ١١٩٧ الى ١٢١٨ ومختلفتان كليا بعد ١٢١٨ .

تاريخ هرقل ، المخطوط د :

والنص الاخير الذي بقي علينا وصفه هو (د) أي مخطوط ليون الذي يبدو أن ماس لاتري قد حول اليه اهتمامه اذا كان الوقت قد سمح له بذلك (٢٧) ، وسوف يعطى مكانا فسيحا في جدول الوقت الراهن ، وهو يقدم نصا يختلف عن أي نص آخر ، وكما يمكن رؤيته في الجدول الذي على صفحة ٧ ـ ٨ فإنه يميل بشكل عام الى الشبه ب (غ ج) عدا في الشريحة ذات الاهمية البالغة ١١٨٣ ـ ١١٩٧ ففي هذه الشريحة ، ليس في « د » نص مختلف بكليته بل إنه ينتشر هنا وهناك بين الفقرات على غرار ما في النصوص الاخرى كثير من الفقرات المسهبة عديمة القيمة ، خاصة ب « د » وحده ، وتكون هذه أحيانا روايات مختلفة عن الاحداث التي سبق لنا معرفتها من الروايات في النصوص الأخرى ، التي يلقي عليها « د » ضوءا جديدا ومختلفا ، وهي تتعلق أحيانا بأحداث لم يسمع بها في مكان آخر بالمرة .

الذيول من عام ١٢٣٢

الآن وقد وصفنا بالخطوط العريضة محتويات كل النصوص في الفترة الأولى للذيول ١١٨٣ ـ ١٢٣٢ ، وهي موضوعنا ، يبدو مفيدا أن نضيف ملاحظة موجزة على الاقسام الباقية من الذيول بعد ١٢٣٢ ، من أجل الحصول على تصور أو رأي كامل عن هذه النصوص التي تتابع في الفترتين الثانية والثالثة ، ولأنه سيصبح ضروريا فيما بعد ، عند مقارنة الذيول في الفترة التي تنتهي في ١٢٣١ ـ ١٢٣٢ ، وضع بعض الاشارات الى الاقسام التي تلي مباشرة .

في ١٢٣١ يتابع « غ ج » و « د » النص نفسه كما في « أ »

و « ب » وهو الذي يبأ في ١٢٢٩ ، مع أن هـذا يورطهـم في تـكرار بعض الأحداث التي سبق لهم ذكرها ، وتستمر النصوص الاربـع في الاتفاق حتـى ١٢٤٨ حيث ينتهـي « د » ويبتعـد « أ » عن الاثنين الباقيين لينضم الى نص عائلة روثلين ويستمر المخـطوطان « ب » و س ج في اعطاء النص نفسه كل واحد للآخر حتى يتـوقف « ب » في ١٢٦٤ التي يتابع بعدها « غ ج » وحده حتـى ١٢٧٥ (مجلس ليون البلدي) (٢٨) .

نيل روثلين :

تبدأ الآن عند النقطة نفسها ـ ١٢٣١ ـ مخطوطات أخرى هـي التي عرفت حتى الآن ب « س ج » « غ ج » تبدأ بما يعرف بـاسم نيل روثلين ، ونبع هـذا الاسـم عن الكاهـن روثلين الذي كان أول متملك معروف لمخطوطات هذا النص (٢٩) ، ويبدأ هـذا النيل في سنة ١٢٢٩ ويستمر حتى ١٢٦١ ، ويتضمن وصـفا للقـدس كمـا فعل « ز » و « أ » و « س ج » (٣٠) وعدة فصـول في وصـف الاراضي المقدسة ، وأساطير متعلقة بها بعضها مستوحى من الكتاب المقدس ، ومن نصوص الأبوغرافيا ، بينما بعض آخـر هـو مجـرد أساطير كانت رائجة في العصور الوسطى ، وغير معروفة أصـولها الأدبية ، ويتضمن نيل روثلين أيضا قـطعة غالبـا مـا تعتمـد على تواريخ الحروب الصليبية وتدعى « نبوءات آغاب » وقد فسرت على أنها تتحدث عن بعض حوادث الحروب الصليبية ، مع رسالة موجهة الى انسونت الثالث حول صلاح الدين ، هي موجودة أيضا في كتـاب جاك دي فيتري ، وفصول قصيرة عن خليفة بغـداد والحشـيشية ، وجاء هؤلاء جميعـا في بـداية النيل حيث قـاطعوا رواية أحـداث سنة ١٢٢٩ ، وهناك في أماكن أخرى صفحات نقلت بدون تحفظ من كالشين المزيف ولو كان مع أغنيتين ، احداهما شـعبية والأخـرى معزوفة لفيليب دي ناتويل ، وفيما عدا هذا فـالنيل متتـابع السرد ، وإن يكن متداخل وهو تاريخ مختصر يستمر حتى سنة ١٢٦١ .

كيف جاء هذا التنوع الكبير في النصوص مع الشبكة المعقدة في العلاقات ؟ وما هي العناصر الأساسية التي ترقد في جذور العملية ، وكيف تطورت هذه الأنواع المختلفة عن الجنس الواحد ؟

منذ البداية الاولى حيث ما كاد الحبر يجف عن آخر مخطوط ، افسدت دراسات كل هذه الاعمال بسبب واحد أو اثنين من الافتراضات الخاطئة التي لم تعترض ، حتى أنه في زمن قصير أصبحت حالة الدراسات كحالة موضوعها ، وقبل معالجة النصوص من الجوهري في البداية ازالة التشوش الطفيلي بسبب سوء الفهم الذي أحاطتها به أعمال الدارسين ، الذين غالبا ما اعتمد كل واحد منهم جميعا على ملاحظات الآخر غير القابلة للاعتماد عليها .

الفصل الثانى

حالة الدراسات

بحلول نهاية القرن الثالث عشر كانت النصوص التي يمكن القول بدقة انها تعود الى مجموعة وليم الصوري قد استقرت ووجدت في صورها النهائية وبعد هذا ليس هناك مزيد من الامتداد ، ولامزيد من اعادة التجميع ، ولامزيد من التفصيل من النوع ذي الاهمية ،وفي القرن التالي بقيت شعبية التواريخ بلا نقص ، والحكم من عدد النسخ الصادرة في حينه والتي بقيت حتى الوقت الراهن ، وفي هذا القرن ايضا ظهر في الوقت نفسه تقريبا اول عمل استعمل الذيول كمصدر مع اول ترجمة لها .

ويعد كتاب « تحرير الاراضي المقدسة من قبل الصليبيين » تأليف ماريذوس سانيوتس تورسيلي ، وهو رجل بارز من البندقية بين ١٣٠٥ و ١٣٠٧ (١) اول عمل مطول عالج نواح عديدة من الحروب الصليبية ، ويدل عنوانه الفرعي بدرجة كافية على مجاله :

scope: '. . . qui est tam pro conservatione fidelium quam pro conversione et consumptione Infidelium: quanquam etiam propter acquirandam et tenendam Terram Sanctam, et alias multas terras in bono statu pacifico et quieto'.

وعليه فهو تاريخي جزئيا ، وجغرافي جزئيا ، ولكنه يتكون في معظمه من بحث في كيف يمكن استعادة الارض المقدسة بأفضل طريقة ، والكتاب رقم ٣ تاريخ للارض المقدسة من ازمنة العهد القديم حتى الوقت الحاضر ، ويحتل منه تاريخ المملكة اللاتينية في بيت المقدس الاجزاء ٤ الى ١٢ ، وهذا مستمد من تاريخ هرقل مبتدئا من ١ / ٢ مع حرية نوعا ما في التكيف والايجاز ، حتى انه

يعتبر استخلاصا حرا من تاريخ هرقل ، وليس من نسخة التـاريخ اللاتينية الاصلية ، وهذا يتضح من حقيقة انه في كل الفروق الدقيقـة بين وليم ومترجمه كان سانيوتس يحتفظ دائمـا بنص المتـرجم ، وهو ايضا كثيرا ماابقى اسماء الاعلام بالفرنسية في حين انه في غير ذلك ابتكر صورا جديدة وغريبة تخالف تماما تلك التي اعطـاها وليم (٢) ولايمكن ان يكون هناك شك انه لدينا هنا للمـرة الاولى مـؤرخ يستعمل النص الفـرنسي وليس اللاتيني كمصـدر له ، واسـتعمال سانيوتس لتاريخ هـرقل ليس حصرا ولامستمرا ، ولكن هناك بعض الفقرات التي ليست شيئا اقل من ان تكون ترجمات دقيقـة لاجـزاء من تاريخ هـرقل ، ويتضح ذلك في نص كولبرت فونتنبلو .

(اعني نص ا و ب) (٣) فانه من المتعذر لسوء الحـظ ان يقـال بدقة ماذا كان اتساع النص الذي اسـتعمله سـانتوتس ومحتـواه واختصاراته تجعل الترتيب التاريخي يتـداخل ، وكثيرا مـاهضمت فصولا عديدة فجعلت منها فصلا واحدا بحيث لم تسمح لنا باكثر من التقاط شرائح اما مترجمة من تاريخ هـرقل ، او مـكيفة عنه كمـا يبدو ، ومايمكن ان نقوله بالتاكيد انه في العقد الاول من القرن الرابع عشر ، كان تاريخ هرقل على مايبدو يعتبـر مصـدرا مـوثوقا لمؤلف اظهر عمله درجة غير صغيرة من الجد .

وليس طويلا بعد نشر عمل سانتوتس وفي عام ١٣٢٠ على وجه الدقة ، وايضا في ايطاليا اتم فرنسيسكو بيبذو وهو راهب دومينيكي من بولونيا كتابه *magnum opus.* وهذا العمل غير معنون ويشـار اليه بشكل عام ببساطة باسم « التاريخ » وهو تاريخ عام نمـوذجي نوعا ما بين جنسه ، لانه يغطي مساحة واسـعة وفتـرة طـويلة ، وليس فيه ادعاءات بالاصالة ، والكتاب الخامس والعشرون منه هـو الذي يعنينا هنا وهو في الاساس تـرجمة الى اللاتينية لجـزء مـن الترجمة الفرنسية لوليم ، وجزء من الموجـز ، والمقـارنة الاكثـر ايجازا او سطحية بين عمل بيبذو ووليم تكفي لبيان تجـاهل مهمـة بيبذو ، وبالنسبة لتأثير تاريخه على الدراسـات التـالية فـانه كان

مفجعا ، وهو اقل من خلال اخطائه الذاتية منه من خلال خطأ محققه موراتوري الذي نشر اجزاء منه ، وبرغم انه ليس كامل تاريخ بيبذو في مجموعته الحاملة لعنوان « الكتابات الايطالية الوسيطة » وفي المجلد السابع المنشور في ١٧٢٥ طبع موراتوري كامل كتاب بيبذو الخامس والعشرين ومنحه عنوان « كتاب برنارد الخازن – الاستيلاء على الاراضي المقدسة » (٤) .

وقد حصل موراتوري على هذه الفكرة من ذكر بيبذو لبرنارد مرتين في عمله.

Haec ex Historia Damiatae sumta sunt. Sed de discessu Regis Johannis, et qualiter Christiani Damiatam Soldano reddiderunt, et nonnulla quae sequuta sunt, sic scribit Bernardus Thesaurarius. (٥)

Haec de gestis Regis Johannis sumta sunt ex Historia Bernardi Thesaurarii. Qualis autem fuerit exitus non inveni, vel quod Historiam non compleverit, vel quod codex, unde sumsi, fuit imperfectus.(٦)

وبطريقة ما أو بأخرى اخذ موراتوري هذه المراجع وخاصة الثاني ، الذي يرد ذكره في الفصل قبل الأخير ، ليعني ان كامل الكتاب الخامس والعشرين مأخوذ من برنارد ، وبناء عليه اعطي الكتاب الخامس والعشرين العنوان الذي يحمله في طبعته ، وادى هذا بالدارسين وكتاب التراجم على السواء الى ان ينسبوا الى برنارد اصل كامل الكتاب الخامس والعشرين ، على الرغم من حقيقة ان اسم برنارد موجود فقط في مخطوطين لتاريخ قصير ، ويحتمل انه لم يتمكن من تقديم كل المادة ولايرتبط مطلقا باي مخطوط لتاريخ هرقل الذي امكنه وحده ان يقدم الاجزاء الاولى من الكتاب ، وقد استمر هذا الخطأ حتى ١٨٧١ ، وعندما صححه ماس لاتري اخيرا في طبعته عن برنارد ، وحتى في حينه اقتصر ماس لاتري علي بيان كيف ولماذا اخطأ موراتوري وكل اولئك الذين ضللوا بطبعته (٧) .

وهكذا شغل على مايبدو بالتخلص من الخطأ ، حتى وقف عاجزا تماما عن تفحص بينة ان عمل ببيذو قد اعطانا حقا بينة على تاريخ برنارد سوف تدرس مفصلة فيما بعد فيما يتعلق بمسألة التأليف ، وفي الوقت الراهن فان سمات عمل ببيذو التي تبدو هامة هي انه مثل سانيوتوس لم يكن يعرف « التاريخ » بل ترجمة باللغة الدارجة له حتى انه مرة اخرى مثل سانيوتوس يتقبلها كمرجع ، وانه الاول الذي يذكر برنارد الخازن كمؤلف للتاريخ ، وهذه نقطة علام في تطور الذيول ،لأنه للمرة الاولى تستعمل النصوص العامية على نطاق واسع كمصدر (ان استعمال سانيوتوس لتاريخ هرقل شيء صغير بالمقارنة ، وهو لم يكن يعرف برنارد بالمرة) وبهذا ارسى الاساس لاكثر الاخطاء تشويشا ، وبعدا عن الادراك ، لافساد الدراسات التالية للنصوص .

ويقدم دخول الطباعة في القرن الخامس عشر دلالة مفيدة على الاذواق الادبية في ذلك العصر : اي كتب كانوا يرونها تستحق الطبع ، ومما له مغزى ان تاريخ هرقل او على اي حال اي جزء منه كان احدها ، وكانت مخطوطات منه بالطبع مازالت تستنسخ ، وعلى سبيل المثال تلك النسخة فاخرة التزيين المعدة من اجل البلاط الانكليزي ، وهي الان في المتحف البريطاني (٨) ، ويرجع تاريخها الى هذه الفترة ، وفي ١٤٨١ نشر وليم كالستون تاريخ غودفري البوليوني وفتح بيت المقدس وهووترجمة كالستون الخاصة للكتب التسع الاولى من تاريخ هرقل ، اعني التي تغطي حياة غودفري البوليوني مع مقدمة قصيرة وخاتمة من تاليف كالستون نفسه ، وقد حرف كالستون العمل كما تبين من عنوانه ، وتذكر مقدمته كأبطال ثلاث عظام آرثر وشارلمان وغودفري ، والكتاب هكذا سيره ذاتية لغودفري اكثر منه تاريخ للحروب الصليبية ، وهنا نرى النص العامي يستعمل مرة اخرى وهذه المرة لاكمصدر تاريخي كما استعمله ببيذو ولكن كجزء من سيرة ادبية راسخة وقابلة للمقارنة بالسير المحيطة بارثر وشارلمان ، وهي في الواقع ليست اقل من مادة جديدة وقد اعيد نشر كتاب كالستون في ١٨٩٣ من قبل وليم

موريس الذي اعاد في مطبعة كلمسكوت . طبع الطبعة الاولى (٩) من كتاب كاكستون ، وفي السنة نفسها نشرت جمعية النصوص الانكليزية القديمة طبعة من عمل كاكستون بواسطة ماري كولفن (١٠) ، ولسوء الحظ انه الى الحد الذي يعني مصادر كاكستون ، فإن مقدمة الآنسة كولفن ثانوية تماما ومضللة بدرجة كبيرة وهي لاتقصر نفسها على تاريخ وليم وترجمته الفرنسية ولكنها تضع تعليقات واسعة نوعا ما على أرذول وبرنارد وكلها قائمة على البحوث المختلفة لماس لاتري المنشورة في الفترة التي سبقت طبعتها مباشرة ، ولكن هذه لاتمثل دائما مكتشفات ماس لاتري بدقة ، ولحسن الحظ أن تأثير هذه الطبعة على الدراسات التالية يبدو أنه معدوم ، وبعد منشورات كاكستون ١٤٨١ فان النيول وكل النصوص المرتبطة بها يبدو أنها نسيت لنحو ٢٠٠ سنة ، وليس حتى ١٦٧٩ أن ظهر اي عمل جديد على النصوص وقد قدمت في حينه بصورة غير متقنة جدا ، وبحيث لم تثر بين النقاد سوى الشك في مصداقيتها ، وكان مؤلف العمل صمويل دي بروويه ـ صاحب «سيرتي دي لي غوتتة » الذي ادعى أنه قد ترجم الى الفرنسية الحديثة « مخطوطا قديما جدا » وفي مقدمته أكد مطولا على اخلاصه الكلي للنص (١١) وفي الواقع انه كان بشكل عام يعتبر أنه قد أكد كثيرا وأكثر من اللازم وكانت العقبة ان لااحد سواه رأى المخطوط الذي زعم بأنه أعطي له من قبل كبارت دي فيلرمونت كما أنه لم يعرف في الواقع حتى اليوم ، وهذا الظرف مجتمعا مع الاختلافات بين تاريخه والحقائق المعروفة آنذاك حول الحروب الصليبية جلب له عدم التصديق الاجتماعي في نقاد الأدب ،وتعطيه « دورية العلوم » نوعا ما من جوائز الترضية لكونه من السائغ القراءة فيه ، وغير ذلك فانها لم تزعج نفسها بالتحري عن مصدره (١٢) . ولكن الرواية التي حواها كتاب دي برويه هي بشكل واضح تماما نسخة معدلة من النص الذي نعرفه الآن باسم « تاريخ ماوراء البحار » الموجود في مخطوطين ف . فر ٧٧٠ و١٢٢٠٣ في المكتبة الوطنية ، وكما ذكر سابقا في استعراض النصوص المتبقية (١٣) هناك فروق بين الكتاب المطبوع

والمخطوطين الباقيين تكفي للايحاء بأن مخطوط دي بـرروويه لم يكن أيا منها ، ولكن لايوجد أي ظل محتمل للشك في أنه استعمل مخطوط آخر للنص نفسه ، هـذا وأن نص دي بـرروويه مصـان ، ويبقـى اكتشاف اذا ماكان المخطوط الذي استعمله دون شك مايزال بـاقيا.

وأخيرا ظهـرت في ١٧٢٩ أول طبعـة حقيقية للذيول ففـي مجلد (٥) من كتابهما « المصنف المجموع » لكل مـن مـارتيني وديوارند نشرا ذيل تاريخ وليم الصوري ، اعتمـادا على مخـطوطة امتلكها غاستون دي نوللي (١٤) وذلك بعنوان :« ذيل تـاريخ وليم رئيس اساقفة صور » ولم يذكرا اسم المؤلف (١٥) .

وشعرا أن من الضروري أن يضـيفا الى هـذا مسردا الكلمـات الفرنسية القديمة العسرة ، وشروحها التي لايمكن معرفتها بسهولة من قبل قراء تقتصر معرفتهم على اللغة الفرنسية الحديثة، ولكنهمـا لم يوفرا اي جهاز نقدي ، والمقدمة تحـوي ببسـاطة مـديحا لوليم وبعض الملاحظات على الصـعوبة اللغـوية للتـكملة وتـاريخ تأليفها ، ولكن طبعتهما قد أدت مع ذلك الهدف الضروري جدا وهـو توفير نص واحد من التكملة بصـورة مـطبوعة ، وتقـديم نقـطة مالامقارنة بطبعة موراتوري في الكتـاب ٢٥ لتـاريخ ببينو ، وقـد لوحظ التماثل بين النصين المره الاولى من قبـل مـانسي في طبعتـه لحوليات رانيالدي ، ويجدر حكمه بالاقتباس الكامـل لانه يبين كيف ان خطأموراتواري ، مع كونه فرضية لم يعترض عليها ، بل ايضـا غير مثبتة ببينة من نوع رديء تدعمه ، أصبح نبـذه أكثـر صـعوبة بكثير ، وبعد اقتباس فقرات من النصـوص المنشـورة مـن قبـل موراتوري ومارتيني وديوراند خلص الى مايلي :

Ex his patere arbitror Gallicum Latinumque scriptum unum idemque esse opus Bernardo Thesaurario tribuendum, quod a doctissimis Gallici editoribus ignoratum fuit. Discimus pariter F. Pippinum mutilum codicem Gallicum nactum fuisse, cum Latinam Historiam nonnisi ad annum 1230 circiter perduxerit. . . . Continuavit utique Thesaurarius historiam suam usque ad annum 1274 quo Lugdunense I Concilium celebratum fuit; ejusdem enim in fine historiae suae meminit. Hinc etiam de aetate Bernardi Thesaurarii, quam Muratorius ex conjectura tantummodo subodoratur argumentum capere licet. (١٦)

ومحور جدل ماذسي وأساسه ان نص مارتيني وديوراند ومصدر نص موراتوري كانا واحدا ، وكان واضح الصواب جدا حتى أن احدا لم يتمكن بأي حال من دحضه ، وقد حمل معه بقية تأكيداته وتعريفه للتاريخ بنص المخطوط غ . ج مع الذيل حتى ١٤٧٥ كمصدر لتاريخ ببيذو حتى ١٢٣٠. بدا معقولا تماما ، ألم يشك ببيذو نفسه بأن المخطوط الذي كان يستعمله كان ناقصا ؟

وهكذا كان موراتوري مبرأ ، وهكذا بدا ، وكان هناك مع ذلك تيار رأي منافس ينسب التتمة الى رجل يدعى هوغ بلاغون ، وبينما كان من السهل رؤية كيف ولماذا ظهر خطأ موراتوري بدا أن هوغ بلاغون قد أوجد من لاشيء فاسمه لايظهر في أي مخطوط الذيول ، أو النصوص المتعلقة بها ، ولكنه يذكر للمرة الاولى من قبل دو كانج في مسرد شروح ١٦٧٨ في قائمة المؤلفين باللغة الدارجة ، الذين تم الرجوع اليهم من قبل هوغ بلاغون في نص وليم الصوري ، فهذا ماجاء في مقدمة المسرد (١٧) ، فقد نسب دوكانج الى بلاغون ترجمة التاريخ ، ولكن دوم كاربينير محقق كتاب دوكانج أضاف الى هذه الطبعة في ١٧٦٦ اشارة الى نص مارتيني وديوراند وهكذا نسب الى بلاغون التتمة كما نشرت في كتابهما المصنف المجموع (١٨) ومنذ ذلك الحين فصاعدا تتنافس هاتان النسبتان المتساويتا الزيف بعزو الذيل الى برنارد من جانب وهوغ بلاغون من جانب آخر ، تتنافسان مع بعضهما بعضا ، وقد تبع فيفريت دي فونت وهو محقق كتاب ليونغ « مصادر التاريخ الفرنسي » في ١٧٦٩ كاربنتير ، كما فعل ميوسيل في مراجعته لكتاب ستروفيوس « مصادر تاريخية » في ١٧٨٦ (١٩) ومع ذلك فان

ميشو قد تبع ماذسي في طبعة ١٨٢٢ من كتابه « مصادر الحروب الصليبية » وقد ترجم ملاحظته مزودا أياها بمقارنات اضافية بين طبعتي موراتوري ومارتيني ليدعم استنتاجات ماذسي [٢٠] .

واخيرا وأكثر اهمية فان غويزو وقد لاحظ أنه لاتوجد مدرستان للفكر في الموضوع آثر رأي ماذسي وقد نشر مجموعة مذكراته المتعلقة بتاريخ فرنسا « مجموعة مذكرات متعلقة بتاريخ فرنسا » في ٣٠ مجلدا خلال السنوات ١٨٢٣ ـ ١٨٣٥ ، والمجلد ١٩ يحتوي على مايسميه تاريخ برنارد الخازن وهو في الواقع الترجمة الفرنسية لوليم مع ذيل مارتيني وبيوراند بعدها ، و في الواقع ان معرفته بالنصوص بالكاد يختلف عن معرفتهما ، ومقدمته تعيد اخراج كل رصيد الملاحظات على مايمكن الآن ان يسمى تقليد ماذسي ، ولكن غويزو اتخذ خطوة واحدةهامة الى الأمام فهو قد بين أنه بينمايكمل نص مارتيني وبيوراند حتى ١٢٧٤ فان مخطوط ببيذو عن برنارد على مايبدو توقف عند ١٢٣٠ ، ونسي على مايظهر ادعاء ببيذو بأن مخطوطه كان على أي حال ناقصا ويقدم غويزو الآن النظرية المفيدة ، والتي هي اتفاقا صحيحة ، ان ذيل تاريخ وليم الصوري في الواقع ليس واحدا بل سلسلة من الذيول ، وبصرف النظر عن هذا فان طبعته غير جديرة بالملاحظة فهي نص معروف من قبل مع ترجمة فرنسية حديثة على الصفحة المقابلة ، مع حواشي ذيلية بشكل رئيس ذات أهمية تاريخية وليست متعلقة بالنص .

وبدأ الاسهام في حقل الدراسة يلي بعضه بعضا كثيفا وسريعا ، وأول ماظهر بأكثر من معنى واحد ، وهو الاكثر وزنا كان الطبعة التي أخرجها اعضاء أكاديمية النحت عن تاريخ وليم بالنص اللاتيني مع الترجمة الفرنسية مع الذيول بأربع روايات [٢١] اضافة الى تكملة روثلين وقد نشرت هذه في مصنف راشيل «مؤرخو الحروب الصليبية» ،كمجلد (١) ومجلد (٢) من سلسله المؤرخين الغربيين ،وظهر المجلد الاول من جزأين في ١٨٤٤ ويتألف من « التاريخ » الصحيح مع الترجمة الفرنسية

تحتـه في حين أن المجلد الثـاني الذي نشر في ١٨٥٩ يقـــدم كل النيول ، وهو عمل دال على البـراعة الحقيقية ، وبـالطريقة التـي اختارها المحققون هـي أخـذ نيل واحـد ونيل « أ و ب » أي نص كولبرت فونتنبلو كنص رئيسي حتى نهاية الكتـاب ٣٣ (١٢٤٧ م) ثم طبـاعة منوعات ع . ج و س . ج و د في حـواشي نيلية ، أو في حالة الفقـرات الموسـعة ، كنص مسـتقل في نيل الصـفحة ونص روثلين (٢٢) مطبوع بصورة مستقلة في النهاية ، وطبعتهـم هـكذا لايمكن تثمينها لأي دراسة للنيول فهي تقدم كما تفعـل كل الروايات الرئيسية في صورة تسمح بسهولة المقارنة .

وهناك عقبـة واحـدة كبيرة مـع ذلك ، أعني الاغراء بـالسماح لصورة الطبعة المختارة من قبل المحققين بأن تحكم مسبقا للقـارىء في قضية أولوية احد النيول على الآخر ، وأن تقـود وبغير وعي الى قبول أفضليته على « أ وب » وحتـى الى اعتبـار كل النصـوص الأخرى صورا مختلفة لهذين الاثنين ببساطة لانهما طبعـا هـكذا ، وللتأكد هناك حجة تتخذ لعمل ذلك بالضبط ، ففي الواقع إن مـاس لاتري سيمضي فيما بعد بعيدا الى حد تأكيد أن نص « أ و ب » هو الأقرب للتاريخ الأصلي لأرنول : ولكن هذا ليس بأي وسيلة مسـألة مطروحة ومنتهية واحدى الحجج الرئيسـية حـول هـذه الدراسـة ستكون ان الادعاء القائم هكذا حول نصد أ و ب» ليس مسوغا.

ومقـدمة المحققين للنيول في المجلد الثـاني هـــي خليط غريب لاستنتاجات مستخرجة بدقة ، وحدس فـج والمثـال على الأول هـو الفقرة (٢٣) حول أصل المخطوط « د » في حين ان كل المادة حول أرنول وبرنارد يجب ان تنقل الى الفئة الثانية ، وقد يكون المحققـون محقين في استنتاج ان التواريخ القصيرة التي تحمل هذه الأسماء لا يمكن ان تصنف على نحو يتوافق مع نيول وليم الصـوري بغـرض تحقيقها ، ولكن الاقتراحات التي في مقدمتهم تؤدي الى هذه النتيجة ويجب ان ترفض تماما فليس لديهم على سـبيل المثـال أسس كافية

حتى للافتراض (٢٤) بأن أرذول وبرنارد كلاهما مخلصين للأعمال السالفة أكثر منهما مؤلفين بحق ، أو نقطة ضعيفة الضرى في المقدمة ، برغم أن هذا ليس تأكيدا زائفا بقدر ماهو تأكيد مضلل هي تحليلهم (٢٥) للذيول الدقيقة بين الاثنين للفترة ١١٨٣ - ١٢٢٩ قائلين ببساطة بأن في هذا القسم يتكون التذقيح الغربي من الذيل الشرقي في صورة موجزة .

ويبدو هذا في البداية نقطة صغيرة ، ولكن بأخذها بقيمتها الظاهرة فإنها تفسر منذ البداية اي دراسة للعلاقات بين الذيول ، والمقارنة الدقيقة للنصوص تظهر أنه في المقام الاول أن الصلة بين الاثنين أكثر دقة مما يوحون وأنها في الواقع من نوع مختلف بالمرة ، وفي المقام الثاني فانه يصبح ظاهرا بسرعة ان مثل هذا التقسيم الصارم للنصوص في نسختين منفتحتين غير واقعي تماما ، وإجمالا فان طبعة الاكاديمية للذيول تبعث على الاعجاب في كل مايتعلق بالنصوص ولكن المقدمة يجب ان تعالج بحذر في الاقسام المتعلقة بالذيول ، في حين ان الفقرات حول ارذول وبرنارد من الأفضل اغفالها تماما ، ونشر هذه الطبعة يدخل فيما يمكن أن يوصف بالعصر العظيم لدراسات وليم الصوري ، وفي سنة ١٨٦٠ السنة التي نشر المجلد الثاني نشر لويس دي ماس لاتري كتابه « دراسة تصنيفية لذيول تاريخ الحروب الصليبية لوليم الصوري » (٢٦) ، في ١٠٢ صفحة ، حيث قام بهجوم مباشر على المشكلة الرئيسية التي لم تمس حتى حينه حول أصل تنوع الذيول المتبقية ، استهدفت حركته الأولى ، محاولة اختزال الظاهرة في تعابير قابلة للفهم ولترسيخ خمس فئات من المخطوطات ، وكان المعيار الوحيد هو الزمن الذي وصل اليه التأريخ ، وهذا النهج مضلل الى حد ما ، لأنه يحجب الحقيقة (التي كان ماس لاتري بالطبع مدركا لها بشكل جيد جدا) وهي أن المخطوطات التي تتبع فئات مختلفة قد تكون متشابهة لبعضها بعضا في أقسام معينة من نصها على سبيل المثال « س ج وغ ج و د » في الجدول الذي على صفحة ٧ - ٨ كلها تتوقف عند تواريخ مختلفة ، وهي توضع بناء

عليه من قبل ماس لاتري في فئات مختلفة ، ولكنها جميعا تعطي النص نفسه (انظر الجدول) للفترة ١١٩٧ - ١٢٣١ وبكلمات اخرى فان فئات ماس لاتري تمضي الى ماوراء حدود عائلات المخطوط ، هذا وإن « الدراسة » ايضا مكتوبة بتركيز شديد حتى انها مشوشة أحيانا ، ومع ذلك فانه أول رسم للمشكلة بتعابير عامة هو أول محاولة ناجحة لتقويم المعتقدات الموجودة حول مجموعة وليم الصوري ،والتمييز بين الحقيقة والخيال والتخمين ، وعلاوة على أن تصنيف ماس لاتري للمخطوطات وفر الاطار ليس فقط من أجل ابحاثه الخاصة التالية ، بل من أجل كل الذين تلوه في هذا الميدان حتى الوقت الحاضر .

وبصرف النظر عن تصنيفه للمخطوطات المعروفة له ، فان ماس لاتري عالج ايضا العديد من المشكلات ذات العلاقة وأبرزها هوية برنارد وايضا هوية أرنول الذي شد الاهتمام الآن للمرة الأولى ، وحتى هذه النقطة لم يبذل اي اهتمام بمخطوطات التواريخ القصيرة التي تحمل اسماءها ، الا من قبل محققي الأكاديمية الذين اتوا على ذكرها فقط ليستعبدوها .(٢٧) وقد ترجم سيرتي دي لي غوتيه « التواريخ » وقد عالجت كل الدراسات الأخرى اما « التاريخ » أو الذيول الحقيقية ، مع أن كثيرا منها كما رأينا نسبتها جزئيا أو كليا لبرنارد ، والآن صنف ماس لاتري أخيرا كل المخطوطات المعروفة من قبله ، سواء الذيول أو التواريخ القصيرة فتعامل معها كأنواع مختلفة من جنس أو أصل واحد وبين هذا في حد ذاته أنها كما لو كانت بطريقة غير مصنفة بعد ، ومرتبطة ببعضها بعضا ،أما كيف تترابط بالضبط ، هي المسألة التي شغلته والتي مضى شوطا مانحو تحديدها، وأشار عمله بالنهاية الى حل ، لكنه لم يتوصل الى هذا الحل ، وكانت الفرضية التي طورها أن الذيول المرتبطة بالنص الفرنسي لوليم تتكون جزئيا من تواريخ مستقلة كتبت في أوروبا وفي بلاد ماوراء البحار ، قبل اجراء الترجمة ثم تكيفت فيما بعد من أجل الاستعمال كذيول ، وقد استنتج ان تواريخ أرنول

وبرنارد كانا اثنين من النوع الاخير ، وفيما يتعلق بارذول اقترح ماس لاتري ايضا ان النص الذي ذكر فيه اسمه وهو « المختصر » ، رواية ١٢٢٩ ليس في الحقيقة أفضل رواية محفوظة من عمله بل ان نيل كولبرت فونتبلو (أ وب) التي كثيرا ماتعطي رواية أكمل كثيرا القصة الاساسية نفسها ، هي أكثر انتاجه صحة ، وهذا الايحاء يبدو انه فقد تماما من قبل المؤرخين الحديثين الذين عندما يشيرون الى أرذول يعذون بصورة لاتتغير بذلك التاريخ الذي يسميه كما نشره ماس لاتري ، والايحاء الآخر لماس لاتري هو أنه اعتقد أنه من الممكن رغم عدم البرهنة على ذلك ان التاريخ الاصلي لأرذول قد توقف ابكر من ١٢٢٧ (النهاية هي جزء النص الذي يحوي اسمه) جزئيا لانه بدا أن هناك تبديلا في تنقيح عن أو حول وفاة هنري دي شامبين في ١١٩٧ ، وجزئيا بسبب تلميح من قبل رالف الكوغشالي الى تاريخ فرنسي هو ترجمة من قبل رتشارد رئيس دير رهبان الثالوث المقدس في لندن اعتقد ماس لاتري انه يمكن أن يكون تاريخ أرذول (٢٨) ، فاذا كان كذلك اذا فلابد أنه قد وجدت في حينه رواية لهذا النص متوقفة في ١٢٢٠ أو قبلها عندما المع اليها رالف ، ولكن ماس لاتري غامضا حول الطبيعة الصحيحة ، وكذلك حول اتساع عمل ارذول مشيرا الى القسم المتقدم على ١١٩٧ من التاريخ مع اسمه كانه لم يكن هذا هو التاريخ الاصلي لأرذول بل إنه على الاقل تاريخ سالف استعمل من قبل ارذول وأن ارذول نفسه منقح (٢٩) أولي أو مصنف واجمالا لابد أن شيئا مايمكن قد توقف عند ١١٩٧ لكن ماهو ؟

وهل ألف ارذول أم انه قام بمجرد جمع ؟ وكل هذه الاسئلة المتروكة دون حل من قبل ماس لاتري ، سوف يتم التعامل معها في فصول تالية ،و بالنسبة لتاريخ برنارد الخازن بين تماما ماس لاتري أخيرا خطأ موراتوري ، وأكد أن برنارد لم يترجم وليم بل إن عمله كان مستقلا تماما عن « التاريخ » الذي يمكن أولا يمكن أن يكون برنارد على معرفة به ، وعند هذه النقطة يزحف بعض التشويش

على حجة ماس لاتري ، فهو يذكر بوضوح من جانب أن برنارد ألف تاريخه (أ في الجدول الموجود في ص ١٠ - ١١) باستنساخ التاريخ القصير وفيه اسم أرنول (ز) ومضيفا تكملة قصيرة أصلية حتى يوصله الى ١٢٣١ وأيضا البداية التي مطلعها « سنة التجسيد »

ولكنه من جانب آخر يورد بيانات حول برنارد لايمكن بحال أن نستنتج من الأقسام الصغيرة لكامل النص « د » (٣٠) وهذا الاخفاق في التمييز بدقة كافية ، وبصورة متساوية ومتماسكة بين عمل برنارد الخاص ومصدره ، مع أن المرء يقدر تماما صعوبة القيام بذلك في متاهة النصوص المتنوعة ، وهذه احدى السمات الأكثر ارباكا في « الدراسة » ومن الضروري الاشارة باستمرار رجوعا الى بيانات ماس لاتري المحددة لرأيه في برنارد وقراءة كل مادته الأخرى عن برنارد في ضوء ذلك (٣١) وأخيرا يستنتج ماس لاتري من استخدام بيبنو لبرنارد ، أنه في الزمن الذي كان يكتب فيه بيبنو في ١٣٢٠ كان تاريخ برنارد قد امتص تماما من الذيول ، وفحص جديد لبيبنو سوف يظهر في فصل تال أنه بينما كان يوجد بالتأكيد بحلول ١٣٢٠ روايات عن « الهرقليات » تتضمن أجزاء من التاريخ المنسوب الى برنارد ، لم يكن هكذا ان بيبنو قد عرف برنارد ، ولكن كعمل تام ومستقل ، متماثل وان يكن غير مشابه للعمل الذي نملكه الآن في نص « أ » أو بينما يبين ماس لاتري ويصحح خطأ موراتوري فان شبحه مايزال مستحوذا عليه ، ثم يمضي ماس لاتري بعد ذلك في القسم الثاني من « الدراسة » ليدرس الذيول الحقيقية في فترتها الأولى ، أعني حتى ١١٣٢ ، وهي أيضا مجال هذه الدراسة ، ويبدأ بملخص مفيد للنتائج التي قاده اليها القسم الأول بادئا بواحدة يناقض فيها نفسه ،أكد أنه هناك ترجمات لوليم تقدم عمل برنارد نفسه ، وفي وقت أسبق كان يهاجم فيه فكرة ان برنارد لم يكن يعرف عمل وليم ، أكد أنه هناك ترجمات لوليم تقدم عمل برنارد نفسه وأنه بناء عليه كان ممكنا تماما لبرنارد أن يعرف « التاريخ » في ترجمة

فرنسية (٣٢) وهــو يعلن (٣٣) الآن كنتيجــة رئيســية أن أرنول وبرنارد كلاهما قد كتبا تاريخهما قبل أن تجري أي ترجمة لوليم وفي وقت متأخر مع ذلك (٣٤) رجع الى فكرته الاولى مرة أخرى وأعلن متذمرا نوعا ما :« يبدو لي مرة ثانية ، من خلال التاريخ أنه (أي برنارد) كان لايعرف بوجود ترجمة فرنسية للتاريخ العظيم للحروب الصليبية » .

ومن بقية هذا القسم تخرج أفــكار جــديدة عديدة بــرغم أنهـــا تخمينات حول دور ماس لاتري أكثر منها اســتنتاج مــن البينات ، فهي بين أكثر اسهاماته قيمــة ، وليس غير كثير أن الفحص الدقيق للنصوص الباقية حتى الآن ، يشمل مخطوطا هــاما واحــدا لم يكن ماس لاتري يعرفه (٣٥) والعديد مما لم يوليه اهتمــاما حقيقيا ، يؤدي إلى نتيجة منطقية كان قد سبق له أن قدمها كفرضية متخيلة ، وكثيرا مايكون مصــيبا ، ولكنه غير قــادر على عرضــها بصــورة مقنعة ، وهذه المعالم يقدمها ليرشد إلى طريق لم يكن هو نفسه قادرا على اتباعه حتى نهايته ، وهو على الأقل بقيمة النتائج نفسها التــي توصل إليها بالفعل وأحيانا أكثر .

لقد أحدثت « الدراسة » ثورة في دراسة الذيول ، ولسوء الحظ إن الأثر لم يكن محســوسا على الفــور ، إذ في شــباط ١٨٦١ ظهــرت دراسة للودويغ ستريت لم تأخذ الدراســة في الحســبان بــالمرة ، وحيث أن ستريت يشير إلى عمل ماس لاتري حول ارنول مجسدا في كتابه « تاريخ جزيرة قبرص » فإنه من المعقول افتراض أنه كان لابد أيضا أن يشير إلى « الدراسة » لو أنه كان يعــرفها إذ أنه لابــد أنه كان مكبا على كتابة بحثه الخاص ، والحــكم مــن تــاريخ النشر ، الفعلي في الوقت نفسه الذي كان فيه ماس لاتري يكتب « الدراسة » والمفروض أن يكون قد وصلت إليه متأخرة جدا ، وعلى كل الأحوال ففي كتابه « ذيل تاريخ ماوراء البحار لوليم الصوري باستثناء مواد غاليكو » (٣٦)

- ٣٥٦٨ -
(وأخفق الأسلوب الواعد بشكل مؤسف في كل صفحة)

ونسخ استريت إلى حد ما العمل الذي قدمه ماس لاتري في « الدراسة » ولكن أيضا غطى بعض الجوانب الجديدة التي لم يمسها ماس لاتري ، وهذا يجعل من المستحق الاحاطة بإيجاز بمضمون ماأسماه « لبلوس » وهو يعرض بنفسه خطة عمله بقوله :

> Itaque ab initio, quo melius disputatio procedat, breviter superiorum sententias recensebo . . . , tum ad ipsam caussam [*sic*] ita aggrediar, ut primum de totius corporis transmarini compositione disseram . . . , deinde narrationis, quae primae continuationis loco habetur, originem et propagationem investigare studeam . . . , denique scrutari incipiam, num certa quaedam illi cum Guilelmi Tyrii historia intercedat condicio quidve auctor secutus sit.(٣٧)

هذه أربعة أهداف من أجل « لبلوس » في نحو ٧٠ صفحة ، وهذا هو العناء الرئيس في بحث استريت فالاقتصاد يتجه نحو التردي وإلى السطحية ، ومع ذلك فإن لديه شيئا ما ليقوله حول كل هذه الموضوعات تاركا جانبا غير الأصلي والواضح ، ويمكن أن نلخص إسهامه هكذا فهو ينبذ (٣٨) التمييز الذي قام به محققو الأكاديمية بين التنقيح الغربي والشرقي مبينا أن هناك ارتباطات متقاطعة بين الاثنين ، وهو مع ذلك لايصل إلى فكرة تقاطع مشتركة لمصدر المادة ، ولكنه فيما بعد يعطي فهرسا مساعدا ، وإن كان سطحيا وناقصا لمختلف الشرائح التي ترد في أكثر من نص واحد ، وهو أيضا ينتقد محققي الأكاديمية لوضعهم ثقتهم في نص المخطوطين « أ و ب » ولكن حججه في هذه النقطة ليست مقنعة في الواقع ، وهو يعطي (٣٩) أمثلة على القراءات السيئة في هذين المخطوطين ، وهذا في الواقع حجة القول بأنهما ليسا مخطوطين جيدين النص الذي يعطيانه ، ولكن هذا ليس ماادعاه محققوا الأكاديمية في المقام الأول ، والأحرى أنهم أكدوا أنه حيث يختلف نص هذين المخطوطين جذريا عن ذلك الذي تعطيه الروايات الأخرى عن الذيول في المحتوى وليس في مجرد الصياغة ، فإن رواية « أ و ب » هي التي تعتبر النص الأقدم ، ويبدو أن ستريت قد خلط نوعا ما بين المخطوط والنص ، وعلى أي حال فإن الحجج التي يعطيها (٤٠) حول أولوية

س . ج على كل الروايات الأخرى مقنعة بصورة ضئيلة ، وأكثر الأجزاء أهمية في عمله هو الفصل القصير الأخير حول أرذول ، فاستريت يظهر أرذول مؤهلا بشكل يعيد إليه اعتباره ، وكان مجردا حتى الآن من المعرفة لأن الكل قد نسبوا إلى برنارد ما يعتقد ستريت أنه من عمل أرذول ، أعني التاريخ القديم الممثل أعلاه على صفحة ٧ ــ ٨ بحرف « ز » ويجب تذكر أن ستريت يعتقد أنه أصلي جدا في إيراد هذه النقطة لأنه لم يقرأ « دراسة » ماس لاتري وهو يشير إلى فرض أرذول كموافق لباليان دي ابلين في الحصول على معلومات عسكرية صحيحة ، ويتفق مع الرأي القائل بالاعتراف بأنه من عمل أرذول الذي لاينازع ذلك الجزء من التاريخ الذي يشكل العمل الأكثر تكاملا مع تاريخ ابلين .

وهو يعتقد مع ذلك بأن أرذول قد مضى بعيدا إلى ماوراء الهدف الذي وضعه هو نفسه في جملته الافتتاحية مكملا تاريخ فلسطين لنحو ٤٠ سنة بعد فقدان بيت المقدس ، وبكلمات أخرى لايقبل ستريت نظرية أن أرذول قد توقف في أ قبل ١٢٢٧ ، بل إنه يعتقد أن عمل أرذول كما هو الآن مجزأ ، (٤١) فالأوهام التاريخية ينبذها كسمة لطريقة أرذول ويعتبرها إضافات أجنبية الحقت بالذيل (٤٢) ومرة أخرى يكرر تفضيله لرواية س . ج ، وبالنسبة للسؤال إذا ماكان أرذول قد استمد من « التاريخ » من أجل الجزء الأول من تاريخه ، يصل ستريت إلى النتيجة الغريبة أنه قد فعل ، ولكنه كثيرا لايتفق مع وليم وهما كما لاحظ سابقا مؤلفان مختلفين جدا .

ثم يثير ستريت بعض النقاط الصغيرة ، ولكنه لايخطو أي خطوة كبيرة قدما ، وكانت هناك عشر سنوات أخرى قبل ظهور عمل آخر ملموس . هذه المرة في صورة طبعة نقدية من قبل ماس لاتري لما عنونه باسم « تاريخ أرذول وبرنارد الخازن (٤٣) » وكانت هذه طبعة النصوص ، سمت المؤلفين ، هي التي مثلت في الجدول الذي على صفحة ٧ ــ ٨ بحرف « ز و أ » على التوالي ، وقد تم تبني مخطوط من العائلة نفسها مثل « ز » هو بروكسل ١١١٤

كأساس ، والأشكال المختلفة لما سمي بمخطوطات (٤٤) برنارد أعطيت في الحواشي النيلية ، وإضافة إلى ذلك فإن الأقسام المميزة لعائلة « أ » المنسوبة من قبل ماس لاتري إلى برنارد نفسه . أعني المقدمة التي تبدأ بعبارة « سنة التجسيد » والقسم الأخير الذي يغطي السنوات ١٢٢٧ ـ ١٢٣١ طبعت بالحروف المائلة في البداية والنهاية ، وأعيد طبع « الدراسة » لعام ١٨٦٠ كملحق بالطبعة ، وأضاف ماس لاتري أيضا مدخلا جديدا انسجاما بين طبعته وطبعات موراتوري ومارتين وغويزوت والأكاديمية ، ومع النيول ، وكذلك أضاف أخيرا ، أوصافا للمخطوطات وللطبعات السابقة التي استعملها .

وفي المدخل تطورت آراء ماس لاتري كما يتوقع المرء عن تلك التي عبر عنها في « الدراسة » قبل ذلك بأحد عشر عاما ، والتغيير الأكثر قابلية للملاحظة هو أنه الآن يشد الانتباه إلى القيمة المحتملة لمخطوط ليون (د) (٤٥). دون التخلي مع ذلك عن رأيه السابق بأن نص كوليرت فونتنبلو (أ و ب) هو الأقدم والأكثر قيمة بين الجميع ، ومخطوط آخر أيضا هو بروكسل ١١١٤ قد أدركه اهتمامه حديثا فقط ، وفي الواقع إنه قد أعد طبعته بدونه ، وقد انتهى تقريبا عندما لفت كيرشن دي لتنهوف انتباهه إلى المخطوط ١١١٤ من المكتبة الملكية بروكسل الذي هلل له ماس لاتري الآن على أنه « نص أعطى فرصة إضافية لتقرير مصنف نص أرنول » (٤٦) .

وقد بدأ مرة أخرى باستعماله بصورة شاملة كأساس لطبعته ، وكان مايزال لايعرف والواقع أنه لم يعرف مطلقا ، مخطوطا كان من الممكن جدا أن يفضله حتى أكثر من مخطوط بروكسل ، هو مخطوط القديس أومر ٧٢٢ (مخطوط ز) ويبقى من المدهش أن ماس لاتري وقد أخذ كما كان باكتشاف مخطوط بروكسل ، لم يدرك أنه كان حريا أن يغير آراءه حول تأليف شريحة « سنة التجسيد » الى

آخره التي مازال يسميها تـوطئة بـرنارد والتـي طبعهـا بناء عليه بحروف مائلة في بداية العمل ، وسـوف نرى فيمـا بعـد أن هـــذه الشريحة كانت في الأصل غير مرتبطة كليا بالتاريخ الذي يرتبط بـه الآن ، لأنها لم تكن توطئة ، ولأنها لم تكتب من قبل برنارد (٤٧) .

وغير ذلك فإن المدخل يتعامل على نحو واسع مع ببينو ، متعقبـا تاريخ خطأ موراتوري ، ومرة أخرى إنه لغريب أن ماس لاتـري لم يستثمر بأي حال بشكل كامل البينة التي يقدمها ببينو لنا حول عمل برنارد ، بل إنه نبذ مسألة أي نص بالضبط هو ماظن ببينو أنه مـن عمل برنارد على أنها غير ذات أهمية (٤٨) ، بالتأكيد لأن نبذ سـوء تفسير موراتوري لبينة ببينو حيوي ، ولكنه ليس أقل جوهرية النظر إلى لما قاله ببينو حقا حول مصدره ، وقد وجدت الآن طبعات يمـكن استعمالها برغم أنها غير دقيقة للنص اللاتيني وللنيول الفـرنسية ، وللتواريخ القصيرة المنسوبة إلى أرنول وبرنارد ، وبقيت ترجمة وليم محققة بصورة غير وافية نوعا ما لأنها في مصنف راشـيل كانت قـد أعطيت منزلة حاشية نيلية ، ويبدو أن جهدا استثنائيا أقـل نسـبيا مما بذل للنص نفسه قد بـذل في سـبيله ، وبناء عليه اقتـرح بـولن باريس إخراج طبعة من « الهرقليات » أي التـرجمة والنيول معـا قائمة على المخطوطات التي تخص امبرواز فيرمين ـ ديدو ، وظهر المجلدان ١ و ٢ من هذا العمل المخطط له ، وهما يحويان الترجمة مع أوصـاف بيت المقـدس والجليل مـن النص الذي نشره مـاس لاتـــري ، وقـــداضيفت كملحـــق للمجلد الثـــاني في ١٨٧٩ و ١٨٨٠ (٤٩) وكانا مـزودين بحـوا شي نيلية ومسرد الكلمات الصعبة وخرائط لونيون ، وهـذان المجلدان يجعـلان المرء يأسف كثيرا في الحقيقة لأن البقية لم تظهر (٥٠) .

ومن ذلك الحين لم تنشر سوى قطعة كبيرة واحدة من العمل وهي تتعلق بالنيول كما تتعارض مع وليم نفسه ، وترجمة وليم هذه هـي « المصنف المجموع» (٥١) لراينت ، ونشر في ارشيف الشرق اللاتيني لعام ١٨٨. ـ ١٨٨١ وهو فهـرس لكل المخـطوطات المعـروفة لكل

النصوص سواء « الهرقليات » أو التواريخ القصيرة وهو تحسين لتصنيف ماس لاتري على الرغم من أنه قائم على الأسس نفسها ويبقى القائمة المعيارية حتى يومنا هذا (٥٢) .

وقد أوقفت كل البحوث من زمن راينت على نصوص أخرى من المجموعة سواء « التاريخ » نفسه أو النيل اللاتيني أو الترجمة الفرنسية ، ولم يوقف منها شيء للنيول الفرنسية أو التواريخ القصيرة وكل هذا سوف يوجد مدرجا في ثبت المراجع ، ويبدو ذا علاقة هنا أن يذكر فقط تلك التي رغم أنها لاتتعلق بالنصوص التي تشكل موضوع هذه الدراسة أعني النيول والتواريخ القصيرة ، فإن لها بعض الصلة بالمسألة التي بين أيدينا ، وقد حقق ماريان سالوخ في ١٩٣٤ التكملة اللاتينية التي وجدت ملحقة « بالتاريخ » في المتحف البريطاني المخطوط Reg. 14.c.x., (٥٣) وفي ١٩٤٣ نشرت اميلي بابكوك و م . س كراي ترجمه انكليزية للتاريخ تحت عنوان «الاعمال المنجزة فيما وراء البحار» (٥٤) وفي سنوات حديثه نشر ر . س . ب هو ينجز العديد من المواد العالية القيمة عن وليم تتضمن طبعة من فصل السيرة الذاتية المفقود من « التاريخ » (٥٥) وهو يعد الآن مع هـ . ي ماير طبعة جديدة من « التاريخ » (٥٦) .

ماالذي يبقى إذا ليفعل ؟! اي دراسة النيول الفرنسية والتواريخ البسيطة مفيدة الى حد ما بأن تأخذ كنقطة انطلاق عمل ماس لاتري الذي يشكل في التحليل الاخير العمل النقدي الوحيد للنيول الذي يستحق أن يؤخذ بجدية كبيرة ، والوحيد الذي من المعقول أن توضع عليه أي درجة من الاعتماد ، ويصف ماس لاتري بوضوح بعض العمل الذي تركه ليعمل بعده « هو انهاء الفوضى الأساسية المتعلقة بتصنيف نيول تاريخ وليم الصوري » (٥٧) .

وسيكون هذا هو الهدف العريض للدراسة الراهنة ، وضمن ذلك

الهدف الاكثر دقة وهو إعادة بناء تاريخ أرذول على الاقل في خطوطه العريضة حيث لاتسمح بما هو أكثر وحيث يكون ممكنا بالتفصيل .

ومن جانب آخر إن استنتاجات ماس لاتري عندما تفحص بإمعان تنقلب أحيانا لتصبح أقل من محكمة ، وطريقته الكاملة في تحليل النصوص تستدعي عددا من الأسئلة على سبيل المثال القول عند إحدى النقاط في تتمة فونتبلو « أ و ب » وعند نقطة من بروكسل (٥٨) ١١١٤ بأنها تشكل أقرب من تاريخ أرذول الأصلي ، وهو يفترض أنه سوف يوجد نص واحد يكون أقرب من النصوص الأخرى كلها من الأصل ، في كل قسم منه (٥٩) . وفيما يتعلق بالطبيعة المركبة لكل النصوص ، فإنه من الواضح أن هذا ليس يقينا يمكن الاعتماد عليه ، وهويميل أيضا بالاشتراك مع كل عمل في النصوص لان يتعامل مع كل منها ككل ، وبرغم أنه يعرف أن كل منها هو مجموعة من الأجزاء التي كانت يوما مستقلة عن بعضها بعضا فإنه لايعالج الاجزاء المنفصلة ، والاسئلة التي يسالها حول النص تنطبق دائما على الكل مع أنها يمكن أن تكون بطبيعتها الذاتية مرتبطة بمرحلة مبكرة من تطور التصنيف حتى أن النصوص التي لدينا لايمكن بأي حال أن تعطي أي جواب ذي معنى .

فعلى سبيل المثال بسؤال الى أي مدى كان تأليف معين قريبا لارذول الأصلي ، من الجوهري السماح على الاقل بإمكانية أن مراحل جديدة من التطور تفصل الاثنين ، وأن بعض أجزاء من النص يمكن أن تكون قد عانت تماما تغييرا أكثر من أخرى في العملية ، ويبدو أكثر منطقية وكذلك أكثر ربحا بقوة جعل الوحدات التي في التجمعات دائمة التغيير تذهب دائما الى تنظيم النصوص ، وليس هذا صعب العمل فيما يتعلق بالعدد الكبير نسبيا من النصوص التي نجدها في المتناول للمقارنة .

وسوف نبدأ ، اذا بدراسة مقدار ماهو معروف عن هويات شخصيتين ضبابيتين يجب أن توجه اليهما إشارات دائمة في دراسة

- ٣٥٧٤ -
النصوص وهما أرنول وبـرنارد ومـا الذي كتبـاه قبـل فحص بنية مختلف الروايات في « الهرقليات » .

الفصل الثالث

المؤلفون المفترضون

أرذول وبرنارد

١- أرذول

في نيسان ١١٨٧ أرسل غي لوزنغنان الى تابعة المتعب ريمـوند صاحب طرابلس وفدا يتألف من رئيس اساقفة صـور مـع مقـدم الداوية والاسـبتارية وريذو صـاحب صـيدا ، وبـالين دي ابلين ، وانشقت الجماعة في نابلس حيث تخلف بالين في المدينة بينما تابع الآخرون رحلتهم متفاهمين على أن عليه أن يلحق بهـم في اليوم التالي عند قلعة الفولة ، وبذلك لم يكن حاضرا عند الاشتباك المفجع والسيء التخطيط ، والذي وقـع بين فـرسان المعبـد ومجمـوعة الاستطلاع بقيادة الافضل بن صـلاح الدين وهـو الاشـتباك الذي يسمى أحيانا بمعركة الناصرة ، وعندما وصل بالين الى الفولة ، في اليوم التالي وجد المكان على مـايبدو مهجـورا « وبناء عليه بعـث خادمه أرذول إلى الداخـل ليسـأل مـن يجـده فيه » مخطوط ز - ورقة ٣٢ ظ - العمود (١) .

إن هذه هي صياغة أربعة مخـطوطات الاولى منهـا هـي بـرن ٤١ ، وبـرن ١١٥ ، وبـروكسل ١١١٤ (١) وكل المخـطوطات الاخرى من الموجز ومعظم تلك الهرقليات، وتروى الحادثة بـالطريقة نفسها بالضبط مع مجرد حذف اسم خادم بـالين (٢) ويقـوم على هذا الذكر القصير أساسا أي ارتبـاط بـاسم أرذول بـأي مـن النصوص وهذه بينة ضعيفة ربما بذاتها ، ولكنها ليست بـلا سـند

قوي من مصادر اخرى وللبـــداية بتعـــابير عامـــة ، ان جـــزء المختصر ، الذي يرد فيه ذكر اسم ارنول هـو بقوة وبصورة مـوحدة مؤيد لموقف ابلين ، ويتعارض في تخمينه لشخصية باليان ومقاصده مع تواريخ معاصرة أخرى ، وهناك على سبيل المثال مسألة علاقـة بالين بصلاح الدين ، ويذكر كاتب المختصر بشكل واضح انهما كانا صديقين مقربين تماما ، ولكنه يرجع ذلك الى شرف بـالين ، كمـا يظهر جيدا بشكل خاص في روايته حول مفاوضات بالين مع صـلاح الدين من أجل افتداء فقراء بيت المقدس بعـد أن سـقطت المدينة في أيدي العرب المسلمين في ١١٨٧ وطبقـا للمختصر اسـتخدم بـالين نفوذه لدى صلاح الدين لتخفيض المبلغ المطلوب الى نسب معقـولة ، ثم طالب علاوة على ذلك بتحـرير ٥٠٠ مـن الناس بـدون فـدية ، كمعروف شخصي له ، وأن صـلاح الدين وافـق على هـذه الشروط مراعاة لصداقته مع بـالين ، وليس ببسـاطة كحصـيلة للمسـاومة الدبلوماسية المعتادة والبعيدة عن الشك .

: 'Lors s'amolia Salehadins, et dist que, pour Diu, avant, et pour l'amor de lui qui l'em prioit, metroit le raençon a raison, si qu'il i poroient avenir. (٣)

وفي مكان آخر يشار الى بالين وأخيه بولدوين . صـاحب الرملة على انهما البارونان الفرنجيان الوحيدان في بلاد مـا وراء البحـار اللذان كان العرب المسـلمون يخشـونهم حقـا وعند ارتقـاء غي اورنغنان سدة الحـكم في ١١٨٦ رفض بلدوين تقـديم الولاء له لأنه كان يعتقد أن غي وزوجته سيبل ، التي أدعى بـأحقيته بـالملك مـن خلالها ، قد توجا بصورة غير مشروعة ، وقد عهد بأراضيه وبـابنه الصغير توماس الى اخيه بـالين ، وتـرك مملكة بيت المقـدس الى انطاكية حيث دخل في خدمة بوهموند ويقول المختصر :

'Quant Bauduins de Rames ot ensi fait, si vint a Balyan de Belin sen frere, se li carja son fil et sa tiere a garder, et prist congiet, si s'en ala. Dont che fu mout grans duels et grans domages a le tiere, et dont Sarrasin furent mout lié, car il ne douterent puis homme qui fust en le tiere, fors Balyan son frere seulement, qui demoura.(٤)

وقد أدخلت الحادثة بالتأكيد البهجة الى معسكر العرب المسلمين لأن المعارضة لغي كانت واسعة الانتشار ولم يكن بولدوين اللورد الوحيد الذي ترك المملكة عند ارتقائه العرش .

وثار انشقاق ونزاع عام بين بارونات الفرنجة وسرعان ما انشقت البلاد الى معسكرين منهم الموالون لغي وخصومه الذين اعتبروا ريموند صاحب طرابلس رئيسهم غير الرسمي ، وكان انقساما عجزت الدولة الصغيرة عن احتماله وكان اليه يعزى بالاجماع سقوطها ولكن « المختصر » . يتخذ رأيا مختلفا تماما من الحادثة المقتبسة أعلاه ، فهو يجعلها لا تصور الحالة العامة للاضطرابات السياسية السائدة في المملكة بل أهمية رجل واحد هو بلدوين صاحب الرملة ، وهذا نموذج لكامل معالجة « المختصر » والنصوص الأخرى حيث تتفق مع المختصر ، تعطى أهمية أكبر لأسرة أبلين مما كان لها حقيقة ، ومما كان لها هذا من قبل بشكل كبير .

علاوة على أن التواريخ الأخرى رغم معرفتها جيدا بعلاقات أبلين الوثيقة بصلاح الدين تضع تفسيرا أكثر اثارة للشك وحتى ازدرائيا صريحا لها وهي ليست مادحة جدا في وصف الطبائع الاخلاقية لباليان ، ومؤلف المدخل التمهيدي ، الذي على نحو لا يمكن انكاره يمثل القسم المتطرف من نقاد أبلين إلا أنه ليس منفردا بآرائه فهو يعطى هاتين الاشارتين الى أبلين .

Porro Balisantus, mortuo rege Amalrico, matrem puellae duxerat uxorem, quae Graia faece a cunis imbuta, virum moribus suis habebat conformem, saevum impia, levem mobilis, perfidum fraudulenta. (٥)

. . . contigit Stephanum de Torneham, ipsis obviare exeuntibus a Salahadino de Jerusalem, quorum nomina tunc temporis ob notam infamiae satis erant notoria. Unus eorum vocabatur Balianus de Ybelino, alter Reginaldus de Sydone. (٦)

وبكلمات أخرى إن شهرة ومقاصد أسرة أبلين . لم تكن بالمرة امرا محددا فهل كانوا يا ترى الفرنجة الذين استخدموا نفوذهم الشخصي من أجل خير بلادهم أو كانوا بوساطة متعاونين ، أو ماكرين أو خونة ؟ مشهورين أي سيئي السمعة ؟ إن « المختصر » بلا تردد في جانب الابلينيين .

وبدقة اكثر إن التأكيد بأن مؤلف هذا الجزء من النص كان تابع بالين دي أبلين قد تأيد أيضا بواسطة الرواية ، ومن وصفه لمعركة حطين حيث من المؤكد أنه هو نفسه قد اشترك فيها ، وهو يصف المعركة من وجهة نظر جنود المؤخرة ، وفي هذا النص وتلك النصوص المرتبطة به عند هذه النقطة وليس في أي تاريخ آخر ، نقرأ قصة الساحرة العربية التي وجدت من قبل سرجندي من قوات المؤخرة وهي تلقي التعاويذ (٧) ، وبعد ذلك كل الرواية هي في المقام الاول عن عمل جند المؤخرة ، ومن المعروف جيدا من مصادر أخرى ان جند المؤخرة كانوا تحت قيادة بالين دي أبلين في ذلك اليوم ، علاوة على ذلك بعد المعركة يمضي المختصر في وصف هرب بالين ، مع واحد أو اثنين حيث كانت رحلته الى بيت المقدس ، وادارته للمفاوضات لتسليمها قد وصفت سابقا أعلاه ، وهذه الرواية برغم انها ليست بدون الضعف والانحياز الذي سبق لنا ملاحظته كسمة لها ، هي في الأساس دقيقة تاريخيا ، أي أنه لا يبدو ، عند مقارنتها مع مصادر أخرى بأنها قد حرفت الحقائق ، بل إنها فقط قد قدمت تفسيرا غريبا لها ، وكامل النص الذي تفحصناه للتو ، من معركة الناصرة الى استسلام بيت المقدس هو أحد أجزاء هذه التواريخ الاكثر قيمة ، والتي يستعملها المؤرخون الحديثون ، ولا يبدو إذا أن هناك سبب لعدم تصديق البيان المعطى في المختصر ، بأنه كان ارنول خادم بالين دي أبلين « الذي كان له الفضل في الكتابة » .

ان المعنى الصحيح المعزو الى تلك الكلمات مسألة كبيرة وحيوية ، وفي الوقت الراهن فإن هوية الرجل المسمى هي المسألة

التي في أيبينا ، وهناك ثلاث قطع من البينات خارج النص يفتـرض انه قد كتبها تلقي مزيدا من الضوء عليها .

اكتشفت الاولى واختيرت من قبل ماس لاتري في كتابه « تـاريخ جزيرة قبرص » وهي وثيقة قبرصية ، معاهدة حلف هجومي دفاعي مدته خمس سنوات بين قبرص وجنوة ، أبرمت في نيقوسيا ومؤرخة في ٢ كانون أول ١٢٣٣ (٨) وبين أسماء الشـهود اسـم ارنايكس دي غيبلتو ويذكر المحقق أن هجائيات رسم أخـرى للكلمـات تـوجد في اماكن اخرى ، ولكنه لا يعطي أي مراجع ، وكما يبين ماس لاتـري إنه بالطبع ليس مؤكدا أن هـذا الرجـل والرجـل المشـار اليه في « المختصر » واحد ، وهو نفسه ، ويحتمل أنه لا يمكن اثبات ذلك بطريقة أو بأخرى ، ولكنه احتمال واحتمال قوي عندما يتـذكر المرء أنه كانت هناك صلة وثيقة بين عائلتي أبلين وغيبليت ، وفيمـا بعـد عند فحص النبول سوف نجد مثالا واضحا حول طفـل غيبليتي كان يربى في أسرة أبلين (٩) وانه على الاقل يحتمـل جـدا أن أرنول الذي كان في ١١٨٧ يتعلم مهنة السلاح كتابع لبـالين دي أبلين كان هـو أرنول دي غيبلت نفسه الذي في ١٢٣٢ كان رجـلا ذا اهمية كافية في قبرص ليشهد على معاهدة ذات أهمية وطنية ، وكانت قبرص في ذلك الوقت محكومة بفعالية من قبل الايبلينيين الذين كانوا هكذا في وضع يمكنهم من المكافأة بمنصب رفيع ، وهو اخلاص ظهر أثـره على كل صفحة من المختصر ، وقصة أن أرنول التـابع كمـا يدعى أدت الى تسجيلها كتـابة ، والاشـارة الثـانية الى أرنول سـجلها فيليب النوفاري في قائمة لمشاهير المحامين والقانونيين الذين تلقـى منهـم تعليمه القانوني الكامل ولو أنه غير رسمي .

Apres fui moult acointé de monseignor de Saeste a Baruth et a Acre et en Chypre; et moult de chozes m'aprist la soie merci volentiers. Et apres tout ces grans seignors et sages usai moult en cort entor messire Guillaume vesconte et messire Harneis et messire Guillaume de Rivet le joune, qui moult estoient grans plaideors. Et au reaume de Jerusalem fui je moult acointé de messire Nicole Anteaume et de sire Phelippe de Baisdoin, qui estoient grans plaideors en cort et hors court.(١٠)

ولسوء الحظ لا يخبرنا فيليب أين عرف أرنيس وكما يمكن أن يرى من هذا الاقتباس فقد سافر كثيرا ولكنه يقرن اسم أرنيس باسم وليم دي ريفت الذي نعرف أنه كان في قبرص في الفترة موضوع البحث ، أعني في ١٢٢٠ حتى قبيل وفاته ١٢٣٠ .

وترد آخر اشارة الى أرنول في الهرقليات ، مع أن ذلك ليس في القسم الذي تتعلق به هذه الدراسة ، وفي صيف ١٢٣٢ نجد أرنيس دي غيبلت محاصرا في قلعة إله الحب من قبل قوات ريتشارد فيلا نجيري

Or retornerons a Richart le mareschal. Apres ce que il ot fait l'eschec a Casal Ymbert, il envoia en Chypre les Chypreis qui o lui estoient, et de la soe gent ausi. Quant cil furent venus en Chypre, si firent ensi que il orent le chastel et la vile de Cherines et la Candare, et la tor de Famagoste, et assegerent Deu d'Amors. Dedens le chastel de Deu d'Amors estoient . ii. serors dou roi, damoiseles Marie et Ysabel; et si y avoient chastelein Felipe de Cafran, et y estoit Arneis de Gybelet, que li sires de Barut avoit laissé cheveteine de la terre, qui moult poi y mist de conroi, si que neis le chastel ou les serors dou roi estoient, et il meismes ne garni il mie; ains dut estre perdu par soffraite de viande; et a grant mesaise et a grant meschief se tindrent tant que il furent rescos.(١١)

ومن هذه الاشارات الثلاثة يمكننا أن نبني صورة تخطيطية ، إلا أنها مساعدة تماما لارنيس دي غيلبت وهو رجل له أهمية كبيرة في الحقلين القانوني والسياسي ، وهو في الدول الصليبية كان معقدا أكثر من المعتاد في أغلب الأوقات وفي معظم الأماكن ، وحياته يبدو أنها قد أمضيت في بطانه أسرة أبلين الحاكمة والتي في أواخر ١٢٢٠ وأوائل ١٢٣٠ كان حكمها قد تأسس بإحكام في قبرص ، وكل هذه العوامل ستؤخذ بالاعتبار في تعيين ما الذي أمكنه وما لم يمكن أن يكتب بالضبط من مجموعة التواريخ التي هي موضوعنا ، وقد آن الآن الوقت للتحول الى الشخصية التي خلف الاسم الوحيد الآخر الذي تحفظه التواريخ لنا وهي شخصية برنارد الخازن .

برنارد الخازن

حالما نبدأ بدراسة برنارد الخازن نواجه بعبارة ظاهرة التناقض ، كما رأينا عند استعراضنا لحالة الدراسات ، لقد كان ينسب اليه تأليف أقسام كبيرة مختلفة من التواريخ سواء المختصر أو الذيول أو ترجمة « التاريخ » حتى طبعه ماس لاتري في ١٨٧١ ، ومع ذلك فإن بينة المخطوط في ربط اسمه بالتواريخ هي في الحد الأدنى بالمرة ، وملحق بنهاية المخطوطين برن ٣٤٠ وارسنال ٤٧٩٧ هذه الاشارة للناشر « أعمال ما جرى في بلاد ما وراء البحار للراهب برنارد الخازن من رهبانية القديس بطرس غوربي - المجموع ٢٣١ (١٢) » هذا كل شيء ، إن برنارد مسمى في مخطوطين فقط من عائلة من خمسة مخطوطات تحتوي النص نفسه ، ثم في اشارة نشر فقط ، وليس مثل ارنول في صلب النص ، ومع ذلك فلكل هذا يكون من غير المعقول التخلي بخفة عن صلة التاريخ هذه بغوربي ، إذ أن دير الرهبان كانت له شهرة عالية كمركز للدراسة واستنساخ المخطوطات ، وكان مكانا عاليا على الأرجح لتأليف الروايات باللغة الدارجة عن الحروب الصليبية.

وقد تمتع دير القديس بطرس منذ تأسيسه بثروة طيبة فريدة ، ففي ما بين ٦٥٧ - ٦٦١ حولت باتيلدا أرملة كلوفيس الثاني مقر مستعمرة رهبانيه لوكسيل الى غوربي ، حيث منحت الطائفة الجديدة الأرض والماء بسخاء ، وقد توبعت رعاية هذه الطائفة من قبل ستة ملوك ميروفنجيين هم : كلوثير الثالث شيلدريك الثاني ثييري الثالث كلوفيس الثالث شيلدريك الثالث وداغوبرت الثالث ومن قبل ببين القصير وشارلمان .حتى أن مزايا الدير عندما قدمت للتأكيد عليها من قبل راعي الدير ليودتشر بين ٧٥١ و ٧٦٨ ، ذكر أن الدير يملك أملاكا واسعة في

والميزة الاخرى لغوربي كانت الميزة الطبيعية لموقعه ، على بعد ١٢,٥ ميلا فقط من المركز الرئيسي لاميين على تقاطع الطرق الرئيسية من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب عاملا ذا اهمية خاصة في فترة الحروب الصليبية ، مما أوجد حركة أكثر من المعتاد بين معظم أقسام المجتمع ، وفي كل الاوقات كانت غوربي في تماس مباشر مع مجيء التجار ونهابهم ، وكذلك الحجاج سواء من الاكليروس أو عامة الناس والمبشرين والجنود ، وكثير من مثل

هؤلاء الناس لا بد أنهم قد لقوا الحفاوة حتى في الدير نفسه ، وقد أسهم هذان العاملان بدرجة كبيرة في النمو السريع لفرقة النسخ ومدرسة غوربي ، وعبر عن احتلاله لمكانته العلمية وانشغاله بالبحث في الاجراء الذي اتخذه اولهارد الاكبر في ٨٢٢ (١٣) من اجل حصر استخدام ورق البردي من قبل الدير ، وقد اصبحت مخطوطات غوربي شهيرة جدا في الواقع ، وكان على المرء فقط أن ينظر الى كتاب مايلول « الدبلوماسية الملكية » (١٤) ليرى أي عدد متفاوت من صوره مأخوذه من مخطوطات غوربي ، وكان لغوربي تأثير كبير على المدارس الرهبانية الاخرى وعلى الشؤون غير الرهبانية أيضا ، وكان رهبانه يتجولون في كل أنحاء أوروبا لهدف أو لآخر ، وقد جاء كل من هاربرت راعي دير لوبس ويودس أسقف بوفيه وباسكارس رادبرتس ومنافسه راترمنوس ودروثمار اللغوي الذي درس في مدارس ستيفلوت ومالميدي،وأخيرا الراهب يوحنا الذي ساعد في تأسيس مدرسة قصر الفريد في وينشستر جميعا في الاصل من غوربي ، واستمرت شهرة الدير طويلا في الفترة التي تهمنا ، وذلك اعتمادا على الروايات المتوفرة حول مكتبته والفهارس الموضوعة لعام ١٢٢٠(١٥)وما بعده ، واجمالا كان غوربي في اوائل القرن الثالث مكانا مثاليا لتاليف التاريخ الصليبي ، فقد كان لديه كل التسهيلات الضرورية لمثل هذه المهمة : غرف النسخ ومكتبته وشهود عيان من الصليبيين العائدين ، وموارد مالية ووسائل لنشر العمل الناتج،وعليه فليس مما يدهش أن نقرأ في اشارة الناشر المقتبسة أن التاريخ قد صنع (بأي معنى صنع مسألة تالية) من قبل برنارد

الخازن من دير الرهبان ، وكان قدرا معينا من النقاش حول ما إذا كان برنارد هذا راهبا أم لا قد تركز على بينتين ، توحي الاولى بأنه كانت له أملاكه الخاصة والثانية بأنه في الوقت المتعلق بـذلك لم يكن هناك راهب بهذا الاسم في غوربي (١٦) ، وقد عولجت الاولى من قبل بولين باريس الذي اقتبس ما يلي من سجلات الدير:

' . . . sous la date de 1203, une charte de l'abbé, confirmant à notre trésorier la propriété de ce qu'il avait acheté d'un chevalier nommé Bernard de Moreuil, antérieurement à la donation que ce chevalier avait fait de ses biens à la même abbaye (١٧)

والآن فإن حكم س . بنديكت لافت للنظر حول مسـألة الامـلاك الشخصية من كل الانواع (١٨) ، فمع ان هناك ظروفا في ظلهـا كان المرء يمكن ان يجـد راهبـا بندكتينيا مشـغولا بمعـاملات تتعلق بالممتلكات فإن ايا منها لايوائم الحالة الموصوفة هنا ، وعلى سـبيل المثال لابد انه كان ممكنا افتراض ان راعي الدير كان يعطي الخازن الممتلكات موضوع البحث لاستعمالها ضـمن البنية المالية العـامة للدير ، ويذكر النظام الاساسي لادلهارد بشكل خاص مثل هذه الطرق على انهـا

مرغوبة وفعالة ومرة أخرى نجد الخازن يشتري أملاكا وليس هـذا مدهشا : ويجب أن نفترض أنه كان يعمل نيابـة عن الطـائفة ولكن هنا فإن راعي الدير هو الذي يؤكد أمـلاك الخـازن بمعنى انه كان يقصد أن تكون له شخصيا ، وفي الواقع ان هدف هذا المرسـوم كان كما يبدو التمييز بدقة بين جزئي أملاك برنارد دي مـوراي والجـزء الذي باعه للخازن وهو مـا يؤكد راعي الدير هنا أنه ملك للخـازن ، والجزء الذي وهبه بالتالي للدير كرهبانية ، واجمـالا إن التفسـير الذي لا يمكن تفاديه للمرسوم يبدو في كون خازن غوربـي في ١٢٠٣ كانت له ممتلكات خاصة ، وعلى هذا الاساس وحده يجـب أن نؤكد أنه لم يكن راهبا محتـرفا . وليس مـؤكدا بـالطبع أن الخـازن في ١٢٠٣ والخازن في ١٢٤٢ كانا واحدا والشخص نفسـه مـع أن بولين باريس كما يبدو اعتقد أنهما كذلك ، وهناك مـع ذلك صـعوبة

اخرى حول بـــرنارد الخـــازن أعني أن ســـجلات الدير حـــول عام ١٢٣٢ لا تذكر أحداً بهذا الاسم ، وهذا ظـرف اقتـرح مـاس لاتري انه يمكن أن يفسر بغياب برنارد الطويل على سبيل المثـال في الحج (١٩) وهذا يعني ان عمله لم يكن في الواقع يتم في غوربي وانما يعني فقط انه جاء اصلا من دير القديس بطرس في غوربي ، واقوى اعتراض على هذه النظرية (التي هي بالطبع على أي حال فـرضية صرفة) هـو ارتبـاط العمـــل الذي لا جـــدال فيه بشـــمال شرق فرنسا ، وهذه الصلة سوف تصبح أبدا أكثـر ظهـورا كلمـا تقـدم فحص مصادره وتآليفه ، والاحتمال البديل بأن بـرنارد كان ينتمـي الدير دون أن يكون راهبا ، وهـو بالتضاد مقبول بشكل تام،ففـي أي دير في العصور الوسطى كان هناك دائما تقريبا عدد من عامة الناس يعملون في وظيفة أو أخرى ، وفي دير له حجم وأهمية غوربي يحتمـل أن العدد كان كبيرا تماما (٢٠) ، وفي الواقع ان وجـود مثـل هـؤلاء الناس في المجتمعات الرهبـانية اصـبح مشـكلا نوعا مـا ، وكانت اصلاحات هيرشو مصممة لاختزال اعدادهـم وتـأثيرهم على حياة الطائفة ، وكان بعضهم مرتبطا بوظيفة رسـمية على سـبيل المثـال كخدم منازل أو كتدفيئيين ممـن يمـكن أن يشـغلوا مناصـب ذات أهمية ، دون أن تكون دينية ، وكلا النوعين يمكن أن يعتبر كأعضاء في العائلة الرهبانية ولكنهم أعضاء من العامة ، وبصرف النظـر عن هـؤلاء مع ذلك كانت هناك فئة كبيرة من الناس ، قدم لها الدير النوع الوحيد لسياسة التأمين المتوفرة ، وكانت مشتركة للافراد ، وأحيانا لعـائلات كاملة حيث كانوا يدخلون الدير حـاملين كل ممتلكاتهـــم للطائفة ، مع أن هذا عادة يكون مع الاحتفاظ بحق الانتفاع لأنفسهم مدى الحياة ، وهكذا يعطيهم ضمانا لايمكن الدنيا ان تعطيه (٢١) في الأزمنة المضطربة سـياسيا ، ومثـل هـؤلاء المنذورين ، كمـا كانوا يسمون كانوا يعدون بـاطاعة راعي الدير في الامـور التـي تـرتبط مباشرة بحياتهم في الدير،ولكنهم كانوا يحتفظون بحقـوقهم الشرعية التي لايحتفظ بها الرهبان المنذورين ، وكان هذا الترتيب واضح النفع لكلا الطرفين ، فكان الامن سلعة قيمة للواحد ، والثـروة للاخـر ،

وكان هناك ايضا كثير من الناس ممن لجأوا الى احد الاديرة في سن متأخرة ، وطبقا للبروفسور ليغ كان هذا مــا فعله بينيس بيرامس ، وكما بينت فإن ديرا مزدحما مثل دير القديس ادموند من غير المحتمل ان يدع موهوبيه يمضون دون الافادة منهم (٢٢) وبلا شك ان غوربي قد استثمر ايضا العباقرة من عامة الناس اســتثمارا كامــلا ،وقــد اظهر برناردنفسه موهوبا كمصنف للتــواريخ فقــد اعطيت لحــريته العنان في بيت كان بحق فخورا بمكتبته .

واجمالا ، كانت هناك طرق عديدة كان يمــكن فيهــا لرجــل مــن العامة ان يجد نفسه في عام ١٢٣٢ خازنا في دير بند كتي كبير ، وفي وضع يمكنه من ان يكون له كتاب معــد لمكتبتــه وليس كبير الاهمية لفحصنا لتاريخه معرفة اذا ماكان برنارد راهبــا او مــن العــامة ، وماهو مؤكد انه كان مرتبطا بغوربي وان عمله سوف يحمل اثارا من تأثير الوسط الديري ، على الرغم من ان منزلته الخاصة بــالضبط في الطائفة ، وهكذا ففي ارذول وبرنارد لدينا رجلان كانا بــطريقتين مختلفتين مشغولين بشكل رائع بتأليف مثل هذه التواريخ مثل تأليف الموجز والذيول فكل من اســميهما مــرتبط بــالموجز ، فمــاذا كانت بالضبط اسهاماتهما المتعلقة بهذه النصوص ؟

الفصل الرابع

عمل برنارد الخازن

الظروف التي سمي تحتها ارنول وبرنارد مبينة في روايتي الموجز (١) ـ وهي تختلف بطريقة تعطينا بذاتها بعض الادلة على الاختلاف في اسهامهما في هذا التأليف ، وارنول مذكور بالمناسبة بطريقة لاتعطينا اي دلالة حقيقية بالمرة عن مقدار ماهو مؤهل له ، دع عنك مقدار ماهو في الحقيقة مقدار حصافته ، ولكن اسم برنارد يضاف رسميا الى عمل تام ، أما ما الذي كانت وظيفته بالضبط لانعرف بعد ، ولكن من الواضح انه بطريقة ما او باخرى كان مسؤولا عن العمل بكلتيه في الصورة التي لدينا الان في المخطوطات المسماة برن ٣٤٠ وارسنال ٤٧٩٧ (٢) .

واول شخص ذكر صلة برنارد بالتواريخ كان بالطبع فرانسسكو بيبنو التي وصفت من قبل اشارته الى برنارد في استعراض حالات الدراسات (٣) وكما رأينا يبدو ان بيبنو لم يقصد ان ينسب الى برنارد مادة كامل الكتاب التي يذكره فيها كمصدر ، بل فقط اجزاء خاصة منها ، وفي الواقع انه يسمي في اماكن اخرى مصادر اخرى مثل كتاب اوليفر البادر بورني « تاريخ دمياط » وفنسنت البرفيزي (٤) وبروكاردوس التي بذاتها كانت كافية لمنع الخطأ الذي ارتكبه موراتوري في عنونة كامل الكتاب « الاستيلاء على الاراضي المقدسة »

وكان زيف هذا العنوان مصورا بقوة من قبل ماس لاتري الذي بين ان برنارد لم يكتب شيئا زيادة عما هو مضمن في المخطوطات التي تحمل اسمه ، ولكن ماس لاتري ، استبعد مسألة ما الذي كان يحويه بالضبط مصدر بيبنو على انه غير هام ، واذا ما كان قد

استعمل مخطوطا من ترجمة وليم الصوري مع الذيول الى عام(١٢٣٠)او مخطوطين منفصلين واحد للترجمة وواحد لتاريخ برنارد كما هو لدينا الان في المخطوطات مع اشارة الناشر (٥) ، وهذا الاستبعاد يبدو نوعا ما قاطعا ، اذ انه في اي حال فان المعلومات سوف تؤثر بشكل خطير تماما في رأينا عن برنارد فيما يتصل بالذيول ككل ، فاذا كان البديل الاول صحيحا فان بيبذو اذا كان لديه مخطوط من الاثر المنقح للهرقليات ينتهي في عام(١٢٣٠)، وهو غير باق حتى الان في اي مخطوط علاوة على انه كان معلما عند نقطة ما باسم برنارد ، وهذا يوحي بانه يحتمل على الاقل ان اهتمام برنارد الاصلي كان ان يكتب نيلا للرواية الفرنسية للتاريخ التي بدورها تعني ان مايسمى حاليا بتاريخ برنارد لابد انه من نوع مامن الاختصار واعادة العمل في ذلك الاصل.

والبديل من ذلك يمكن ان يكون قد فسر على انه يعني ان مصنفي تلك الرواية المفقودة لعام ١٢٣٠ من الهرقليات قد استمدوا من عمل برنارد للسنوات التي سبقت ١٢٣٠ وان اسهامه بناء عليه لايمكن ان ينحصر في قسم ١٢٢٩ ـ ١٣٢١ الموجود فقط في روايته عن المختصر ، وليس في الرواية التي تذكر ارنول . واذا كان جانبا اخر يمكن بيان ان بيبذو قد استعمل مخطوطين وان نسخته من تاريخ برنارد كانت اقصر من اي نسخة نعرفها الان ، ففي تلك الحالة يثار مرة اخرى السؤال : باي مقدار يكون برنارد المؤلف الاصلي ؟ اليس من الممكن انه بقدر مايكون مخطوط برن ١١٣ نسخة من تاريخ برنارد المعروف ، بدون اسم المؤلف (الذي كما رأينا نعرفه فقط من مخطوطين اخرين للنص المماثل)(٦) فان بروكسل ١١١٤ هو نسخة من التنقيح الاول لعمل برنارد ، الذي يسمى على انه له هنا ، ولكنه قد سمي هكذا في المخطوط الذي عرفه بيبذو ؟ وقد حددنا ماالذي لم تدعيه .

وفي الواقع ان بيبذو يبدأ كتابه الخامس والعشرين بترجمة دقيقة نوعا ما ، للرواية الفرنسية « للتاريخ » مرجعا اياها للاتينية ،

مختصراً هنا ومسهبا هناك ومضيفا مادة من مصادر اخرى ، وهــو يتابع هذه الترجمة حتى الفصل الاول مــن الكتــاب الرابــع مــن الهرقليات (تسلم فولك اوف انجو ملكا لبيت المقدس) حيث يتخلى عنه فجأة لصالح المختصر الذي يستعمله كمصدر اساسي له مــن تلك النقطة ومابعدها ، دون اعتبار تماما لماذا كان اكثر معلومات مــن الهرقليات وهو ماليس كذلك دائما تقريبا ، وفي هذه الناحية كمــا في نواح اخرى كثيرة ان طرق ببينو غامضة ، وليست مشكورة بالمرة ، وهو غير مؤرخ ، فعلى سبيل المثال في فصــله ١٢٦ ينقــل المعلومــة الخاطئة تماما التي يعطيها الموجز عن الحصار المفترض لعســقلان من قبل فولك اوف انجو ولويس السابع وكونراد الذي يعطي تــاريخ هرقل عنه رواية دقيقة وعرضا اكثر اهمية بكثير من الكتاب السابع عشر ، تحت حكم بلدوين الثالث (٧) ولكن يمكن ان لايكون هناك شك حول اي نص استعمله ببينو كمصدر له.

إنه في ذلك الجزء المبكر من الموجز الذي يوجد في الرواية المنسوبة لبرنارد ، وفي الرواية الاقصر التي تذكر برنارد ، ولكنه غير مــوجود في اي رواية من تاريخ هرقل(٨) ، وهو غير ضروري فيه لأن ترجمة وليم تغطي الموضوع نفســه ، وكان ببينو بــالتأكيد يملك ويســتعمل نصين احدهما نسخة من تاريخ هرقل والثاني تاريخ منسوب لبرنارد

ما الذي يحويه هذا النص الثاني ؟ إنه بــالتأكيد لا يتــطابق مــع المخطوطات التي لدينا الان ، لأن هذه تمضي بعد النقطة التي ينتهــي عندها مصدر ببينو ، ويقول :

> 'Haec de gestis Regis Johannis sumta sunt ex Historia Bernardi Thesaurarii. Qualis autem fuerit exitus non inveni, vel quod historiam non compleverit, vel quod codex, unde sumsi, fuit imperfectus. (٩)

هكذا كان ما وصل اليه نص ببينو ولا يمــكن تشــبيهه بــالرواية القصيرة في الموجز(١٠) حيث أنه يمضي بعد أن يتوقف هذا النص ، ولا

بالرواية الأطول ، ونحن مضطرون لا ستنتاج انه كان يوجد هناك مع ذلك رواية أخرى للنص نفسه وهي التي ينسبها ببينو الى برنارد ، ومع ذلك من حقيقة أن تكيف ببينو يتطابق بدقة مع تاريخ برنارد الباقي حتى الآن ، يمكننا ان نستنتج أن هذه الرواية الاقصر له قد اختلفت فقط في الطول ، وحقيقة أن ببينو كان يعرف أن برنارد كان المؤلف برغم أن مخطوطه كان كما كان يعتقد ناقصا يوحي بشيء أبعد حول نصه ، أعني أن برنارد كان مذكورا بصورة مختلفة عما في اشارة الناشر في النهاية ، أو أن ببينو لا يمكن أن يكون كثير الشك في اكتمال مخطوطه وهكذا بدأ ماس لاتري ، فقد ادعى لنفسه أثرين منقحين من تاريخ برنارد ، وواضح الآن أنه كان محقا في ذلك(١١) ولكن يجب اضافة أن الأول يمكن ببساطة كما يوحي ، اعادة العمل في المادة الموجودة في الموجز الاقصر الى عام ١٢٢٧ ، لان مصدر ببينو يتوقف فقط عند ١٢٣٠ ، والاحرى ان يبدو بناء عليه أن برنارد قد أخرج أولا تاريخا مشابها للتاريخ الباقي في ذلك الحين في كل الوجوه سوى أنه انتهى في ١٢٣٠ (وهو عمل يمكن أن نسميه ب ١) ثم اضاف قسما اضافيا موصلا اياه الى ١٢٣١ ، وهكذا أصدر الرواية الباقية حتى الآن (ب ٢) .

ويبقى هذا السؤال قائما فيما اذا كان برنارد مؤلفا أصليا بالمرة ، وهو سؤال تنقسم حوله المراجع تماما ، وتتجه الى تفسير كلمات اشارة دار النشر الصحيح ، وقد أيد بولين باريس الرأي القائل بأن برنارد أعد الكتاب ، ربما مستمدا كل المادة من مختلف المصادر المكتوبة ، بينما كان ماس لاتري واثقا بالقدر نفسه من أن برنارد كان مؤلف اجزاء على الاقل من النص ، وأن ما لم يفعله كان عدم تحرير الكتاب واخراجه فعلا بنفسه ، وكل البينات المتوفرة في جانب باريس .

والمادتان حول المكتبة وحجرة النساخ في كوربي من قبل دي ليسل وجونز(١٢) تعطي مجموعة مختارة من اشارات الناشرين ، ومع أن هذه كلها مأخوذة من مخطوطات كوربي فانها نموذجية نوعا ما ،

-٣٥٩٠-
بالنسبة لمخطوطات العصور الوسطى بشكل عام ، وقد القت قدرا كبيرا من الضوء على ذلك في برن ٣٤٠ ويمكن تلخيصها كنماذج عديدة مميزة كما يلي:

(a) Ego Audoinus scripsi. (B.N lat. 13351)

(b) Hic codex Hero insula scriptus fuit, jubente sancto patre Adalhardo, dum exularet ibi. (Leningrad F.v.I.11)

(c) Isaac, indignus monachus, propter Dei amorem et propter compendium legentium hoc volumen fieri jussit. Quicumque hunc librum legerit, Domini misericordiam pro eo exoret. (B.N. lat. 17234. A

نسخة من القرن العاشر من الرسائل الانجيلية للقديس بول .

(d) Ad honorem tocius Trinitatis et perpetue ac gloriose virginis Marie et beatorum apostolorum Petri et Pauli et omnium sanctorum quorum corpora et reliquie in hac Corbeiensi ecclesia continentur, compositus est liber iste a fratre Iohanne de Flissicuria, anno ab incarnatione Domini MCCLXXV. (B.N. lat. 13222.

مجموعة طقسية دينية أعدت في ١٢٧٥.

(e) Amalarius: *De Divinis Officiis.* (B.N. lat. 11580).

وفي بداية هذا المخطوط لوحة كبيرة من القرن الثاني عشر تظهر القديسين بطرس واندروز وليونارد ، واسقف امالا ريوس ، والراهب هربرت يقدمون كتابا والراهب روبرت ينسخ كتابا .

وتميز هذه النقوش بين مختلف العناصر في اعداد كتاب : التأليف ، التصنيف ، قرار انه يجب أن ينسخ ، الفعل البدني الفعلي الكتابي .

وتدل الاشارة (أ) ببساطة على الناسخ : فقد كتب أودانوس المخطوط ، دون أن يكون له أي دور في تأليف محتوياته ، وفي (ب) و (س) يسمى الراعي ، وهو الشخص الذي بمبادرة منه أعد المخطوط وفي (ب) هو رجل له بعض المكانة ، أدلهارد نفسه الذي

عند عودته من المنفى وضع النظام الداخلي لدير غوربي ولكن في (س) هو راهب بسيط وفي (س) لا يحتمل أن اسحق يمكن أن يدعي بأنه كان له أي دور في تأليف الرسائل البولينية ، ولكن يقال بأنه قد تعهد اعداد الكتاب ، وفي (د) نصبح مسؤولين عن مجموعة طقوسية دينية مصنفة ــ من قبل جيان دي فليكسكورت الذي لم يقم بمجرد الاشراف على العمل ، بل إنه في الواقع اختار العناصر وجمعها بنفسه ، ومع ذلك فهو ليس المؤلف الأصلي ، والاكثر أهمية بين الجميع هو (إ) التي تصور كامل العملية ، وشرح جون للنصوص (١٣) ، هو الأوضح: الف امالا ريوس الكتاب بنفسه ، أعني أنه المؤلف الأصلي ، وتعهد (هربرت بنسخه) ونسخه روبرت .

أي من هذه الأدوار مبين في اشارة دار النشر لبرن ٣٤٠ ؟ ليس هناك مجال للشك في أن برنارد كان هو الكاتب ، وبسبب وجود الرواية الأقصر من الموجز التي منها كانت روايته بلا منازع تكييفا وتوسيعا ، فنحن نعرف أنه لم يكن المؤلف الأصلي للمجموع بالمعنى الذي كان (أمالا ريوس) المؤلف « للديوان المقدس » فإما أنه كان مثل جيان دي فليكسكورت قد جمع التاريخ من مصادر عديدة ، وكانت الرواية القصيرة للموجز هي العنصر الرئيسي ، أو أنه كان مثل اسحق وهربرت ، أي أنه ببساطة قد أمر باعداد نسخة من أجل مكتبة الدير من العمل الذي كان موجودا بالفعل في صورته الكاملة ، وأقوى اعتراض على هذا الحل الأخير هو عنصر الوقت ، فقد أعطينا أن مخطوط برنارد قد استنسخ كما تعلمنا اشارة الناشر في ١٢٣٢ ، وأن آخر حدث مروي وقع في أيلول ١٢٣١ في القسطنطينية ، فهناك بالكاد وقت يكفي لكي تنتقل الأخبار الى فرنسا ، ثم تدمج في تاريخ حديث التأليف ، ثم يعاد نسخها في غوربي كل ذلك بين ربيع ١٢٣٢ (أول إبحار ممكن الى أوروبا) ونهاية السنة ، وهناك أيضا حقيقة الوجود الواضح لتاريخين لبرنارد مستكملين الى نقاط مختلفة ، فمن غير المحتمل أنه قد وجد مصدر مكتوب موافق بالضبط لملء الثغرة بين ب ١ و ب ٢ ،

والاكثر احتمالا بكثير هو الفرضية البديلة أن الرواية القصيرة للموجز كانت متوفرة في مكتبة غوربي ، وأن القطعتين المتواليتين اللتين اضافهما برنارد اليه كانتا من تأليفه الخاص ، ويحتمل أنهما قامتا على روايات شفوية للاحداث من قبل المحاربين الصليبيين العائدين .

اضافة الى الاستيفاءات التي تمت في كل مواضع الموجز من قبل برنارد ، وآخر قسم من تاريخه ، نسب اليه ماس لاتري أيضا على أنه عمله الاصلي الخاص ، المقدمة التي يستهل بها بداية تاريخه « سنة التجسيد » (١٤) . ولكن ماس لاتري كان حينئذ يلقى صعوبة في شرح حقيقة أن هذه المقدمة موجودة أيضا في مخطوطين من الرواية القصيرة للموجز (بروكسل ١١١٤٢ و ب ن ف فر ٧٨١) طالما أنه يفترض من جانب أن نص هذه المخطوطات لا سيما نص بروكسل ١١١٤٢ ، الذي يستعمله كأساس له ، يسبق تأليف تاريخ برنارد ، ومن جانب آخر فإن المقدمة هي عمل برنارد الاصلي وقد دفع الى نتيجة (١٥) هي أن ناسخ هذه المخطوطات كان عليه أن يسلم كلا من الموجز القصير دون مقدمة ، وأيضا رواية برنارد الأطول ، وأنه اثناء نسخ مقدمة برنارد وفي نهاية عمله فضل من أجل التاريخ نفسه الالتزام بالرواية الاقصر ، بدلا من تضمين استيفاءات برنارد وقسمه لأعوام ١٢٢٩ - ١٢٣١ ، وقد اعترف ماس لاتري نفسه كيف كان هذا التفسير غير مرض ، وهو يتعارض مع كل شيء معروف حول الطريق الذي سلكه المصنفون فيما يتعلق بعملهم ، وبصرف النظر عن أشخاص غريبي الأطوار مثل بيبنو ، فإنهم لم يكونوا عادة ميالين لتسويغ مادة جيدة ، ومع أنه يعلن أن استيفاءات برنارد هي مجرد تجميع تفصيل ناقص ، ويضيف كثير منها قدرا كبيرا من الوضوح على القصة ، والقسم النهائي المغطي للسنوات ١٢٢٩ - ١٢٣١ هو بالطبع معلومات جديدة ، فهل علينا ان نصدق ان مصنف بروكسل ١١١٤٢ قد اختار عمدا ان يحذف كل تلك المادة المفيدة والهامة ، في حين انه في الوقت نفسه ادخل المقدمة

السطحية المهلهلة ذات النقص الواضح ، واضاف لها علاوة على ذلك من نهاية العمل ؟ان هذا يبدو صعب التصديق ، ويجب علينا بوضوح ان نأخذ في الاعتبار على الاقل ، الاحتمال المعاكس ، وهناك بينتان تساعدان هنا : الاولى هي صورة المقدمة (او الخاتمة حسبما تكون الحالة) نفسها ، وهذه القطعة في جوهرها مخطط موجز للاحداث ، في المملكة اللاتينية في بيت المقدس مابين وفاة غودفري دي بوليون في ١١٠٠ وتسلم عموري للعرش في ١١٦٢ ـ ١١٦٣ ، او تتعلق بتلك الاحداث ، وهذه نقطة اعتباطية للتوقف عندها ، مالم يكن على تلك القطعة ان تعمل كمدخل لتاريخ يبدأ في حينه ، وهو ماليس لدينا بالطبع بينة عليه بالمرة ، ومرة اخرى ، ان الحوادث المفصلة على مايبدو اختيرت اعتباطيا تماما ، وبصرف النظر عن الحملة الصليبية الثانية المفجعة ، فان الكاتب يلقي فجأة بعض الضوء على الرها ، بصورة شديدة المبالغة في التبسيط ، فضلا عن انه اضفى عليها الخيال ، والحملة الفلمنكية تحت قيادة شحنة دكسمود (قائد قلعتها) ، والتي استولت على اشبونة في ١١٤٧ وكذلك وفاة روجر صاحب انطاكية التي ربطها بتعليق كثير الميل للنقد حول حياته ، وبكلمات اخرى ، ان الاشارة الوحيدة المحلية بشكل خاص هي الى شحنة ديكسمود ، وهي ليست اكثر من تكرار عما كان بالفعل شديد الوضوح من مصدر المخطوطات في ان كل واحدة من روايتي الموجز مرتبطة ارتباطا وثيقا بشمال شرق فرنسا وفلاندرز

وباختصار فان الفاتحة ، كما يبدو قطعة ناقصة لم تكتمل ، وتبدو كما لو كانت بداية لشيء جديد بدلا من ان تكون نهاية للنص الذي يسبقها ، وهذا يدفعنا للسؤال عما اذا كانت في الحقيقة مرتبطة بالمرة بالموجز ، والجواب يقدمه مخطوط لم يكن معروفا لماس لاتري ، حيث يحوي مخطوط القديس او مر ٧٢٢ الرواية نفسها الموجودة في الموجز مثل بروكسل ١١١٤٢. ولكنه لايتضمن تلك الشريحة بالمرة سواء في المقدمة او الخاتمة ، وهو النسخة الوحيدة لموجز عام ١٢٢٩ التي لاتغفل ذلك ، ونرى للمرة الاولى الموجز في هذه الرواية منفصلا تماما عن هذه الشريحة .

ويمكننا الان ان نرى لماذا كانت الشريحة - قطعة من نص غير مرتبط تماما بالموجز بأي طريقة ، حيث اعتقد ناسخ ما لاحدى المخطوطات - مثل بروكسل ١١١٤٢ - ان من المناسب استنساخها ، وكما تصادف فانه بدأ بها بعد ان اتم موجز عام ١٢٢٩ ، الذي يفترض انه اخذه من مخطوط وجد فيه وحده ، كما في مخطوط القديس اومر ٧٢٢ ، واعتقد النساخون المتاخرون مثل نساخ « ب.ن.ف.فر ٧٨١ » خطأ ان الشريحة تتبع النص الذي اتت بعده ، وافترض برنارد ايضا ، وقد استمد الموجز من مخطوط كهذين الاثنين ، وجود صلة ، ولكنه بمزيد من روح المبادرة نقل الشريحة الى بداية العمل . وهذا بحده ، لاكما يقول ماس لاتري مكانه الحقيقي (١٦) ؛ ولكنه من المؤكد المكان الاكثر منطقية ، لانه اذا كانت له اي قيمة بالمرة فهو تمهيد ، ونقل برنارد له يشكل تحسينا لاشك فيه .

ثم باستنساخ هيكل العمل ، طامسا اسم ارنول ، مضيفا تفاصيل هنا وهناك ، ينهيه ببرنارد بروايته الخاصة لحوادث ١٢٢٩ - ١٢٣٠ ليقوم بتحديثه . وهكذا يخرج تاريخه في روايته الاولى (ب ١) ، التي لم تعد موجودة الان . ثم يعود فيما بعد (ب ٢) ، وهو نسخة من (ب ١) مع قسم اضافي ١٢٣٠ - ١٢٣١ ، وهذه النظرية هي بطرق عديدة تفسير مرض جدا لاصل تاريخ برنارد كما يبدو الان في المخطوطين ؛ برن ٣٤٠ وارسنال ٤٧٩٧ وهي تفسير لماذا كانت المقدمة هناك اساسا : ان برنارد لم يصنف تلك القطعة الغامضة تماما تقريبا لمجرد ، كما افترض ، اضافة شيء من عنده ، حتى لو كلف ذلك اخراج عمل ادنى من الاصل ، بل وانه في الواقع محسن ، على مصدره . والشيء الذي اضافه ، ومما لا وجود له في ذلك المصدر ، اعني قسم ١٢٢٩ - ١٢٣١ كان في صميم الموضوع تماما ويشكل ايضا تحسينا . واخيرا فان هذا التنقيح وهذا التوسع من جانب يسوغ بقوة ويفي بالضبط بادعاء اشارة الناشر : « كتاب برنارد الصحيح »

لقد صنف برنارد الخازن اذا ، التاريخ الذي تحتويه المخطوطات الممثلة بحرف (ا) في الجدول على ص ١٠ ـ ١١ ، باستنساخ رواية المخطوط (ز) محولا الشريحة المضافة في النهاية الى البداية ، ومضيفا مختلف الاستيفاءات القصيرة الخاصة به ، وحكاية اضافية (وهي لعدم وجود البينة على العكس يجب ان نفترض انها الاصل ، ولكننا لانستطيع ان نبرهن انها كذلك) ، لايصال التاريخ الى ١٢٣٠ ،وفي رواية اخرى الى ١٢٣١ . واسهامه كمؤلف اصلي هكذا صغير جدا ،ولكنه مصنف موجز ١٢٣٢ ، وان اسمه ، وليس اسم ارنول ، هو الذي يجب ان يوضع على رأس العمل ، لان اسم ارنول مرتبط فقط بحادثة واحدة ، موجودة في اعمال عديدة واحد منها من اعمال برنارد ، ويعود الى برنارد ، عمل الجماعة .

-٣٥٩٦-

الفصل الخامس

عمل ارذول

بينة رالف الكوغشالي

مع برنارد الخازن المشكلة هي ان يحدد دوره بالضبط في ايجـاد نص خاص واحد ، هو رواية ١٢٣٢ للموجز الذي يحمل اسمه ، وقد تم فعل ذلك بمقارنة النص المنسوب اليه بالنصوص الاخرى ذات العلاقة ، وقد ظهر كمصنف لموجز ١٢٣٢ ، ولرواية اخرى سابقة مفقودة تنتهي في ١٢٣٠ ، وقد قدم الى مادة تواريخه على اقصى حد اسهاما محددا ولكن « النيل » له وحـده . وفي حـالة ارذول على اي حال ، فان المشكلة ذات نظام مختلف تماما ، فالذكر الوحيد لاسمه الذي بقي لدينا في مخطوط جاء عرضا ، والاشارة اليه حتى اكثـر غموضا من تلك الموجهة الى برنارد ، واسوأ من كل هـذا ان المعنى الواضح للبيان المعطى حوله سرعان ماروئي بـانه ليس المعنى الحقيقي .

بمعنى اننا حين نقرأ في موجز ١٢٢٧:

'Ce fu cil qui cest conte fist metre en escrit',(١)

من الطبيعي جـدا ان نستنتج ان ارذول هـو مـؤلف نص ذلك ، والمعلومات التي يستطيع المرء ان يجمعها او يستخرجها حول هويته تميل الى تأكيد هذا الرأي ، فلديه وسائل للحصـول على المعلومـات بصورة مباشرة حول مادة الموضوع ، والاراء المطروحة تتفـق مـع مايجب ان نتوقعه من تابع لابلين ، وباختصار فـان كل شيء يدعونا لان نعطي الكلمات القيمة نفسها مثل مـالها في تـاريخ روبـرت دي كلاري ، وان نرى في موجز ١٢٢٧ التاريخ الاصلي لارذول . وهذه الفرضية تنقلب لتصبح جيدة اكثـر ممـا ينبغـي ، ولتـكون

صحيحة ،وعندما نفحص بعض نيول وليم الصوري يتضح لنا بسرعة أنها تضم كثيرا من المادة نفسها التي في موجز ١٢٢٧ ولكن بصورة أكمل كثيرا ، وتماثل أجزاء النصين ، أكبر مما ينبغي لهما ، لتصور أنهما مستقلين عن بعضهما بعضا . ومع أن الموجز ليس ببساطة صورة مختزلة من النيول ، هو بالتأكيد مكثف عن مصادرها المشتركة ، وأكثر من هذا ، إن الاقسام الخاصة بالموجز وحده ، وهي التي يمكن أن تكون من عمل أرنول ، ليست بالضبط الاجزاء التي يجب أن نتوقع أنه كتبها ، باستثناء المواد المتنوعة التي في الفصول العشر الأولى ، ومن الأجزاء المركزية قصة الفترة من نحو ١١٨٦ وما بعدها ، هي المشتركة بين النصوص ، وهي التي يسمى فيها أرنول ، والرواية المدعى أنها هي بشكل واضح ليست الأكمل أو الاقدم ، وإنما هي اشتقاق من مصادر مكتوبة استعملت أيضا من قبل مصنفي مختلف الروايات الهرقليات .

وقد اضطرت هذه الحالة محققي « راشيل » الى أستنتاج غريب جدا في الواقع : إن ارنول مع كونه شاهد عيان لمعركة حطين ، واستسلام بيت المقدس ، وللأحداث الاخرى الرئيسية المحكية في النصوص ، لم يكتب برغم ذلك رواية أصلية مباشرة عن تلك الفترة ، بل أخذ تاريخا من عمل شخص ما آخر وكثفه ، ذلك انه كان طويلا أكثر مما ينبغي ليتوافق مع أذواقه العسكرية (٢) ، وهذا بالتأكيد تفسير معقول للكلمات .

'cest conte fist metre en escrit',

وهذا تقريبا كل ما يمكن للمرء أن يقوله في هذه النظرية ، تاركين جانبا حقيقة أن الاجراء الذي يقترحونه بالكاد يمكن تصديقه ، وهو لا يتوازن مع محتويات النيول أيضا ، فلو أن ارنول كان مجرد مختصر كما يوحون ، لثار السؤال : من الذي كتب التاريخ الاصلي الذي أخذ عنه هو والمصنفون الآخرون ؟

وكما سنرى عند فحص محتويات النصوص العديدة ، إن أجزاء

منها على الاقل يصعب أن تكون قد كتبت إلا من قبل شـخص يتفـق بالضبط مع وصف أرنول .

وعليه لا يمكننا ان نقبل سـواء أن مـوجز ١٢٢٧ كمـا هـو عليه ، هـو عمـل ارنول الاصـلي أو ان ارنول قـد صـنفه بتلخيص المصادر التي استخدمتها أيضا مصـنفوا الهـرقليات ، ويجـب أن نفحص الآن فرضية اقترحها مـاس لاتـري ، ولكنهـا لم تختبـر مطلقا ، وقد اثيرت باشارته في « دراسة تصنيفية » الى عمـل رالف الكوغشالي ، وظنه بأن رالف يمكن أن يكون قد عرف ترجمة لاتينية لأرنول(٣) .

وحقائق هذه الحالة هي : كتـب رالف الكوغشـالي حـوالي عام ١٢٢٠ « تاريخ الاراضي المقدسة » وفي هذا التاريخ عندما كان يحكي عن رحلة رتشارد ، وفيليب اغسطس الى الارض المقدسة ، أحـال قارئه من اجل رواية أكمل لهذه الاحداث الى تاريخ آخر :

Post Pascha anno ab Incarnatione Domini MCXCI, rex Franciae PHILIPPUS applicuit apud Achon et non multo post, scilicet circa Pentecosten, venit rex Anglorum RICHARDUS: quorum seriem itineris et quae in itinere gesserunt, seu ex qua occasione rex Philippus repatriavit, si quis plenius scire desiderat, legat librum quem dominus prior Sanctae *Trinitatis* de Londoniis ex gallica lingua in latinum tam eleganti quam veraci stilo transferri fecit.(٤)

ويكشف هذا الالماع عددا من المشكلات وهـي تقـريبا بـالتعقيد نفسه مثل تلك التي تطرحها نيول وليم ذاتها ، والعمل الذي يشـير اليه رالف هو بالتأكيد ذلك المعروف الآن باسم : « رحلة حج وأعمال الملك رتشارد وقد رفض محققه الاول ، استبس (٥) ، تماما فـكرة انه كان ترجمة لعمل فرنسي ، وفسر اشارة رالف بالقول بأنه لابد أن يكون قد سمع بكل من « رحلة » وتاريخ « ماوراء البحار » (وهـذا هو الموجـز) وافتـرض دون مسـوغ أن يكون الاول تـرجمة للثاني ، وهو الأكثر قـابلية للفهـم طـالما أن كليهمـا كانا في الجوهر ، إن لم يكن في الهدف ، نيولا لعمل وليم الصوري .

ولا يبدو أن ماس لاتـري كان مـطلعا على مقــدمة اســتبس هذه ، ولكن الغريب أنه أيضا يوحي بوجود صـلة بين « الرحلة » و « المختصر » إلا أنه خلافا لاستبس يعتقد بأن الصلة يمكن أن تكون حقيقية وليست ملفقة من خيال رالف ، وهي مقتبسـة مـن الفقـرة نفسها من تاريخ رالف ، وبين أن مسألة أي تاريخ أشار اليه رالف وماذا كان أصله الفرنسي ، ليست تخمينا تافها ، لأنه إذا أمـكن أن يظهر أن التاريخ الفرنسي كان من عمل ارنول ، لوجب إذا أن نعرف بالتأكيد أن عمل ارنول قد أنجـز وأصـبح قيد التـداول قبـل ١٢٢٠ وهـو التاريخ الذي فيه أو حواليه كتب رالف تاريخه (٦) ، وهذا بدوره يخبرنا بعدد لا بأس به من الأشياء حول عمل أرنول كما رؤي بعيون معاصريه : إنه كان مقدرا بدرجة كبيرة حتى كان متداولا على نطاق واسع امتد الى انكلترا ، وبأنه على سبيل المثـال تـرجم الى اللاتينية ، بدرجة عالية نوعا ما من الدقة ، ويجب أيضا أن نتمـكن من استنتاج أنه قد توقف باقتضاب في ١٢٢٠ على أقصى حد ، وربما قبله بقليل ، وبناء عليه فإن الموجـز بعـد ١٢٢٠ لا يعتمـد على أرنول ، وبكلمات أخرى ، يجب أن نكون واثقين بأن الموجز كان من تأليف ثنائي على الاقل ، ولا يشـير مـاس لاتـري الى حقيقـة أخرى ، يمكن أن تستنبط مـن كلمـات رالف هـي : إن التـاريخ الفرنسي الأصـلي ، وكذلك التـرجمة اللاتينية لا بـد أنهمـا كانا معروفين لديه ، طالما أنه كان قادرا على الحكم ليس فقط على أناقة اسلوب الترجمة ، بل أيضا على مطابقتها للأصل ، فلمتكنبناء عليه مسألة مثال واحد مسـتقل على كون التـاريخ الفـرنسي معـروفا في انكلترا ، فقد كان يقرأ في ديرين مستقلين على الاقل هما :الشالوث المقدس في لندن ، وبيت رالف في اسكس ، وباختصار إذا ثبتت صحة فرضية ماس لاتري ، فإن جزءا كبيرا من الغموض المحيط بـأرنول والموجز سيتضح ، وسيكون ممكنا تحـديد تقسـيم في الموجـز بين أقسام ما قبل ١٢٢٠ وما بعد ١٢٢٠ ، وهذا بدوره سوف يؤثر على معالجتنا لمسألة علاقة الموجز بالهرقليات ، ويحتمل أن يصبح ممكنا أن نقول شيئا أكثر مصداقية حول الصورة الأصـلية لعمـل ارنول الخاص ، المبعثر جـدا الآن بين مختلف روايات هـذه الفتـرة مـن

ـ ٣٦٠٠ ـ

النيول . وهناك سؤالان يتطلبان الاجابة : هل « الرحلة » حقا ترجمة لتاريخ فرنسي ؟ وإذا كانت كذلك ، هل التاريخ الفرنسي موضوع البحث هو صورة ما من عمل ارنول ؟ وقد نوقش أول هذين السؤالين كثيرا . واعتقد غاستون باريس في طبعته عن « تاريخ الأراضي المقدسة » المنشور في وقت يرجع الى عام ١٨٩٧ ، انه قد بت في الامر ، ولكنه في الحقيقة فتح باب المناقشة التي كان لها أن تستمر زمنا طويلا (٧) ، فالتاريخ الذي حققه هو رواية حول الحملة الصليبية الثالثة في مقاطع ثمانية ، كل مقطع فيها من بيتين من الشعر المقفى من نظم امبرواز وهو شاعر نورماندي جوال كان يدعى أنه اشترك في الحملة التي قادها ريتشارد قلب الاسد ، ومقارنة باريس المفصلة لهذا النص بنص « الرحلة » تثبت بما لا يدع مجالا للشك وجود صلة وثيقة ، وليست بالمادة فقط بل أيضا بالكثير من التعابير في الجزء الاول من التاريخ ، التي تتوافق بالضبط مع تلك التي في الرحلة ، وقد أكد باريس أن العلاقة كانت علاقة أصل فرنسي وترجمة لاتينية ، ومثل هذه النتيجة تستبعد بالطبع من المسألة بالمرة ، ولكن في وقت أكثر حداثة ناقضت دراستان عن امبرواز ، واحدة تآليف ج. غ ادا وردز (٨) والأخرى تأليف ج. ل لامونت وح هيوبرت (٩) ، باريس واستبدلت نظريته بصورة مقنعه ، بنظرية ذات أصل مشترك مفقود ، وهذا الأصل كما يقولون يحتمل أنه كان بالفرنسية المذثورة ، وهو وصف يضع أرنول مرة أخرى وسط الدوامة القوية .

وفي ١٩٦٢ ، ظهرت طبعة جديدة من « الرحلة » ل هـ . ي ماير (١٠) . الذي قدم الكثير من البراهين الجديدة ، وبالتالي الكثير جدا من النظريات الجديدة ، وهذه ليست مجرد أجوبة على أسئلتنا ، بل إن الأسئلة نفسها يجب أن تعاد صياغتها كليا .

وبشكل أساسي يؤكد ماير أنه ليست هناك رواية واحدة بل روايتان باقيتان من « الرحلة » يسميها ي ب ١ و ي ب ٢ . وتنتهي

ال « ي ب ١ » في تشرين الثاني ١١٩٠ ، وتقابل الكتاب (١) مــن نص ا ستبس إلى نهــاية ال غ ، بــا ستثناء الفصــل ٦٥ . وال « ي ب ١ » هـو التاريخ الكامل كما حققــه ا ســتبس ، ويؤكد مــاير دون إثبات مطلق ، ولكن بحجة مقنعة بشكل معقول ، أن ال « ي ب ١ » كتب حوالي ١١٩٢ في صدور من قبــل دا وي انكليزي ، كان قســيسا اكثر منه فارسا ، وأنه كان في جوهـره عملا أصيلا ، ولكن ا ستمد من اجل حملة بربروسا الصليبية من رواية المانية مستقلة .وريتشــارد « الثالوث المقدس » الذي كان يعتبر قبل نشر طبعات مــاير بشــكل عام مــؤلف الرحلة ، أخــذ في حينه ال « ي ب ١ » طبقــا لماير ، وبا ستعمال تاريخ امبــرواز للاســهاب والتــوسع فيه آخــر ال « ي . ب ٢ » .

والفرضية المقدمة هكذا من قبل ماير لديها الكثير ممــا يزكيهــا ، فهي تنهي التأكيدات بأن كتاب الرحلة كان ، أولم يكن ، مترجما عن الفرنسية ، ولكنها فرضيه ليست مرضية تماما . فعلى سبيل المثــال هناك فقرات أســاسية مشــتركة في « ي ب ٢ » وامبــرواز وهــي مــوجودة أيضـــا في « ي ب ٢ » ولم يســـتعرها مصـــنف ال « ي . ب ٢ » من امبرواز ليدخلها في « ي . ب ١» :

فهي موجودة من قبل في ال « ي ب ١ » طبقا لنظرية ماير قبل أن يبدأ عمله في التصنيف . وبكلمات أخرى ، مــن الواضــح أن هناك بعض الصــلة بين امبــرواز و « ي ب ١ » ، منفصــلة تمــاما عن « ي ب ٢ » ومصنفها . وأدق نقط هذه العــلاقة هــي مــع ذلك غير جوهرية بالنسبة للمناقشة الجارية ، وكل مانحتاج لقبــوله حــاليا ، هو أنه بينما يمكن أن يكون لدينا بعض التحفظ حول نظرية ماير عن تأليف « الرحلة » ، والنيول فإنها تسمح لنا بأن نأخذ « تــاريخ » امبرواز على أنه لايحوي شيئا ماديا ليس موجود أيضا في « كتــاب الرحلة » كما حققه ا ستبس .

وليس معنى هذا القول أن « التاريخ والرحلة » دائمــا في تــوا فق

كامل ومفصل ، بل إنهما يتفقان على العموم في الخطوط الخارجية العريضة .

ومن البداية الاولى حتى لمقارنة سريعة لكتاب الرحلة مع نيول وليم ، فإن عاملا واحدا يصبح واضحا : أن تعاطف مؤلفيهما يتعارض فعليا تماما حول كل شيء ، وكل انسان ، فالشرير لدى أحدهما بطل لدى الآخر والعكس بالعكس ، وبلا شك إن الحقائق التاريخية ، إذا كان من الممكن إخراجها من شراك الروايات المتحيزة بقدر متساو برغم أنه مختلف ، تقع في مكان ما بينهما ، ولكن الوضوعية الجامدة ليست مخزون هذه التواريخ ، وبقراءة الوجز يقتنع المرء بأنه ماأن ترك ريموند صاحب طرابلس ليرتب الامور دبلوماسيا مع صلاح الدين لم تعد هناك حاجة لحروب مأساوية ولافقدان للأرواح ، ولكن أعمال النهب غير الذكية من قبل غي لوزنغنان بتشجيع من مقدم الداوية الغادر جيرار أوف ردفورد ، جلبت الخراب الكامل للمملكة اللاتينية (١١) ولدى رتشارد الثالوث المقدس من جانب آخر كان ريموند هو الحية المختبئة بين الاعشاب ، والمتعاون الذي كان اهتمامه غير الوطني بالذات يجعل الاشياء بالغة الصعوبة عند الملك النبيل الصالح ويعجل قطار الأحداث الذي توفي على مساره جيرارد نفسه ميتة الشهداء (١٢) .

إنه بناء عليه أمر ملح أن يكون المرء أكثر حذرا من المعتاد في فصل الحقيقة ، أو بالاحرى مايقدمه المؤلفون على أنه حقيقة ، عما لايمكن أن يكون شيئا سوى رأي ، إنه برغم كل شيء ليس مستحيلا على مصنفين اثنين أن يكيفا المادة نفسها جذريا ليجعلا التاريخ متوازنا مع ولاءاتهما الخاصة ، والاختلافات في التفسير لاتستبعد إمكانية وجود مصدر وحيد مشترك للمعلومات الحقيقية ، لكن بالنسبة للحقائق نفسها ، أي المعلومات الاساسية هناك اتفاقا معينا ، لكنه لايدل بالضرورة على اعتماد الروايتين على بعضهما بعضا أو على مصدر مشترك ، ومع القصص التاريخية خلافا للأدب القصصي ، هناك دائما احتمال للدقة المستقلة ، ولكن الاختلاف

الواضح حول المواد الواضحة المباشرة للحقيقة ، التي لايمكن لأي من الجانبين أن يكون له أي اهتمام بتزييفها ، يمكن أن يدل على الاستقلال .

وكما سوف نرى فإن مقارنة الرحلة وتاريخ امبرواز والموجز والنيول تقدم أمثلة على التماثل والاختلاف ، ليست بدون اهتمام ، مع أن النتائج التي تستمد ليست مايمكن أن نكون قد توقعناه عند الابتداء .

إن مادة موضوع الرحلة كما يدل عنوانها هي رحلة رتشارد والحجاج الذين تبعوه في الأرض المقدسة ، والاعمال التي قام بها هناك ، ولكن الكتاب (أ) قائم مع مخطط خلفي للأحداث التي سبقت مباشرة ثم تتزامن مع حملة الصليبيين ، لا سيما حصار عكا (١٣) . ويضع امبرواز معلومات الخلفية نفسها من استطراده (١٤) ويبين أنه امتلك مصدرا مكتوبا لهذه المعلومات :

Si velt Ambroises faire entendre
E saveir a cels qui aprendre
Le voldront, par com faite enprise
La citié d'Acre fud assise;
Kar il n'en aveit rien veu,
Fors tant come il en a leu.(١٥)

وتلك الفترة أي السنوات الخمس أو الست التي تنتهي في ١١٩٢ ، هي المعالجة إلى حد بعيد بأكثر كثافة في الموجز ، وتلقت أيضا معالجة مفصلة في كل روايات النيول ، ولكنها في امبرواز والرحلة تستعرض سريعا ، حتى أن أي مصدر تقريبا كان يمكن أن يفيد ، ومعركة حطين ، على سبيل المثال التي يمكن أن تعتبر بحق قطعة الانطلاق في الموجز ، والتي أوقفت النيول حتى تلك التي لاتتفق كلية مع الموجز ـ عليها مساحة أكبر مما أوقفته على أي حدث آخر ، هي بالكاد مذكورة من قبل امبرواز . (١٦) ويضيف رتشارد في رواية الرحلة العديد من الاقتباسات التوراتية الموائمة ، وبعض الملاحظات الاخلاقية الباعثة على الفضيلة الخاصة به . ولكن ليس لديه مادة أكثر واقعية من امبرواز . (١٧) ومرة أخرى حول حصار

واستلام بيت المقدس ، هذه واقعة اخرى قد رويت كاملة في الموجز وفي النيول ، بينما يقول امبرواز ببساطة ان صلاح الدين استولى على المدينة .(١٨) وهنا يعطي رتشارد قدرا معينا من التفصيل مع انه ليس بقدر النصوص المتعلقة بأرنول ، وهو يضع لمحة مختلفة على كامل الرواية .(١٩) وكمناهض معلن لابلين لايمكن بالطبع أن يتوقع منه أن يذكر الدور الذي شغله ، بالين دي ابلين ، في افتداء فقراء بيت المقدس . ومبالغ الفدية التي يعطيها هي نفسها التي في الموجز : عشرة دنانير عن الرجل ، وخمسة للمرأة وواحد للطفل ، ولكنه أكد أن الذين كانوا لايستطيعون الدفع لشراء حريتهم كانوا يقعون في الأسر ، وفي الموجز والنيل من جانب آخر نقرأ أن بالين دي ابلين وبطريرك بيت المقدس قد نظما بعناية سكان المدينة ، وأجبرا كل واحد على أن يصرح بأي ثروة كان يملكها فوق الكمية الضرورية لافتداء نفسه ، ونظما سجلا لغير القادرين على افتداء أنفسهم .(٢٠) ، وبعد هذا تتخلى القصة عن الحقيقة الباردة لأجل مديح فوق الخيال ، وتفاصيل الترحيل السليم للمسيحيين المفتدين يختلف أيضا في النصين : ولاتوفر النصوص المنسوبة لأرنول تفاصيل المعاملة المخزية التي عانى منها اللاجئون على أيدي أبناء جلدتهم وبينهم المسيحيين ، سواء في طرابلس أو في الاسكندرية ، وهي تفاصيل بالكاد تتضمنها « شريعة الثالوث المقدس» ، في تاريخها ، حتى لو كان يعرفها . ولكن رتشارد يقول أيضا ، وهنا لايمكن للمرء أن يرى باعثا على التزييف ، أنه قد سمح لهم باختيار أنطاكية أو الاسكندرية كمقصد لهم ، بينما يقول الموجز والنيول إن بعضهم ايضا قد ذهب إلى طرابلس وبعضهم الآخر إلى أرمينية .

وكان إطلاق سراح غي افتراضا قليل الاهمية عند أرنول ، فهو يحسمه في فقرتين ، (٢١) ولكن امبرواز يعتبر غي موضوعه الحقيقي ، ويهمل حصار صور الأكثر اهمية سياسيا ، ليعطينا صورة مؤثرة ، أو ما يعني به بوضوح أن يكون صورة مؤثرة للملك وهو يبكي أرضه الضائعة ، (٢٢) وحول حصار صور فإنه حكاية الرحلة هي مرة أخرى اقرب للموجز : فكلاهما لديه قصة كونراد

اوف مونتفرات الذي عرضت عليه حياة ابيه مقابل صور ورفض ، وكلاهما يعطي قدرا معينا من التفصيل حول دفاع كونراد عن المدينة (٢٣) وكلاهما ايضا يذكر الاموال التي ارسلت الى ماوراء البحار من قبل هنري الثاني الانكليزي ، ولكن في سياقات مختلفة ، ووصف بواعث مختلفة — وفي الموجز التكفير عن موت توماس بيكيت ، والاعداد لحملة الى فلسطين ككفارة ، وهي في الرحلة كرم صرف ، وريتشارد كرجل دين ليس لديه سبب لتبيض مقاصد هنري ، وفي الواقع احرى بان يكون ميالا لانتهاز الفرصة لتذكير قرائه بشهادة بيكيت .

وطبقا للموجز استعمل المال للدفاع عن مملكة بيت المقدس . قبل حطين ولافتداء فقراء بيت المقدس بعد سقوط المدينة ، وطبقا لرتشارد انفقه كله في الدفاع عن صور في ١١٨٨ (٢٤) ولايذكر امبرواز المال بالمرة. وهو ايضا يحذف تماما خبر التعزيزات التي ارسلها وليم الصقلي باستثناء اشارة عابرة في مكان اخر ، وفيما يتعلق بوفاة وليم يعطي الموجز والرحلة كلاهما معا التفاصيل عن الموضوع (٢٥) ،ويتفقان حول اعداد القوات المرسلة ٥٠٠ فارس مع ان الموجز يقسمهم الى جماعة من ٢٠٠ في اذار وقوة اخرى من ٣٠٠ في اب التالي ، ويضيف رتشارد اسم قائد الاسطول وهو مرغريت بينما يتوسع الموجز حول المعونة التي قدمها وليم الصقلي الى رئيس اساقفة صور عندما مر عبر صقلية في طريقه الى اوروبا حاملا نبأ سقوط بيت المقدس ، وفي شأن طلاق ايزابيل صاحبة القدس من هنفري صاحب تيرون ثم زواجها من كونراد اوف مونتفرات فان النقاط العامة والدينية في الموجز والرحلة على التوالي تصبح طفيلية جدا لدرجة تعوق اي مقارنة صحيحة بالمرة ، ويشعر رتشارد انه من الضروري ان يضفي صفات اخلاقية بشكل واسع ، مؤيدا لقضية الحزب المناهض لكونراد ، ومشوها اخلاق مؤيدي كونراد . وهذه هي الفرصة لوصف ريتشارد المشوه للسمعة لبالين دي ابلين الذي سبق اقتباسه في مكان آخر (٢٦) .

ويكتفي الموجز بالقول :

'Teus i ot qui s'acorderent al departir, et tels i ot qui dist qu'il ne pooit estre'.(٢٧)

وروايات الهرقليات التي لاتتماثل مع نص الموجز عند هذه النقطة ، لديها اهم وابرع رواية عن الاحداث ، مبينة البواعث الخفية من جانب مختلف الزعماء ، وكيف شغلت العداوات الشخصية دورا بحجم الاعتبارات السياسية نفسها وتنتهي هذه الرواية نهاية مشؤومة .

'Encores deit l'on douter que li roiaumes de Jerusalem ne soit alé perillant et amenuisant par icestui fait.(٢٨)

وتشمل ايضا كما تفعل رواية الرحلة ، التأكيد بان كونراد رشا رجالا ليأخذوا مكانه ، واشارة الى غي دي سنليس تختلف على اي حال بشكل غريب عن الرواية الواردة في الرحلة ، ففي الرحلة اسر غي من قبل الاتراك في يوم زفاف ايزابيل من كونراد ، ولم ير ثانية فيه ، بينما يقدمه تاريخ هرقل كبطل لايزابيل متحديا همفري وفي كل هذه الروايات المختلفة حول الطلاق ، هناك من التناقض اكثر من التشابه ، ولكن في هذا الحدث تبدأ حقيقة واحدة في الظهور بصورة باهتة ، سوف تصبح اكثر وضوحا واهمية كلما تقدمت مقارنته للنصوص ، ويحدث هذا عندما يكون هناك اي تماثل واضح نوعا ما بين نصوص امبرواز او نصوص الرحلة مع نصوص الموجز او الهرقليات ، والرابطة دائما تقريبا بين الرحلة وتلك الروايات في الهرقليات هي الاقل شبها بالموجز ، وهذه هي رواية «ا و ب» عادة ، ومن حين لاخر ايضا « د » ، عندما يكون نص « د » متفقا مع «ا و ب» واعطي حصار عكا قبل وصول ريتشارد قلب الاسد اهتماما قليلا نسبيا في كل من الموجز او تاريخ هرقل ، في حين ان امبرواز والرحلة تحشوان كل التفاصيل الممكنة ، طالما ان هذه العملية التي سوف تشكل اول اهتمام للجيش الانكليزي والفرنسي عندما ينزلون من المراكب (٢٩) ، واي اقتراح بان يوميات الحصار التي يفترض انهم قد استمدوا منها مادتهم يمكن ان تكون هي ارنول

الاصلي ، او نصا مستمدا منه ، لايمكن تأييده طويلا بشكل جدي ، ولا يمكننا حتى الافتراض انه كان رواية مستقلة اكمل اخـذ منهـا الموجز كما اخذت النيول ايضا ، لانهم عندمـا يلمسـون الموضـوع نفسه كما يفعل امبرواز ورتشارد تكون هناك فروق بينهـم لايمـكن حقيقة تفسيرها بعيدا على انها حتـى خـلافات جـذرية جـدا في التكيف ، والمثال واحد عندما يعالجون جميعـا مـوضوعا متحـررا نسبيا عن مضمون سياسي ، حيث ان أي واحد منهـم ليس لديه أي اهتمام ملموس بتشويه الحقائق ، ولكن عندمـا يتـدبرون مـع ذلك الاختلاف حول الامور غير التفسيرية بل مجرد المعلوماتية ، ووصف المجاعة التي عانى منها الجيش المحاصر لعكا ، الاسعار التي كانت تباع بها مختلف السلع في اوج المجاعة ، فـانها لاتـكون واحـدة في الفقرات الاكثر جمالا فنيا او اخذا من التواريخ ، وفي الواقـع يكون معقولا ان توصف على انها عادية مبتذلة وحتى مملة ، ولكن من اجل هذه الاسباب بالذات فانها تعرض مقارنة جيدة : وهناك قليل جـدا فيها ، باستثناء المعلومات الجافة ، وهـذا بـرغم كل شيء مـانريد مقارنته في الروايات المختلفة .

Mult ert li muis de blé pesanz
Qui costeit en l'ost cent besanz
Que.uns hom portast soz s'aissele
Mult aveit ci freide novele.
Chiers i esteit blez e farine,
Doze solz valeit la geline
E l'oef vendeit l'om sis deners,
Tant esteit li tens pautoners.

(*Estoire*, vv. 4217-4324.)

Quid plura? modii tritici, mensura modica quam videlicet quis facile portaret sub ascella, centum aureis vendebatur: gallina quoque solidis duodecim, ovum sex denariis. (*Itinerarium*, i. 66)

Grant cherté avoit en l'ost, si que li muis dou blé valoit .xx. besanz Sarrasinas; une geline valeit .lx. solz; de buef ne de moton ne troveit l'en point; un huef valoit .xij. deniers. La meaudre char que les gens de l'ost manjassent, si estoit char de cheval ou de mule ou de asne. La mesaise estoit si grant que, quant les povres gens poent trover aucune beste morte il la mangeent a grant deintié. (*Eracles, a-b* and *d. RHC* ii. 150.)

Or vous di jou qu'il ot si grant cierté en l'ost des Crestiiens qu'il fu tele eure c'on vendi le mui de forment .lx. besans et le mui de ferine .lxx. Or vous dirai conbien li muys est: çou c'uns porteres porte a son col est li muis de le tiere. Et .i. oef vendoit on .xii. deniers; et une geline

.xx. sols; et une pume .vi. deniers. Vins et cars parestoit si ciers c'on n'en pooit avoir, se de ceval non, quant il moroit. (Abrégé, M-L p. 266.)

Lors ot tel foiz, fu si grant chierté en l'ost des Crestiens que l'en vendi le mui de froment .lx. besanz et le mui de farine .lxx. Et le mui est ce que un home puet porter a son col. Et vendoit l'en un oef. xii. deniers et une geline .xx. solz; et une pome .vi. deniers. Vin et char par estoit si chier que l'en n'en pooit point avoir, fors char de cheval, quant il moroit.
(*Eracles cJ. RHC* ii. 151-2.)

Une si grant chierté fu en l'ost aucune foiz c'om vendoit .i. mui de forment .l. besanz, et le mui de farine .lx. Le mui de la terre est tant com .i. porteor porte a son col a une foiz. L'en vendoit .i. oef .xx. deniers, une geline .x. solz, une pome .vi. deniers. Vin et char par estoit si chier c'om n'en pooit avoir se de cheval non, quant il moroit.
(*Eracles gG. RHC* ii. 152-3.)

وهنا النموذج الذي رأيناه بغموض كبينة في روايات طلاق ايزابيل يظهر بوضوح اكثر ، وتتفق روايات الموجز وال س.ج وال غ.ج من الهرقليات فعليا كلمة بكلمة ، والارقام التي اعطاها غ.ج ليست الشيء نفسه دائما ، ولكن نسخ الارقام الرومانية بشكل خاص معرض للخطأ وهنا عندنا رقم واحد هو نفسه —vi— و— × × مقابل xii, خطأ قابل للفهم ، وال × الاخيرة محذوفة من الثلاثة الاخرى ، وبصرف النظر عن هذا فان الموجز و« س.ج و غ.ج » متفقين تماما . وهذه الحالة كثيرة جدا في كل اجزاء الذيول . وليس فقط في هذا القسم ، كما سوف نرى بوضوح فيما بعد . وبالمثل يتفق التاريخ والرحلة بالضبط مع بعضهما بعضا على الاسعار ، كما يجب ان نتوقع ، وايضا على تحديد معيار ، مثل ، الكمية التي يمكن للانسان ان يحملها تحت ذراعه ، بينما تقول كل النصوص الاخرى فوق كتفيه . وبين هاتين المجموعتين «التاريخ» و«الرحلة» من جانب ، والموجز و «س.ج» و« غ.ج » من الجانب الاخر ، تقف الرواية الباقية من الهرقليات اي من « اوب » وهو النص الرئيسي من طبعة راشيل التي حدث واتفقت معها هنا رواية « د » مع ان هذه ليست باي حال الحالة المعتادة للامور كما سوف نرى ، (٣٠) ان هذه الرواية لاتشبه تماما ايا من الروايات الاخرى ، والسلع التي تختارها كأمثلة موضحة هي تلك المختارة ايضا من قبل امبرواز ورتشارد ــ ومثلهما ــ وخلافا

للموجز « و.س . ج ».و« غ .ج » ، فانها لاتـذكر التفـاح او النبيذ غير المتوفر الحصول عليه واللحم ـ ولكنهـا في خـلاف كامـل مـع امبرواز ورتشارد حول الاسعار ، ويبقى صحيحا مع ذلك انها تتفق معهما في بعض المعايير ، مع انهـا صـغيرة ، وانهـا الوحيدة مـن نصوص الهرقليات التي تفعل ذلك ٠

ومن اجل كامل حكاية الحملة الصليبية الثالثة ، فـان نصـوص الذيول موجودة في هاتين المجوعتين ، حيث يتفق الموجز مع « س ج و غ ج » ضد « أ ـ ب » ورواية « د » هنا كما في أحوال كثيرة في زمرة لوحدها ، متفقة مرات عديدة مع « أ ـ ب » ، ولكنها تمثل في أحوال كثيرة نصا خاصا بها ، ومن أجل المقارنة مـع الرحلة وهـو النص الرئيس في مصنف راشـيل ، فـان رواية « أ ـ ب » هـي الاكبـر اهمية كثيرا ، وهـذه الرواية تتفـق أحيانا مـع الموجز « وس ج » و « غ ج » حول نقاط الحقيقة ، ولكن لايوجـد مطلقا التماثل النصي نفسه كما يوجد بين هذه النصوص الثلاث فيما بينها فعلى سبيل المثال ، هناك رواية رتشـارد قلب الأسـد عندمـا يلتقي بـز وجته المقبلة ، بيرنغـاريا النافـارية (٣١) فـطبقا للرحلة ، ذهب رتشارد الى ريغيو ليلتقـي بـأمه اليانور ، وأختـه جوانا صاحبه صقلية ، وبيرنغاريا ، وأرسل جوانا وبيرنغاريا قدما متقدمتين عليه في سفينتهما ، وتتفـق كل روايات الذيول والموجـز ، رغم أنها تروي القصة بشكل مختلف ، أن اليانور وبيرنغاريا وصلتا الى مسينا عندما كان رتشارد قد سبق له المغادرة ، ولكنهما وجـدتا سفينة جوانا على وشك الابحار ، وانضمت اليها بيرنغاريا ، وعند وصول الملكتين خارج شاطىء قبرص ، كل النصـوص لديهـا بعض الروايات عن المتاعب مع اسحق كومنيوس ولكن التفاصيل تختلف ، ففي الرحلة أرسل اسـحق هـدايا الى الملكتين اللتـان سـايرتا، موافقتين على النزول من السفينة في اليوم التـالي ، ولكن قبـل أن يصـبح ذلك ضروريا وصـل رتشـارد ، وفي الهـرقليات والروايات « أ ـ ب » و « د » رفض اسحق طلب الملكتين تجـديد تموينهما من الماء وأرسل سفنا لمطاردتهما ، وقـد رفعتـا الرسـاة

وهربتا وقابلتا اسطول رتشارد في أعالي البحر في اليوم التالي ، وفي الموجز ، وفي المختصر و « الهرقليات و س ج و غ ج » وهما هنا مرة أخرى على اتفاق تام أمر اسحق جوانا بالنزول من السفينة فرفضت فلاحقها من قبل سفنة ، ولكنها التقت بسفينة رتشارد على الفور تقريبا ، وتدعى هنا حاشية نيلية في مصنف راشيل . بتهور نوعا ما بأن روايات « أ - ب » و « د » والرحلة متماثلة والخلافات لفظية فقط (٣٢) ولكن الفروق في الواقع كبيرة تماما ، وتقريبا بالحجم نفسه لتلك التي تفصل الرحلة عن الروايات الأخرى في الذيول وعن الموجز .

وإنه مع وصول جيش رتشارد الى فلسطين ، فإن التماثل بين « أ - ب » والرحلة والتاريخ يصبح واضحا حقيقة للمرة الأولى ، وحادثة الشيني الكبير على سبيل المثال تتفق بالتفصيل (٣٣) : وكانت السفينة تحمل تعزيزات من القوات وأسلحة ، وأفاعي ، وقوارير من النار اليونانية ، وليس بدعة أنه يمكن أن يعثر عليها بسهولة مصادفة من قبل مؤلف يخترع تفاصيله الخيالية كما هو مطلوب ، وجاء في كلا التاريخين بأن السفينة قد غرقت خارج عكا ، بعد اشتباك مع سفن رتشارد الكبيرة ، والفرق الصغير الوحيد هو في مصير البحارة : ففي الهرقليات غرقوا جميعا ، بينما في الرحلة أخذ بعضهم أسرى ، وليس هناك مسألة اعتماد مباشر من رواية على الأخرى ، إذ أن كلا منهما تعطي تفاصيل تحذفها الأخرى .

وعلى سبيل المثال سمي القبطان في الهرقليات ، ولكن لم يذكر اسمه في الرحلة ، بينما الأخيرة لديها تفاصيل أكثر حول المناوشة ، ولكن الاتفاقات هنا لاتتحمل إمكان تفسيرها على أنها مصادفة .

والاستيلاء على عكا من جانب آخر ، غير متماثل في النصين ، مع أن الفروق ليست كبيرة جدا بحيث تتوفر إمكانية

وجود تكييفين مختلفين للنص نفسه .(٣٤) والاختلاف الرئيس هو أنه في قصة الهرقليات يهاجم الملك الفرنسي والانكليزي معا ، ثم رتشارد وحده ، ثم الاتفاق معا مرة أخرى بينما في الرحلة يكون رتشارد مريضا ، وفيليب أغسطس هو الذي هاجم وحده ، وأعطيت بنود المعاهدة أيضا مختلفة نوعا ما ، ولكن في هذه الحالة إن الاختلاف في التشديد أو التوكيد ، أكثر منه في الحقيقة ، فنص الرحلة دقيق جدا حول أعداد الأسرى المأخونين ، وأعطى أولا الاقتراحات المقدمة من قادة المسلمين ، ثم البنود المتفق عليها أخيرا بعد التفاوض . ولدى كتاب هرقل نفذ الاستسلام كله على يد قائد مسلم واحد هو قراقوش الذي كان قائدا لعكا في غياب صلاح الدين ، وقد ذكر اطلاق سراح كل الأسرى من المسيحيين ، وليس مجرد رقم معين ويمكن لهاتين الروايتين أن تكونا مختلفتين لصورة يمكن تصويرها ، ومن المحتمل أنهما تكيفتا نوعا ما بلا مبالاة عن المصدر نفسه ، أو أنهما تمثلا مصدرين مختلفين .

ومن الصعب في هذه الحالة القول بأن واحدة هي حتما الحالة أكثر من أن تكون الأخرى ، ولكن يجدر ملاحظة أن رواية الاستسلام التي تعطيها كل من « س ج » و « غ ج » والموجز بعيدة جدا عن الهرقليات والرحلة مما هما الواحدة عن الأخرى ، حيث تعطيان الشروط بصورة مختلفة تماما :

مبادلة الأسرى سجين بسجين ، وفدية يتفق عليها لذوي المناصب ولاذكر لاعطاء الأمان لسكان عكا ، (٣٥) ومرة أخرى أيضا نعود الى الحالة حيث ، مع أن أيا من نصوص الهرقليات لايتفق بالضبط مع الرحلة ، فإن رواية « أ ـ ب » تحمل بعض الشيء معها ، وعندما تقارن برواية « س ج » و « غ ج » والموجز تبدو في الواقع أقرب الى الرحلة .

وحول اغتيال كونراد أوف مونتفرات مع ذلك فان الروايات العديدة للهرقليات تتفق في الواقع مع الموجز ضد

الرحلة ، (٣٦) وكل النصوص تتفق حول نقطة واحدة هي أن الحشيشية كانوا متورطين نوعا ما ، وتتفق الهرقليات والموجز في ذكر استيلاء كونراد على سفينة للحشيشية ويتخذ من ذلك الباعث على قتله ، ولكن الرحلة اكثر غموضا ، معالجة إياها كنزوة من شيخ الجبل :

'qui Marchisum morte dignum judicabat, et infra certum illius temporis trucidari mandaverat(٣٧)

لكننا هنا في الحقيقة في مواجهة تعصب وطني ، وكان في مصلحة الانكليز كثيرا الغموض بقدر الامكان حول موت كونراد ، طالما أنه لم يقع حتى القليل من الشك على البطل الانكليزي ، ريتشارد نفسه ، وتجهد التواريخ الفرنسية لبيان ذلك مذكرة إيانا بأن كونراد توفي يوم الثلاثاء ، وفي يوم الخميس زوج ريتشارد الأرملة ايزابيل لابن أخته ، هنري دي شامبين وتمضي الرحلة على العكس في اسهاب كبير وخيالي في الواقع ، لتضع رتشارد في الضوء الذي يظهرة ، مزودا ايانا بمشهد درامي ، ولكن غير محتمل ، يوجه فيه كونراد الذي يعاني سكرات الموت ايزابيل الى تسليم صور الى رتشارد لا الى أي واحد آخر ، ويتهم المؤلف الفرنسيين مباشرة بنشر الاشاعات المسيئة للسمعة حول رتشارد . وهذه الحادثة بناء عليه حتى أكثر صعوبة في التقويم من استسلام عكا ، حيث أننا هنا يمكن أن نكون واثقين تماما من أن تزييفا متعمدا عمل في نص واحد على الأقل ، ويحتمل جدا في كليهما ، ولكن في حين انه يستحيل تأكيد أن كلتا الروايتين استمدتا من مصدر مشترك فان من المستحيل بالمقدار نفسه بيان انهما لم تفعلا .

ولكن حادثة واحدة أخيرة تقدم الامكانيات للمقارنة بين مختلف النصوص وتزودنا ببنية واضحة في الحقيقة . وهي قصة هدية من الخيول قدمت الى رتشارد أثناء حصار يافا ممن قبل صلاح الدين ،(أو في بعض الروايات من قبل أخيه سيف الدين) وترد في

كل النصوص باستثناء روايات س . ج وغ ج من الهرقليات ، وفي هذه الحادثة إن « ا - ب » في اتفاق واضح مع الرحلة ففي كلا النصين قدم سيف الدين هدية تألفت من زوج من الخيول لرتشارد ، وكان قادرا على الاستفادة منهما فيما بعد بشكل ممتاز .

'Quant li rois les ot receus, si fist monter sus et les fist assaer et eschaufer; si trova que il estoient moult bien en frain. Si monta sur l'un et fist monter Guillaume de Preaus sur l'autre et establi ses gens et issi hors dou chastel et se feri es Turs qui estoient ou borc, et les mist a desconfiture.(٣٨)

والقي ضوء مختلف كلية على الحادثة من قبل الموجز (٣٩) ، وهنا نقرأ أنه أثناء الحصار ، رأى صلاح الدين ريتشارد يقاتل على قدمية مع رجاله ، وإذ وجد ذلك حالة تبعث على الشفقة بالنسبة لملك ، أرسل له حصانا ، ورفض رتشارد قبول الحصان وجعل خادما يمتطيه ، فحمله الحصان على الفور عائدا الى معسكر المسلمين ويقول صلاح الدين حسب رواية هذا النص :

'en fu mout honteus de ce que li cevaus estoit retornés. Si en fist .i. autre apparellier, et se li renvoia.'

ولكن لكون الهدية بسيطة كانت تنطوي على حسن النية ، أصبح الحصان هنا حيلة ماكرة صممت على ما يبدو لأخذ رتشارد أسيرا ، والرواية الباقية من القصة التي ترد في رواية « د » من الهرقليات (٤٠) هي أكثر أهمية بكثير ، والأكثر اقناعا ، من ناحية أنها لم تلون الحادثة كلها بالسواد ولا كلها بالبياض ، بل قدمت تفسيرا أكثر رقة لها كلها ، وتقع الحادثة في هذا النص في سياق طويل جدا نوعيا ، يعطي تفصيلا أكثر بكثير حول حصار يافا مما يفعل أي من النصوص الأخرى بالمرة . وتروي حادثة الخيول هكذا : نزل رتشارد من السفينة في يافا تماما في الوقت الذي كان المسلمون فيه على وشك الاستيلاء على القلعة ، وقاد هو نفسه مترجلا الهجوم المضاد ، مبديا شجاعة شخصية كبيرة في

ذلك ، ومنع المسلمين ليس فقط من الاستيلاء على القلعة ، بل أيضا من أخذ أسير واحد ، وعاد المسلمون منهزمين الى قائدهم ، أخو صلاح الدين سيف الدين ، الذي دهش كثيرا من اخفاقهم ، فطلب أن يروه رتشارد ، الذي اشاروا اليه وهو واقف مع رجاله فوق رابية . وكان عند هذه النقطة أن وردت لسيف الدين فكرة أن يرسل اليه حصانا ، ولكن البواعث التي يعزوها المؤلف الى المسلم المهزوم في تصرفه هكذا تجاه المنتصر ألطف بكثير من كل الخيانة الواضحة أو الكرم البسيط في الروايات الاخرى :

Seif Lddın, le frere Salahadın, demanda ou estoit le rei. L'en li mostra ou il estoit aveques ses homes sur un toren Il s'entremist de bien et d'onor, si li envoia un cheval tirant, qui estoit mult mesaisié de la bouche, par un sien memeloc, et li encharja que il deist au rei que n'en esteit mie avenant chose que rei se combatist as Sarasins a pié.(٤١)

واقتراح هذه الفقرة هو أن قصد سيف الدين لم يكن أن يجلب رتشارد الى معسكر المسلمين بواسطة الحصان ، ويؤخذ أسيرا ، وإنما اختيار مهارته كفارس وربما وجد غير كفء عندما ألقى به الحصان ، وأن وجه سيف الدين يجب أن ينقذ هكذا ، وفي الحقيقة يدرك رتشارد أن الحصان ليس بالهدية البسيطة ويجعل المملوك يعدو به . وعندما يراه يشد عند الفم يقول عندئذ

'Mercie ton seignor et li meine son cheval, et li di que ce n'est mie l'amor qui entre lui et moi estoit qu'il me mande cheval tirant por mei prendre.(٤٢)

ويركب المملوك الحصان عائدا الى سيف الدين ، الذي كان أمينا ومتفهما ، فبعث الى رتشارد حصانا جيدا ، فجربه رتشارد بواسطة خادمة فوجده مرضيا فركبه في المعركة .

وهذه الرواية التي يعطيها المخطوط « د » مفيدة من عدة وجهات نظر ، إنها تصوير آخر لاخلاق رتشارد كما كان يرى من خلال

عيون المسلمين والفرنجة السوريين ، وكما سوف نرى فيما بعد (٤٣) ،إن مؤلف«د» لم يكن لديه مزيد من الوقت اجمالا للصليبيين الأوربيين ، وهي قاعدة كان رتشارد الاستثناء المدهش فيها ، وهناك أيضا بينة أن رتشارد كان معجبا بالقدر نفسه بعدوه المسلم سواء لأجل شجاعته في المعركة أو لذكائه ودهائه ، ومع أخذ كل هذه الحقائق في الاعتبار ، وتذكر أيضا أن « د » هو أكثر الكتاب موالاة للمسلمين (٤٤) ، ويميل اذا صح شيء من ذلك الى تبييض مقاصد سيف الدين ، ويمكننا ان نرى ان القصة تروى كمثال على شجاعة رتشارد ودهائه ، وكانت هدية الحصان« *cheval* *tirant* » وسيلة لوضع مؤهلاته هذه تحت الاختبار ، وكلمة رتشارد *por mei* *prendre* ، من الواضح أنها تعني في السياق (لا ليأسرني) بل (ليخدعني).

ومن وجهة النظر النصية ، يبدو أن تفاصيل هذه الرواية تفسر التفاصيل المتصارعة للروايات الاخرى ، فإذا افترضنا أن هذه هي القصة الاصلية من السهل أن نرى كيف خرجت الأخرى منها ، فالرحلة والهرقليات أتيا على ذكر حصانين كما في القصة الأصلية ، لكنهما حذفتا الخدعة ، وانطلقتا من النقطة التي أخذ عندها رتشارد الحصان الثاني فجربه وركبه بنجاح ، ويؤكد الموجز على العكس على الجزء الاول من القصة ، مضيفا تفسيره الخاص لعودة الخادم الى المعسكر الاسلامي فوق الحصان ، أي أنه كان مدربا على العودة براكبه ، ويذكر فقط هدية الحصان الثاني باختصار ، ويتوازن هذا التأكيد مع الرغبة في وضع رتشارد في صورة مشرقة بشكل خاص والمسلمين في صورة معتمة بشكل خاص ، ولكنه يمكن أيضا أن يقفز ببساطة من اساءة تفسير عبارة *por mei prendre.* ، وتحوي رواية « د » كل تفاصيل الروايتين الاخريين إلى جانب بعض الزيادة ،و الخلاصة أنه في هذه الحادثة لدينا بوضوح ثلاث روايات لقصة ـ واحدة ، ومن الواضح أنها استمدت كلها من رواية أصلية

واحدة حيث المخطوط (د) هو الاقرب منهـا ، وبـاعتبار أن هـذا كذلك يمكننا أن نرى أن النصوص الاخرى أقـرب لبعضـها بعضـا برؤية أيها تتفق في تكيفها مع الاصل ، ونجد أنه بدون أي شك بالمرة الرحلة و « أ ــ ب » يتفقان بالضبط مع بعضـهما بعضـا بـاعطاء تكيف يخالف تشابه أي من النصوص الاخرى ، وهذا هو الأوضـح مع أنه ليس التصوير الوحيد الذي لدينا لقرابة هذين النصين .

وعليه فالصورة التي تظهر من فحص الهرقليات والتاريخ فيمـا يتعلق بذيول وليم الصوري وبالموجز هي هذه . إن أي تشابه يوجـد بين مجموعتي النصوص يوجـد بـلا خـلاف في رواية الرحلة ونص « أ ــ ب » من التاريخ وهذه نقطة قوية بـدرجة كافية لتقتـرح بعض الصـلة الطفيفـة الغـامضة بين الاثنين ، ولكن لا شيء أكثـر : وفي الواقع إن اقتراح مـاس لاتـري بـأن الرحلة كانت تـرجمة للنص الاصلي لارنول ، وأن الموجز تكيف عنها ، بات يمكن بشكل حاسم اهماله ، والتشابة الموجـود بين « أ ــ ب » والرحلة يمـكن التعبير عنه بأفضل صورة بالقول بأنه مع أن « أ ــ ب » مستمدة مـن المواد التى استعملها المصنفون للروايات الاخرى في الهـرقليات و « س ج و غ ج و د » من قبل مصنف الموجـز ، كان عليه أيضـا أن يعـطي مصدا آخر ، أو مصادر تتبع تقاليد غير معـروفة لهؤلاء المصـنفين الآخرين ، ولكنها معروفة لرتشارد الثالوث المقدس مؤلف الرحلة في الرواية التي يسميها ماير « ي ب٢ » ، وهكذا فإن «أ ــ ب » هـو النص الوحيد من نصوص الهرقليات الذي يحمل أي قـرابة بـالمرة للرحلة ، وهذه ليست إلا قرابة طفيفة ، وهذه النتيجة لا تلقي مزيدا من الضوء على مصادر الرحلة والهرقليات وهي مخيبة للآمـال ، في أن النتيجة المعاكسة التي هي تأكيد لفكرة ماس لاتري ، قد وضعتنا تماما على الطريق الى إعادة بناء عمل أرنول الأصلي ، ولكن هـذا الفحص للذيول والرحلة قد قدم بعض النتائج الصغيرة التي لم يبحث عنها ، ولكنها مفيدة لبيان أشياء معينة حول الذيول ذاتهـا ، وقـد بينت أن هناك في هذه الفترة من الذيول على الاقل ، رابطة واضـحة وقوية بين روايات الهـرقليات « و س ج و غ ج » والموجـز ، وأن

«أ ـ ب» مستقل نوعا ما عنها وكثيرا ما يتفق معها ، ولكنه يحتوي ايضا مواد خاصة به تختلف عن موادها ، وأن نص «د» هو الأكثر تعقيدا من الجميع في البناء ، فهو يتفق هنا مع « أ ـ ب » وغالبا ما يعطي نصا مختلفا كليا عن كل النصوص الأخرى التي ، في حالة واحدة على الأقل ، قدمت لنا في السابق المفتاح للغز النص ، وكل هذا لا يجيب على السؤال الأصلي حول الرحلة ، ولكنه يجيب على سؤال أكثر أهمية حول تجميع مختلف الذيول فيما بينها ، ومع أن الطريق الذي تعده لنا ملتو عن ذلك الذي تصوره ماس لاتري ، فإنه يمكن في النهاية أن يؤدي الى المكان نفسه والى إعادة اكتشاف التاريخ الأصلي لأرذول .

الفصل السادس

عمل أرنول

بنية النيول

من الواضح إذا أن فرضية ماس لاتري حول رالف الكوغشالي ليست راسخة ، وأن مفتاح اللغز يكمن بالاحرى (١) في اقتراحه الأكثر عمومية بأن تاريخ أرنول ليس باقيا الآن ، ولكن خدم كمادة مصدرية لكل من النيول والموجز ، التي ليست بأي حال أدق تصوير ممثل لنص أرنول ، وقد حفظت بالمناسبة اسم المؤلف ، وهذه مازالت حتى الآن فرضية فقط ، ولكنها واحدة توافق كل الحقائق حول النصوص ، ويجب أن تكون قادرة على البرهنة أو عدم البرهنة ، بمقارنة النصوص مع بعضها بعضا .

مفترضين عندئذ أن عمل أرنول ينتمي إلى طبقة مختلفة تماما في تشكيل الجزء الأساسي عن طبقة برنارد ، والمشكلة في تعقب مابقي من عمله إلى مرحلة أبكر وأكثر غموضا بالمرة ، ومن الضروري أن تتميز من خلال هذه الكتلة من المادة المتجمعة ، محاولين التمييز بين شريحة وأخرى لنفصل بين العناصر الكثيرة الداخلة في تركيبها ، بأمل معرفة ماالذي جاء به أرنول ، وكان عمله على مايبدو مصدرا منتشرا لدى المصنفين : والقسم الرئيس الذي يسمى فيه أربع مخطوطات (٢) يظهر مرة أخرى مع أن ذلك في كل الصور المتنوعة ، وفي كل رواية فردية من النيول ، وهذا مجرد دليل ، وليس تحديدا للكثرة التي استمد فيها من روايته .

ومشكلة ترسيخ الصورة الاصلية لتلك الرواية هي في بعض النواحي قريبة من المشكلة المقدمة من الرومانسيات التريستانية .

وفي كل حالة تظهر الروايات المختلفة خليط التوافق نفسه والتعارض والتنقيح . وتختلف المسألتان على أي حال بطريقتين هامتين :

في حالة أسطورة تريستان ، أيا كان قدر وزن البنية لصالح التسليم بصورة مكتوبة ثابتة تستمد منها الروايات الأخرى في النهاية ، ووجودها مايزال غير يقيني تماما . وصورتها مادة للتخيل ومعايير ترسيخ مضمونها هي كما تبين رواية بدبير بطريقته الخاصة وهي على الأقل غير موضوعية بمقدار كبير (ذاتية) (٣) . وحتى بعد تنقيح جروترود سكو بيرل ، يبقى التاريخ كيانا غامضا ، ذا تاريخ قابل للتساؤل ، وتأليف غير معروف ، ومصدر إقليمي موضع جدال . ومعرفتنا بأرنول مع أنها ضئيلة تعطينا نقطة انطلاق مختلفة تماما ، فنحن نعرف أن لديه شيء مكتوب 'cest conte fist metre en escrit'

ولدينا معايير معينة يمكننا أن نحكم بها ماذا كان هذا المكتوب يمكن أن يحوي ، وإلى حد معين ماالذي لايمكن ـ أعني تعاطف أرنول السياسي ، وموقعه الجغرافي ، ومنزلته الاجتماعية ، صحيح أن عمله قد فقد بالتأكيد تماما ، وهو نفسه لايعرف عنه إلا القليل . ولكن مانبحث عنه قد وجد يوما ما كوثيقة مكتوبة ، وتلك اللمحات القليلة من حياة مؤلفها واضحة وتضعه في زمرة مختلفة تماما عن المؤلف المفترض لحكاية تريستان الرومانسية .

ولكن الفارق الثاني الكبير بين المشكلتين يرجح على الجانب الآخر .

وسيرة تريستان هي من الأدب القصصي . فإذا ظهرت بناء عليه أحداث مشابهة من روايتين ، فإن من المؤكد بكل المعاني أن كلتا الروايتين مستمدتان إما الواحدة من الأخرى ، أو أن كلتاهما في النهاية من مصدر مشترك ، لأن التشابه بين مؤلفين يخترعان منفصلين بدقة الأدب القصصي نفسه من الممكن إهماله ، ومع التواريخ من جانب آخر ، هناك دائما إمكانية أن كلا منهما يروي

الحقيقة مستقلا عن الآخر ، مع رؤيتهما مرة واحدة في الضوء نفسه ، وبكلمات أخرى هناك إلى حد ما دائما بركة مشتركة من المادة ، أعني الأحداث كما حدثت بالفعل ، والتماثل بين روايتين مكتوبتين يجب أن يكون شديدا ومفصلا أبعد من التماثل الأساس في مادة الموضوع ، قبل أن نجد تسويغا في افتراض وجود علاقة بين الاثنين .

كيف لنا أن نقرر ، بين المصادر المختلفة التي يبدو أن كل مصنف قد أفاد منها كثيرا بحرية ، بالضبط ، ما الذي ينسب لأرذول ؟ ونقطة الانطلاق الوحيدة الممكنة هي الاحتفاظ العرضي تماما باسمه في المخطوطات الأربع المسماة بمخطوطات أرذول ، وهذا توافق بمعنى أنها بشكل عام بعيدة جدا عن أن تكون الرواية الأكثر تفصيلا للنص ، ولكنها تزودنا بنقطة انطلاق وهي حادثة فردية يرتبط بها اسم أرذول بإحكام على أنه اسم راويها ، والتي منها يمكن العمل في كل اتجاه بدوره ، في محاولة لاكتشاف إلى أي مدى قبل ، وإلى أي مدى بعد هذه النقطة توسعت حكاية أرذول ، والطريقة الواضحة التي تقدم نفسها هي فحص كل الروايات في كل من الموجز والتاريخ ، ومحاولة فصل هذا الجزء من نصهما بخطوط حدودية ، وبالطبع ليس هناك شيء يمنع مصنفا ما من أن يتوقف فجأة قبل أن يصل إلى نهاية مصدر معين ، أو أن يبدأ عند جزء ما خلال آخر . ولكن إذا تحولت روايات عديدة لتتفق على نقطة التحول من مصدر لآخر ، عندئذ تكون البينة بقوة لصالح افتراض أنها كانت نهاية ــ لمصدرهما المشترك .

كيف يمكن إدراك مثل هذا التحول في أي تاريخ واحد ؟

كما رأينا إن تفاصيل سيرة أرذول الذاتية غير معروفة لنا ، ولكن هناك شيئين مؤكدين : أنه كان من عامة الناس ، وأنه كان مواليا لابلين ، وسيكون من غير الحكمة تعليق أهمية أكثر مما ينبغي على الحقيقة الأولى ، لأن أرذول كسيد كبير لابد أنه كان لديه الكثير من

المعونة الكهنوتية التي تحت تصرفه ، وهكذا فإن المصادر اللاتينية المكتوبة التي لايمكن أن يكون قادرا على قراءتها كانت مع ذلك سهلة المنال عنده ، والفقرات التوراتية الطويلة التي كثيرا جدا ماتظهر في أجزاء معينة من التصانيف التي تعرض بمعرفة أكثر تفصيلا ودقة بالترجمة اللاتينية المقبولة Vulgate من أي رجل عامي عادي يمكن توقع معرفته بها ، ولايمكن إسقاطها حالا كاستيفاء كهنوتي متأخر في عمل أرذول ، وعلامة أرذول المميزة الأخرى ، ولاؤه لقضية ابلين ، الذي يمكن الاعتماد عليه أكثر كثيرا ، مع أنه هنا مرة أخرى توجد حدود معينة يجب معرفتها . وكون الابلينيين إحدى العائلات الهامة في بلاد ماوراء البحار فقد كانوا مقيدين بالظهور في أي تاريخ معاصر ، وكانت أعمالهم إلى حد ما مادة من المعارف العامة ، ولن يكون من المستطاع كتابة تاريخ لفرنجة ماوراء البحار في هذه الفترة دون ذكرهم بقدر جيد ، ولكن ليس كل الكتاب يقدمونهم على نحو مرض بأي وسيلة ، أو حتى بشكل حيادي كما سبق أن رأينا ، وبشكل خاص حوالي وقت سقوط بيت المقدس ، عندما كان سلوكهم حتى أكثر غموضا من المعتاد ، وماالذي يبحث عنه المرء بتعقب عمل أرذول ، بناء عليه ؟ إن فقرات غير متذبذبة مواتية للأبلينيين ، والافضل تلك التي تحوي معلومات حولهم لن تكون متوفرة على الفور ، أو غير ذات أهمية ، بالنسبة لأي شخص لم يكن على صلة وثيقة بالعائلة .

وقد سبق فحص الموجز في هذا الضوء من قبل ماس لاتري ، الذي لاحظ أنه يحتمل أنه كان هناك فاصل في التنقيح حوالي ١١٩٢ أو ١١٩٤ (٤) ، وليس لهذا أن يقرر مسبقا الحكم في قضية تأريخ لتصنيف أبكر لرواية الموجز ، تشير في وقت مبكر إلى سقوط القسطنطينية الذي ثبت على أي حال بعد ١٢٠٤ ، ولاهي تستبعد إمكانية استيفاء المادة من مصادر أخرى قبل هذه النقطة ، ولكن هنا إن كل ذكر للأبلينيين يوقف فجأة ونهائيا ، وباليان دي ابلين الذي كان الشخصية المركزية في التاريخ حتى هذه النقطة ، والذي يختفي الآن فجأة يمكن أن يكون قد مات في حينه . ويذكره التاريخ

لآخر مرة في بنود المعاهدة المبرمة بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد في ١١٩٢ (٥) ، و ١١٩٣ وهو التاريخ الذي سمع فيه عنه آخر مرة حتما ، ولكن بقية عائلة ابلين الكبيرة تابعت تقاليدها في البروز السياسي ربما حتى كان بتمايز أكثر ، وفي بقية الموجز مع ذلك بشكل عابر من حين لآخر كما لو كانت قليلة الأهمية أو لا أهمية لها بالمرة ، والنتيجة التي لامفر منها : إنه عند أو حول هذه النقطة يغير مصنف الموجز المصادر ، ويبدأ في استعمال مصدر غير ابليني ، وهذا ينطبق بالطبع على كل الروايات الثلاث الموجز ـ ز ـ أ (ب ٢) ، و ال (ب ١) المفقود ـ إذ إنها جميعا متفقة في هذا .

وفي حالة تاريخ ماوراء البحار ، إنه لأكثر صعوبة بكثير القول أين يحدث التوقف ، لسببين . الأول : كان مصنف هذا الخليط معنيا في الحد الأدنى بالأهمية التاريخية للكتاب كما نفهم التعبير أو كما يبدو أن معاصريه قد فهموه ، لهذا فإنه سيكون تهورا افتراض أن تغييرا في مصدره يدل على أي شيء أكثر من نزوة من جانبه ، وثانيا : إن الشيء كله هو هكذا مزيج على أي حال حتى إن التغيرات الفجائية من موضوع لآخر ، والعودة مرة أخرى أيضا هي القاعدة أكثر منها الاستثناء .

وبالرموز نفسها ، إن المخطوطات الباقية من التاريخ لايمكنها أن تقدم دليلا من أجل هدفنا الحاضر ، ولكن من الضروري أن نذكر مرة أخرى في هذا المجال ترجمة ستري دي لاغويت (٦) فاذا كانت بالدقة نفسها استخلاصا من أصله في كل الأجزاء كما هي في تلك الأجزاء التي يمكننا أن نتحقق منها ، فإن هذا الأصل مختلف عن المخطوطات الباقية في ناحية حيوية واحدة ، فمكانة ستري دي لاغويت مفصلة جدا حتى خبر سقوط القدس ضمنا ، ثم تصبح أقل بمقدار طفيف هكذا حتى نقطة تلي تماما التقسيم الذي لاحظناه في الموجز ، وللدقة عند وفاة هنري دي شامبين في ١١٩٧ ، وبعد هذه الحادثة لا توجد قصة مفصلة بالمرة ، بل مجرد قائمة بالأحداث الكبيرة من حينه ، الى وقت الكتابة ، الذي يبدو أنه كان بين كانون

أول ١٢٣٩ ، وخريف ١٢٤٣ ، ويحوي النص أيضا رواية عن وفاة صلاح الدين تصل الى المديح تقريبا ، وليس هنا فاصل ملموس بالمرة في الحكاية قبل وفاة هنري ، فمن أجل ماذا كانت قيمة بينة ستري دي لاغويت اذا ؟ يبدو أن مخطوطه كان يقوم على تاريخ أدخل فيه المصنف استيفاءات من القصص الأدبي (كما ذكر في استعراض النصوص) (٧) وان هذا التاريخ انتهى في عام ١١٩٧ بوفاة هنري دي شامبين .

ونتحول الآن الى النيول الحقيقية (٨) ، وهذه تقدم بشكل عام نموذجا مختلفا نوعا ما ، من التواريخ القصيرة ــ الموجز والتاريخ ، وتختلف أيضا بقدر كبير فيما بينها ، كما يمكن أن يرى من الجدول على صفحة ١٠ ــ ١١ ، واجمالا فإن العناصر المكونة تنسجم معا بطريقة أكثر تعقيدا بكثير مما في الحالة التي في التاريخ ، أو الموجز وتجعل تمييز البنية أكثر صعوبة ، ولكن هناك ، استثناءات مدهشة لهذه القاعدة (أبرزها في د) وهناك أيضا ميزة أنه مع نصوص عديدة تغطي بشكل جوهري الأساس نفسه وتستمد الى حد بعيد من المصادر نفسها ، فإن المقارنات الدقيقة بينها ممكنة بطريقة لا تكون ممكنة بالنسبة للتاريخ ، المعزول نسبيا والموجز . تاركين جانبيا الفروق اللفظية بين المخطوطات من العائلة نفسها ، والتنوع بين عائلة وعائلة من نوعين : تلك التي تكون حيث تغطي رواية واحدة ما هو ظاهر أنه مجرد رواية أشمل أو أكثر ايجازا للمادة نفسها كالروايات الأخرى ، وتلك التي يكون المصنف على ما يبدو قد استعمل فيها مصدرا جديدا ، ولم يستعمل من قبل المصنفين الآخرين ، أو أضاف مادة أصلية خاصة به ، في حين أن الأولى هامة في توطيد العلاقات بين النصوص بقدر ما يعتمد كل منها على الآخر ، والثانية تبين أين يبدأ هذا الاعتماد وأين ينتهي .

والروايات الخمسة الرئيسية في النيول المدرجة أعلاه يمكن تقسيمها للفترة موضع البحث ، أعني حتى ١٢٣٢ ، الى ثلاثة مجموعات « أ و ب » (نيل كولبرت فونتنبلو كما يسميه ماس

لاتـــري) ، و« ســـس . ج و غ . ج ،و د وحـــــــدها ، والزوج الأوسط س . ج و غ . ج يوافق بشكل تام تماما الموجز ، وبالكاد يختلفان ماديا عن بعضــهما بعضــا في هــذه الفتــرة ، في حين أن الأخير « د » متميز كثيرا لدرجــة أنه يتـطلب أن يعتبــر منفصــلا تماما ، والروايات د أ و ب لا تقدم فروقا مادية عن بعضها بعضا في هذه الفترة ، ومع أن فروقا صغيرة في القراءة بينها سيشار اليها من حين لآخر ، ويمكن عموما أن تؤخذ كرواية واحدة . وعلاقة هذه الرواية برواية س . ج و غ . ج تتغير جذريا عند نهاية الكتاب ٣٠ الفصل ١٠ ، حتى أن مقارنتين منفصلتين لهاتين الروايتين تكونان مطلوبتين ، أولا حتى تلك النقطة ، ثم من هناك حتى نهــاية الفتــرة موضوع البحث .

ولندرس أولا بناء عليه العــلاقة بين « أ و ب » مــن جـــانب و « س . ج و غ . ج » من جــانب آخــر مـــن بـــداية الذيول ، أي ١ / ١٣ من التاريخ حتى ١٠ / ٣٠ ضمنا ، مصنفين المنوعات لا بحسب الترتيب الذي ترد فيه ، بل حسب النوع ، وحسب أهميتهــا للمسألة الراهنة .

وبعض الفروق بين هاتين الروايتين يمكن أن يرى بسرعة أنها لا تعطي دلالة بالمرة على الاختلاف في المصــدر . وفي ٢٧ / ١٤ ــ ١٦ على سبيل المثال تعطي « س . ج و غ . ج . » رواية أكثر اختصارا للمعارك المتتابعة التي أعقبت وفاة تــانكرد وحقيقــة أنهمــا (و د أيضا) أعطيت هنا النص نفسه مثــل بــرنارد مهمــة في ذاتهـــا ، وستدرس أكثر فيما بعــد ، ولكن ليس هناك شيء في هــذه الرواية لا يمكن أن يكون قد اســتمد مــن رواية « أ ــ ب » أو مــن مصـــدر مشترك ، وعليه فالى الحد الذي تذهب اليه مسالة المصدر فإن هــذا التنوع غير هام ، والشيء نفسه صــحيح عن ٢٧ / ٦ ــ ١١ التــي تتعامل مع محاولة اغتيال عموري في ١١٩٨ والاستيلاء على بيروت في السنة نفسها : ويتفــق س . ج بــالضبط مــع بـــرنارد في حين أن غ . ج و د يختلفان في مجرد القول أن هيو صاحب طبــرية الذي

اشتبه في تحريضه على محاولة الاغتيال وذفي بالتالي من المملكة ، بينما « س . ج » وبرنارد يقولان ببساطة أنه كان

وتعطي رواية أ ـ ب الأحداث بترتيب مختلف ، بيروت أولا ومحاولة الاغتيال ثانيا ، وتقول ان راؤول صاحب طبرية قد اتهم وذفي . ولكن مرة أخرى بصرف النظر عن اسمي الأخوين اللذين كثيرا جدا ما يختلط بينهما بأي حال ، جزئيا في عملية كتابة الحروف الأولى فقط ، وجزئيا لأنهما كثيرا جدا ما عملا معا ، لا توجد مادة في أي رواية لا توجد أيضا في الأخرى .

ومثلان آخران متشابهان هما ٢٣ / ٢٢ التي يحوي فيها غ . ج. نص برنارد في حين أن « س . ج و د ، أ ب » مع أنهما لا يتفقان على ما حدث يعطيان تفاصيل مختلفة بصورة طفيفة عن رفض بلدوين صاحب الرملة . تقديم الولاء لغي ، و ٣٤ / ٢٣ حيث «س .ج و غ . ج» وبرنارد حذفت خبر وفاة الامبراطور الالماني وأعطت رواية موجزة عن الأرض المقدسة ، وأخيرا هناك التنوع في ٢٣ / ١٣ فيما يتعلق بوفاة لانغوس واندرونيكوس واعتلاء اسحق انجيلوس العرش وتسلمه سدة الحكم . وهنا كما في ٢٣ / ٢٢ . يتفق برنارد و « غ . ج » ضد النصوص الأخرى ، حيث تكون الفروق في هذا التنوع ملحوظة أكثر قليلا عما في تلك التنوعات التي لوحظت حتى الآن ، وعلى سبيل المثال في « غ . ج » وبرنارد ، يأخذ اسحق بنصيحة أخويه ، وفي وفي أ ـ ب وس.ج ود» تساعده امه (٩) . ولكن الحكايات مازالت من الرتبة نفسها ، وتوحي أيضا بتنقيح أكثر منه بوجود مصدر جديد .

وكل التنوعات الخمس ، تشير بالاختصار الى النتيجة نفسها ، وهي تشبه بعضها بعضا الى درجة تدل على مصدر مشترك ..

وعندما تنقسم في مجموعتين تميل المجموعتان للايحاء بـروايتين مباشرتين ، من احداهما استمد « س . ج و غ . ج » وبـرنارد ، ومن الاخرى « غ ـ ب » .

ويبقى هناك ثلاثة اقسام تـوجد فيهـا فـروق هـامة في التنقيح بين « أ ـ ب و س . ج و غ . ج » واهتمـت هـذه مـرة أخـرى بالترتيب حسب الأهمية وليس بترتيب الوقـائع : الحملة الصـليبية الثالثة وهدنة ١١٩٢ ، وفاة هنري دي شامبين ، ومعركة حطين .

وقد سبق أن قورنت حكاية الحملة الصليبية الثالثة في فصل سابق (١٠) ولتلخيص نتائج تلك المناقشـة : الفـروق الممـكن مـلاحظتها بين الروايتين (رواية أ ب من جانب ، ورواية «س ج و غ ج »مـن الجانب الآخر) ليست فقط في تفسير الوقائع ولكن مـاهو أهـم في بيان ماذا كانت تلك الوقائع ، ومن هذه الفروق يظهر أنه مـن أجـل تاريخ الحملة الصـليبية الثـالثة كان لهـاتين الروايتين مصـدر مشترك ، ومن الممكن أيضا أن يكون مصنف « أ ـ ب » اسـتعمل مصدرا اضـافيا ايضـا غير معـروف لمصـنف رواية «س ج و غ ج » واستعمال مصدر اضافي لهذا القسم من الحكاية ليس شـيئا مدهشا فعله ، لأن النصوص التي لم تفعـل ذلك (س ج و غ ج) هزيلة عند هذه النقطة .

وهـذا الاختـلاف بين ا ـ ب و س ج و غ ج ينتهـي بـرحيل رتشارد قلب الأسد من الأرض المقدسة وهـدنة ١١٩٢ أي عند تلك النقطة بالذات مـن الموجـز ، حيث ينتهـي الانحياز المواتـي لابلين ، وكما يجب أن نتوقع الآن يتفق غ ج (بـأقل دقـة هـذه المرة) و س ج بالضبط مع برنارد وفي تعـداد ليس بنود المعـاهدة فقط ، بل ايضـا في مختلف عمليات تعـداد الامـلاك والتعـويض عنها ، التي قام بها صلاح الدين نحو أفـراد معينين أعني : حيفـا وقيسارية وأرسـوف ، ويافـا ، الى أصـحاب كل منهـا كل على

الخاف من خلالها ، ويسقط معه قزمه وهو يحاول التمسك بثيابه ويقتلان كلاهما ، وقد دفن هنري في كنيسة الصليب المقدس مع القزم عند قدميه .

وفي « د » كان هنري في عكا من أجل حشد الجيش لرفع الحصار عن يافا ، وبينما هو مرتكز على نافذة ذات حاجز ، وفي هذه المرة ينظر نحو الخارج وينهار الحاجز ويلقى القزم بنفسه وراء هنري في حزن ، ويقتل ويعلق مؤلف رواية « د » أيضا أن بعضهم زعم أنه لولا سقوط القزم فوق هنري ما مات هنري على الفور ، ويضيف الى هذا تأبينا قصيرا للكونت .

ونرى في « س . ج و غ . ج » والموجز (كل الروايات) القزم (غلاما) خادما كان يمسك بالمنشفة بينما كان هنري يغسل يديه قبل العشاء ، وعندما يسقط هنري من النافذة التي بدون حاجز قفز الخادم وراءه :

'por ce qu'il ne voloit mie que l'en deist qu'il l'eust bouté'.

ومرة أخرى يذكر الراوي أنه لو لم يفعل ذلك لما مات هنري بالمرة ، ولايقتل الخادم بل يهرب بعظم فخذ مكسور ويطلق الانذار ، الذي يؤخذ في البداية خطأ على أنه اقتراب المسلمين ، وتضيف هذه الرواية أن هنري قد أمر عدة مرات بأن يركب حاجز للنافذة ويضيف س . ج والموجز أيضا ان هذا قد تم فعله في الواقع بعد وفاته .

والحقائق الاساسية التي تظهر هي هذه : سقط هنري من نافذة وسقط معه خادم من نوع ما ، والفروق بين الروايات يمكن أن تلخص هكذا : مالذي كان يفعله هنري قبل أن يسقط ؟ هل كانت هناك نافذتان أم واحدة ؟ هل كان الخادم قزما أو لا ؟ هل جرى جذبه وراء هنري أم أنه القى بنفسه ؟ هل قتل أم أصيب فقط وبعض هذه الفروق يمكن نسبتها بوضوح الى محاولات لاعطاء

حدة ، وإعطاء الصرفند الى ريموند صاحب صيدا ، والداروم الى بالين دي ابلن (١١) .

وبدلا من كل هذه التفاصيل تقول رواية أ ـ ب عن ريذو انه لم يعط فقط الصرفند بل أيضا نصف كل الأراضي في صيدا ، ويخصص أن هذا كان من أجل اجراء تسويات المناسبة التي تراجع فيها صلاح الدين عن كلامه بأخذ ريذو أسيرا بعد أن أعطاه الأمان (١٢) وبالنسبة للبقية تقول الرواية فقط « سلم المسيحيين يافا وأرسوف وقيسارية ، وحيفا وعكا وصور » (١٣) .

وكانت المدينتان الاخيرتان المسميتان في أيد مسيحية في زمن الهدنة على أي حال ، وتركنا نستنتج أن الأربعة الأولى قد سلمت كجزء من المعاهدة ، ومرة أخرى نلاحظ اتفاقا ماديا عاما بين « أ ـ ب » ورواية «س ج و غ ج ، مع فروق في التفصيل والتأكيد ، ومرة أخرى فان الاستدلال هو من مصدر أصلي واحد ، مع أن « س ج ـ غ ج » يستمدان من وسيط مختلف عن « أ ـ ب » ، ونقطة جديدة هي أن إنهاء هذا النوع الطويل الهام في هذا المكان الخاص يجب أن يبقى في الذهن كبينة مفرزة لوضع تغير في التنقيح الجاري على الذيول هنا .

والاختلاف الرئيسي الثاني بين هاتين الروايتين من الذيول موجود في سردهما لواقعة وفاة هنري دي شامبين وهنا فإن رواية د يمكن أن تدخل بشكل مريح في المقارنة مع الروايات الأخرى ، وترد القصة في ٢٧ ـ ٣ ـ ٤ (١٤) وهناك ثلاث روايات لها : واحدة في « أ ـ ب » وأخرى في « س . ج ، غ . ج » وبرنارد و الثالثة في « د » .

وفي القصة كما أعيد سردها في أ ـ ب كان يرتكز هنري على نافذة ذات حاجز ذي قضبان ، ويتقدم لاستقبال وفد من بيزا ويرجع بطريق الخطأ الى نافذة مختلفة ليس لها حاجز ، ويسقط الى

معنى للحادث بعد وقوعه ، فعلى سبيل المثال إن أيا من الرواة لم يكن قادرا آنذاك ان يعرف حقا الذي وراء فعل القزم في وقتها ، وبواعثه يمكن تخمينها ب « *ad infinitum,* » وما هو أسهل من استبدال تخمين بآخر أنسب لذوق المصنف (١٥) •

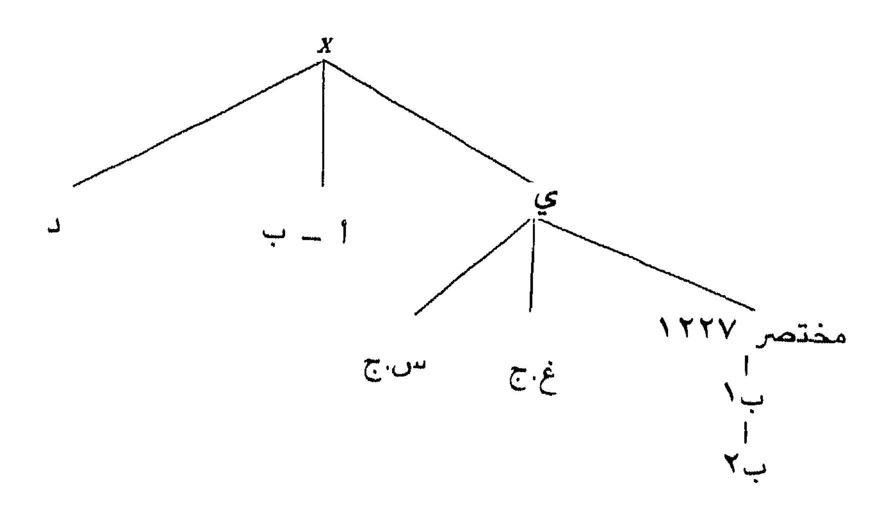
وواضح أن أيا من هذه الروايات الثلاثة حول وفاة هنري لم تتمكن من ان تبرز للعيان حتى مع تكيف كبير مع الاثنين الآخرين ، فهل يجب ان نفترض وجود مصدر مشترك كيف بصور مختلفة ، أو مصادر عديدة مختلفة؟ وبالنسبة الى المدى الذي تمضي اليه مسألة النوافذ ، تذكر رواية أصيلة اثنتين : أحداهما ذات حاجز والثانية بدون حاجز ، يمكنهما أن تفسحا مجالا لكل الروايات الثلاثة الموجودة، وتحتفظ رواية أ ـ ب بكليهما ، وتحذف الثانية ، وتحذف س ج وغ ج الأولى ، والشيء نفسه بالنسبة للأسباب المختلفة لوجود هنري في عكا ومشاغله في تلك اللحظة ليست متغيرة حصرا ، ويمكننا بسهولة ان نفترض أن الروايات الثلاثة تتخير ثلاثة تفاصيل مختلفة : زيارة وفد بيزا ، حشد الجيش وغسل اليدين من مصدر أطول كثيرا وأكثر تفصيلا مما قدم كل الثلاثة .

ومن جانب آخر هناك تعارض مباشر بين الروايات حول موضوع الخادم ، قزم ميت أو خادم بساق مكسورة ؟ وهنا يجب ببساطة أن نختار من أجل «أ ـ ب و د» تفضيلا على س ج و غ ج على أساس أنها على الفور أقل تفصيلا وأكثر دقة وخاصة من رواية أ ـ ب عن مكان وطبيعة الدفن وهي تفاصيل يمكن علاوة على ذلك أن تكون مختلفة في ذلك الوقت ، ويحتمل انها كانت مسألة معلومات عامة ، وبالنسبة للساق المكسورة والانذار ، من الممكن تماما أن تكون ساق القزم قد كسرت عند سقوطه ، ولكنه لا بد أن يكون قد مات بسرعة نوعا ما ليدفن مع هنري في اليوم التالي كما تطلب الطقس ، ولا بد أن يكون الانذار هو صراخه عندما رأى هنري يسقط : وسقوطه هو نفسه ، ونجاة القزم واطلاق الانذار بعد

السقوط يظهر هكذا كتفصيل غير ضروري ، وقد اخترع الأول لتفسير الثاني ، فإذا كان هذان الاثران : الانذار الذي أخذ خطأ كتحذير من جيش مقترب ، واصابات القزم الميت — قد ذكر بشكل عابر في الاصل ، فإن حذفها في «أ — ب و د» ، وتفصيلها في «س ج و غ ج» تفسير معقول وكاف للروايات الراهنة ، وهكذا يصبح واضحا ان كل هذه الروايات أمكنها في الواقع أن تأتي من مصدر نهائي واحد ، وانه لاحاجة لافتراض وجود اكثر من واحد ، وواضح ايضا مع ذلك انه كانت هناك روايتان وسيطتان لهذا المصدر ، على اساس ان الاقدم أكثر خلافات صغيرة بين النصوص مما أوحى بأن س ج — غ ج والموجز قد استمدا من احداهما وا — ب(مع التحفظ) و د من الأخرى ، ويجب أن نضيف هنا مع ذلك أهلية جديدة لهذه الفرضية ، أعني انه في التاريخ ككل ، كما في مثال وفاة هنري التي جرى تحليلها أعلاه . فإن «أ — ب ود» قد اعطت بتساوق رواية ابسط في حين ان «س ج و غ ج» والموجز كان لديها بشكل عام قصة فنية اكثر ، مع اغراء أكثر درامية ، ومثل هذا الحكم بالطبع ، مثل حكم بنيير على التريستان ، وهو على الاقل حزبي ذاتي (١٦) ، ولكن من جانب التصديق للجدال ، يجب ان يضاف أن في مسألة التواريخ هناك قدر كبير يقال لتفضيل الرواية الاقل زخرفة واتجاها نحو الأدب ، على أنها اقل اغراء شعبيا ، وبناء عليه أكثر عرضة للتنقيح لمصلحة الاثارة والتشويق .

واذا كان للمرء أن يختار رواية واحدة على انها الاقرب للأصل ، فهذا هو الأمر الذي يجري الاختيار من إجله ، والاحتمال بناء عليه يقدم نفسه ان « أ ب و د» قد استمدا مباشرة من الاصل في حين أن «س ج و غ ج» والموجز يستمدان من تكيف لهذا الاصل وهما على درجة واحدة من البعد لما عليه أ — ب و د وهذا أيضا يفسر حقيقة انه بينما «س ج — غ ج» والموجز في المجموع، عادة على اتفاق لفظي مع بعضها فإن الاتفاق بين « أ — ب و د » متنوع جدا ومتقطع ، واحيانا يتفقان ايضا حرفيا ، وفي أحيان أخرى لا تكون حتى مادة حكايتها هي نفسها بكلمات أخرى بينما تكون المجموعة

الاولى للنصـــوص في هـــذا القســـم (حتـــى ٣٠ ــ ×) على أي حال ، ببساطة تنسخ عن نص واحد ، فإن المجموعة الثـــانية هـــى بالاحرى تكيفات لمصدرها المشترك وهذه العلاقات يمـــكن ان تمثـــل بصورة تخطيطية مؤقتة هكذا ٠



ويجب التأكيد على أن هذه الصورة صالحة فقط للذيول حتى نهاية ٣٠ / ١٠ ، وليس بالمرة بعد هذه النقطة ، عندما تصبح علاقة النصوص مختلفة تماما ، علاوة على ذلك فإن المكان المعين لـ« د » مؤقت جدا . وتبقى دراسة المتنوعات من «د» في هذا القسم مرة أخرى مقتصرة على الفروق المادية تاركين جانبا في الوقت الحاضر القراءات المختلفة التي تدل فقط على العلاقات بين المخطوطات العديدة لذيل واحد .

وليس بين ذيل وآخر وفي الواقع ان (د) تحوى كثيرا من المعلومات الواقعية التي لا توجد في اي نص آخر بالمرة ، واستعراض موجز لهذه الخصائص سيمكننا من دراسة ما الذي تدل عليه حول مصادر « د » طالما ان تصنيفها « أ - ب أولي » لطلب السؤال ، وفي هذه الحالة سوف نعددها بالترتيب الذي ترد فيه في النص ، ومقارنة نص « د » بالذيول الاخرى ليست سهلة ، لأنه حتى المقارنة الخاطئة تظهر ان النص مشوب جدا ولا يقوم على علاقة بسيطة مع النصوص الأخرى ، وعليه فمن الأصعب وصف تقلبات دون وضع معايير للمقارنة التي يمكن ان تثبت في النهاية انها مضللة أي بدون وصفها فيما يتعلق بنصوص أخرى ، التي بالنسبة لها يمكن ان تبدو ممكنة المقارنة ولكنها في الواقع قليلة الارتباط بها ، ومع ذلك فإن بعض المقارنة يجب أن تتم من أجل الوضوح ، وحيث أنه في قسم النص موضوع البحث ، أعني حتى ٣٠ / ١٠ إن نص د بالنسبة لكثير من الحكاية متفق مع حكاية « أ - ب » وانه لهذا النص سوف نقارنه الآن ، ولكن يجب التأكيد بأن الطريقة المتبناه لم تعد أكثر من ذريعة ، ولا تلمع الى أن « د » بأي حال معتمد على أ - ب أو أنه حتى بالضرورة تكيف آخر المصادر نفسها بالضبط

وأول تباعد بين نصوص « د وأ - ب » يأتي دوما بعد بداية ٢٣ / ٤٠ لجزء من الطريق عبر قصة حطين (١٧) ويستمر هذا الاختلاف من خلال عشرة مقاطع مغطيا استسلام طبرية وعكا ، ورحلة باليان

دي ابلين الى بيت المقدس وتاريخ جوهان غيل وكونراد أوف مونتفرات المؤقتة في القسطنطينية ، ووصوله الى فلسطين وتنظيمه للدفاع عن صور .

وكل هذه الموضوعات تعالج ايضا في القسم المقابل في « أ ـ ب » باستثناء جوهان غيل الذي يظهر فيما بعد(١٤/ ١٢)(١٨)وعن كل موضوع يعطي «د» رواية أكثر تفصيلا بكثير ، ولكنها رواية لاتتعارض مطلقا مع رواية «أ ـ ب» وفي كل هذه الفصول العشرين يوجد فرق واحد فقط في الوقائع بين النصين : لوحظ وصول كونراد الى عكا ثم مغادرته لها في « د » كمسيحي من قبل مسلم مرتد ، في حين أنه في «أ ـ ب » كان المسلمون الذين تحرى (١٩) منهم عن الوضع السياسي قد افترضوا أنه صديق لصلاح الدين وخلافا لذلك إن « د » في كل حالة ببساطة رواية أكمل عن القصة نفسها وهكذا نميل في هذه الحالة الى تأكيد الخطط أعلاه ، وأن نوحي بأن « د » يستمد من المصدر نفسه مثل «أ ـ ب » مغطيا على أجزاء الأداء الكامل لها ، واحيانا يمكننا حتى أن نرى من « د » بالضبط أي نوع من التداخل قد انجز في تكيف « أ ـ ب » وعلى سبيل المثال ، طبقا لـ «أ ـ ب » ، كان رينو دي شاتيالون (أرناط) قد أخذ اسيرا في حطين ، وقطعت رأسه من قبل صلاح الدين ، ولكن « د » يحدد أن صلاح الدين نفسه هو الذي طعن أرناط بسيفه ، وأن المماليك الواقفين بالاستعداد اندفعوا نحوه وقطعوا رأسه (٢٠) .

والفقرات الثلاثة التالية المختلفة في « د » في الفصول ٥٢ ، ٦٢ ، ٦٤ ، هذا الكتاب نفسه (٢١) ، كلها حكايات متصلة بالأحداث التي جرى وصفها وهي ترد في رواية مماثلة ، بصرف النظر عن وجودها في الاقسام المقابلة من «أ ـ ب » وتتوافق بسهولة في القطعة كصدور أو تعزيزات للنقاط القائمة ، وأول قصتين من هذه القصص تتعلق بحصار بيت المقدس ـ وكيف أرسل صلاح الدين في طلب توماس ابلين ووليم صاحب جبلة ، وبكى من اجل هذين

الطفلين المسيحيين اللذين كان انتصاره الوشيك سيحرمهما من حقوقهما(١٢) الانسانية ، وكيف أن رجلا فقيرا كما يبدو قد اكتشف وهو يحاول خداع شروط الاستسلام بأخذ مال الى خارج بيت المقدس معه (٢٢) وتصف الحكاية الثالثة حادثة أثناء سير المسيحيين الهاربين من بيت المقدس ، عندما نصب رجال صاحب هونين كمينا لهم وسلبوهم ، وقد عاملهم أبناء دينهم ـ حسبما سارع المؤرخ للقول ـ أسوأ مما فعل العدو المسلم (٢٣) ، وهنا ما هو المصدر وما هي أهمية هذه الحكايات ؟ هذا ما سوف نراه .

ويغطي الكتاب الرابع والعشرون الأحداث التي تلت سقوط بيت المقدس ويحوي سبع مذوعات من « د »، وأولها في الفصل الثاني (٢٤) ، ويتعلق بتطهير صلاح الدين للمسجد الأقصى ، وباستثناء أنها تحوي بعض التفاصيل التوضيحية الموجزة حول المعتقدات الدينية للمسلمين ، فإنها تافهة ، ومرة أخرى فإنه من الممكن شرح ذلك ببساطة كتكيف أكمل للمصدر نفسه الذي استعمل في «أ ـ ب » والفقرة الثانية المختلفة مثل ذلك تحوي اختلافات عديمة الأهمية في التفصيل في روايات الاستيلاء على قلعة الشقيف وحصار صور ، ولكنها ايضا تضيف رواية فريدة حول حصار الشوبك (٢٥) ، والثالثة في الفصل التالي عديمة الاهمية بالكامل ، لكنها ببساطة (٢٦) رواية مختلفة الصياغة للقصة نفسها بالضبط الواردة في «أ ـ ب» إنه في الفصل الرابع نلتقي أولا باختلاف كبير حقا في الكتاب الرابع والعشرين حيث رواية طويلة ومفصلة حول الحيلة التي استعملها صلاح الدين للاستيلاء على الشقيف (٢٧) وإنه لبالغ الاهمية أن نجد ان نص د يضع الاستيلاء على الشقيف عند هذه النقطة ، لانها تتفق مع تواريخ المؤرخين العرب في تأريخ هذا الحدث في السنة نفسها مثل سقوط الكرك والشقيف في ١١٨٩ (٢٨) ويخطىء نص «أ ـ ب » تماما في وضع كل هذه الأحداث في ١١٩٢ خلال الحملة الصليبية الثالثة (٢٩) ، وأن هذا غلط واضح من حقيقة أن «أ ـ ب» يقول انها جميعا قد حوصرت سنتان ، مما يتفق مع المصادر الاخرى (انظر اعلاه)

ولكنه يخالفها في انها جميعا تضع حصار القلاع في عام سقوط بيت المقدس ١١٨٧ ، عندما كان صلاح الدين يعــزز مــواقعه الارضــية وهكذا يضع الشيء كله ابكر ثلاث سنوات ونحن مضطرون لاستنتاج أن روايات هذه الحصـــارات كانت مــوجودة في (×) في المخــطط أعلاه (ص ٨٩) ، وأن مصنف « أ ــ ب » قد حذف في البداية ، ثم عكس قراره فيما بعد ، احتمالا لأنه أدرك أن بنود معاهدة ١١٩٢ قد أشارت الى حادثة الشقيف .

والنص المخالف ا ــ « د » الموجود في الفصلين الثامن والتــاسع من الكتاب نفسه ليست أقــل تــوضيحا ، والاشـــارات الاضــافية العابرة الى الحروب بين فــرنسا وانكلتــرا ، والواردة في د » قليلة الأهمية ، والسمة البارزة هـــي حــذف « د » لموت بــربروسا الذي يعطيه كل نص لخر في النيول عند هذه النقطة ، وهذا الحــذف مــن «جانب مصنف » هام لأن موت بــربروسا سوف يروى فيما بعد في الفصل السادس والعشرين من هذا الكتاب نفسه (٣٠) من قبل « د » وأيضا من قبل « أ ــ ب » وهكذا فإن « د » يتجنب ايراد حــكايتين لهذا الحدث نفسه ، ويفعل ذلك لا بحــذف الثـــانية منهـــا بـــل الاولى ، وما هو أكثر أن الاثنتين كما يعــطيهما « أ ــ ب » تناقض احداهما الاخرى .

Un jor se estoit li empereres herbergez en Ermenie, sur une riviere. Si li prist talent de baignier soi. Si entra ens, en tel maniere que il fu noiés(٣١)

. . . et l'empereres se mist a passer le flum, et li dui chevalier devant lui, et de ses homes devant et derriers lui a grant plenté. Si come il fu el mi luec dou flum, li chevauz sus cui il chevaucheit trabucha et il chei ou flum. Par la force de la chalor que il avoit sofferte et par la froidure de l'eve ou il chai, il perdi sa vertu, que il ne se post aider. Les veines de son cors s'ovrirent, si que il nea.(٣٢)

والرواية الاولى الموجـــــــــــــــــودة في أ ــ ب وس ج وغ ج مبتسرة ، وواضـــح أن الرواية الثـــانية المفصــــلة الموجـــودة في « أ ــ ب » و« د (٣٣) في مكانها حسب الترتيب الزمني هي النموذج الاصلي ، في حين انها حســب الماع ٢٤ / ٩ (الفقــرة الأولى مــن

النص المقتبس أعلاه) هي استيفاء ، وقد تفادى مصنف « د » بطريقة ما أخطاء النسخ والتناقض .

فإذا كان المزيد من البرهنة على نظرية أن د وا - ب قد تبنتا بصورة مختلفة مصدرا واحدا ما زال مطلوبا ، فإنه قدم بواسطة الفقرة المختلفة التالية في الفصل نفسه إنها قصة اعدام عدد من فرسان الداوية النين اخذوا أسرى من قبل صلاح الدين ، والنين يفترض انه عرض عليهم أخذهم لخدمته الخاصة ، شريطة أن يرجعوا عن دينهم ، وقد رفضوا ثم اعدموا ، وهنا حذر الامير بهاء الدين قراقوش ، صلاح الدين من أن هذا الفعل غير حكيم لانه سيحفز على الانتقام معبرا عن نفسه باستعارة خاصة تماما:

'Je vos fas assavoir que
les Templiers naistront o toutes lor barbes. (٣٤)

وهذه الحادثة بكاملها موجودة فقط في«د» ولكن بعد ذلك بوقت قصير ، في د وهذه المرة ايضا أ - ب علق قراقوش هذا التعليق حول وصول جاك دي أفيذس الى بلاد ما وراء البحار .

: 'Sire, dist Caracois,
ce est le secors qui vient as Francs. Je vos di(s) bien, quant vos comandastes a occirre les Templiers, que il Templier naistreent o toutes les barbes.(٣٥)

وكما في حالة أخذ الشقيف واضح أنه هنا مرة أخرى إن مصنف أ - ب قد حذف حادثة ما مع أنه لم يعرفها ، سيعود مصدره الى الاشارة اليها فيما بعد وفي المثال الاول يعالج هذا باستدراك ويضيف الحادثة مباشرة قبل الاشارة اليها وهنا يترك اسم المصدر ، إلا أنه ليس هناك شيء يشار اليه .

وبصرف النظر عن حكاية الحملة الصليبية الثالثة وهي مسألة منفصلة ، قد تم التعامل معها في مكان آخر (٣٦) ، هناك ثلاث فقرات مختلفة أخرى في « د » بين هنا ونهاية القسم الذي تحت

الدراسة ٣٠ / ١٠ الاول منهـا طـــويل جـــدا مـــن ٣٦ / ٧ الى ٢٧ / ٥ ، ومثل تلك التي سبق فحصها تتكون اساسا من الحـكاية نفسها مثل « أ ـ ب » مع إضـافة قـدر كبير مـن التفـاصيل الاضافية ، وبعض هذه عبارة عن تفاصيل إضـافية حـول احداث مغطاة في كلتـا الروايتين ، وبعضـها يمس امـورا لم تعـالج في « أ ـ ب » أو في الواقع في أي رواية سوى « د » ومع ذلك فإن زمرة ثالثة من تلك الفقـرات المتنوعة هـي مـادة غير مـوجودة في « أ ـ ب » ولكنها مـوجودة في « س ج ـ غ ج » وفي الموجـز أو في الثلاثة جميعا في نقطة تالية ، وهي تعاود تأكيد ارتباط « د » بهـذه النصوص الثلاث ، وإن يكن ذلك بعد مسافة ما في هذا القسم ، ومثل كل المنوعات حتى الآن فإن هـذا لا يتناقض مـع « أ ـ ب » وهـو الاستثناء الطفيف الوحيد في أمر وفاة هنري دي شامبين المفحـوص أعلاه والذي به يصل هذا الاختلاف المطول الى نهايته .

وبعد هذه النقطة لا يقدم « د » معلومات أكثر مميزة لذاتها ، ولا حتى أي من تنقيحات المادة الموجودة في مكان آخر ولكنه يعبر عنهـا بـطريقة مختلفـة وحيثمـا يختلف « د » عن « أ ـ ب » مـن الآن فصاعدا فإنه يتفق مع « س ج و غ ج » (٣٧) ، وعلى ماذا يأتـي هذا الاتفـاق ؟ والاعتمـاد المبـاشر له « د » على « غ ج » يمـكن استبعاده ، بسبب تواريخ تأليفهما ، في حين أن العـلاقة العـكسية يجب أن تستبعد أيضا كحل مباشر ، طـالما أنهـا لا تفسر التمـاثل القوي بين س ج و غ ج لا سيما في أجزاء أخرى مـن النص حيث لا يتفق « د » معهما ، والتفسـير المـمكن الوحيد أن لدينا هنا علاقـة مختلفة تماما عن تلك المصورة بالمخطط الموجود على صـفحة ٨٩ : « د وس ج و غ ج » تستمد الآن من مصدر مشترك لم يستعمل مـن قبل « أ ـ ب » الذي هو هنا في زمرة مستقلة به ، ومن المناسب أن نذكر هنا أنه من ١٢٠٥ الى ١٢٣١ هـذه هـي الحـالة بشـكل ثابت ، وفي الحقيقة إنه لصحيح القول أنه لتلك الفترة ، فإن « س ج و غ ج » و« د » هـي رواية واحـدة متشـابهة ، و« أ ـ ب » غير مرتبطة بها كلية .

ومن أجل القسم المتخلل ، من ٣٠ / ١٠ الى عام ١٢٠٥ تتفق كل الروايات مع بعضها ، وعليه فمن الواضح أن علاقة الذيول الواحد بالآخر لا تخضع لتغيير جذري عند وفاة هنري دي شامبين وبعد ذلك تكون الأمور بسيطة لدرجة كافية ويستمر الاتفاق بين كل الروايات الى ١٢٠٥ (وفاة آمالرك دي لوزنفان) ثم حكايتان فقط حتى ١٢٣١ واحدة في « أ ـ ب » والأخرى في « د س ج ، غ ج» والموجز ، وإنه حتى الفترة ، ١١٨٦ ـ ١١٩٧ يمكن أن تختزل القسم الأكثر تعقيدا من الذيول ، وقد اقترح المخطط الذي في صفحة ٨٩ على أنه يمثل النصوص في هذه الفترة ولكن هناك بعض التعديلات التي يجب أن نجريها الآن .

أولا : إن المخطط كما يبدو يظهر مصدرا واحدا « × مع ثلاثة نصوص مستمدة منه هي : « د وأ ـ ب » والنص «ي » المفقود هو المصدر الوسيط المشترك لكل من س ج و غ ج والموجز ، ولكن قد أصبح واضحا أن « أ ـ ب » لديهما تماسك معين مشترك في تكيفها عن هذا المصدر ، الذي لا يشترك « د » معها فيه ، وبكلمات أخرى ، إذا كان المخطط صحيحا كما يبدو تماما ، فإن المرء يتوقع أن بين هذه الثلاثة « أ ـ ب و د و ي » لابد أن يوجد توزيع عشوائي نوعا ، للمادة التي توجد أصلا في « × » ، ولكن كما رأينا مع أن هذه هي الحالة في أحوال كثيرة جدا ، فإن هناك كتلة كبيرة من المادة فقط في «د » أكبر كثيرا مما يمكن تفسيره عن مستوى الصدفة ، وهي بشكل دائم غائبة عن « أ ـ ب » أو أي من النصوص التي تعتمد على « ي » ولكن من جانب آخر لا يوجد شيء حقا في « أ ـ ب » أو نصوص ي مما يسمح لنا بافتراض أي نوع من اعتماد واحد على الآخر ، أن نرى « ي » على سبيل المثال كأنه قائم على « × » بل إنه متأثر بـ«أ - ب» أو العكس بالعكس ، ماذا إذا يفسر الاستبعاد المشترك لكتلة كبيرة من المادة من قبل هذه النصوص ؟

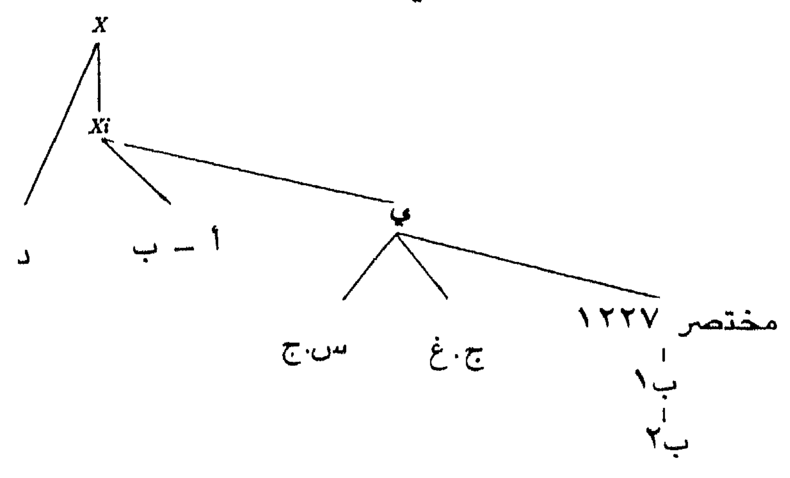
والاحتمال الذي يقترح نفسه هو بالطبع أن المادة الخاصة بـ

« د » لم تكن في « × » ، بالمرة ولكنها استمدت من قبل مصنف « د » من مصدر آخر معروف لديه فقط وليس المصنفين الآخرين ، والاعتراضات على هذا هي أولا ، أن اضافات « د » إذا كانت هكذا تتوائم مع مسار القصة بيسر و نعومة لم تتوفر عند وجودها في النصوص الأخرى التي تستبعدها ، ولن تتوفر لدى المرء فكرة أنها كانت اضافات ، ويبدو بالكاد ممكن التصديق أنه كان هناك تاريخ آخر الى جانب × ، وكان يغطي نفس الأساس للفترة ١١٨٦ ـ ٩٧ بدقة كبيرة حتى يمكن للمصنف أن يملأ فراغ منه بقليل جدا من المتاعب وكثير جدا من الاقتناع .

ثانيا : والاكثر جدية ، لقد رأينا من قبل مثلين معينين :الاستيلاء على الشقيف واعدام الداوية ، حيث لا يوجد شك بالمرة أنه بعيد عن « د » مضيفا مادة جديدة لما كان في« × » و « أ ـ ب » من مادة معلوماتية حذفت من ذلك المصدر ، ومن المحتمل جدا بناء عليه أن الشيء نفسه قد ورد في أمثلة أخرى أيضا ، مما ليس من السهل جدا اكتشافه ، وذلك حيث كان يوجد في د حكاية مشابهة ومادة إضافية ، وهي مادة كانت في × واستبعدت من قبل مصنف « ا ـ ب » .

وتبدو امكانية وصول « د » الى مصدر اضافي منفصل تماما عنه ومع ذلك يشبهه بدقة بصورة مدهشة جدا ، تبدو في الواقع غير محتملة ، ومع ذلك فإن روايته أكثر اختلافا عن الاثنين الآخريين مما لا يمكن تفسيره بمجرد الاختيار العشوائي لمادة من × ، خاصة مع مافي الفقرات المحفوظة في « د » وحده ، وكما سنرى من عدد من المميزات المشتركة ، ونحن مضطرون لاستنتاج أن استبعاد هذه المادة قد تم عند مرحلة بين × وي من قبل مكيف ماكان عمله في حينه متكيفا أكثر من قبل مصنفي « أ ـ ب » و « ي » وهكذا فإن مصنف « د » استعمل × ، في حين أن مصنفي « أ ـ ب » و « ي » قد استعملا كلاهما تكيفا ل × يمكن لنا عن إقتناع أن نسميه ×١ ، وما هو موجود في « أ ب ، د » والاشتقاقات

عن « ي » لابد أنها كانت في ١× ، وأنها كانت محفوظة من قبل كل من « د » و«١× » ، في حين أن الفقرات الموجودة فقط في « د » كانت في × ، ولكنها استبعدت من قبل × ، ومن ثم كانت كلها غير متوفرة ل « أ ـ ب » و « ي »



من الممكن بالطبع أن مصنف رواية « د » كان لديه إمكانية وصول إلى « × » وأنه قد سايرها من أجل الكثير من الحكاية ، متحولا فقط إلى × عندما أدرك أنها كانت متميزة وتحتوي مزيدا من المعلومات مثل حكاية مسلية وتفصيل مكيدة تصلح للعرض ، ومن المستحيل أن نحسب بدقة كافية درجة التوافق وعدم التوافق بين « د » والنصوص المستمدة من ١ × كي نقول فيما إذا كانت هذه هي الحالة أم لا ، وفيما إذا كان ذلك يهم كثيرا .

وما يهم إلى الحد الذي تتعلق به مشكلة تعقب أرنول ، هو أنه من المؤكد أن كل الذيول لديها في النهاية مصدر واحد مشترك ، وهو الذي بالحكم من التغير التام في العلاقات بين الذيول بعضها ببعض ، بعد وفاة هنري دي شامبين قد انتهى في حينه . وهذا يدعم بقوة فرضية ماس لاتري .

'Peut-être faudrait-il alors réduire aux années antérieures à 1197, si ce n'est la chronique primitive d'Ernoul, du moins une chronique antérieure employée par Ernoul.(٣٨)

والسؤال الآن هو هل « التـاريخ الأسـاسي لأرنول » هــو الذي ينتهي هنا في الحقيقة ؟ وتظهر مذوعات « د » الآن كبنية جديدة على طبيعة ذلك التاريخ المصدري « × » ومع أننا يجب أن نسمح لأذواق مصنف « د » الذي كان يعمل في اختيار المادة مــن « × » مــزخرفا إياها قليلا أيضا بصورة يمكن فهمها ، فإننا يمـكن على الأقـل أن نجد في هذه المذوعات بعض الدلالات الواضحة على تلك الخصـائص التي في « × » والتي اعتقد مصـنف « × » الذي تعتمـد عليه كل الذيول سوى « د » أن من المناسب حذفها ، فهل اختـار × بشـكل نزوي أم هل أمـكن لاسـتبعاداته تلك التـي تحجـرت في « د » أن تتميز ؟ وإذا كان كذلك هل تسمح لنا بأن نعرف × على أنه التاريخ الأصلي لأرنول؟.

الفصل السابع

تاريخ أرذول الأصلي

عندما نأتي لنقوم بدراسة خصـائص × كمـا هـي ظـاهرة في منوعات النيل الوحيد المستمد مبـاشرة منه وهـو × ، فإن شـيئا واحدا يصبح واضحا على الفور إن مؤلف × كان من أهالي المملكة اللاتينية في بيت المقدس ، وهناك للبداية ، كان استعماله لاصـطلاح « ماوراء البحار » . والاستعمال الطبيعي لهذا الاصطلاح من قبـل المؤرخين الاوربيين ، ومن قبل مصنفي كل النيول الأخرى هي أنه به يشيرون إلى فلسطين أو الشرق الادنى بشكل عام ، وفي الواقع إلى الاراضي الأعلى من أوروبا . ولكن × يستعمله دائمـا ليعني أوربـا وهي أراضي ماوراء البحر من فلسطين . وعلى سبيل المثال في نهاية ٢٣ / ٦٤ فإن المسيحيين الهـاربين مـن بيت المقـدس يشـتون في الاسكندرية .

ب	س ج (مثله غ. ج)	د
. . . et demorerent ilec jusques au mars.	. . . jusques au mars qu'il entrerent en nes pour passer en terre de Crestiens.	La furent jusques au marz que il entrerent es nez por aler Outre mer en terre des Crestiens.(١)

ومرة أخرى عندمـا سـمع صـلاح الدين بـالاستعدادات لحملة صليبية ثالثة فإن خلافات وجهات النظر واضحة بجلاء في « د » .

أ ـ ب (س ح وغ ح مثله)	د
Noveles li vindrent que li empereres d'Alemaigne estoit croisez, et li rois de France et li rois d'Engleterre et tuit li haut home *de Crestienté*. . . *por aler* sur lui.	[illegible] d'Alemaigne et le rei de France et le rei d'Engleterre, et tuit li haut baron *d'Outre mer* estoient croisié *por venir* sur lui. (٢)

وفي هذا المثال إن اصطلاح « ماوراء البحار » يمكن بالطبع أن يكون إضافة أو تحشية من قبل مصنف « د » إذا كان هو نفسه وليس مؤلف × هو الذي عمل في فلسطين ، وأن هذه ليست الحالة جلي من كامل التصور العقلي الواضح في كل مكان من منوعات«د» واعني اصطلاح« بوليان(٣) »الذي عرف به الفرنجة البلديون ، وذلك حسبما كان الصليبيون الاوربيون يسمونهم وهذا التوجه الفلسطيني في × ، كثيرا مايكون واضحا بالذات بالطريقة التي كان يروى بها حدث ما قارن على سبيل المثال في ٢٦ / ٢٣ :

د

Dedens ce que les Alémans atendoient a avoir le chastel dou Toron, novele lor vint que l'emperere Henri lor seignor estoit mort, et que le secors de Babiloine venoit a ciaus dou chastel. Et enssi com il aparsurent le secors il orent conseil entr'iaus; si se departirent come ciaus qui avoient perdu les cuers et la volenté por la mort de lor seignor.(٥)

اب

Quant li empereres ot tout aprestė et il dut mover, si le prist une maladie de quoi il fu morz a Brandis, ou l'assemblée estoit, si que l'en dist que sa feme l'empereris Costance l'avoit enpoisoné.(٤)

وأثر آخر لـ × ظاهر هنا وفي كل مكان وهو كراهيته للصليبيين الاوربيين الذين يعتبرهم متطفلين حمقى ، خاصة الألمان ، وكامل النوع الذي تأتي منه الفقرة أعلاه هو مقال طويل حول مختلف السمات الباعثة على الأسى للشخصية الألمانية ، بداية بتدنيهم العسكري :

'Ensi come les Alemans virent le poeir des Sarasins qui estoit si grant, il furent esmaié.(٦)

وشجاعة وحكمة البارون السوري هيو صاحب طبرية هي فقط التي حالت دون الهزيمة الكاملة التي كان سببها الأعظم ذعر الالمان ، وعلاوة على ذلك أخفق الالمان في فهم أي شيء حول عقلية أهل الأرض الذين عاملونهم بعجرفة ورعونة ، ومن موقع السيادة والتسلط ، أو حسب عقلية المسلمين ، الذين كانوا يستخفون بهم

باستمرار ، والذين كانوا يرفضون التعامل على قدم المساواة ويضع × على لسان المسلمين واحدا من انتقاداته الخاصة ، قائلا إن المسلمين كانوا يخشون قسوة الالمان (٧) ، وفي مكان اخر يقوم ببساطة بانتقادات واضحة وبشكل مطلق للشخصية الالمانية ولتاثيرها الشائن على الدبلوماسية الالمانية .

Les Alemans se fient moult en lor force et en lor fausse vertu, ne n'orent pitié des esclas Crestiens que l'on lor devoit rendre, ne ne conurent le bien et l'onor qui lor avenoit. Car se il eussent receu le chastel en la maniere que li Sarasin le voloient rendre, les Sarasins lor eussent des puis rendu le chastel de Biaufort, qui est en la terre de Sayete, et les autres chastiaus. (٨)

ويمكن للمرء أن يعتقد أن هذه الانتقادات نموذجية لاي كاتب فرنسي سواء أكان سوريا أو لا ، ولكن انتقادات × المتميزة بكراهية « الوافدين الاوربيين» تبين ولاءه بدقة أكثر ووضوح أعظم .

وفقط في تنوع « د » نجد الاغنية السياسية التي من تاليف الوافدين الاوربيين ضد :

ciaus de cest pais: 'Maugré li Polein avrons nous roi Poitevin.' Ceste haine et cest despit firent perdre le roiaume de Jerusalem. (٩)

ومرة أخرى لايتردد المؤلف في التعميم ، واخذ وليم بارليس نموذجا للوافدين الاوربيين

: 'A tant s'en parti dou conte Guillaume Barlais, et si s'en ala por saisir Japhe. Mais il fist come Peitevins, que dou conseill et dou comandement dou conte il ne fist mie le disme. Car il euvrent de lor sens et s'aseurerent en lor poeir. (١٠)

وتظهر منوعات « د » ، في هذا وفي أمثلة كثيرة أخرى باستمرار موقفا يمكن أن ياتي فقط من فرنجي سوري عارض لقاء ، الملك

غي « الملك الوافد من أوربا » وانتمى إلى العصبة التي كان ريموند كونت طرابلس الزعيم غير الرسمي لها .

ومرة أخرى كان مؤلف × يعـي أن عادات مملكة بيت المقـدس خاصة ، وكثيرا ما أجهد نفسه في تفسيرها لقـرائه ، وعلى سـبيل المثال إن رواية إجراءات انتخاب بطريرك بيت المقدس تـظهر في كل النيول (٢٣ / ٣٨) ، ولكن « د » فقط يروي أيضا الفضيحة التي انتشرت فيما بعد ونتـج عنهـا تغيير الاجـراءات (١١) ومثـل ذلك شرح « د » بدقة أكثر من النصوص الأخرى ، لماذا قاد ريموند كونت طرابلس مقدمة الجيش في حطين .

'Ce est le droit des barons dou roiaume. Quant il i a ost banie en lor seignorie, li baron en cui terre se doit faire le bataille, il a la premiere eschiele et la premeraine pointe, et a l'entrer de sa terre fait il l'avant garde, et au retorner l'ariere garde. Por ce ot le conte de Triple la premiere pointe, que Thabarie estoit soue.(١٢)

وعندما وصل كونراد أوف مونتفرات ورجـاله إلى مشـارف عكا اكتفى « أ ـ ب و س ج و غ ج » بالقول بأنهم لم يسمعوا صـوت أجراس ، ولم يروا قاربا يأتي للقائهم .

'. . . si en furent moult corrocez, ne n'oserent ancrer, ains se traistrent arriere'.(١٣)

وفي « د » نجد رد الفعل هذا مشروحا

En le tens que il furent arivés devant la cité d'Accre, il estoit costume en la devant dite cité que on sonoit une campane quant aucune nave ariveit d'Outre mer, et une gamele aloit a la nave, et grant piece avoit que nave n'en estoit venue. Quant le marquis ariva, il n'en oi poinct de campane soner, si fist geter une barche en mer, et mist des plus sages homes de sa nave et les envoia en la cité por savoir que ce devoit que il n'avoient point oie la campane soner, et quels noveles il i avoit ou pays.(١٤)

وبصورة لامفر منها أظهر × اهتماما خاصا بالسياسة المحلية ، وهذا الاهتمام ظاهر إلى حد ما في كل الذيول ، ولكن فحص منوعات « د » يظهر أنه كان هناك أكثر بكثير من هذا النوع من المعلومات في × مما اعتقد مصنفوا × أنه يستحق الحفظ ، وبالضبط مثل ما اعتبر مؤلف × أن الأوربيين متطفلين ، وأن مآثرهم أقل نفعا من العمليات التي أديرت من قبل السوريين ، وهكذا فإن المؤرخين الأوربيين يميلون للنظر بشكل رئيسي إلى الخطوط العريضة للحرب المقدسة على أنها الأكثر أهمية ، وأن البقية نزاعات صغيرة بين قادة الحرب المحليين ، ولكن عندما تؤثر مثل هذه النزاعات بشكل خطير على القضية الأكبر ، كما في حالة رفض ريموند كونت طرابلس الاعتراف بغي ملكا عليه ، يتوقفون عن إعطاء التفاصيل ثم يروونها بأسلوب روتيني مختلف جدا عن أسلوب × ، كما رأينا من قبل في كثير من المنوعات التي في « د » المفحوصة أعلاه . وهكذا في الذيول الأخرى ، فالتنافس بين الفرنجة البلديين والفرنجة الوافدين ورد بشكل عابر تماما ، وسوء أعمال أصحاب هونين عديمة الأهمية عند الذين لم يعرفونهم ، ويحتمل أنهم لم يسمعوا حتى بهم ، لا بل أكثر من ذلك إن حدثا بالغ الأهمية لدى المؤرخ هو تأسيس أول كيمونة في أنطاكية ترك جانبا ،[١٥] وربما كان الخوف الأكثر اثارة للدهشة من هذا النوع هو الرواية التي حفظت فقط في«د» حول النزاع بين هنري دي شامبين وايمري دي لوزنغنان مفوض جيش مملكة القدس وكافلها ومن ثم مغادرته ونهابه الى قبرص[١٦] .

وهذه المعلومات ضرورية بلا ريب اذا كان لنا أن نفهم كيف تسنى لايمري أن يكون في قبرص في وقت وفاة غي وقد انتخب بناء عليه ملكا ، لسبب رئيس هو أنه كان متاحا على الفور ، ومثل هذا ما اتصل بأسر رتشارد من قبل دوق النمسا حيث أضاف « د » حكاية تعلقت بسلوك رتشارد تجاه الدوق في الأرض المقدسة بعد حصار عكا ، وقدمها بشكل صحيح أو خاطىء ، ولكن بالتأكيد بشكل

مقنع ، على أنها سبب شعور الدوق السيء تجـاه رتشـارد ، ولديه أيضا تفصيل أكثر حول جمع فنية رتشارد ولكنه اعاد روايتها كشيء معروف لديه بصورة غير مباشرة كاشاعة ، مع اربعة جمل مـن كل ستة متعاقبة في النقطة الواحـدة تبـدأ بـكلمات :

'l'en dist que.(١٧)

وغريب حقا ، أن مظهرا آخذ لضيق الافق في × هـو العكس تمـاما لهذه الشروح المفيدة أعني افتراض المعرفة من جـانب قـرائه ، وفي صورة تلميحات عابـرة لما يفتـرض أنه حسـم للمعلومـات العامة ، وهذا الافتراض كان مسوغا دون شـك في المكان والزمـان الذي كتب فيه ، ولكنه يتركنا نخمن ونفترض ، وعلى سبيل المثال حول اتفاقية الوراثة المبرمة عند زواج ايزابيل وهنري حيث يقول :

'L'on dit que la greignor partie et le miaus des gens dou reiaume jurerent au conte Henri que il fereient de ses heirs seignors et reis de Jerusalem. Car ciaus qui jurerent au conte Henri n'en esteient neent tenus au marquis ne a ses heirs; se il l'ont d'autre maniere fait, il est bien seu.(١٨)

وأحد أكبر النواحي بشاعة في هذا العنصر المحلي في × ، وهـو الذي كثيرا مايفسر استبعادات × وتكيفاته ، وهـو مـوقفه تجـاه المسلمين بشكل عام وصلاح الدين بشكل خاص ، وقـد كان صـلاح الدين «الطيب» مشكلة كل مؤرخ أوروبي : وقد أخفـق تمـاما في أن يتواءم داخل أي من الزمر المعتـادة وكثيرا مـاكان المؤلفـون الذين يشـكلون مصـدرا اليأس يجـدون مـلاذا في القصص الادبية الدوائمة ، إن لم تكن اعتباطية ، وهـكذا كمـا رأينا في اسـتعراض النصوص الباقية (١٩) فان مصـنف « تـاريخ بـلاد مـاوراء البحار » قام باستيفاءين خصصـا في حـالة أولى منهمـا لبيان أن صلاح الدين قد منح مرتبة فارس بالطريقة الصحيحة من قبل بارون مسيحي اسير ، لم يتمكن من افتداء نفسه بأي طريقة أخـرى ، وفي الحالة الاخرى أن جدة صلاح الدين لامه كانت فرنسية ، وهكذا فان

مؤرخا زائفا آخر أيضا هو المنستر آل دي ريمز أكد ان صلاح الدين كان في الواقع مسيحيا سريا ، وأنه قد عمد نفسه وهو على فـراش الموت (٢٠) ولكن × بعيدا عن الانغماس في هذه الخيالات لم يع حتى هذه المشكلة ، وعنده أن صلاح الدين خصم عسكري ولكن هذا لايعني أنه يجب أن يصـور كشرير تمـاما ، ومـرتان حـوى « د » روايات حول السياسة الاسلامية الداخلية وكرر ثلاث مرات رواية الحوادث التي ألقت ضوءا مختلفا تمـاما على العـلاقات بين المسلمين والمسيحيين وعن ذلك الطـرح الدقيق مـن قبـل مضـيفي النيول ، فقـد ذكروا بـاختصار ، وان كان بـوضوح ودقـة معقولين ، بعض التصرفات المتضمنة نقل الملكية التي قام بها صلاح الدين بالنسبة لأرضه عند وفاته ،وايضا الوفاة في حادثة صيد التـي جرت لابنه الملك العزيز (٢١) ولكنهم لم يهتمـوا ، بـالقتال بين المسلمين الذي مـلأ الفـاصل بين هـذين الحـادثين ، الذي يعيد « د » روايته ببعض التفاصيل ، و هذا النوع في « د » يصور ايضا النوع الموازي ل ــ × الذي غالبـا مـا قـارن بين العـادات الاسلامية والمسيحية ، ولشراح المتقدم بلغة التالي ، وجعلهما بـذلك قابلين للفهم السريع ولشراح المتقدم باصطلاحات التـالي ، وبـذلك جعلها قابلة للفهم السريع من قبل القارىء المسيحي .

: 'Ensı come le patriarche corone
le rei de Jerusalem de corone d'or et l'enoint, en itel maniere
(chez) les Sarasins le plus grant home, qui est en icele seignorie
porte devant celui qui deit estre soutan une housse devant lui,
mostrant la et disant au pueple: Vees ci nostre seignor.(٢٢)

وعلاوة على ذلك فان « د » وحـده بين كل منظمـي النيول يذكر المنازعات بين صلاح الدين وأخيه سيف الدين ، وتخلي عدد كبير من المماليك الساخطين عن خدمته والتحاقهم بـرتشارد ، واسـتخدام بداة عرب كجواسيس (٢٣) ومع أن كل هذا متعلق مباشرة بفهـم واضح لسياسات رتشارد فان من الواضح أنه أدخل مـن قبـل × لذلك الغرض ، وفي هذه الحالة فان مصنف « د » ليس فقط مؤرخا أفضل ، ولكنه ينتج حكاية افضل ، بمعنى واحدة أكثر قابليته للفهم

بسهولة ، واهتمامه بالمسلمين إكراما لخواطرهم ، و ليس لكونهم مجرد مساعدين للشخصيات الرئيسية من الفرنجة يمنع عدم التوازن وعدم قابلية الفهم التي كثيرا ماتلي ، والتي يشيع وجودها بين مؤرخي الحروب الصليبية والتي أعفي منها بشكل بارز مواطن آخر أكثر شهرة من ماوراء البحار هو وليم الصوري ، والحياد النسبي ل « د » واضح من ثلاث حوادث أخرى موجودة فقط في روايته وهناك اولا القصة العربية المذكورة في وقت سبق (٢٤) عن معاملة صلاح الدين لطفلين مسيحيين ، توماس دي ابلين ووليم صاحب جبلة . التي تظهر صلاح الدين كرجل شرف ـ فهو يستجيب لطلب من بالين دي ابلين أنه يجب أن يأخذ الأطفال تحت حمايته ـ وأنه مؤهل بالمشاعر الرقيقة الى جانب ماهو عليه من بسالة عسكرية ، وهو على الفور واثق من النصر الوشيك ، ومدرك لمضاعفات الهزيمة على أطفال أعدائه ، والقصة كلها علاوة على ذلك تجذب الى دائرة الضوء علاقة شبيهة الاحكام واكثر ضمانا بين المسلمين والمسيحيين مما يسمح به عادة ، مع أنه على نحو لايمكن إنكاره كانت العائلة ذات العلاقة عائلة معروفة بأنها للخير والشر كاليد في القفاز ، مع أن صلاح الدين والابلينيون ليسوا على أي حال مشمولين في النوعين الآخرين من هذا الصنف وعندما أصبح ، غي لوزنغنان ملكا على قبرص أرسل الى صلاح الدين كما يقول «د» طالبا النصيحة حول كيفية ادارة مملكته الجديدة ومرة أخرى ايضا تصرف صلاح الدين بأفضل تقاليد الشهامة ، وأعلن فضلا عن ذلك احدى اسس أخلاقيات سلوك الفروسية بوضوح في العملية

:: 'Salahadin respondi as messages que il n'ameit gaires le rei Guy, mais depuis que il li requereit de conseill, il le conseillereit au miaus que il savreit. Car puis que l'on demande conseill a autrui, soit ami, soit henemi, leiaument li doit conseillier.(٢٥)

وهذا لايخبرنا بالضرورة بشيء عن صلاح الدين الذي يمكن أو لايمكن أن عبر مطلقا عن مثل هذا الاحساس ، ولكنه يخبرنا بقدر

كبير تماما عن مصنف « د » الذي أعتقد أنه يستحق أن يضمن ، وعن × ، الذي صدق صلاح الدين بالقول من المقام الأول .

وآخر الأضواء الجانبية المقصورة على صلاح الدين في « د » هي أيضا الأكثر أهمية تاريخيا والأكثر إرباكا لوجهة النظر التقليدية لكل المسيحيين باعتبارهم الأعداء العنيدين المؤكدين لكل المسلمين . وتعلق بالزواج الذي اقترح ، مع أنه لم يعقد مطلقا بين أخي صلاح الدين سيف الدين وجوانا صاحبة صقلية ، الأخت الأرملة لريتشارد قلب الأسد ، والآثار المحتملة لهذا الزواج ، والتحالف الذي كان ينطوي عليه بين رتشارد وأخي صلاح الدين كان واسعا في الحقيقة ، وكان يمكن أن يرسم نهاية سيادةصلاح الدين في الشرق .

: '. . . et se icelui mariage se feisoit, il [Salahadin] doutoit que il ne perdist toute sa conqueste.(٢٦)

وكان هذا الخوف صحيحا حتى أنه أدى بصلاح الدين إلى أن يعرض على ريتشارد هدنة على شروط مواتية للغاية للمسيحيين ، تتضمن أن يعاد لهم جزء من مملكة بيت المقدس . ولكن ريتشارد أجاب بأنه يجب أن يحصل على كل المملكة كما حكمها عموري الأول قبل فتحها من قبل نور الدين أو لا شيء بالمرة ، وكان رفضا طائشا سرعان ماندم عليه عندما أرغمته الأوضاع في انكلترا لأن يقبل معاهدة غير مواتية ، وهي معاهدة ١١٩٢ ، وقبل أن يترك بلاد ماوراء البحار ، كان الكسب الكبير الذي يمكن أن يكون ريتشاردقد حققه لقضية المسيحيين لو أنه قبل عرضه ، وهو معيار لنقص حدة ذهنه ، أو ربما للمبالغة بثقته بنفسه ، وقد رفض ، وقد حظيت هذه الحادثة بالصمت من قبل الجميع سوى مصنف « د » .

وسيكون على أي حال مضللا تصوير × على أنه موال لصلاح الدين وفقا لمبدأ ما ، وما يسمى بموضوعيته على أنها مجرد بندول يتأرجح بين هذا الطرف وذاك ، فقد كان قادرا على نقد صلاح الدين بقدر ماكان قادرا على مدحه ، حسبما كانت تقضي الظروف وكشاهد

على قصة مذبحة فرسان الداوية التي كما رأينا من قبـل كانت في × ولكنها حفظت فقط في « د » (٢٧) وهذا تصوير من الدرجـة الأولى لموقف × ، فقد بدأ بذكر حكمه على فعل صلاح الدين بوضوح

: 'Quant Salahadin fu en la cité de Domas il ot en sei un mauvais apenssement. Car il fist ocire tous les Templiers, qu'il avoit pris en la bataille. (٢٨)

ورفض فرسان الداوية إنقاذ أنفسهم بالارتداد عن دينهـم فـأعدموا ولكن × على الرغم مـن رأيه المعلن في فعـل صـلاح الدين على أنه « عمل انتقامي » بين الآن بـاعث صـلاح الدين الخـارج على المفهوم المعتاد . 'un mauvais apenssement'

عارضا الآن موقفه غير الاعتيادي في تفهمه لدافع صلاح الدين

'Mult fu grans la doulor et la mortalité et la confusion de sanc. Car il cuida faire grant sacrefice a Deu en ce que il faiseit ocire les Crestiens. Car ensi le dist Nostre Seignor en l'Evangile a ses deciples: "Encore venra l'ore que cil qui vos tueront me cuideront avoit fait grant sacrefice. (٢٩)

والآن فإن × بعيد عن أن يكون سياسيا ساذجا ، ويمكننا بأمان أن نفترض أنه قد أدرك تمـاما مـاذا كان بـاعث صـلاح الدين الحقيقي ، أعني الرغبـة في إبـادة أحـد أهـم العناصر في الجيش الفرنجي ، ولكن × رقيق بقدر كاف ليتمكن من نقد صلاح الدين دون أن يشعر بضرورة لتسويد صفحة شخصيته كلية : مع أنه عمل بدافع الانتقام ، يجب أن يبقى محظيا ببعض الاخلاص الديني وذلك خلافا لمارسيل الذي قال ن هذا العمل لن يغفـره الله له (٣٠) ، ولم ير صلاح الدين هنا كعدو لله ، بل بالضبط على أنه اعتقد أن فعله يرضي الله ، ومرد ذلك لأنه ضال من قبل ديانة مزيفة ، لكن من أجل ذلك كله بإيمان طيب ، وتتناظـر بـراعة × في هـذا ، وفي أمثلة أخـرى وتتشابه ــ مع أن ذلك بطريقة مختلفة نوعا ما ــ فقط مـع بـراعة وليم نفسه .

ومن الحقائق الاخرى لمنوعات « د » إنه مع ارتبـاطها بـاهتمام المؤلف بفلسطين وماوراء البحار بشكل عام إن مـا يسـتحق الذكر

الخاص . أن كل الذيول بها قدر كبير تماما من المادة حول قبرص بشكل لايمكن تفاديه ، ولكن في « د » أكثر من الباقي . فبعد طلب غي من صلاح الدين ، المقتبس أعلاه على سبيل المثال ، يمضي ليخبرنا ماذا كانت النصيحة ، وكيف نفذها غي بإعطاء الاقطاعات الكبيرة الذين كانوا يرغبون في المجيء من فلسطين والاستيطان هناك ، وهكذا حدث بفضل الرب ورحمته أن قدم إلى جزيرة قبرص عدد كبير من الفرسان وأصبحوا فيها من كبار الملاك (٣١) .

هل هناك ملاحظة ذات مصلحة شخصية هنا ؟ يبدو من الصعب أن نفسر تماما بأي طريقة أخرى هذا التغيير المفاجيء في القلب تجاه « غي » الوغد حتى الآن والذي كان « واحدا ممن أضاعوا الأرض » فهو الآن تحول إلى حاكم طيب وحكيم فهل كان × نفسه أحد الذين استفادوا من سياسة غي ، وممن أصبحوا من « كبار الملاك في جزيرة قبرص » ؟ وهل كان هذا في الحقيقة أحدا غير أرذول دي غيليت ؟ إن كل بينات المذوعات في « د » التي امتحنت حتى الآن تشير إلى هذه النتيجة : الاهتمام الوثيق في الشؤون المحلية في بلاد ماوراء البحار ، والمعلومات المضبوطة حول عادات المسلمين والموقف غير الاوربي جدا تجاههم ، والتشابه مع الزمرة المناهضة لغي في فلسطين ، ولقد حان الوقت الآن لفحص المذوعات في ضوء تلك المعايير الدقيقة التي رسمناها من قبل (٣٢) ، أي منزلة أرذول كرجل ليس من رجال الدين والتزامه بقضية آل ابلين ، ومعلوماته الداخلية عن العائلة .

ولكي نبدأ بالأولى توجد في المذوعات سمات كثيرة تميل عند النظرة الأولى إلى الايحاء بتأليف مدني غير كهنوتي ، وبتعابير عامة إن نص « د » له مظهر أكثر احترافا بكثير من أي من النصوص الأخرى ، فهو على سبيل المثال يظهر بعثره في التواريخ السنوية في القسم موضوع البحث ، بينما ليس للموجز مثل ذلك ففي الذيول في الفترة حتى ١٢٣٢ ، في أ ـ ب اثنان وفي « غ ج »واحد ، ولا شيء بالمرة في الأخرى ، ومثله هذا إن أسلوب « د » أسمى بكثير

من الاسلوب في النصوص الاخرى وهذا سيناقش بشمولية اكثـر في مكان اخر [٣٣] .

وباختصار فإنه يعرض مفردات اغنى بلا حدود ، مع صدور علمية من حين لآخر (مثل : *(pecunie, nave)* وحبـا للحـكم والاقوال المأثورة المدهشة ، والتعابير التي تجرى مجـرى الأمثـال والاستعدادات ، وهناك ايضا اقتباسات توراتية ـ على سبيل المثال تلك المضافة كتعليق اعدام فـرسان الداوية ، [٣٤] والندب على بيت المقدس المقحم في القصة التحنيرية عن أصحاب هونين [٣٥] ، وفي مكان اخر نجد بينة على الاهتمام بـالأمور الكنسـية ، ومعلومـات دقيقة حولها [٣٦] مع انها ليست غير عادية بمعايير مؤرخي العصور الوسطى اللاتينيين ، وتبرز بالمقارنة مع المسيرة العامة للمـؤرخين باللغات الدارجة ، ومع النيول الأخـرى بشـكل خـاص ، ويقـــدم سؤالان نفسيهما : هل هذه السمات بـالضرورة مـن عمـل رجـل ديوان ؟ وإلى أي مرحلة من العمـل تنتمـي : إلى مـؤلف × أم إلى مصنف « د » .

وبالنسبة للاسلوب العام فإنه غير مشابه لعمـل ذلك الرجـل غير الكاهن لكن سريع التـأثر المشـوش أعني روبـرت دي كلاري الذي خلاصه وصفه أن تقول إنه كان عاجزا عن الوصف ، ولكنه كرجـل مدني ذكي كان بإمكانه أن ينجز افضل من ذلك ، كمـا يبين تـاريخ فيلها ردين ومـع أن اسـلوب « د » اسـهل كثيرا واكثـر حيوية في القراءة وأكثر تنويعا بكثير في الوسائل التي يستخدمها.فإنه مـايزال اكثر مهارة من اسلوب فيلها ردين ، وهو ليس وراء حدود المستطاع بالنسبة لمثل هذا الرجل من المدنيين . ويجب أن نتذكر ايضا ، إذا كان عمل أرنول هو مـا نبحـث عنه والذي يصـفه فيليب دي نافـار ككاتب فصيح جدا [٣٧] ، فإن من المفترض انه قد أحرز في البـلاط على بلاغة أهلته لاحتلال مـكان مفيد عندمـا حـول يده إلى كتـابة مذكراته ، والمعرفة باللاتينية أمر آخر على أي حال ، واستخدم ذلك ووضح بالجملة التالية : 'Car ensi le dit Nostre Seignor' etc. [٣٨]

والاقتباس ترجمة ليوحنا ١٦ / ٢ مع أنه ليس دقيقا بشكل مطلق ، إنه يستخلص المفرد من الجمع
'omnis qui interficit vos' ويضيف الصفه grant, 'cil qui vos tueront',
حيث لايوجد في الأصل سوى obsequium. ويبدو مع
ذلك قريبا جدا من أن يكون مجرد مدد من الذاكرة لرجل مدني كان قد سمع هذا القول (لقد كان الشعر جزءا من الانجيل من أجل يوم الأحد التالي ليوم عيد الصعود - خميس الصعود) وهو لايعبر عن مجرد فكرة الشعر بل يأتي بالصياغة الفعلية ، وعليه يجب أن نستنتج أنه قد استمد مباشرة من اللاتينية ، ويدلك على يد« د » يد كاتب» أثناء العمل في النص عند نقطة ما .

ويقلد ندب بيت المقدس - بشيء من التصرف - الشعر الافتتاحي لمراثي إرميا

Quomodo sedet sola civitas plena populo! Facta est quasi vidua domina gentium; princeps provinciarum facta est sub tributo.

Qui vos porreit conter le plor et la doulor de si grant mesaventure qui avint a la sainte cité de Jerusalem? Cele qui esteit nomée dame des autres citez devint serve et ancelle; cele qui deveit regner en franchise fu puis tributaire.(٣٩)

ومع أن هذا كان بتصرف بالمقارنة مع المثال الأول ، فإنه يبقى بلا شك اقتباسا توراتيا ، وله يضاف تعقيد آخر ، هو أن كتاب المراثي خلافا للأناجيل ليس في الطقوس الدينية أي ليس من الأجزاء التي تقرأ كثيرا جدا من التوراة .

والتواريخ لم تأت بالطبع بالضرورة من مصدر مكتوب ، أو اثبتت بواسطة « كاتب » فهي كلها مستمدة من الذاكرة ، وهي على أي حال دقيقة بالتقرب فقط باستثناء حطين ، التي ذكرت بيومها وتاريخها مع الشهر والسنة (٤٠) وغير ذلك هناك أمثلة وفاة غي ، وهي ليست فقط بعيدة سنة ، بل قيل إنها حدثت في السنة

نفسها التي توفي فيها صلاح الدين (٤١) ، بينما في الواقع كان بينهما أربعة عشر شهرا (في آيار ١١٩٤ . وفي ٣٠ آذار ١١٩٣ كل على حده) .

هذا هو حجم الخطأ الذي يمكن بسهولة أن يقع بزلة من الذاكرة ، وقائمة الاحداث المعطاة جميعها تحت ١١٩٦ (٤٢) تظهر عند النظرة الأولى ببساطة خطأ ، ولكن من وجهة نظر حقيقية إنها وقعت كلها تقريبا ، على سبيل المثال وفيات غي وصلاح الدين ، وهي الى حد بعيد مترابطة بسببها أيضا ، ويبدو أن التاريخ قد جرى تذكره خطأ ، أو أنه حتى أستنسخ خطأ (٧ × بدلا من ١ ×) وليس أن مسار الاحداث قد أسيء فهمه تماما ، فقد توفي كليمنت الثالث وخلفه كليستين الثالث في آذار ١١٩١ وتوج هنري السادس امبراطورا رومانيا مقدسا من قبل البابا الجديد سهل الانقياد في ١٥ نيسان التالي ، وأسر رتشارد في فينا في كانون الاول ١١٩٢ ، وسلم الى هنري بعد ذلك بثلاثة شهور .

وبشكل عام يمكن أن نقول إن كل هذا كان يمكن تذكره بسهولة بهذه الدرجة من الدقة من قبل أي شخص جيد المعلومات يكتب بعد وقوع الأحداث بعام واحد فقط ، وتختلف الأمثلة الهامة الكثيرة حول الأمور الكنسية بالنوعية ، ولدى الحديث عن الاستيلاء على قبرص نجد هذه الملاحظات :

(1) Mais le Rei de Gloire, qui aveit conduit le rei Richart jusques la et voleit planter iqui la bone plante, ce est assaveir Sainte Yglise et la Crestiënté de la loi de Rome en la devant dite isle, et arachier la mauvaise racine des felons Griffons, il manda son bon conseill au rei Richart . . .

(2) Mais la porveance et l'aie dou Rei de Gloire, qui ne deguerpist pas les siens, dona force et victoire au devant dit rei.

(3) Et ensi par l'aie de Dieu sousmist le rei toute la seignorie de Chypre a son pooir et la torna a la lei des Latins, et fu fait arcevesques de Nicossie Salein, qui estoit arcediaque de Saint Jorges de Rames (٤٣)

وهذه أقوال موالية بقوة وفي « د » فقط صور الاستيلاء على

قبرص في هذا الضوء ولكن من الممكن أن يكون أيضا يمثل قوة شعور فارس مثلما يمثل شعور « كاتب » وكان أحد واجبات الفارس الدفاع عن الكنيسة المقدسة والايمان الحقيقي ضد غير المؤمنين ، الذي كان لا يعني لدى فرنجة بلاد ما وراء البحر المسلمين فقط بل أيضا الهراطقة القبارصة « ومجد الملك وفخاره » لم يكن عدوانا شائعا فقط في المزامير ، بل في الأحاديث الدينية بشكل عام واستعارة عبارة الزرع مع شيوع وجودها في الكتاب المقدس ، ليس بالتأكيد تحولا كتابيا في العبارة ، وما هو أكثر إن كل هذه التعليقات تتعلق بقبرص ثم وما هو أكثر طبيعية من ذلك لا بد أن « الملاك الكبير في جزيرة قبرص » قد تملكه شعور قوي بشكل خاص نحو الاستيلاء على الجزيرة حيث اتخذ منها موطنا وحل فيها محل « اللصوص الهراطقة الرافضين لشريعة روما » ، أو أنه رغب بشدة بمعرفة اسم رئيس أساقفة نيقوسيا ومن أين جاء ؟

وما يختلف نوعا ما مع ذلك هو الاستطراد الطويل حول الكنيسة ونزاع الدولة الذي عرض عن طريق شرح التغيير في اجراءات الانتخابات البطريركية لبيت المقدس وشرحت صيغة الانتخاب بالطبع في الموجز وفي « غ ج » اللذان اعتقد مؤلفهما أنها كانت ما تزال متبعة (٤٤) ولكن « د » بعد رواية وقائع الاجراءات استند على التعابير نفسها تماما ، مثل تعابير الروايتين الأخريين ، ثم ابتعد في انعطاف طويل بشأن تنقيح الاجراءات الذي ادخله كلستين الثالث في ١١٩٤ بعد النزاع بين هنري دي شامبين والكهنة ، والفضيحة التي تلت ذلك ، واعطيت إشارة خاصة الى مراسيم وفتاوى البابا كلستين حول الموضوع :

: 'Dont le Pape Celestin reprist le conte Henri, et fit une decretale, si comence enssi: Com la terre, qui est commeue et apelée l'eritage et la partie de Deu. Des adonques en ça le rei de Jerusalem n'en est pas sort (٤٥)

ثم تبع ذلك عرض قصير للمشاكل بين البابا والامبراطور خلال

السنوات المائة السالفة ، وهـي بشـكل غريزي منحـازة لصـالح الكنيسة وهذا الآن لا يشبه تماما الخلاصات الثلاثة عن الاسـتيلاء على قبرص المقتبس أعلاه ، ففي تلك إنه بينما يمكن بسـهولة رؤية أنه من عمل واحد من عامة الناس ، لا يمكن حقيقة أن تـكون هـذه الفقرة قد جاءت من قلم رجل من العامة ، ولا بد أن يكون شخص ما له ارتباط بالبلاط قد عرف بالقدر نفسه ما يقال حول ازالة دور الملك في الانتخابات ، ولكنه توسع في نقطه بعيداً جدا يمنعنا من أن نتخيل أن رجلا من العامة قد عرف عنوان الفتاوي المتعلقة ، وتـاريخ عدم اتفاق الكنيسة والدولة وان يكن مختصرا خلال كامـل فتـرة وجـود مملكة بيت المقدس اللاتينية ، والمعلومات إجمالا في هذه الحالة فنية دقيقة جدا وتعطي فترة أطول جدا مما يجب ، فكيف تفسر على أنهـا معلومات مباشرة أو مبنية على مصدر شفوي ، وهي تكشف بمـالا يرقى اليه شك عن يد كاهن .

من كان هذا الكاهن ؟ ولاي طبقة من التشكيل التـراكمي للنص ينتمي عمله؟ الى × أم الى تصنيف د من × ؟ ومـن الضروري الآن أن ننظر بامعان الى الفقرات التي أشرنا اليها على أنها فوق الشـك ذات مصدر كهنوتي ، ومـن السـياق إن المسـألة الاكثـر وضوحا ، والتي يمكن بناء عليه أن تحسم أولا هي مسألة ندب بيت المقدس :

Ensi come il orent passé le Pui dou Conestable, et entrerent en la terre dou seigneur dou Botron et de Nefin, Renaut, qui sires estoit de Nefin, fist metre ses serjanz en un destreit de sa terre et lor comanda que il deussent rober et tolir as genz de Jerusalem quant que il poreient aveir, ensi que il pristrent le remanant que Salahadin aveit laissié a ciaus de Jerusalem. Qui vos porreit conter le plor et la doulor de si grant mesavènture qui avint a la sainte cité de Jerusalem? Cele qui esteit nomée dame des autres citez, devint serve et ancelle; cele qui deveit regner en franchise, fu puis tributaire. Cil qui eschaperent de la maisnée dou seignor de Nefin alerent envers Triple et cuiderent avoir recet dedens Triple.(٤٦)

ويبين اقتباس التفجع والنص المحيط به بتمامه وطوله بـالضبط كيف أنه لا يتعلق بسياقه ، وكيف كان تـوضعه سـيئا ، وكم هـو

صارخ قطعه لتسلسل الحكاية وواضح أن هـذا اقحـام عند نقـطة ما ، وهـو لا ينتمي لـ × .

وفي الامثلة الاخرى لا يمكننا أن نأمل في قطعه من التصـنيف غير البارع الى حد بعيد (حتى بمعايير مصنف « د » هـو أدنى نوعا مـا في هذا المجال) لتمكننا من التأكيد بشكل قاطع أن أقحـاما مـا قـد جرى ، وفي حالة فرسان الداوية على سبيل المثال ، كل مـا يمـكن قوله هـو أن الاقتباس مـن يوحنا (٤٧) يمـكن ازالتـه دون اضرار بالمعنى ، وهكذا يمكن أن يكون هناك احتمالا اضافة اخـرى مثـل التفجع ولكن ليس بداهـة كذلك .

وتبقى هناك الفقرات الثلاث المتعلقة بالبابوية ، وفي حـالة اثنتين منهما من المسـتحيل تقـرير مـا إذا كانت في × أو إذا مـا كانت اقحامات تمت من قبل مصنف « د » وهذه الفقرة التي تتعـامل مـع الفتاوي البابوية لكلستين الثالث (٤٨) وتلك التـي تصـف الحـزن الحادث في كل الأنحاء النصرانية بسبب أخبـار حـطين . وبشـكل خاص وفاة أوربان الثـالث التـي رويت كنتيجـة مبـاشرة للصدمة ، وخلافة غريغوري الثامن وحكمه مدة شـهرين وانتخـاب كليمنت الثالث .

'A cui Joce l'arcevesque de Sur li porta ceste novele veraiement, ensi com vos le troverés escrit ça en avant (٤٩)

وكل ما يمكن أن نقوله حول هـاتين الفقـرتين هـو أنه يمـكن ازالتهما دون اضرار بتسلسل الحكاية ، ولكن لا يمكن بشكل حاسم بيان أنهما قد اضيفتا من قبل مصنف « د » الى مادة مصدره ×.
وثالث الفقـرات مختلف في النوع على أي حـال لكونه ملخصـا سريعا لعدد من الاحداث خلال ١١٩١ ـ ١١٩٢ (٥٠) التي قد روي معظمها كاملا إما قبل أو بعد هذه النقطة ، وواضح نوعا ما أنه مـن تلخيص المصنف الذي يتخطى على أي حال قدرا كبيرا فـي تـرتيبه

الزمني لهذا الجزء من التاريخ ، علاوة على ذلك فإنه يمكنه أن يؤرخ بدقة بالرجوع الى فريدريك الثاني غير الشعبي لـ « *le derain.* » وقد توفي فريدريك في ١٣ كانون أول ١٢٥٠ بالضبط حوالي الوقت نفسه الذي صنف فيه « د » الذي يتضمن حوادث حتى ١٢٤٨ ، وعليه فإن هذه الفقرة يمكن أن تنسب حتما المصنف .

ولتلخيص مسألة الملامح غير الكهنوتية في نص « د » في حينه من المناسب القول أن بعض الحالات مثل تلك التي تذكر فريدريك الثاني يمكن أن تنسب بالتأكيد لمصنف « د » ليس لـ × ، وفي الحالات الاخرى يجب أن يبقى بعض الشك ولا شيء من احتياجات الفقرات وجد في × ، ولكن يمكننا التأكيد بثقة ان مامن شيء منها كان كذلك ، وهذا لايستبعد امكانية ان كان التاريخ الاصلي لارنول لان مامن واحدة من هذه الخلاصات اكبر مما ينبغي لتكون اضافة جرت بناء على اقتراح كاتب الاملاء لارنول حينما كان يكتب املاء . ولكنه يعني اذا شبهنا في النهاية بارنول الاصلي سيكون علينا ان نراجع افكارنا حول طبيعة عمل ارنول متيجين لها درجة اعلى كثيرا من سعه الاطلاع مما يجب علينا ان نتوقعه من مذكرات جندي .

ويبقى ان نأخذ في الاعتبار الصفة الاخرى التي نتوقعها في عمل ارنول ، اعني مايمكن ان نسميه عامل ابلين ، وهنا تكون النتائج اكثر ادهاشا . فمنوعات « د » تحوي عددا كبيرا من الارشادات الاضافية وبعضها تافه ، واخرى ذات اهمية شعبية عامة ، لكن الكثير منها في الواقع تاريخ عائلي فقط دون اهمية اوسع وقد استبعدت بناء عليه بعد التنقيح الاكثر قوة في *Xi* وعلى سبيل المثال الحكاية المتعلقة بالطفل توماس دى ابلين . المقتبسة من قبل في مكان اخر (٥١) ، وهي في الاساس قصة عاطفية هامة فقط للمؤرخين الذين يريدون اظهار نوعية شخصية صلاح الدين ، او المعنيين بشكل خاص بالابلينيين . ومن اجل هدف هذه الدراسة فان

لها اهمية اخرى تماما ، في انها تعطينا اشارة لطفل من بيت غيبليت اسمه وليم قد تربى في بيت ابليني ، وبذلك تصور مرة اخرى الروابط المحكمة بين ارذول والابلينيين ، ولكن هذه قصة اخرى ، ويظهر ان القصة قد حفظت من قبل مصنف « د » على اساس ذوقه لان « تذوقه الادبي » هو الذي يمكن ملاحظته في مكان اخر (انظر معاملته لهنري دي شامبين) وكما بينا من قبل المصنف الاكثر صرامــة في × الذي رآها بحق بدون اهمية عامة .

واحيانا بالطبع – ان المعلومـــات عن الابلينيين الموجـــودة في « د » ليست اكثر مـــن دليل على عنايتـــه بـــالتفصيل ولاهتمـــامه في « 'ciaus de cest païs' » او ميله لذكر الناس بالاسم . وهـــكذا وصف بالتفصيل نظام زحف ريتشارد نحو يافا « وقام بتنظيم قوات المقدمة وقوات الساقة ، وقاد بالين دي ابلين ووليم صاحب طبـــرية قوات المؤخرة » (٥٢) .

ومرة اخرى لاشك ان الدقة هي وحدها التي ادت به الى ان يخصص ان باليـن دي ابلين كان المفاوض في هدنة ١١٩٢ (٥٣) ولايمـــكن اخذ هذه الاشارات على انها قد سجلت لتعطي اهمية خاصة لبـــالين دي ابلين ، ولكنها دقة اكبر فقط ، ممـــا حفـــظ في اعادة العمـــل في × ، وهـو وسيط تجاهله مصنف « د » لحسن الحظ ، ولكن في امثلة اخرى هناك ميل لايمكن اغفاله ليس فقط لافســاح مجـــال لتوافه آل ابلين مثل قصة توماس ، بل ايضا لربط احـــداث واناس بالابلينيين بلا مسوغ ، مفترضين انهـــا نقـــطة الانطـــلاق بـــطريقة تجعلها اكثر مركزية مما كانت ، خذ على سبيل المثال هذا الوصـــف لجوسلين الثالث .

: '. . . le conte Joscelin, qui aveit esté bailli en Acre, et esteit eschapé de la desconfiture o Balian d'Ibelin, qui faiseit l'ariere garde, vint en la cité.(٥٤)

والان كان جوسلين شخصية سياسية كبيرة في المملكة ، تماما بمثل

اهمية الابلينيين ، وكان هناك سبب جيد جدا لنتذكر وصايته السيئة المصير على الطفل بولدين الخامس ، وانه لغير ضروري بالمرة ربط اسم بالين هنا .

واشارة اخرى لاتقدم بالين فقط ، ولكن تسميه باسمه الاول ، ونفترض اننا نعرف من هو المقصود ، وجرى هذا لدى حديثه عن دفيده ، بالين صاحب صيدا :

'Icestui Balian, seignor de Seete, il fu fis de la fille Balian, qui avoit non Helvys, et de la reyne Marie. (٥٥)

وحيث ان الحكاية التي تقدمت مباشرة ، قد تعاملت مطولا مع ريذو صاحب صيدا ، فلا بد انه كان كافيا تماما لكي يعرف بالين صاحب صيدا على انه ابنه ، كما كان النص في الواقع من قبل ، وبدون هذه المعلومات الفائضة عن اصول امه .

ومثال اخير عن تنوع « د » يجسد حادثة يشكل فيها ابليني الشخصية المركزية ، وهي بالاحرى حذف مدهش من جانب *Xi,* مع اختطاف اسكيفا ابنه بلدوين دي ابلن وزوجة ايمري لوزنغنان وكانت اسكيفا ملكة قبرص في ذلك الوقت ، وبناء عليه شخصية لها بعض الاهمية العامة ، والقصة ليست بدون اهمية سياسية ، وقد اعيدت اسكيفا في النهاية من خلال نفوذ لاون صاحب ارمينية الذي تحرك « لحبه للملك ايمري لانه كان صديقه ، وحبا ببلدوين دى ابلن الذي كانت السيدة ابنته »(٥٦) ونجم عن هذا الحادث تأسيس علاقة طيبة بين لاون واقرباء اسكفيا :

: 'Illueques conquist Lyvon de la Montaigne l'amor dou rei Heimeri et del parenté de la dame por le servise que il lor avoit fait.(٥٧)

ويتبين من هذا كله ان القصة بالاساس ذات اهمية لتعلقها « بأبي السيدة » وقد استبعدت من قبل x مع قدر كبير من المادة

الاخرى حول دولة ارمينية ــ وهي بلاد كانت عديمة الاهمية في اعين الاوروبيين ــ ومنازعاتها الخاصة التافهة مع الدول الصليبية في بيت المقدس وانطاكية .

وماهذه سوى امثلة للاهتمام بعائلة ابلين تعرضها مدونات « د » وهناك اخرى كثيرة للاقتباس من النوع نفسه ، وفوق ذلك هناك تحيز تجاه العائلة ومصالحها مما يجعل الشيء كله يبدو كدفاع عن مسلكهم في العمل في الاحداث الكبيرة ، في تاريخ المملكة اللاتينية ، وفي الحقيقة انه دفاع مهما بلغ من حد قد جاء واقعيا ، وهو وان لم يكن اعد عن سابق نية للمؤلف ، لايمكن ان يخامرنا شك معقول في انه كتب من قبل صديق مقرب من الابلينيين ، بدون انحراف ، واحيانا بلا نقد ، مواليا لهم ، ومهتما فوق كل شيء بذكر قضيتهم .

وكان هو نفسه « فرنجيا بلديا » معارضا لغي وعصبته ، ولكنه عاد فعدل موقفه من غي عندما افاد هو نفسه على مايبدو من سياسة غي في توزيع الاقطاعيات على مقياس كبير في قبرص ، وقد كان بالتأكيد على معرفة جيدة بشكل ملحوظ بقبرص ، وكان لديه اهتمام خاص بالجزيرة ، ووصفه للمعارك ومعرفته بالامور العسكرية بشكل عام يوحي بانه فارس او انه قد كان في فترة من حياته فارسا عاملا ، ولكن من جانب اخر توحي مهارة التأليف ، واسلوبه البليغ نسبيا في روايته في الوقت نفسه برجل على مبلغ من العلم ، مع انه لم يكن كاهنا بالضرورة ، وهذا كله يتطابق باحكام مع مانعرفه عن ارنول حتى اننا يجب ان نستنتج ان x كان هو المصدر المباشر لنص « د » من تاريخ هرقل للفترة ١١٨٤ ــ ١١٩٧ ، وهذا لم يكن في الواقع شيئا اخر غير التاريخ الاصلي لارنول

لكن هل انتهى هذا التاريخ في ١١٩٧ ؟ يجب ان نؤكد ذلك ، ذلك ان مدونات « د » تتوقف بدقة في تلك السنة ، تماما بعد وفاة هنري دي شامبين ، ومع اخبار وفاة هنري السادس (ايلول ١١٩٧) (٥٨) وواضح ان المصدر الذي استمد منه « د » فقط قد

توقف هنا ، وبعد هـذه النقـطة فـان اي متنوعات في « د » بـاتت مشتركة مع نص اخر واحد على الاقل في كل حالة ، ولم يعط مـطلقا شيئا مختلفا من ناحية المادة كان خاصا به . وكما لاحظنا من قبـل ، ان كل مجموعة العلاقات بين النصوص تتغير هنا فجأة وكلية ، وفي الواقع ان مخطوطا مختلفا تماما يجب ان يفترض ليفسرها بعد هـذه النقطة ، وأحد الفروق الرئيسة هي ان « د » حتى اليوم هـو حـالة قائمة بذاتها ويبدأ الان في التماثل مع « غ.ج » بشدة حتى انهمـا في الواقع متماثلين من هنا حتى النهاية .

والتاريخ الاصلي المفقود لارنول ، محفوظ لنا بافضل طـريقة في رواية « د » مع ان كل النيول الاخرى لوليم الصوري ، ونص الموجز قد استمد منه بصورة غير مباشرة ، وهـكذا تتـوفر نقـاط قيمـة للمقارنة ، كثيرا ماتسمح لنا بالقول فيما اذا كانت سمة ما في « د » اتت من « x » أو أنها اضافة من قبل المصنف او الناسخ ، وحيث لايمكن اجراء مثل هذه المقارنة ، يجـب ان نقبـل رواية « د » على اساس المبدأ العام على انهـا ادق اخـراج او اعادة انتـاج لارنول الاصلي ، ومنها يمكن ان نسـتنتج ان ارنول الاصـلي كان عمـلا ساميا من نواح كثيرة على ماتلاه ، فهـو اكثـر تنويعـا وحيوية في الاسلوب ، مع كثير من المعلومات التاريخية القيمة ، من نوع كان في الرأي المعاصر للاسف متخصصا اكثر مما يجب لينجـو مـن دقـة التنقيح . ونحن ندين لمصنف « د » بقدر كبير ، ويجـب هنا اضـافة انه يبدو ان المصنف كان مقيما ان لم يكن مثل المؤلف الاصلي واحدا من سكان ماوراء البحر ، حيث وحده من بين كل مصنفي الهرقليات شاطر ارنول ضيق الافق ، (٥٩) أمـا مـاالذي لم يحفـظه مـن مصدره ، يمكننا فقط ان نتساءل ونحن نخمن باسف حول محتويات ذلك المصدر المفقود نفسه ، الذي من اجله كان على كل حال لحسـن الحظ الاحتفاظ بنص « د » في مخطوط مفرد ، لابد ان يغرينا بعض الشيء ، وهذا المخطوط الفريد هو ايضا من اصـل شرقـي ، وتعـد منمنماته احد الامثلة القليلة البـاقية مـن ورشـة رسـم عكا (٦٠) ومعروف انه في الربع الثاني من القـرن الثـالث عشر ، كانت هناك

فترة احياء قصيرة لورشة النسخ العائدة للضريح المقدس في بيت المقدس ، وليس خياليا جدا ان نرى ان المخطوط « د » من تاريخ هرقل قد صنف بالضبط حوالي منتصف ذلك القرن كأحد منتجات ذلك الاحياء .

وهكذا يمكننا ان نحصل من النص « د » على كثير مما احتواه تاريخ ارنول ، الذي لولا ذلك كان سيضيع منا ، وبمقارنة النيول مع بعضها يمكننا ان نستنتج ان عمل ارنول قد انتهى بعام ١١٩٧ . فأين بدأ؟

ويبدو السؤال على الفور اكثر صعوبة واقل اهمية ، فهو صعب لان الانقطاع الواضح في التنقيح في ١١٨٤ ، مشترك بين كل النيول ، وهو قد حدد بنهاية تاريخ وليم ، وهذا ليس بالضرورة بناء عليه ، اشارة البدء في المصدر او المصادر التي تحول اليها في حينه . وهو اقل اهمية لانه بينما القسم ١١٨٥ - ١١٩٧ من تاريخ ارنول هو على الاقل بقدر كبير رواية شاهد عيان ، فالواجب ان يفترض ان المادة التي تغطي الفترة التي تسبق فترة حياة ارنول (كما يمكن بالتقريب ان نؤرخها) لابد انها لم تكن اصلية ، ان كانت قد وجدت اصلا بالمرة ، ولكن اذا كان لنا ان نعيد بناء خطوطها الخارجية العامة حيث لايمكننا تعقب تاريخ ارنول بالتفصيل ، يجب ان ننظر الى التاريخ الوحيد المرتبط بارنول ، الذي لم يستعمل للجزء الابكر ترجمة مباشرة لوليم الصوري ، وهو الموجز (٦١) وفقط هذا النص الذي من الممكن له تقديم اي مفاتيح لما احتواه قسم تاريخ ارنول الذي تقدم على ١١٨٥ ، وبتحليل تركيبه ومصدره يمكن ان يبرهن على امكانية تحديد الحد الاقدم وكذلك الاخير لعمل ارنول .

الفصل الثامن

مصادر الموجز وبنيته

١ـ البداية حتى ١١٩٧ ، إعادة بناء تاريخ أرذول

من كلمات (١) « أرسلت ملكة طرابلس » حتى نهايته ، يمكن مقارنة الموجز بشكل صحيح ، كما رأينا في الفصول المتقدمة بالأقسام المقابلة في الذيول ، التي ترتبط بإحكام في ذلك الجزء من نصها ، ومن بدايته حتى تلك الكلمات ، يقف الموجز على أي حال مستقلا تماما عن الذيول . وفي حين أنها جميعا تضم ترجمة من تاريخ وليم الصوري ، فإنها تقدم بدلا من ذلك نصا غير مرتبط بالمرة ، أقصر كثيرا جدا ، ولكنه يخدم تقريبا الغرض نفسه من حشو تاريخ الحروب الصليبية ، منذ بدايتها الى الفترة التي تتعلق بها بشكل رئيسي وهي الثمانينات والتسعينات من القرن الثاني عشر، (١١٨٠ ـ ١١٩٠) . وهذا النص المغطى لبعض الوقت ونصف فصول طبعة ماس لاتري ، هو في الأساس تاريخ موجز أو مسودة لتاريخ المملكة اللاتينية في بيت المقدس ، ولكنه موشى بوفرة بكثير من المادة جزئية التعلق ، أي المرتبطة بطريقة ما بالأرض المقدسة ، لكن ما هي هذه الفصول التسع الأولى ؟ هل تمثل بداية تاريخ أرذول ، محذوفة من قبل مصنفي الهرقليات لأن ترجمة وليم عدتها فائضة ، ولكنها حفظت من قبل مصنف الموجز ؟ أو هل هي العمل الأصلي لهذا المصنف نفسه ، الذي وجد في مصدره نصا بدأ في الواقع حوالي عام ١١٨٤ ، وأضاف هذه الفصول التمهيدية إقحاما ؟ فاذا كان البديل الأول هو الحالة ، حينئذ يكون × ، التاريخ الأصلي لأرذول ، قد بدأ حوالي النقطة التي عندها يبدأ الموجز والذيول في السير المتوازي ، وذلك عند الكلمات

التالية : « أرسلت ملكة طرابلس » في العـــام ١١٨٥ ، هــذا مـــن جانب ، ومن جانب آخر ، اذا كان مصنف الموجز قد وجد الفصـــول التسعة الأولى مع القسم المركزي في الحكاية كلها في × ، واختــزل كل ذلك عندئذ لابد أن يكون مستملكو الهرقليات قـد بـدأوا عندمـا وجدوا ذلك مناسبا لأنفسهم ، بعد نهاية ترجمة تاريخ وليم ، ولا بـد أن يكون تاريخ أرنول قد بدأ في وقت أبكر بقدر كبير من ١١٨٥ .

وهكذا إنه بفحص هذه الفصول المبكرة من الموجز ، لنرى بـدقة ماذا تكون ، ومن الذي يمكن أن يكون قد كتبها ، واذا ماكان هناك أي انقطاع ملموس بينها وبين الجـزء المركزي ، الذي يسـمى فيه أرنول ، يمكن أن نأمل في ترسيخ بداية عمل أرنول الاصـلي ، كمـا رسخت مقارنة النيول نهايته .

وبدراسة احتمال أن × بدأ في أو حـول عام ١١٨٥ ، يكون مـن المواثم أن نذكر النظرية المقدمة مـن قبـل أ س . كراي [٢] أن أرنول كتب كمكمل لوليم ، ويجب أن نضيف على الفور بـالطبع أنه عندما أعد كراي هذا الرأي أعتقـد أن الموجـز مـن عمـــل أرنول نفسه ، لأنه يذكر اسمه ، ولكن مع أننا نعرف الآن أن الحالة ليست كذلك ، يبقى الاحتمال أن العمل الحقيقي لأرنول ، × ، بدأ حوالي ١١٨٥ ، وبهذا كان فعلا نيلا لتـاريخ وليم ، وفحص حجـج كراي بناء عليه دليل مفيد لمدى قوة الإقناع الممكنة بالضبط لنظرية التنييل هذه حول تاريخ أرنول .

ويؤكد كراي أن الموجز أخـذ يصـبح مفصـــلا حـــوالي عام ١١٨٣ ، تماما في الوقـت الذي كان فيه تـاريخ وليم يتجـه في الرواية نحو النهـــاية بـــدون الكتـــاب ٢٣ الذي يفتـــرض أن أرنول ، طبقا لكراي قد استعمله [٣] ، ويتخذ كراي من هذا بينه على أن كاتب الموجز قصد أن يقدم نيلا للتاريخ ، وهو في الحقيقـة يمضي بعيدا جـدا الى حـد أنه يؤكد فيه أن كل مـؤرخي الحـروب الصليبية بعـد وليم كتبـوا كخلفـاء له ، وهناك عنصر حقيقـي في

هذا ، من حيث أنه كما رأينا من قبل أن التاريخ والاكثر خصوصية نصه الفرنسي ، « الهرقليات » كان شائعا بقدر كبير في زمانهما ، وقد أضيف اليه الكثير بحيث بقي دائما مناسبا للعصر ، وكان يشكل في الحقيقة العمل القياسي حول الحروب الصليبية ، كما بقي المرجع المعياري المعاصر ، ولكن من أجل التأكيد بثقة بأن كل المؤلفين التاليين كتبوا في ضوء عمل وليم ، فإنه من الضروري أولا بيان أنهم عرفوا ذلك العمل ، وفي حالة أرنول فإن هذا ليس مؤكدا بأي حال من الاحوال .

ويمضي كراي الى بعض الابعاد ليوحي بأن أرنول ربما قرأ ، لابل قد قرأ تاريخ وليم الصوري ، وهو مقتنع حول النقطة الأولى : وقد إقترح أن إحدى نسخ تاريخ وليم كانت متداولة بين أصدقاء وليم ، وبينهم بالين دي ابلين ، ولايمكن القول أنه قد برهن على ذلك ، ولكن يبدو مقبولا جدا في الظاهر أن بيت ابلين لابد أنه كانت لديه نسخة من تاريخ وليم ، وأنها هكذا كانت ولا بد في متناول يد أرنول ، ولكن هذا يفترض أن أرنول كان يعرف اللاتينية وهو اعتقاد يؤيده كراي في مكان آخر (٤) ، ولكنه مرة أخرى بغير برهنة ويبقى احتمالان آخران : إما أن أرنول كان على معرفة بالترجمة الفرنسية لتاريخ وليم أو أنها ترجمت له ، ربما شفويا ، من قبل أحد الكتاب في اطار البيت ، ومع هذا يوحي الاقتراح الاول بشيئين حول الترجمة من المعلوم الآن أنهما غير صحيحين ، وأعني أنها جرت في وقت مبكر جدا لنقل حوالي نهاية القرن ، طالما أننا نعرف أن تاريخ أرنول قد انتهى بأحداث عام ١١٩٧ ، ويفترض أنه قد كتب بعد ذلك بوقت غير طويل جدا ، وأنه جرى في بلاد ماوراء البحار ، إما في سورية بالذات أو في قبرص ، وبالنسبة للتاريخ ، فان عمل السيد غولدن قد حدده بالسنوات الأخيرة من حكم فيليب أغسطس (٥) ولنقل حوالي ١٢٢٠ الى ١٢٢٣ ، وبالنسبة للموقع بين أوست (٦) بشكل حاسم أنه قد كتب في فرنسا ، وأن المترجم كان فرنسيا ، والاقتراح الثاني أن تاريخ وليم قد قرىء بصوت مرتفع ، وربما ترجم على الفور ، ودون تأخير ، يمكن

تصديقه ،معروف جيدا أن القراءة بصوت مرتفع كانت إجراء شائعا في تلك الفترة ، وأن التواريخ مثل أنواع الأدب الأخرى كانت تقرأ بصوت مرتفع ، وهذا واضح من مقدمة « تاريخ القدس » لروبرت الراهب :

'Universos qui hanc historiam legerint, *sive legi audierint,* et auditam intellexerint, deprecor . . . ut concedant veniam. (٧)

وأن يكون القارىء قد ترجم على الفور أمر لم يتفق عليه مطلقا ، ولكن الشعبية البالغة الانتشار لعمل وليم توحي بوجود قراء أكثر من الاقلية المتكلمة باللاتينية ، وبلا شك ان الطلب الكبير على قصص الحروب الصليبية باللغة الدارجة قد بز قدرة النساخ على انتاج تراجم مكتوبة مثل تاريخ هرقل ، وربما ملئت الثغرة بالاجراء الذي اقترحناه ، وهذا بالطبع ليس أكثر من تخمين ، ولكنه على كل حال يعطي كراي فائدة الشك ، ويفترض أن ارنول ربما كان يعرف أو استطاع بوسيلة ما أن يعرف ، عمل وليم الصوري .

ولنفترض الآن أنه كان يعرف ، أن تاريخ وليم الصوري انتهى فجأة في عام ١١٨٤ ، وعليه فإن ارنول قصد بالابتداء بقصته عند هذه النقطة ، ولكنه مثل أغلب مؤرخي القرون الوسطى كانت لديه كراهية للدخول المباشر في مادة موضوعة . فهو كان يريد الاستمرار بهدف اعطاء انطباع المعرفة المبرمجة والسمعة الثقافية ، وكان هذا من الممكن أن يتحقق فقط بالابتداء بطريق جيد رجوعا ، لذلك مع أنه لم يتبين ما اعتبره كثير من الكتاب المعاصرين على مايبدو معالجة شاملة حقا بأن يبدأ بآدم ـ أو على الاقل بيوليوس قيصر ،وقد شعر بحق أنه من الضروري تحديد اطار تاريخ المملكة اللاتينية ، فهل استمد من أجل هذا من المصدر الواضح ال *magnum opus* الذي يفترض أنه نموذجه الأصلي ؟ ويعتقد كراي أنه فعل ، ولكنه اضطر للاقرار أنه في بعض الأمور ، اختلفت الفصول

المبكرة من الموجز بمقدار كبير عن رواية وليم ، بما في ذلك كما يقول كراي ـ مسألة وفاة وليم نفسه! وقد فسر الاختلاف بافتراض اعتماد أرنول على نسخة ناقصة من تاريخ وليم لم يكن فيها الكتاب الثالث والعشرين ، وأرنول بالأساس ـ كما أكد لنا متفق مع وليم في الأجزاء الأكثر تبكيرا ـ وهذا التأكيد في الواقع مركز على بينة ضئيلة جدا ، وأي مقارنة صعب القيام ، بها ، لأن ما ذكره وليم في ثلاثة وعشرين كتابا غطاه الموجز في تسعة فصول قصيرة ونصف الفصل كل ذلك بما فيه مواد الوصف الجغرافي والأساطير والخرافات ، مع أحداث تاريخية لم تعالج بالمرة من قبل وليم ، وما يبقى للمقارنة قليل جدا ، وعلاوة على ذلك إنه مع توفر الفرق الكبير في طرق تعبير المؤلفين ، لن يكون أمرا سهلا كشف الاستعارات إن وجدت . ومرة أخرى لا بد بين أي روايتين عن الأحداث نفسها من وجود بعض التماثل القليل الذي ينجم بكل بساطة بحكم الضرورة عن موضوعهما المتشابه ، وليس بين وليم وبين الفصول الافتتاحية للموجز ، هناك كثير من التباين الصارخ ، وليست هناك سمة واحدة ، كخطأ مشترك ، يمكن أن توحي ، دع عنك أن نقيم علاقة مباشرة ، مثل تلك التي ادعى كراي أنه شعر بها وأحس .

هل هو صحيح بأي حال أن رواية الموجز أصبحت مفصلة في عام ١١٨٣ ؟ إنه بالطبع من الصعب تطوير أي طريقة دقيقة للحكم على التفصيل أو النقص فيها ، ولكن كمرشد غير مصقول ولكنه جاهز ، ويمكن أن نأخذ عدد الصفحات في طبعة ماس لاتري التي استغرقتها كل سنة ، وبتعابير عامة يمكن أن نقول أنه حتى ١١٨٠ كان التوزيع عشوائيا تماما ، فلم يكن هناك اتجاه ثابت محسوس سوى ذلك الذي كان نحو أواخر السبعينات من القرن الثاني عشر ، حيث أن الحكاية بدت بشكل عام تتحرك بسرعة أقل ، وعدد الصفحات التي شغلتها الثمانينات من القرن نفسه هي كما يلي :

1180: 6½	1186: 12
1181: 1	1187: 59
1182: 10½	1188: 13
1183: 7½	1189: ½
1184: 3	1190: 11½
1185: 3	

وهنا مرة أخرى لايوجد تحول محدد ، في اتجاه ثابت واحد ، يمكن ادراكه بالمرة ، والشيء الوحيد الذي ظهر هو العامل الذي يمكن توقعه ، في حولية تاريخية تتعامل على الاقل ظاهريا ، مع ضياع بيت المقدس والصليب المقدس ، وهناك في الواقع الحاح كبير جدا ، ولكنه متفاوت حول السنة المصيرية ١١٨٧ ، وبالنسبة للنقطةحيث ينتهي تاريخ وليم ، لا يمكن المرء بالتأكيد القيام حتى بتخمين حولها من البينة التي في الجدول أعلاه ، ومع انعدام هذه الدعامة فإن نظرية « التنييل » المقترحة من قبل كراي بالكاد يمكن أن تبقى صامدة .

وهذه النظرية هشة من نواح أخرى أيضا : فلا قارىء حتى من لنوع غير المبالي يمكن أن يخفق في أن يصدم بالفروق الواسعة في الاسلوب والميول نحو عمليهما ، أي ما يفصل وليم عن الذي ندعوه خليفته ، ففي وليم لدينا رجل ذو مواهب طبيعية عظيمة ، تطورت الى حدها الاقصى بالتعليم الرائع الذي تلقاه ، كما يخبرنا هو نفسه ، على أيدي رجال مثل غيلبرت دي لابوريه وموريس دي سولي ومينيروس الذي كان هو نفسه تلميذ أبيلارد(٨) وقد أردف وليم هذا التعليم بخلفية واسعة من القراءة ، إضافة الى انه جاء الى عمله باحساس دراسي : تدقيق من أجل الحقيقة وحياد ، وإحساس بمسؤولية المؤرخ تجاه قرائه ، مما اسهم بقدر كبير في منح صفة الديمومة لتاريخه ، ولم يكن نجاحه عفويا ، فقد توقع دوام عمله ، فكتب للذرية بوضوح : « نحن لا يهمنا كثيرا ما سيكون انتقاد الاجيال المقبلة لنا ، كما لن نهتم أيضا للحكم الذي سيصدر على اسلوبنا »(٩) .

ولن يدهش إذا عرف أن قراءته ما زالت مستمرة طيلة ثمانية قرون بعد وفاته ، وبالنسبة لمؤلف الموجز من جانب آخر ، يبدو أن الخلود الأدبي لم يكن بعيدا عن فكره ، ومن الواضح أن العمل وسيلة لغاية . أعني نشر المعلومات ومن الواضح أنه لم يكن لدى المؤلف وعي بذاته ككاتب بالمرة .

وهذا تعارض مباشر مع وليم ، الذي ذكر نفسه بتواضع أسقفي كاف ، عند كل النقاط ذات العلاقة ، وكثيرا ما حلل احساسه الخاص لنا بطريقة تغرينا بأن نرى فيه نذيرا متبصرا يتطلع الى الامام .

والآن لا يتوقع المرء بالضرورة مؤلفا قصده تكميل عمل رجل آخر كي يقلد محاكاة أسلوب ذلك الرجل بشكل مطلق ، ولكن المرء يتوقع أن يكون اختيار المادة دقيقا ومناسبا ، لتفادي التمييز القوي بين الشطرين ، للادعاء على الأقل بالتماثل ، وباختصار يتوقع المرء محاولة صغيرة للمعارضة ، والموجز لايفعل شيئا من ذلك ، وفي الحقيقة إن المؤلف لم يذكر حتى تاريخ وليم عندما تكلم عن وليم ، وإذا كانت المسألة مسألة تفاخر المؤلف فإنه لغريب بشكل خاص أنه لم يفعل ، فمؤلف الموجز يعجب بوليم ، لكن هذا الاعجاب العفوي من الصعب الحكم على مقداره أو على مقدار الحكمة فيه : والسياق الذي ذكر فيه وليم هو سياق الظروف الغامضة لانتخاب هرقل بطريركا لبيت المقدس في ١١٨٠ ، وجهد كي يوضح ليس فقط تفوق وليم الاخلاقي الذي لا يذكر على هذا الاسقف الفاسق ، بل أيضا كان هو نفسه في جانب الحق في هذا الامر ، ووصفه لوليم مؤيد بلا تحفظ ، ولكنه غير مبالغ فيه كثيرا بشكل يجعل منه نفاقا واضحا :

'Li archevesques de Sur ot a non Guillaumes, et fu nés en Jherusalem, et ne savoit on en Crestiienté mellour clerc de lui, a son tans. (١٠)

ولا بد أن هذه كانت اللحظة المناسبة لاضافة أن وليم كان مـؤلف التاريخ ، فإذا كان هو نموذج مؤلف الموجز والهامة فمـن الصـعب تصديق أنه لم يكن ليضيف ملاحظة الى هـذا الواقـع هنا ، ويؤدي صمته حتى بالمرء الى التساؤل فيمـا إذا كان في الحقيقـة قـد عرف تاريخ وليم بالمرة ، وبالتأكيد واضح أنه لم يكن حاضرا في ذهنة .

وكل حجج كراي من أجل تسمية أرنول منيلا لتاريخ وليم ، تقوم بالطبع على افتراض أن موجز ١٢٢٩ كما هو قـائم ، هـو تـاريخ أرنول وكما رأينا(١١)إن قضية تصديق أن الموجز نفسه قد كتب كذيل للتاريخ ، هزيلة الغاية ، لكن هل هناك امكانية للاعتقاد بـأنه ليس الموجز بل مصدره « × » هو الذي كتب نيلا شروعا من سنة ١١٨٥ عندما « أرسلت ملكة طرابلس » وقد استعمل هكذا من قبل مصنفي الهرقليات ، ولكنه تكيف بصور مختلفة من قبل مصنف الموجز ؟ فلو كان الأمر كذلك ، لتوجب تمييز انقطاع واضح في تنقيح الموجـز عند النقطة التي أفترض أن المصنف قد أتم فيها مدخله الخاص ، وبـدأ بعملية نسخ × ، مختصراً إياه في هذه العملية ، وبكلمات أخـرى لا بد من وجود بعض الفروق التي يمكن ملاحظتها بين الفصول التسع والنصف الأولى من الموجز ، التي يفترض أنها من عمـل المصـنف الخاص ، والبقية من جملة « وأرسلت ملكة طرابلس » وما بعـدها استمدت مثل الجزء المماثل في تاريخ هرقل ، من التـاريخ الأصـلي لأرنول أي « × » .

وفي الحقيقة إنه عند النظرة الأولى نرى أن الفصول المبـكرة مـن الموجز تعطي الانطباع بكونها مركبة بصورة مختلفـة نوعا مـا عن بقيته وعن النيول بالذات . في حين أن النيول والموجـز بعـد ١١٨٥ هي تقريبا حكاية تاريخية صريحة ، والفصول التسـع الأولى مـن الموجز مختلطة جدا في محتواها ؛ على الأقـل عند القـراءة الأولى ، حيث تعطي القارىء انطباعا بعدم التنظيم وعدم الوحدة ، ولكشـف إذا ما كانت كيانا مستقلا بذاتها ، أو إذا كان لهـا بعض الروابـط ببقية الموجز وبالنيول ، من الضروري بناء عليه أن نفحص بدقة أكبر

مم تتكون بالضبط تلك الفصول المبكرة ، وإذا أمكن ، ماهي مصادر المادة ؟

وتقع محتويات هذه الفصول المبكرة من الوجز في أربع زمر عريضة : مقتطفات توراتية ، وأوصاف جغرافية ، ومادة أسطورية وتقليدية ، وتاريخ حقيقي .

وتختلف المادة التوراتية كثيرا جدا في الاتساع والتفصيل ولاتتعدى بعض الامثلة أكثر من إشارات عابرة إلى قصص توراتية ، كثيرا ماكانت حوادث مرتبطة بمكان ما في الأرض المقدسة قام المؤلف بوصفها ، ولكن أخرى كانت طويلة وربما قريبة من الكتاب المقدس ، كلا العهدين القديم والجديد ، وعرف الكاتب بالتفصيل على الاقل أجزاء من كل الأناجيل الاربعة (مع أنه لم يقم بأي إشارة نصية إلى أي رسالة إنجيلية) (١٢) وعرف من كتب العهد القديم وأسفاره : الخروج ، والعدد ، ويوشع ، ويهوديت والكتابين الثالث والرابع من الملوك . (١٣) .

ومقتطفات العهد الجديد ذات معالجة دقيقة جدا بالفرنسية عن الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس ، مع بعض الاضافات ، عادة حوار ، بطريقة مفعمة بالحيوية وقصص العهد القديم على أي حال ، في الحقيقة مستمدة من مصدرين : العهد القديم وأعمال فلافيوس يوسيفوس ـ واستمد المصنف كثيرا ، من العصور القديمة ، ومرة واحدة من الحرب اليهودية عند يوسيفيوس ، وهكذا على سبيل المثال قصة أبناء اسرائيل الذين عبروا البحر الأحمر ، وهي بوضوح قائمة على الرواية الواردة في سفر الخروج ١٤ وليس على تلك التي أعطاها يوسيفيوس (١٤) بينما قصة اليشع لسد المياه (١٥) ، ممكنة التشبيه بفاتحته ، وغير موجودة بالكتاب الثاني من أسفار الملوك الاربعة وهي تكييف للكتاب الرابع الفصل ٨ قسم ٣ من الحرب اليهودية .

والحالة الهامة بشكل خاص هي حالة ابراهيم من قصة وجدت في الفصل ١٨ / ١ من سفر التكوين : « وتجلى له الرب في بلوط ممـرا وهـو جالس بباب الخباء عند احتداد النهار » وتتحول هذه في الموجز إلى

'Abraham se seoit desous un arbre qui avoit a non Mambré,'

وهكذا أضاف ماس لاتري كلمـات على أنهـا ضرورية للمعنى ، وجعل الجملة ترجمة صـحيحة للفصـل ١٨ / ١ مـن سـفر التـكوين (١٦) وفي الواقـع إن لدينا هنا تـرجمة ، لأنواع مـن يوسيفيوس مره أخرى (العصـور القـديمة ١٠ ـ ١١ ـ ٢) : « إلى جانب بلوط ممرا عند بـاب خبـائه » (١٧) وتنقيح مـاس لاتري تنقيح فائض . وقد حصل المصنف على أشياء خاطئة بشـكل طفيف جدا ، فقد اعتقد بالتأكيد أن ممرا هـو اسم الشجرة . وابتعاده البالغ الصخب عن النص ورد أيضا في هذه الفقـرة ، كان له هـدف واضح . ذلك أن نص الترجمة اللاتينية للكتـاب المقـدس عند هـذه النقطة غريب قواعديا :

سفر التكوين : ١٨ / ١ ـ وتجلى له الرب في بلوط ممـرا وهـو جالس بباب الخباء عند احتداد النهار .

سفر التكوين : ١٨ / ٢ ـ فرفع طرفه ونظر فإذا ثـلاثة رجـال وقوف أمامه ، فلما رآهم بادر للقائهم من باب الخبـاء وسـجد إلى الأرض .

سفر التكوين : ١٨ / ٣ ـ وقـال : ياسـيدي إن نلت حـظوة في عينك فلا تجز عن عبدك .

وهذه فرصة يجب عدم تفويتها لتفسير نمط العهـد القـديم مـن الثالوث المقدس ، وأفاد منه المصنف استفادة كاملة :

'Tout si que il vint pries de lui si l'aoura. En l'aourer qu'il fist s'en vit .iii. Un en vit et .iii. en aoura; li .iii.

estoient en un, et li uns estoit en .iii., et tout en une personne.
Il li proia qu'il herbergast aveuc lui . . (١٨)

وفي أمثلة أخرى لاتوجد التفاصيل التي أعطاها مؤلف الموجز في العهد القديم ولافي يوسيفيوس . ولم تحسن القصة دائما ، وفي الحقيقة إنها تبدو أحيانا غير قادرة على التفسير إلا كتفصيل لامسوغ له ، ورواية الموجز حول حصار السامرة في زمن اليشع على سبيل المثال هي أداء دقيق للرواية في أسفار الملوك الرابع : ٦ ، مع تفصيل واحد مضاف غير موجود في النص الأصلي بالمرة .

Quod cum audisset rex, scidit vestimenta sua, et transibat per murum, viditque omnis populus cilicium quo vestitus erat ad carnem intrinsecus. Et ait rex: Haec mihi faciat Deus et haec addat, si steterit caput Elisei, filii Saphat, super ipsum

Dont fu li rois si dolans qu'il descira ses dras, *et se laissa caoir de son cheval a tiere* et manda par .i. sergant Elyseu le prophete pour ocurre, pour che que c'estoit avenu a son tans. (١٩)

وهذا بحد ذاته غير محتمل ، وهو على الأقل لايتواءم مع بقية القصة كتفصيل ، وهو في الواقع يجعلها بالأحرى لامعنى لها ، ولايمكن أن ينظر إليه كسوء ترجمة للأصل ، ولايمكن أن يرى تفسيرا خاطئا للأصل ، وهذا في الواقع تفسيرا آخر أشد غرابة .

(Genesis 18: 1): Apparuit ei Dominus in convalle Mambre sedenti in ostio tabernaculi sui in ipso fervore diei.

(Genesis 18: 2): Cumque elevasset oculos, apparuerunt ei tres viri stantes prope eum; quos cum vidisset, cucurrit in occursum eorum de ostio tabernaculi, et adoravit in terram.

(Genesis 18: 3): Et dixit: Domine, si inveni gratiam in oculis tuis, ne transeas servum tuum.

هل من الممكن أن يكون المصنف قد أخطأ قراءة يوشع ٦ : ١

autem clausa erat atque munita', as 'clausa erat magne', or as 'clausa erat atque magnetica'?

حيث أن مفرداته في الترجمة لها حدودها حسبما تأكد ذلك في أماكن أخرى ، فبعدما اخبر حمار بلعام ، بلعام أن الملاك يسد ممرهما ، قام بالفعل بالعودة ، وهذا شيء لم يرد حدوثه لافي العهد القديم ولا عند يوسيفيوس (٢٠) ، والمخرج هنا هو ان المصنف ربما اقدم على إضافة هذه التفاصيل من عنده معتمدا على ذاكرته ومستمدا منها مما كان قد قرأه في وصف ما لمدينة لها في بنائها مثل مدينة نربونة :

Aymeris fet soner .xxx. olifans,
Bondir en fet Nerbone la plus grant,
La mestre tor et lo dur aymant.(٢١)

وبصرف النظر عن يوسيفيوس والتوراة ، هناك عدد من الاقوال ترجع إلى تقاليد مصدقة كثيرا ، على سبيل المثال تعريف سبسطية بأنها مكان دفن يوحنا المعمدان ، ويهوشافاط على أنه مكان دفن سيدتنا وأشياء أخرى كثيرة من مثل هذه التعاريف المتعلقة تقليديا بأمكنة في فلسطين كمسرح لهذا الحدث أو ذاك ، وفي الحقيقة إن معظم المادة التوراتية ممزوجة مع الاوصاف الطبوغرافية لفلسطين ، وهكذا فإن ذكر أريحا يستدعي ذكر مكثف لقصة يوشع ويشكل أيضا استطرادا مضحكا حول عادات أفاعي معينة أكد المؤلف أنها تعيش في تلك المنطقة (٢٢) ويبدو أن تحديد الموقع كان من اختراعه هو ، ولكن المعلومات عن الافاعي استمدها من كتاب « أصول الكلمات » لايزيدور الاشبيلي (٢٣) وأعطي الموقع نفسه لهذه الأفاعي في كتاب جاك دي فيتري « الكتاب الشرقي » (٢٤) ولكن هذا لايمكن أن يكون مصدر الموجز ، مادمنا تاركين جانبا المسألة التي نوقشت مطولا ، والتي تتعلق بتأريخ الموجز ، الذي يعطي معلومات غير موجودة لدى جاك دي فيتري ، فهو يقول عن الناشر (الصل المصري) وهو أفعى صغيرة سامة إنه يستخدم لصنع الترياق ، في حين أن الموجز به أيضا قطعة أخرى من المعلومات التي يعطيها ايزودور ، هي أنه يتجنب الأسر بنصب أذنية ، والاخيرة قصة شائعة جدا ، أصلها في المزامير : ٥٧ / ٥ ـ ٦ ولاتوجد فقط عند ايزودور والموجز ، بل أيضا مثلا في المؤلف الرمزي عن الحيوانات لفيليب دي ثاؤون الذي حصل عليها من ايزيودور ، الذي استغل تماما إمكانياته الرمزية ، (٢٥) وبالنسبة لمصنف الموجز يبدو مؤكدا من النصوص ، أنه لايمكن ان يكون قد حصل عليها من أي مكان إلا من عند ايزودور ، وأن موقع الافاعي في أحواز أريحا ، هي فكرته هو ، ويحتمل أنها في الحقيقة مقلدة من قبل جاك دي فيتري ، كما

سوف نرى عندما يصبح تاريخ تأليف هذا الجزء من الموجز ، أكثر وضوحا .

والأوصاف الطبوغرافية ذاتها كانت موضوعا لكثير من البحث ، الذي تأوج في الطبعة التي حققها ميشلان ورايدود مع مقدمة راينت (٢٦) ، ويستنتج راينت أن وصف الجليل هو العمل الأصلي لأرذول نفسه ، في حين أن وصف بيت المقدس هو توسع في النص الأقدم الذي احتفظ التاريخ بجزء منه في تنقيح مختلف .

ويجب أن يؤخذ في الحسبان بالطبع أنه عندما كتب راينت هذا ، في ١٨٨٢ ، اعتقد بأن الموجز بحد ذاته كما حققه ماس لاتري قبل ذلك بإحدى عشرة سنة ، هو تاريخ أرذول وعليه يكون من المناسب أن ننقح أطروحته في ضوء الفصل السالف ، والقول بأن وصف الجليل كما هو في الموجز ، ليس له مصدر مكتوب باق ، ولايمكن لمصدر مفقود أن يخمن ، لكن مصدرا مكتوبا مفقودا يمكن تخمينه في حالة وصف بيت المقدس ، بمقارنة الرواية الموجودة في الموجز بتلك الموجودة في التاريخ ، وبكلمات أخرى يمكننا أن نعدل نسبة راينت لوصف الجليل إلى أرذول بالقول بأنه عمل المجهول الذي كتب هذا الجزء من الموجز ، ومن المناسب أن يضاف هنا أن الشخص نفسه هو الذي صنع أيضا المقتطفات التوراتية والمقتطفات المأخوذة من يوسيفيوس وايزودور ، لأنها بصورة لامفر منها تتخلل وصف الجليل ، وكثيرا مايكون ذلك إلى حد أن الحدث المروي من التوراة أو من يوسيفيوس ، هو المعلومات الوحيدة المعطاة حول المكان موضوع الوصف ، ولايمكن أن يكون هناك تساؤل عن وجود سالف لوصف طبوغرافي موسع مأخوذ من الكتاب المقدس والتقاليد ، لأن مثل هذا النص لم يكن له أن يقف بذاته ، وفي الحقيقة إنه لصعب وجوده بالمرة ، بصرف النظر عن الرسوم الشارحة التي تتكون منها في الواقع في أقسام كبيرة .

والشيء نفسه ، غير صحيح بالضرورة بالنسبة للاجزاء التاريخية

الدقيقة لهذه الفصول المبكرة ، مع انها متداخلة كثيرا مع الانواع الاخرى من المادة التي وصفناها توا ، ومن الممكن استخلاصها وان يشكل منها حكاية مستقلة ، مع ان هذا سيكون هزيلا جدا ، ومع أن فصلها هكذا عن النص المحيط بها سينطوي على فعل عنيف جدا بالموجز كما هو قائم ، والفصل الذي لايمكن تحقيقه هو بين هذا الجزء من الحكاية التاريخية والقسم الذي يتمركز على حطين وسقوط بيت المقدس ، هو العمل الفني التاريخي ، الذي يحقق القصد المحدد للمؤلف ، ليخبر قراءه كيف سقط الصليب المقدس وبيت المقدس في بيت المسلمين . وكحكاية تاريخية هو متجانس بشكل ملحوظ لان التفاصيل التي يعطيها تختلف بقدر كبير فهي تتكون في البداية في مجرد الماعات ، ولكنها تصبح بشكل ثابت أكثر تفصيلا حتى اوائل الثمانينات من القرن الثاني عشر عندما يمكن ان يقال انها تخوض في الاحداث المركزية التي تتعامل معها ، لتصبح تاريخيا صحيحا اكثر منه موجز ظهر انه اصليا ، على الاقل لايمكن تعقب اي مصدر له وانه ليس كما اكد كراي ملخص تاريخ وليم ، فان اجزاء كبيرة منه هي بالطبع روايات موجزة لحقيقة يمكن ان تكون مأخوذة من وليم (على سبيل المثال ، زواج عموري وماري كومينا) [٢٧] وكثير مما لايوجد بالمرة في وليم (مثل ، تاريخ حياة جيراردي رد فورت واعماله) [٢٨] وغطى بعضها الساحة نفسها واعطى رواية مختلفة تماما عن رواية وليم .

وهكذا على سبيل المثال ان روايته كل منهما المتعلقة بتأسيس طائفة فرسان المعبد لاتشبه بعضها بعضا في ادنى حد [٢٩] .
ويحتمل ، مع عدم القدرة على البرهنة ان عمل وليم المفقود « تاريخ اعمال امراء الشرق » قد قدم المادة للفصول المبكرة عن حياة صلاح الدين وصعوده للشهرة ، ولكن تاريخ وليم ليس المصدر لبقية التاريخ.

وفي حالة عدم وجود اي عمل يمكن تعريفه على انه مصدره ،يجب ان نفترض انه عمل اصلي مستوف باستعارات ليمكن تحديد هويتها ، من اماكن اخرى ، اعني من ايزودور ، ويوسيفوس ،

والتوراة ، والوصـف مجهـول المؤلف لبيت المقـدس ، الذي رسـخ راينت كونه مأخوذا من عمل أبكر ومكيف جزئيا (٣٠) .

وليس ممكنا ان يتحرى في هذا الجزء من الموجـز اي انقـطاع في المادة او الطريقة مثل ما اكتشفنا في النصوص في ١١٩٧ ، وبصرف النظر عن التغير في المشهد ، مثلا مـن بيت المقـدس الى بيزنطـة او القاهرة حسبما كان يتطلب الموضوع ، فان الترتيب الزمني متتـابع بدون انقطاع ، خلافا للترتيب الزمني للاجزاء التالية من الموجز ، او من الذيول ، لتلك المادة ، حيث تتحـرك رجـوعا وقـدما بـاسلوب مشوش وغير منظم ، كثيرا مـايكشف عن مجـرد نقص في مهـارة التأليف اكثر من ان يكون تنقيحـا فنيا متعمـدا ، يسـمح بتغيير في الموضوع واسـتيفاءات للحـكاية الصـحيحة مـن مختلف العناصر الاخرى ، التي سبق تحليلها ، ويعـطي التـاريخ انطبـاعا بـوحدة الرواية حيث تبدو كلها كقطعة واحدة مـع القسـم الذي يذكر ارنول بالاسم ، وكلها تتحرك في اتجاه تلك الاحـداث التـي كان حـاضرا فيها ، متطلعين اليها ومهيئين ايانا لتقدير الفـاجعة تمـاما عندمـا ترد ، وكون هذه هي في الواقع الحالة امر يمكن بيانه ، وهو امر بالغ الغرابة عند مقارنة الموجز مرة اخرى بالذيول ، اذ مع انهم ظـاهريا لايعالجون هذه الفترة ، قبل ١١٨٤ ، سوى من خـلال تـرجمة وليم لدى ذكره بعض الروايات المتداخلة في حكاية الاحداث التالية ، هناك ايضا ثلاثة اقسام في تلك الفصول الافتتاحية من الموجز .

وهذه الاقسام الثلاث كلها مـرتبة زمنيا في الموجـز ، ولكنهـا في الذيول تعمل كقواطع للتسـلسل التـاريخي ، وفي كل حـالة اختـار مصنفوا الذيول فقرات تتعامل مع الاحداث التي كانت ضرورية لفهم واضح للاجزاء التالية في التاريخ ، وهي معالجة بصـورة غير وافية او لم تعالج بالمرة من قبل وليم الصوري ، وهكذا فان تاريخ « زواج سيدة البترون والمحاولة المجهضة التي قام بها جيرار دي رد فـورت وريموند كونت طرابلس» (٣١) ، بالضبط توفر السبب نفسه لذكر هذه القصة على انها كانت عاملا مسـهما في ضـياع المملكة ، وقـد

اعطي من قبل مصنف الموجز ايضا (٣٢). ومثل هذا انتخاب هــرقل بطريركا لبيت المقدس ، وحياته الماجنة ، ووصف باسل دي ريفيتــي «البــطريرك » مثبــت في « ا.ب »و« د » وفي « غ ج » هـــذه المرة ايضا ، (٣٣) لتبيان ممر خلال الحركات العســكرية في حــطين ، قاطعا العمل بصورة غيرموائمة وبشكل بــالغ الاربــاك ولكنه يخــدم الغرض نفسه ، وهو توفير تفسير ضروري جــدا لمســألة لماذا خسر المسيحيون :

> nation of why the Christians lost: 'Dont toz li clergés en prenoit mauvais eissample a la vie dou mauvais cheveteine; por les pechez des quels Nostre Seignor se corroça moult durement a ceauz qui habitoient en Jeruşalem et ou roiaume de Surie et netoia sa terre de ceauz qui le peché ovroient. (٣٤)

والقطعة الثالثة من المادة المقحمة بهذه الطريقة هــي قســم مــن التاريخ البيزنطي ، الذي لم يغطه وليم بقدر كاف ، والذي وضع على نحو موائم في المحــل المناســب لدى الحــديث عن دفــاع كونراد دي مونتفرات عن صور ، ومرة اخرى من الضروري اعطاء القارىء هذه الخلفية اذا كان له ان يفهم بشكل صحيح الحالة التــي كانت علهــا السياسة البيزنطية في ايام اقامة كونراد الجبــرية في القســطنطينية وهربه ، وحقيقة انه بناء عليه وصل الى فلســطين متــأخرا جــدا ، عندما كانت المملكة بكليتها تقريبا قد اصــبحت في يد صــلاح الدين ، والملك غي لوزنغنان اسير لدى المسلمين ، لان جزءا من هذا القســم « غ.ح » اعطت الحكاية نفسها كما هي موجودة في نقطة ابــكر ، في الموجز ، في حين ان الذيول الاخــرى اعطــت رواية اكمــل الا انهــا ليست باي طريقة رواية متناقضة في كل اجزائها (٣٥) .

ولاتتركنا هذه المقتطفات بالمرة في شــك حــول حضــور « x » على الاقل في بعض الحكاية التاريخية لما قبل سنة ١١٨٤ ، الموجودة في الموجز . ولم تستمد الذيول هذه الاقســام مبــاشرة مــن الموجـــز واقحمتها في حكاية مصدرها المشترك ، لان لها دائما تقــريبا رواية

اكمل مما لدى الموجز نفسه . ونصيا يمكن المرء فقط ان يفسر هــذه الاقسام في الموجز والذيول على انها تكيفات مختلفة لمصدر مشترك ، بين فيها كل نص معــالجته المميزة الخــاصة للمصــدر : الموجــز يلخص ، و« د » يحتفظ كما في رواية وصــول كونراد الى مشــارف عكا (٣٦) ، وتفسير موضوع الجرس الذي كان يتوقع ســماعه ، وهكذا دواليك . وباختصار ، ان هذه الاقسام الثلاث على الاقل لابد انها كانت في x وإنه لمن المعقول تخمين ان بعض الباقي على الاقــل من المادة التاريخية الموجودة في الفصــول الافتتــاحية للمــوجز قــد استمد ايضا من x ، من قبل مصنف الموجز ، وفي الواقــع طــالما ان الحكاية تشكل كلا متجانسا بشكل ملحوظ في قسمه ، كما لاحــظنا من قبل ، وتؤدي بشكل مباشر الى داخل القســم الذي يســمى فيه ارنول دون اي انقطاع ملحــوظ او تغيير في التنقيح ، مــن المعقــول تأكيد انه ليس هذه المقتــطفات الثــلاث فقــط ، بــل كل الرواية التاريخية التي تنتهي اليها اتت من تاريخ ارنول .

وماذا بشــأن المادة الأخــرى في الفصــول التســع الأولى ، أي الاوصاف الجغرافية والمستخلصات التوراتية ، والنقول بتصرف من يوسيفوس وايزودور ؟ وطالما أنه يمكن فصلها بشــكل ملمــوس عن الحكاية التاريخية الأصلية ، لا يمكن بالضرورة افتراض أنها هــي أيضا أتت من x فقد استطاع مصنف الموجز بشكل جيد اقحامها في التاريخ ،ربما بقصــد اخــراج رواية أكثــر تنوعا ، مــع اغراء أوسع ، ولقد باتت حقيقة اقتطاعه لمصدره الى درجة كبيرة غالبا ما أضعفت الأهمية التــاريخية لعمله بشــكل كبير ، واضــحة بــدرجة كافية ، حتى أن القيمــة المعلومــاتية الصرفــة لعمله لم تــأخذ عنده أولوية على جاذبيته لجمهور عريض ، مثلمــا لدى المهتــم في أيامنا بالتأريخ للحروب الصليبية ، وفي حين أن التاريخ الصــحيح ينتمــي لارنول ، فإن الباقي يمكن أن ينتمي الى مصنف الموجز .

فهل كانت هذه هي الحال ؟ مهما يك من أمر إن المرء يتــوقع أن يجد أن حكاية الذيول الصحيحة كانت تاريخية صرفة ، وهذه ليست

الحالة ، وإن المادة غير التاريخية في الفصول التسعة الأولى من الموجز موجودة فقط بالطبع في ذلك النص ، ولكن كل القصص التوراتية التي جاءت في الموجز بعد جملة « وأرسلت ملكة طرابلس » وهي بركة سلوان ، وصوم اليشع ، وبناء سليمان للأمكنة المرتفعة وقصة بلعام موجودة في النيول الصحيحة أيضا (٣٧) وفي الواقع إن النيول أيضا تحوي قصة أخرى من النوع نفسه ، وهي قصة جدعون وهو منكب على جز الصوف (٣٨) ومرة أخرى كما هو في حال ما قبل ١١٨٤ من الاحداث الموجودة في كل من الموجز والنيول ، ليس هناك خلاف حول استعارة مصنفي الهرقليات هذه القصص مباشرة من الموجز ، لأن الهرقليات لديها مرة أخرى من روايات « أ ـ ب » و « د » اقتباسا أكثر دقة ، وعادة أكمل من العهد القديم أو من يوسيفوس مهما تكن الحالة ، مما لدى الموجز ومرة أخرى فإن التفسير الوحيد الممكن هو أن المصدرين نقلا واستفادا مستقلين من مصدر مشترك ، ومرة أخرى نحن مضطرون لاستنتاج أن الاقتباسات من يوسيفوس والتوراة الموجودة في كل من النيول والموجز كانت موجودة في × ، ومرة أخرى يمكننا أن نخمن أن المادة الاخرى من النوع نفسه الموجودة في الفصول التسعة الأولى من الموجز قد استمدها مصنف الموجز من القسم من × الذي أخذ منه مصنف الهرقليات فقط الخلاصات التاريخية الثلاث المذكورة اعلاه (٣٩) ، وطالما انه قد سبق لنا ان عرفنا × على انه تاريخ ارنول الأصلي ، يجب الآن أن نأخذ بالاعتبار كيف توصل أرنول لأن يعرف التوراة بمثل هذا التفصيل ، وأيضا أعمال يوسيفوس وايزودور .

وليس بالضرورة أن يكون قد عرف اللاتينية فغالبا ما توفرت شرائح مترجمة الى اللغة الدارجة من ايزودور ويوسيفوس في مصنفات تلك الفترة ، ولنأخذ على سبيل المثال عمل جاك دي فيتري وفيليب دي ثاؤون اللذان ورد ذكرهما من قبل ولكن طالما أنه ليس هناك بينة إيجابية على تكوين مثل هذا النص الذي كان يحوي بدقة النقول التي استخدمها أرنول ، فإن هذا الاحتمال يجب أن يبقى تخمينا ، ويجب أن نفترض حتى يمكن اثبات العكس ، أن أكثر

التفاسير وضوحها صحيح ، وأن استعارات من يوسيفوس وايزودور أتت من أصل لاتيني (٤٠) .

ومن أجل النقول من الكتاب المقدس ، خاصة نصوص العهد القديم ، تتوفر لدينا اشارات أكثر تحديدا ، فكل أسفار العهد القديم التي استخدمها أرذول موجودة أيضا في الترجمة باللغة الدارجة المعروفة باسم توراة عكا ، وأقدم مخطوط لهذا النص هو « أرسنال ٥٢١١ » ، وقد أعد من أجل القديس لويس ويمكن أن تكون نسخ أقدم من النص نفسه ، أو على الأقل أجزاء منه كانت متداولة جيدا قبل هذا التاريخ ، وكانت عكا جغرافيا داخله بشكل محكم في مجال أرذول ، وطالما أن لدينا نصا باللغة الدارجة يوفر كل الأجزاء الصحيحة من العهد القديم ، في المكان الصحيح في نحو الزمن الصحيح سيكون من الخطأ افتراض أن أرذول بالضرورة قد استعمل الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس ، إلا أنه هذا يترك النقول من العهد الجديد بحاجة الى تفسير ، وهنا مرة أخرى نتراجع الى التخمين ، ويمكن أن تكون جميعا قد جاءت من حياة المسيح ، وهذه شاع وجودها في تراجم التوراة الى اللغات الدارجة ، ولكن في هذه الحالة لا توجد بينة ايجابية حول توفر مثل هذا النص ، كما يوجد في حالة توراة عكا ، ويمكن أن نعتبره ممكننا تماما ، وحتى محتملا ، إنه لم يكن هناك شيء متوفر ، ولكننا لا يمكن أن نستبعد الاحتمال المعاكس ، أن أرذول أخذ مباشرة من الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس ، وطالما أن الأمر يبدو هكذا ان هناك على الأقل فرصة جيدة لأن يكون أرذول كان على معرفة باللاتينية ، ويجب أن نضيف هذه السمة لصورتنا العقلية عنه ، ويمكن بالطبع أنه كان لديه كاتب يدون ما يملي عليه ، ترجم له النصوص المناسبة ، ولكن يمكن بالدرجة نفسها أن يكون قد فعل ذلك بنفسه .

وبناء عليه رؤي بوضوح أن كل عنصر من الفصول الافتتاحية التسعة من الموجز غير خاص بهذه الفصول ، وكذلك الحال أيضا في بقية النص ، وفي مصنفات الهرقليات أيضا ، وليس هناك انقطاع

ملموس في نص الموجز بين الاجزاء المبكرة والمتأخرة ، وفي أقسام الجزء المبكر الذي يمكن أن نقارنه بالهرقليات لأن مصنفي الهرقليات قد نقلوا أقسام تتبع الجزء الابكر من مصدرهم المشترك × ، ويمكننا أن نلاحظ ان مصنف الموجز قد قام بثبات بتقطيع مصدره ، وحذف قطعا أحيانا (مثل قصة جدعون) ، ولكنه لم يضف مطلقا شيئا ماديا ، بقدر ما يمكن أن نرى ، ويجب أن نستنتج أن قسم ما قبل ١١٨٤ من × ممثل مع المحذوفات ولكن بدون إضافات بوساطة الفصول التسعة والنصف الأولى من الموجز كما حققه ماس لاتري ، حتى أنها بدات ، مثل الموجز بملخص سريع لتاريخ المملكة اللاتينية من تأسيسها الى أواخر القرن الثاني عشر ، وأنها حوت - وكذلك التاريخ الصحيح -الخليط نفسه من المادة المرتبطة ونصف المرتبطة مثل بداية الموجز ،وبكلمات أخرى نجد في الفصول التسعة الاولى من الموجز إخراجا مصغرا للجزء المبكر من تاريخ أرذول ، ومحتويات هذه الفصول إن لم تكن من عمل عالم فإنها على الاقل من عمل رجل واسع الاطلاع ، وهذا هو أرذول الذي وصفه فيليب دي نوفار بقوله :

'. . . messire Harneis et messire Guillaume de Rivet le joune, qui moult estoient grans plaideors(٤١)

والذي رآه ماس لاتري: . . . aussi apte, comme la plupart des chevaliers des Assises, a dicter un livre qu'à soutenir une discussion féodale(٤٢)

وتحديد هوية المصادر التي استعملها أرذول قد برهن على أن ماس لاتري مرة أخرى أنه متبصر حقيقي ، لانه وضح لنا أن الكتاب الذي وضعه أرذول كان عملا أكثر علمية ، وأكثر أناقة ، وكل متماسك اكثر مما أمكن لماس لاتري - مع البينة التي توفرت له في زمانه احتمالا - أن يعرف وبالتفكير في المناسبة المفجعة في ١٢٣٢ حينما ترك أرذول متوليا لامور قبرص فأظهر عدم كفاءة عسكرية بإخفاقة في تموين قلعة « رب الحب » واوشك أن يتسبب في مقتله هو ، ومقتل أخوات الملك اللائي كن تحت

رعايته ، مما يجعلنا نستنتج بشكل جيد أنه كان في الواقع موهوبا بالعلم اكثر بكثير منه بميدان السيف (٤٣) ، وبالتأكيد إنه بين مؤلفي يومه يبرز ببراعته الخاصة .

وهكذا فإن تاريخ أرنول ، كعنصر بين الكثير ، يظهر من بين المواد الخام المصنفة لمختلف التواريخ الفرنسية لمجموعة وليم الصوري ، وبجمع القطع المختارة من كل جانب نستطيع في النهاية أن نعيد تركيب عمل أرنول ، وهو عمل مثقف بصورة غير متوقعة في مصادره ، إلا أنه في تصنيفه متحرر على نحو مرض من قيود التقاليد ، ويمكننا أن نلخص بنيته بإيجاز هكذا :

ـ البداية حتى ١١٨٥ : الفصول الثمانية الأولى ، من الفصل التاسع ، من الموجز كما تظهر في طبعة ماس لاتري ، حتى الكلمات 'li enfes furst d'eage' (م . ل ـ ص ١١٦) ولكن مخطوط القديس أومر ٧٢٢ (أوراق ٤ ظ ـ ٢٦ ظ) الذي لم يكن معروفا لماس لاتري ، يجب أن يستعمل مرجحا على أصله المخطوط (بروكسل ١١٤٢) وأيضا على المختارات الثلاثة المأخوذة من« x» من قبل مصنف الهرقليات وهي روايات أكمل من الأقسام المقابلة في الموجز ، التي لابد أنها أخذت من مخطوط ليون ٨٢٨

وتشكل هذه الأقسام في طبعة الأكاديمية الفصول ١١ ـ ١٦ و ٢٤و ٣٨و ٣٩ من الكتاب ٢٣

ـ ١١٨٥ ـ١١٩٧ : من جملة « وأرسلت ملكة طرابلس » حتى نهاية الكتاب ٢٧ الفصل الخامس من طبعة الأكاديمية ، من مخطوط ليون مخطوط القديس أومر ٧٢٢ قبل رواية حصار بيت المقدس مباشرة (أوراق ٣٩ ـ ومايليها) يجب أن يضاف عند النقطة نفسها ، والأقسام التي سبق أخذها من المخطوط « د » وأعيد وضعها في ترتيبها الزمني الصحيح (أي ٢٣ ـ ١٦ ، ٣٤ ـ ٣٩) يجب حذفها بالطبع .

ويحتمل أيضا أن يتوجب على المرء أن يدخل في إعادة التركيب هذه في المواضع الدوائمة الاقسام الواردة في تاريخ بلاد ماوراء البحار والمتعلقة بحروب صلاح الدين ضد ملك النوبة (٤٤) فالبينات الموجودة حول النص الحاوي لها وحده توحي أنها كانت موجودة في «x» ولكن هناك بينة أدنى بكثير حولها مما حول بقية نص اعادة البناء ، وعليه لا يجب بالتأكيد أن تضمن دون تحفظات على الاقل حتى يعرف المزيد عن تاريخ بلاد ماوراء البحار في المخطوطين الباقيين .

وما توصلنا اليه هكذا لايدعي بأنه حرفيا التاريخ الذي وضعه أرذول 'fist metre en escrit'. أو حتى «د» و هو أقرب نص إلى تاريخ أرذول الأصلي ، ما يزال تصنيفا ، وإعادة اخراج لأرذول وليس أرذول نفسه ، لكن أين هو اقترابه من الأصل أكبر وأين هو أقل لايمكننا القول ، و الذي يمكننا قوله هو أنه أفضل اخراج متوفر ، ومثل هذا إن الموجز ، في الأقسام التي يمكن مقارنتها بالنيول ، من الواضح أنها قد اختصرت مصدرها «x» بقدر كبير ، ويمكننا أن نستخلص بأن الفصول المبكرة الشائنة في الموجز هي بالقدر نفسه من التأكيد خلاصة أكثر منها نسخة عن الفصول المقابلة في « x » وهكذا إنها تزودنا بظل ، وليس بصورة لهذا القسم من «x» ولكنه مرة أخرى هو أفضل إخراج ، والوحيد في الواقع الذي لدينا في الوقت الراهن ، ويمكننا على الأقل أن نعرف أنه مع أنها ليست مشابهة دقيقة إنها ليست تحريفا مشوها لها ، وإعادة بناء أرذول هذه باختصار لها حدودها ولكنها أفضل مايمكن أن نحصل عليه مطلقا ، مالم تكتشف مخطوطات جديدة تقدم ليس مجرد قراءات متنوعة للنصوص الباقية الآن بل فروقا جذرية في التأليف ، وحتى مع هذه التحفظات القليلة ، بات النص وبناؤه هكذا أخيرا ذا معنى بين التشكيلة الكبيرة من نيول تاريخ وليم الصوري في الفترة الأولى هذه التي كانت ترى من قبل على أنها مرتبطة بطريقة مشوشة وغير محددة ، والتي يمكن أن ترى الآن على أنها تستمد مباشرة أو غير مباشرة من نموذج أرذول الأصلي .

وما هو أكثر ، لدينا أخيرا في إعادة البناء هذه نص يلبي المهمة التي أعد المؤلف لها نفسه ، في الحملة الافتتاحية للموجز ، وقد أصبح شيئا شائعا في دراسات أرذول ملاحظة أن الكلمات الاستهلالية في الموجز ليست سوى بيانات دقيقة عما يحويه الكتاب : (٤٥) (والآن سأحدثكم كيف استولى المسلمون على أراضي القدس والصليب المقدس وهزموا المسيحيين »(مخطوط ز ورقة ٤ ظ)

ومن المسلم به أن عام ١١٨٧ شغل حيزا أكبر بكثير وكثير من أي سنة مفردة أخرى ، (٤٦) ولكن يبقى مضللا جدا أن نعلن أن هذه الأحداث كموضوع للموجز ، لأنه حتى في أقصر رواية من العمل ، تلك التي تنتهي في ١٢٢٧ ماتزال روايتها تشكل قسما واحدا فقط بين كثير ، وفي الواقع إن مصنف الموجز بعيدا عن أن يكون لديه سبب جيد لتلفيق هذه الافتتاحية غير الموائمة لاسيما من أجل تصنيفه الخاص ، ولعلها انزلقت انزلاقا لتدخل فيه وهي بلا شك قد ذشلت جاهزة الصنع من مصدره ، من عمل كانت حقا موائمة له ، وكان يتعامل فقط مع الفترة التي تتعلق مباشرة بضياع بيت المقدس والصليب المقدس ، والتي بدأت والمملكة اللاتينية على مايبدو محكمة الرسوخ ، وانتهت بها وهي خراب ، ومن هذا العمل يأتي توجيه الفصول الافتتاحية للموجز نحو ضياع الأرض المقدسة وضمنها وصف جيرارد دي رد فورت .

،'por che . . . que ce fu .i. de ciaus par coi la tiere fu perdue',

وذكر « للاغنية السياسية ضد الفرنجة البلديين كتصوير لانقسام المملكة على نفسها:« على الرغم من البلديين» . . . .
لدينا ملك من الوافدين

فإذا افترضنا أن التنظيم الجديد لـ « × » أعلاه هو تاريخ أرذول ، تكون كل هذه السمات للموجز والهرقليات معقولة ، ويكون لوصف المحتويات نص يشار إليه .

وبالقراءة خلال النص الذي ننسبناه الآن لأرنول ظهر التأكيد على عائلة ابلين حتى أكثر وضوحا من ذي قبل ، وفي الواقع بدأ التاريخ يأخذ مظهر مايشبه مسوغ لسلوكهم في الفترة موضوع البحث ، ويمكن حتى أن يكون قد كتب هكذا بناء على طلب الابلينيين للدفاع عنهم ضد المشاعر السيئة والاتهامات الخاصة التي وجهت كثيرا ضدهم ، وارتبطت بهم أكثر بكثير من الارتباط بالوقت ، الذي بكل دقة فقدت فيه القدس مع الصليب المقدس فقد كان هناك أولا معارضتهم لغي ، وبعض الذين اتفقوا مع أرنول في أن المملكة سقطت لأنها كانت منقسمة على نفسها ، خالفوه مع ذلك ، في القاء اللوم على زمرة أكثر منه على الأخرى ، وكان هناك أيضا حقيقة أنه في حطين بينما أخذ هو وكثير من البارونات أسرى ، هرب بالين دي ابلين وريموند صاحب طرابلس إما بالحظ أو بالتخطيط ؟ ثم أدار بالين بنفسه المفاوضات مع صلاح الدين لتسليم بيت المقدس : لماذا بالحري — لم يصمد أمام المسلمين حتى النهاية المرة ؟ وكان بالين أيضا هو الذي وضع بنود معاهدة ١١٩٢ بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد ، وهي معاهدة لايمكن لأحد أن يدعوها مواتية للمسيحيين بل إنها حوت بين بنودها الهدية الشخصية من صلاح الدين إلى بالين وهي قلعة الداروم ، وباختصار بينما كانت المملكة اللاتينية تتهاوى على مسمع منهم احتفظ الابلينيون لأنفسهم بوضع مأمون نسبيا ، وأولئك الذين خرجوا بحظ أقل كانوا أكثر من مستعدين لبيان الأسباب الأكثر وضوحا في الاختلاف ، ويمكن أن تكون هناك أسباب أخرى أجدر بالثناء ، ولكنها كانت أقل كثيرا جلاء بذاتها ، وكانت تحتاج لبيانها بصورة أوضح ، فما الذي حدث حقا في ١١٨٧ ؟ هذا بالضبط ما شرع أرنول في قوله لنا : « كيف استولى المسلمون على أراضي القدس والصليب المقدس وهزموا المسيحيين » ، وعرض هذه القصة من وجهة نظر الابلينيين تجيب ضمنيا على انتقادات الذين رأوا في الابلينيين أنذالا وليس أبطالا ، وهي تؤدي للابلينيين ماأداه قادة الحملة الصليبية الرابعة .

وينبغي أن يلاحظ أخيرا أن تاريخ أرنول هذا يجب أن يعترف به واحدا بين قلائل ، قلائل جدا من الأعمال الأدبية التي انتجت في بلاد ما وراء البحار الفرنجية وكما بين رنسمان لم تسهم بلاد ما وراء البحار إجمالا إسهاما كبيرا في ثقافة الغرب ، وبين الاستثناءات تاريخي وليم الصوري وأرنول (٤٧) ، والآن إن عمل أرنول يمكن أن يفترض كشيء أسمى كثيرا من الموجز الذي كان يعزى إليه حتى الآن ، ربما يمكن لنا أن نأخذ نظرة أكثر تفاؤلا بصورة طفيفة جدا ، إلى حجم إسهامه ، فهو نوع من المنتجات الثانوية للاهتمام الباقي والشامل بالشؤون القانونية التي كانت تميز الفارس في الدول الصليبية ، وأدت إلى تجمع الكتلة الهائلة من الكتابات عن « قوانين بلاد ماوراء البحار » التي تعرف إجمالا باسم « مجموعة القدس » فإذا كانت مهنة أرنول كجندي أعطته مادة لتاريخه ، فقد كانت خبرته في المحاكم هي التي أعطته دون شك وسائل التعبير عنه ، وعليه فإن الثقافة الخاصة ببلاد ماوراء البحار بإصرارها على ربط هذين الاثنين قد أعطته خلفية فريدة لم يكن له أن يجدها في مكان آخر ، وتاريخه هو نتاج تلك الثقافة ، التي أعطته على الفور بصيرة أعظم في طبيعتها وتقديرا أكبر للجدارة الخاصة به ، ومنها في الحقيقة آثار قليلة باقية في نواح أخرى .

٢ ـ الموجز والذيول ، ١١٩٧ ـ ١٢٣١

وبناء عليه تعطينا الفصول المبكرة من الموجز رواية لأنواع بداية تاريخ أرنول . ويبقى الآن في تحليل الموجز ، توضيح الأبنية ، والمصادر إذا أمكن لبقية الموجز ، من عام ١١٩٨ حتى نهايته ، وهنا يمكننا مرة أخرى أن نأخذ بشكل مفيد الموجز والذيول معا ، والحقيقة كما سوف نرى ، أن بعض روايات الذيول تتعلق بأحكام الموجز في هذا القسم ١١٩٨ ـ ١٢٣١ حتى أنها وإياه يجب أن تعتبر بمثابة نص واحد .

ولكن الموجز والذيول ليست بأي حال كلا موحدا طيلة هذه

الفترة ، وفي الواقع إن هناك انقطاعا آخر في التنقيح ، وتحولا آخر في العلاقات بين النصوص بالنسبة لبعضها بعضا وهو ملحوظ بالضبط مثل ذلك التحول الذي أثبتناه في ١١٩٧ ، وهو يقسم الفترة ١١٩٨ ـ ١٢٣١ بوضوح إلى فترتين ،وخلافا لفاصل ١١٩٧ على أي حال ، إنه لم يحدث ببساطة في سياق حكاية تبدت موحدة ومرتبة زمنيا ، وفي الواقع إن قسمي النص في هذه الحالة يتداخلان زمنيا ، وبكلمات أخرى ، إن الانقطاع في التنقيح في ١١٩٧ يمكن أن يلاحظ فقط بمقارنة بنية مختلف النصوص الواحد بالآخر ، ولكن الانقطاع الآخر ظاهر في أي نص مفرد بسبب أن الترتيب الزمني متتابع ثم يأخذ فجأة قفزة رجوعا إلى الوراء ثم يبدأ مرة أخرى وهكذا يتوفر لدينا مباشرة بعد القسم الذي يقوم على أرنول وينتهي في ١١٩٧ ، الذي انتهينا للتو من تحليل حكايته ، مع أنها تذكر أحداثا في القسطنطينية متأخرة حتى ١٢٢٨ ، وتغطي بشكل أساسي الفترة ١١٩٨ ـ ١٢١٦ ، التي تنتهي بوفاة أوتو الرابع وانتخاب فريدريك الثاني امبراطورا ، ثم تبدأ الحكاية مرة أخرى في ١٢٠٥ وتستمر مرة أخرى في ترتيب زمني إلى ١٢٣١ والعلاقات بين النصوص في هذين القسمين تختلف كليا ، وسوف ندرس كلا منها على حدة بدوره .

والقسم الأول من الحكاية ، الذي يلي مباشرة بعد نهاية أرنول ويمتد في مصنف راشيل من ٢٧ / ٦ إلى ٣٠ / ١٠ (٤٨) بسيط نسبيا في تركيبه وتغطي النصوص كلها الأحداث نفسها : مملكة بيت المقدس في عهد عموري ، والأحداث المعاصرة في الامبراطوريتين البيزنطية والرومانية حتى ١٢٢٨ و١٢١٦ كل على حدة والمعارك الأخيرة لريتشارد قلب الأسد ، والحملة الصليبية الرابعة ، والاستثناء الوحيد من هذا الاتفاق العام بين النصوص يحدث عند بداية القسم الذي يقحم فيه « س ج » و « غ ج » و « د » كمية معينة من المادة حول أرمينية (٤٩) . التي سبق أن أعطيت من قبل « أ ـ ب » في صورة أقصر ومختلفة قليلا ، بما فيه عند ٢٧ / ٢٥ ـ ٧ ، وتقريبا كل الأحداث المحلية في هذه الفقرات قد

سبقت روايتها من قبل « د » (٥٠) في صور أكمل كثيرا ، حيث فيها هذه الرواية الثانية مجرد تلخيص واضح تماما وبدقة ، وبكلمات أخرى إن هذه المادة كانت في الحقيقة موجودة في × وحوفظ عليها من قبل « د » فيما يمكن أن يفترض أنه كان مكانها الاصلي في قسم ماقبل ١١٩٧ من تاريخه ، ولكنها على مايبدو قد اختصرت من قبل × الذي انتقلت منه مع البقية إلى « أ ـ ب » وأيضا مع أن ذلك كان لدى نقطة مختلفة ـ إلى « ي » ومن ثم إلى « س ج » و « غ ج » (٥١) والشيء المهم هو بالطبع أنها وجدت بطريقة ما طريقها إلى « د » هو نص للفترة التي تنتهي في ١١٩٧ ، أو غير معتمد على « ز × » وسبب ذلك واضح : بعد ١١٩٧ عندما يتوقف « × » ويأخذ « د » مصدرا جديدا ، وذلك المصدر هو « ي » الذي كان كل من « س.ج » و« غ.ج » يستمدان منه باستمرار ، ومتبعا هذا المصدر مع النقص المعتاد في مقدرته على تصنيف نص حقيقي متماسك ، ينسخ « د » بشكل اعمى هذه الاقسام عن ارمينية ، غافلا عن حقيقة انها ليست اكثر من رواية متدنية لجزء ابكر من نصه .

وبصرف النظر عن هذا التنوع ، هناك فقط فقرتان قصيرتان اخريان ، حيث ليس هناك اي تباعد بين مختلف النصوص ، وتغطي الاولى الاستيلاء على جبلة وبيروت ومحاولة اغتيال عموري (٥٢) وهنا يعطي « س.ج » و« غ.ج » و« د » والموجز بشكل اساسي الرواية مثل « ا ـ ب » ولكن بصورة موجزة جدا وترتيب الاحداث معكوس ؛ والفقرة الثانية ، رواية محاولة ختن تانكرد ، غوتيير دي برين .اعادة الاستيلاء على ابوليا (٥٣) . وهي حالة صريحة لاختصار قاس من قبل « س.ج » و« غ.ج » و« د » والموجز للنص الذي اعطى في « ا ـ ب » ، ومن اجل بقية قسم ١١٩٨ ـ ١٢١٦ فان كل النصوص تغطي الرواية نفسها ، مغطية الحملة الصليبية الرابعة والاحداث في الامبراطورية البيزنطية حتى ١٢٢٨ ، التي وصفت على شكل مقتطفات ، ورواية اكثر شمولا عن الامبراطورية الرومانية المقدسة من عام ١٢٠٨ الى ١٢١٦ ، وهنا بعد وفاة

اوتو الرابع وانتخاب فريدريك الثاني ، يقدم انقطاع طبيعي نفسه :

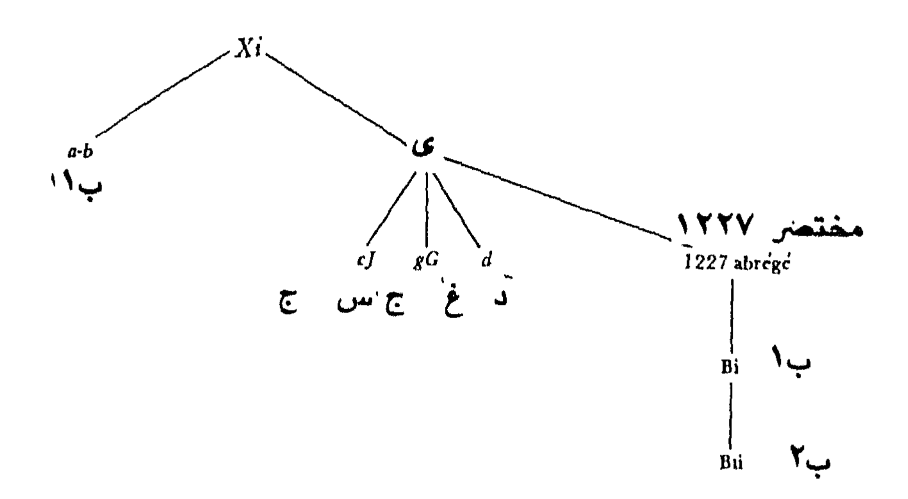
'Ci endreit dist li contes que il vos laira a parler dou roi Fedric d'Alemaigne . . . si dirons de la terre de Jerusalem.(٥٤)

والترتيب الزمني لكل الحكايات متعاقبا بشكل معقول ، وقد توقف فجأة فقط بسبب انقطاع في مادة الموضوع ، وقفز الان من ١٢١٦ رجوعا مباشرة الى ١٢٠٥ حيث بدأت الحكاية من جديد بوفاة عموري .

وبالنسبة للقسم الاول التي انتهى عند هذا التحول المفاجى؛ في الترتيب الزمني ليس هناك مزيد كبير ليقال حول الموضوع وعلاقة النصوص ببعضها بعضا ، وكما اصبح واضحا في وصف محتويات هذا القسم فان جميع النصوص لها مصدر واحد مشترك مع وسيطين ، « ا ـ ب» إستمدا من الأول ، وكل النصوص الاخرى س.ج »و« غ.ج » و« د » والموجز من الاخر ، وليس الوسيطان في الواقع مختلفين كثيرا الواحد عن الاخر ولاتوجد مادة في اي منهما غير موجودة ايضا في مكان ما من النصوص التي يتعمد الواحد منها على الاخر ، والاحرى انها تختلف فقط في ان المصدر الوحيد « س.ج » و« غ.ج » و« د » والموجز يحوي مادة تمت معالجتها في وقت ابكر في « اـ ب » وتلخص فقرتين لدى « ا.ب » صورة اكمل منهما (٥٥) .

وهكذا فان المخطط لهذا القسم من الذيول لايختلف كثيرا عن ذلك الذي سبق اعطاؤه (٥٦) للقسم المنتهي في ١١٩٧ والاختلافان هما ان « x » ، التاريخ الاصلي لارنول المنتهي في ١١٩٧ لم يعد يظهر بالمرة و« د » الذي كان حتى ١١٩٧ معتمدا مباشرة على « x » يرى الان انه معتمد على « ي » وهكذا ارتبط باحكام ب« س . ج »و« غ .ج »وبالموجز ، وعلاقات النصوص ببعضها بعضا:القسم ١١٩٨ ـ ١٢١٦ / ١٢٢٨ التي تغطي من تاريخ

هرقل ٢٧ / ٦ الى ٣٠ / ١٠ ضمنا ، يمكن بناء عليه ان تعرض كما يلي



ومن اجل الجزء الباقي من الذيول الذي يأتي ضمن موضوع هذه الدراسة ، اي الحكاية التي تبدأ في ١٢٠٥ «هرقل ٣٠ / ١١ » وتنتهي في ١٢٣١ لايمكن العثور على مثل هذا التفسير البسيط ويقدم النص سمات هامة سواء من وجهة النظر التاريخية او النصية ، وتتطلب فحصا ادق واكثر دقة مما تطلبه قسم ١١٩٨ ـ ١٢١٦ وشيء واحد يمكن ان يقال عن حكاية ١٢٠٥ / ١٢٢٩ / ٣١ عند الاستهلال ، وذلك هو ان هناك في الاساس روايتان في هذا القسم واحدة في « ا.ب » والاخرى في كل النصوص الاخرى (س.ج ، غ.ج ، و د) والموجز وكلها تتفق بدقة كبيرة في كل اجزائها والتي يمكنها في الواقع ان تعتبر تماما انها تحوي نصا واحدا من ١٢٠٥ الى ١٢٢٧ حيث تنتهي اقصر رواية للموجز ،

وافضل طريقة موائمة لتحليل هذا الجزء من الذيول بناء عليه هي النظر الى علاقة رواية ال « ا.ب » بروايات النصوص الاخرى .

وتمت معالجة اربعة موضوعات رئيسية في « ا.ب » هي : جين دي برن ، وفريدريك الثاني سواء مستقلين او في تعاملهما مع بعضهما ، وحرب فريدريك ضد قبرص ، والعلاقات بين ارمينية وامارة انطاكية ، وحصار دمياط ، ولأن كل واحدة من هؤلاء علاقة « ا.ب » بالرواية الاخرى مختلفة ، والحرب الامبراطورية ـ القبرصية محذوفة تماما من قبل « س.ج » و« غ.ج » و« د » الخ مثل القسم القصير حول ارمينية ، الذي على كل حال اخذ في « ا.ب » مظهرا كليا على انه مقحم في الجسم الرئيسي من النص ، وتختلف الروايتان كليا في روايتهما لحصار دمياط ، والتماثل الوحيد بينهما في الحقائق الاساسية ، وحتى هذا كثيرا مايكون بعيدا عن الوضوح ، ومن اجل الحكاية المتعلقة بجين دي برن وفريدريك مع ذلك فان الحالة معقدة اكثر كثيرا ، والحكايتان غير متماثلتين عند النظرة الاولى ، ولكن التحري الدقيق يظهر ان مادتهما ـ وان لم يكن ليس طريقتهما في شرحهما متماثلة جدا في الواقع ، والفقرة التالية هي مثال نموذجي :

ا ب

Li rois Johans se parti de France et s'en ala en Espaigne en pelerinage a mon seignor Saint Jaque Et quant il ot fait son pelerinage, si ala voir le roi de Castele, qui moult li fist grant onor, et li dona de beauz dons, et en la fin se acorderent a ce que li rois Johans esposa une suer dou roi de Castele et s'en revint o tout lui en France. Quant il fu venus ne tarsa gaires que li rois Phelipes acocha au lit de mort, si que il fist sa devise et laissa a la Sainte Terre C L mile mars d'argent, les L mile [illegible] Johan, et les L mile en la main dou Temple, et les L mile en la main de l'Ospital; et moult de autres aumosnes fist en sa devise beles et granz. Ensi trespassa li bons rois Phelipes qui longuement et honorement avoit vescu. Ne tarsa guerres apres que ses fiz Loys fu coronez a Rains hautement et a grant honor.

المختصر (س ج وغ ج و د متماثلة)

Ne demoura gaires puisque li rois Jehans fu en France que li rois Phelipes morut Si laissa grant avoir al roi Jehan, et grant avoir a envoier en le tiere d'Outremer Li rois Jehans fu a Sainte Denise a l'enfouir le roi Phelipe. Apries si fu au coroner le roi Loey sen fil a Rains. Puis prist congié en France, si s'en ala a Saint Jakme. Al revenir k'il faisoit de Saint Jakme fu li rois d'Espagne a l'encontre a Burs, qui grant honor li avoit faite en [illegible] li dona [illegible] rois a feme une sereur qu'il avoit, si l'espousa et grant avoir li donna

Quant li rois Jehans ot epousee se feme si prist congié si s'en ala en France. Quant il ot esté une piece en France si prist congié al roi Loey et as barons si dist qu'il l'en estovoit raler, que li emperere l'atendoit en

- ٣٦٩٥ -

Puille por passer mer et por se fille espouser Il s'en ala, et erra tant qu'il vint en Puille a l'empereur.(٥٧)

Et quant li rois Johans sot que li termes aprochoit dou mariage de sa fille et de l'empereor, s s'en vint en Puille (٥٨)

لدينا هنا في الأســــاس الأحـــداث المروية نفســـــها في كل حالة : وفاة فيليب أغسطس وتتويج ابنه لويس الثـامن ، واسـفار جين دي بريين في فرنسا واســـبانيا حـــوالي زمـــن هـــذه الأحداث ، وزواجه من برنغاريا الكاستيلية ، وترتيب الاحداث مـع ذلك مختلف تماما ، ويختلف الاختيار أيضا بـدرجة طفيفـة ، فعلى سبيل المثال فإن الموجز والذيول متفقـان معهـا عند هـذه النقـطة لايذكرون بنود وصية فيليب أغسطس ، ولكنهـم مـن جـانب آخـر يصفون بايجاز (تماما قبل الخلاصة المقتبسة) زيارة جين البلاط الانكليزي وهي محذوفة من قبـل « أ ـ ب » ولكن ليس هناك عدم اتفاق كبير في الواقع بين الروايتين ، وفي هذا ايضـا فـان الفقـرة المقتبسة نموذجية في أن الروايتين تختلفان فقط حول ما اذا مـاكان جين دي بريين قد زار اســـبانيا قبـل أو بعـد وفـــاة فيليب أغسطس ، واذا مـاكان قـد ذهـب الى بـورغوس لرؤية ملك كاستيل ، أم أن الملك قد جاء خصيصا للقائه وكلتـا النقـطتين غير حيويتين بـــالنسبة لســياق الحـــكاية ولتفســير المؤرخ للأحداث ، والتعارض الكبير في الواقـع بين الروايات في معـالجتها الكلية لموضوع جين دي بريين وفيردريك ، هو الباعث الذي يعـزونه لفريدريك لعدم ابحاره في برنديزي مع اسطوله ، فإحداها تـؤكد أنه كان مريضا ، والاخرى تراها كقطعة من التحايل ، ولهذا النوع من الاختلاف حلقة مألوفة ، وهو مثـل آخـر للتخمين التـافه بعـد الاحداث ، ويعود الى زمرة حكاية البواعث المعزوة الى قـزم هنري دي شامبين للسقوط أو ربما كما قيل الى القاء نفسه مـن النافـذة ذات الحاجز أو بدون حاجز ، (٥٩) ومثل هذه الفروق الصـغيرة لاتحاجج بأي طريقة ضد مصدر نهائي مشترك للروايتين ، وانمـا تدل فقط على وسيط مشترك لتلك النصـوص يتفـق بـدقة مـع كل منهمـا (أعني « س ج » و « غ ج » و « د » والموجـز ، وفي الواقع إن جميع التمـاثل والاختـلاف الموجـودين بين رواياتهـا

ورواية « أ ـ ب » هو الشيء نفسه بالضبط مثل ذلك الملاحظ من قبل من منوعات قسم ١١٩٨ ـ ١٢١٦ فيما يتعلق بأخذ بيروت وجبلة ، ومحاولة اغتيال أمالرك (٦٠) ، والمخطط (٦١) الذي يشرح العلاقة بين الروايتين في هذا القسم مفيد أيضا لروايتهم عن جين دي بريين وفريدريك في هذا القسم الأخير أعني الحرب الامبراطورية مع قبرص ، ومعاملات أرمينية مع انطاكية ، وحصار دمياط . و من أجل هذه الاجزاء من قسم ١٢٠٥ ـ ١٢٢٧ كما سبق أن لاحظنا (٦٢) لاتعطى الروايات بينة على كونهما مرتبطتان ببعضهما بالمرة .

ويبقى هناك مشكلة واحدة صعبة ، وهي تتعلق بالنهاية بالقسم ١١٢٠ ـ ١٢٢٧ من النيول ، وهذه واحدة صعبة ، وهي تتعلق بالنهاية ذاتها لهذا القسم من النصوص ، التي كما يمكن أن يستخلص ناجمة ببساطة من الصعوبة في تقريرها نهاية للتأريخ للفقرة (١٢٢٧ ؟ ١٢٢٩ ؟ ١٢٣١ ؟) المتباينة في مختلف النصوص ، والوصف المفصل بشكل جيد لمحتويات مختلف النصوص في هذا القسم وفواصل التنقيح الملحوظة فيها ضرورية اذا كان لدلالتها أن تصبح واضحة (٦٣)

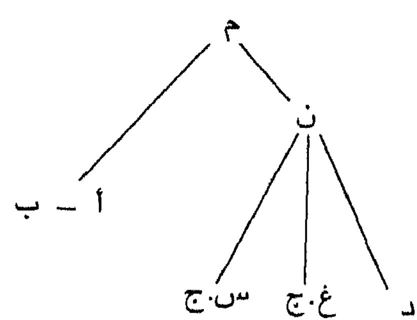
ولتلخيص الحالة بإيجاز : إن نصوص « س ج » و « غ ج » و « د » كانت على اتفاق محكم وقد أظهرت في الواقع العملي نصا واحدا منذ وفاة أمالرك عام ١٢٠٥ مبتدئة في ٣٠ ـ ١١ في راشيل (٦٤) وأعطي هذا النص نفسه أيضا في الموجز ، مبتدئا في الفصل ٣٥ من طبعة ماس لاتري ، (٦٥) والاتفاق بين « س ج » و « غ ج » و « د » والموجز يستمر حتى نهاية أطول رواية في الموجز وهي « ب ٢ » هذا وعالجت الفقرة الاخيرة من النص الكامل كما نشره ماس لاتري ميثاق سان جرمانو وغفران فريدريك الثاني (٩ تموز و ٢٨ آب ١٢٣٠) ، وفي الفصل الاخير من برنارد ، والفقرات المقابلة في النيول ، العروض المقدمة الى جين بريين من قبل المواطنين المكروبين في القسطنطينية ، وتردده في

قبول دعوتهم ، وأخيرا رحلته الى هناك وتزويج ابنتــه للامبــراطور الطفل بلدوين الثاني (أيلول ١٢٣١) ووعد الســيادة الشــخصية لجين نفسه مدى حياته ، وفي راشــيل (٦٦) ينهــي هــذا التنوع الطــويل في « س ج » و « غ ج » و « د » ، وفي الواقــع ان رواية «س ج» ، مثــــل الموجــــز تتـــــــــــــوقف هنا ولكن «غ ج» و « د » تمضيان في أخذ النصف نفسه مثــل « أ ــ ب » عند ٣٣ ١٣ ، ومع أن هذا يشــغلهم بــالتكرار في ٣٣ ١٤ ١٥ ، فــان معظم المادة التي أعطوها لتوهم هي حياة جين دي بريين السياسية الجديدة في الامبراطورية البيزنطية ، وبكلمات أخــرى هناك نســخ طبق الأصل واضح ، من نوع يوحــي بــدين شــك بــوجود تغيير في المصدر من قبل مصنفي « غ ج » و « د » .

وبنية أخرى عن الفــاصل الواضــح مــن النصـــوص بين ٣٣ ١٢ و ٣٣ ١٣ تعطيها عائلة من المخطوطات ، تقــع بشــكل عام خارج اعتبارنا ، ولكن بامكانها أن تــوضح عند هــذه النقــطة بنية النصوص التي نحن معنيون بها ، وهي العائلة التــي تحــوي النيل المعروف بــــاسم روثلين وهــــو نص ســــبق لنا وصـــــفه بإيجاز (٦٧) وهــو مختلف كليا عن كل النيول الأخــرى ، وعدا الأوصاف الجغرافية التـــي يضـــمها إنه غير مــــرتبط تمــــاما بها ، والنقطة أنه يبدأ في المخطوطات التي تحتوي عليه بالضبط عند هذه النقطة ، بعد نهاية ٣٣ ١٢ وعليه هناك نيل واحــد مشــطور بين عائلة روثلين و « أ ــ ب » ينتهي عند ٣٣ ١٢ وبعده يبدأ نص روثلين النيل الخاص به والمتميز عن كل النصوص الاخرى ، بينمــا يبــدأ كل مــن « ب » و « غ ــج» و « د » عند ٣٣ ١٣ نيلا جديدا ، وفي « ب » يتابع هذا من النص المتقدم بشكل مقبول ، وفي الواقع انه يمكن أن يكون قد كيف لهذه الغاية ، أو على الاقل تكيف بشكل شامل من قبل المصنف ، ولكنه في « غ ج » و « د » يتــابع بشكل سيء جدا .

والآن عندما نأتــي لننظــر الى قســم «د» الذي ينتهـــي

في ٣٣ ــ ١٢ (٦٨) نرى مباشرة أن نهايته بالذات تشبه معالجة الأحداث نفسها من قبل « س ج » و « غ ج » و « د » والموجز بالطريقة الغامضة نفسها التي لاتتذكر مع ذلك ، مثل بقية رواياتهم عن فريدريك وجين دي بريين ، حتى أنها في الواقع أحد أجزاء « أ ــ ب » التي استمدت من المصدر المشترك مع الذيول الأخرى ، والموجز ، وليست أحد الأقسام غير المرتبطة بالمرة ، والعلاقة بين النصوص من أجل رواياتها عن جين وفريدريك هي كما سبق أن رأينا ، (٦٩) تلك نفسها التي بين النصوص للفترة ١١٩٨ ــ ١٢١٦ ــ ١٢٢٨ ويمكن أن تمثل بالمخطط نفسه مع أنه من الضروري استعمال حروف مختلفة للمصدر المشترك غير المعرف ، ومن أجل النص الوسيط المفترض ، ومن أجل تفادي الانطباع بأن الوثائق نفسها كانت بالضرورة مشتركة في كل حالة ، وعليه من أجل الموضوع محل البحث وليس غيره ، في القسم ١٢٠٥ ــ ١٢٢٧ ١٢٢٩ / ١٢٣١ من الذيول ، يمكن أن نمثل اشتقاق المادة التي تشترك فيها هكذا :



يجب الآن أن نأخذ في الاعتبار حقيقة أخرى حول مضمون ٣٣ / ١٢ في نص « أ ب » ، أعني النقطة التى عندها ينتهي ، طالما أننا قد سبق أن ثبتنا أن هذه كانت نهاية مصد نصي ، المصدر الذي كان مشتركا بين « أ ــ ب » وعائلة روثلين ، وينتهي النص هكذا :

: 'Dont il avint puis que des princes d'Alemaigne, li patriarches d'Aquilée, et li arcevesques de Sauseborc, et le duc d'Osteriche, et le duc de Merain, et moult d'autres hauz homes vindrent a Rome et firent la pais, par quoi li empereres fu assot. Et y ot plusors covenances en cele pais. (٧٠)

والمدهش ، أنه عند هذه النقطة بالضبط ، أن بيبذو يخبرنا أن مخطوطه عن برنارد قد انتهى ، وفي الواقع إن كلماته الأخيرة قبل الملاحظة على برنارد تعبر مع أنها كما هي عادته ، أكثر إيجازا عن المعلومات نفسها بالضبط :

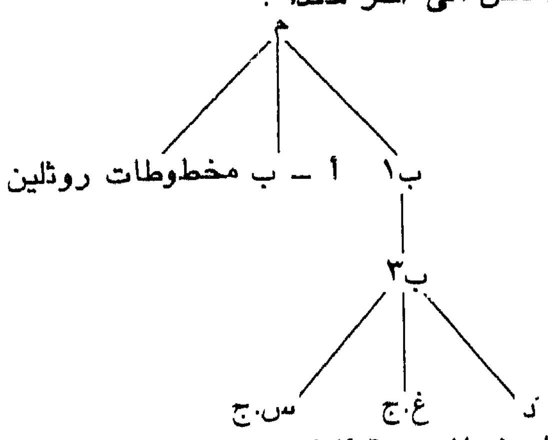
'Interim Dux Austriae inter Papam et Imperatorem pacem composuit, et sic tunc imminens cessavit quassatio Haec de gestis Regis Johannis sumta sunt ex Historia Bernardi Thesaurarii Qualis autem fuerit exitus non inveni, vel quod Historiam non compleverit, vel quod codex, unde sumsi, fuit imperfectus. (٧١)

وكما اثبتنا من قبل لم يكن مخطوط بيبذو كاملا ، والاحرى أنه كان نسخة من أول تنقيح أجراه برنارد على تاريخه ، وقد اسمينا النص المفقود «ب ـ ١» ، وعليه فإن الصورة التي تبدأ في الظهور هي هذه : النص المعطى من قبل « س ج » و « ع ج » و « د » للفترة ١٢٠٥ ـ ١٢٣١ هو بالضبط نص أطول رواية من الموجز ـ ب ٢ ـ النص الذي نشره ماس لاتري ، ولهذا النص ، بالقدر الذي يتعلق بجين دي بريين وفريدريك الثاني ، يحمل له نص « أ ـ ب » تماثل ، مع أن وجوده لا يمكن إنكاره ، هو مميز ومتنوع ، ساعة قريب ، وساعة باهت ، ويوحي بقرابة بعيدة بين النصين كما هو ممثل في المخطط على صفحة ١٤٥ وعندما تعالج الذيول أي موضوع آخر ـ مثلا الحرب الامبراطورية ضد قبرص أو حصار دمياط ـ تبدوان كأنهما مستقلتان تماما وغير مرتبطتين ، ويبقى هذا صحيحا حتى عندما يكون هناك تحول سريع من موضوع الى آخر ، وعليه يجب أن نستنتج أن مصدرها المشترك « م » في المخطط ، كان وثيقة متعلقة حصرا بالتعامل بين جين وفريدريك وأنها انتهت ، كما نستطيع أن نخمن من تغيير التنقيح من نصوص « أ ـ ب » وروثلين ومن التداخل في « غ ج » و « د » في آب ١٢٣٠ ، النقطة التي عندها يخبرنا بيبذو أن « ب » قد انتهى ايضا . ولكن « ن » النص الوسيط الذي أخذ عنه « س ج » و

- ٣٧٠٠ -
« غ ج » و « د » للموضوع نفسه ، يتابع بدون انقطاع ملحوظ خلال أيلول ١٢٣١ .

وجواب النص واضح الآن وفي وصف « م » و« ن » ووصفنا بدقة في الواقع روايات جين دي بريين وفريدريك بأنها موجودة في « ب » كما نعرف من بييذو ، وفي « ب٢ » كما هو باق في الوقت الحاضر ، هل هو إذا صحيح أن نص « م » هو « ب » و« ن » هو « ب »؟ ، وهذا المبالغة بالتبسيط ، إذ بينما لا معارضة هناك في تشبيه « ب ٢ » بذاته ب« ن » فإن كل البينات في الواقع تؤيد ذلك ، و« ب » فقط يشبه « م » لأن المادة حول هذا الموضوع واحدة ولا شيء آخر ، وهكذا يبدو أن « م » كان حريا به أن يكون المصدر الذي أخذ عنه برنارد ، عند تصنيف « ب » ، من أجل المعلومات حول جين وفريدريك التي أخذ عنها أيضا ، للغرض نفسه من قبل مصنفي « أ ـ ب » والنصوص التي بعد ٣٣ / ١٣ تنحرف في تكمله روثلين ، وهذا الجواب يفسر كل الحقائق التي يمكن ملاحظتها : الطبيعة الغامضة للتشابه بين الروايتين ، الطريقة التي يختلف بها التوافق في هذا الموضوع ، بالاستقلال التام في كل المواضيع الأخرى ، وتبدل التنقيح عند ٣٣ / ١٣ في «أ ـ ب » وذيل روثلين ، وغياب مثل هذا التغيير عند هذه النقطة مع التكرار الثاني للمعلومات ، في ع ج و « د » كان الوسيط « م » هو « ب » وكان المصدر المشترك لكل الذيول « م » ، وبدقة كانت تتعامل مع موضوع واحد فقط انتهى في آب ١٢٣٠ ، وهو الذي خلطه مختلف المصنفين بما فيهم برنارد بمواد الموضوعات الأخرى ، وهي ربما من مصادر أخرى ، أو ربما مكتوبة من قبلهم هم أنفسهم ، ليخرجوا الى محصلة واحدة هي أن الذيول التي لدينا الآن للفترة ١٢٠٥ ـ ١٢٢٧ في رواية « أ ـ ب » ومخطوطات روثلين ، وفي الآخر أي نص « ب » المفقود ، المعروف لدى بييذو ، وهذا الأخير قد وسع بالتالي من قبل برنارد الى ١٢٣١ مشكلا النص الذي نعرفه على أنه تاريخه « ب » ومن هذا استمد مصنفو روايات الهرقليات الموجودة في « س ج » و« د » لكامل الفترة ١٢٠٥ ـ ١٢٣١ .

وعليه من أجـل تـاريخ جين دي بـريين وفـريدريك الثاني ، والغفران لفريدريك في آب ١٢٣٠ ، يمكن أن نصور انتقال المعلومات من نص الى آخر هكذا :



وتوضح لنا هذه المعـرفة أكثـر ، كلا مـن البنية في تلك الفتـرة للذيول ، وأيضا المصادر ، وتركيب تاريخ برنارد ، والطـرق التـي استعملها في تصنيف روايته ونحن واثقون الآن أنه من أجل تـاريخ جين دي بريين وفـريدريك ، حتـى آب ١٢٣٠ ، كان لديه مصـدر مكتوب ـ م ـ وبالقدر نفسه يبدو واضحا أنه بعد هذه النقطة باتت مادته أصلية ، ومازلنا لا نعرف بالطبع من أين جاء هو أو بالأحرى مصنف موجز ١٢٢٧ ، ببقية المادة للفترة ١٢٠٥ ـ ١٢٢٧ ، أو إذا ما وجد نصا مكتوبا بالمرة ، ومرة أخـرى واضـح الآن أن تـاريخ برنارد ، في تنقيحه الثاني ، عمل كمصدر لنص تاريخ هـرقل الوارد في روايات « س ج » و« غ ج » و « د » على الأقل من أجل الفتـرة التي تسبق مباشرة ١٢٣١ ، والأكثر احتمـالا ، بحـكم اسـتمرار نصوصها من ١٢٠٥ الى ١٢٣١ ، مـن أجـل كامـل هـذا القسم ، وبكلمات أخرى ليس بيبنو في الواقع أول مـؤرخ يسـتعمل عمل برنارد كمصدر ، فقبل أن يكتب بزنث طويل استخدم ثلاثة مـن مصنفي الهرقليات بالفعل جزءا جوهريامن تاريخ برنارد كجزء مـن عمل أكبر ، وبتكليف أقل كثيرا ممـا وجـد بيينيو فيمـا بعـد أنه مرغوب ، وأقدم مصنفي الهرقليات . هو الرجـل الذي أنتـج رواية «س ج» التي تنتهي في ١٣٢١ ويمكن أن يكون قد عمل بعـد وقـت

قصير نسبيا بعد برنارد ، وإجمالا يبدو مع ذلك ، كما يجب أن نقر ، أن برنارد لم يكن أصليا بوجه الاجمال وكانت مقدرته على تصنيف تاريخ متماسك ، وهام ، ومفيد اعتمادا على انتاج أناس آخرين ، هائلة . وموهبته ، وقيمة عمله ، كان معترفا بها كما يبدو بسرعة جيدة من قبل مصنفين آخرين ، وهم الذين حكموا بأنه جدير بأن يشكل قسما من المصنف الذي استمد أيضا من التاريخ الهائل القيمة لشاهد العيان أرنول والذي امتدت بداياته الى مؤلف ليس أقل قيمة ومكانة من وليم الصوري نفسه .

الفصل التاسع

مكانة الذيول في الادب الفرنسي القديم

من دراسة الفرع الاول من الذيول والتواريخ المرتبطة به ، كأدب ، ومن محاولة لاصدار اي نوع من الحكم الادبي عليه ، نواجه على الفور بعدد من الصعوبات ، والصعوبة الرئيسة اننا هنا لانتعامل مع مؤلف واحد ،لديه هدف واضح تقريبا من الكتابة ،يمكن الحكم عليه بالمدى الذي توصل اليه في بلوغ هذا الهدف ، ولانقدم نحن عرضا ملموسا لنوع أدبي خاص ، له معاييره الخاصة ، المتصلبة أو المرنة كما هي الحالة لنقل : مع تراجيديا كلاسيكية ، ولانحن حتى نتعامل مع عمل قصصي خيالي ، يرى بسهولة أكثر من قبل النقاد الحديثيين على أنه فن أكثر منه كتلة مواد قدمتها احداث حقيقية ، او على الاقل اتت من أحداث يزعم انها حقيقية ، وماعندنا في هذه التواريخ هو كتل من الكتابات ذات المضمون المتنوع ، مرت عبر ايادي كثير من الكتاب ذوي الأعراض المختلفة ، والنظرات المتباينة نحو مهامها والطرق المتعددة لانجازها ، وواضح ان اي جدارة ادبية يمكن ان تتوافر في هذا الخليط يمكن فقط احتمالا ان تكون خاصة بالقطع المتفردة ، اذ ان الكل هو على الاكثر ناتج عن المصادفة اكثر منه عن التصميم .

حتى ولو قررنا ان نأخذ كل عنصر من التواريخ على حدة بقدر الامكان ، فان مهمتنا ماتزال غير واضحة المعالم . ان نعتبر انه من الادب بالمرة جنسا هو المقام الاول اخباري اكثر منه تزييني ، اجراء صلاحيته هي احيانا موضع جدل .

فرو دلف برومر مثلا في استعراض للنثر القصصي القديم ، استبعد عامدا كل التواريخ من دراسته من بدايتها .

'da es sich bei ihr
nicht um erzahlende Prosa*dichtung* handelt, sondern um eine
Gattung, die der wissenschaftlichen Darstellung nahekommt.
Abei es gibt auch Grenzfalle . (١)

وعلى الرغم من هذا الوصف الاخير ، مع ذلك لم يقر برومر كحالات جانبية أيا من النصوص التي هي موضوعنا ، مع ان اثنين منها على الاقل ، الموجز وتاريخ بلاد ماوراء البحار ، لديهما ادعاءات غير قابلة للتغيير لهذا الوصف ، اذ يحتويان على نسب عالية جدا من التوجهات الادبية ، وهما ليس حقيقة كتابة تاريخية حرفية وبالطريقة نفسها ان للنيول كلمة *wissenschaftlich* ، وهي اخر كلمة يمكن للمرء ان يستعملها لوصفها .

وعلى أسس أكثر عمومية ايضا ، يمكن للمرء ان يجادل استبعاد حتى الاعمال غير الخيالية تماما من استعراض ظهور النثر باللغات الدارجة ، وعدم أصالة المادة لاتوحي بالضرورة بعدم اصولية الطريقة ، لاسيما في هذه الفترة ، وبقراءة التواريخ ، كثيرا مايمكن للمرء ان يصدم باخفاق المؤلف في تحقيق اسلوب مؤثر مدهش يحظى باهتمام القارىء ويساعد في تغطية مايريد المؤلف جعله يعتقد به ويشعر حيال الموضوع الذي بين يديه ، ولكن هذا ليس القول نفسه بان المؤلف ليس لديه احساس بالاسلوب ، وان ضعفه الاسلوبي يأتي بفعل الاهمال اكثر منه بفعل العجز ، ولاهو يدعم بالمرة الادعاء الذي جاء به برومر ، بان مثل هذه الاعمال ليست الموضوع المناسب للاحكام الجمالية وماهو اكثر ، ان استبعاد الكتابة التاريخية من اي دراسة على ظهور النثر باللغات الدارجة يبدو أكثر عدم قابلية للتسويغ طالما انها كانت واحدة من اول الحقول التي كان الوسط الجديد مستعملا فيها على نطاق واسع ، واخيرا هناك حقيقة ان التمييز بين الحقيقة والخيال هو في بعض التواريخ غير واضح جدا ، وهذا بحد ذاته دالا على عقلية المؤلف ويستحق ان يؤخذ في الاعتبار

لذاته ، واجمالا يبدو ان التواريخ ليست فقط موضوعا مناسبا للفحص النقدي كأمثلة للادب الفرنسي القديم ولكنها يحتمل ان تكون مجزية بشكل معقول في هذه الناحية .

ولنأخذ اولا العلاقة بين الحقيقة والخيال ، ان عملا يعلن عن نفسه انه كسجل للاحداث الحقيقية يحدث فرصة فريدة لنا لكي نرى اثناء العمل معايير المؤلف للحقيقة ، مقابل فكرته عن الواقع او الصدق وبالطبع يمكن استخدام الخيال لنقل هذه الامور الثلاث كلها ،أي الحقائق ، بمعنى حوادث خارجية قد `وقعت فعلا ، ويمكن البرهنة على وقوعها ، او انها حقيقة بالمعنى الذي استعمل فيه اورباخ الكلمة وهي الحقيقة النفسية الداخلية ، او الصدق كما رأه الشاعر ، سواء فلسفيا او شعريا ، ففي الحقيقة لم يذهب دانتي ـ بالمعنى التاريخي الحرفي ـ ليتمشى في الغابة ويقابل هناك نمرا وسبعا وذئبة ، واخيرا شبح فرجيل ، وانه لم يبذل في الواقع اي محاولة لاخفاء قصته الخيالية ، لان اول سطر بالذات له فيها يخبرنا بان طريقه كان 'cammin di nostra vita' ولكن مالن استرسل في القصة حتى اكملها دون ان يذكر بانها قصة خيالية واستعملها في نقل الحقيقة كما بدت له ، ومثل هذا جين دي موين ـ مكتفين باسم واحد ـ استعمل قصة خيالية ، وضمن هذه القصة الخيالية قصة أخرى ، وينقل هذه المرة حقيقة ، بل على كل الاحوال شيئا مابدع له انه حقيقة ، بمعنى اورباخ ، وايضا قدا معينا من المعلومات الحقيقية ، وبالنزول الى مستوى اكثر واقعية حتى ، لنقل الوقائع بالقصص الخيالية ، فان اولئك المؤرخين الذين يروون ان غود فري بوليون رفض ان يضع تاج بيت القدس من منطلق الاحساس بالتواضع على افتراض انه اعتقد ان الرفض كان حدثا تاريخيا (٢) ، ولكن هذا لم يكن اهتمامهم الرئيسي في رواية ذلك والاحرى انهم كانوا مهتمين بما تقوله عن شخصية غودفري ، واذا كانت الحادثة لم تحدث (أو لم تقع في الواقع) فانهم كانوا مضطرين لاختراعها ، ولم يكن الاختراع لينقص من امانتهم الخاصة او القيمة الرمزية للقصة ، وعند فحص قصة كهذه يسأل

المؤرخ نفسه هل حدثت ام لا ؟ ولكن الناقد الادبي يسأل هل اعتقد الكاتب انها حدثت ؟ وهل اهتم فيما اذا كانت قد حدثت ام لا ؟ ويهتم المؤرخ في المقام الاول بما يمكن المؤلف ان يقول حول الاحداث المعاصرة ، والعقلية المعاصرة ، ولكن الناقد يسأل : ماذا كانت معايير المؤلف عن الحقيقة ، ومالذي اعتبره كمادة موضوع جديرة باهتمامه الادبي ؟ وبهذه الطريقة فان حكاية تاريخية منتحلة تقدم مادة لتحرياته ، لم يكن توفرها بوا سطة عمل قصصي خيالي صريح ، لان لديه في روايات اخرى الاحداث نفسها ، وفي الشواهد الاثرية ، مقياس لما هو حقيقي وماليس كذلك في مادة المؤلف ، ومع انه لايستطيع دائما ان يكون واثقا بشكل مطلق ، فانه يستطيع ان يمضي في بعض الطريق نحو فصل الحقيقة عن الخيال ونحو القصة الخيالية التي يقصد بها فصل الحقيقة او الواقع ، او الصدق عن القصة الخيالية لذاتها .

وبكلمات اخرى للتخيل وظيفة في نقل ماليس خياليا بذاته ويستعمل لهذه الغاية من قبل المؤرخين ، واذا كان الكلام المباشر يعطي معنى اكثر اقناعا ، فان المؤرخ لن يتردد في وضع الحوار الضروري ، وتأكيد ان الشخصيات قالت تلك الكلمات بدرجة الاقناع نفسها التي يؤكد بها ان المشهد جرى ، حتى لو كأنه نفسه يعرف بأنه قد اخترع الواحد وليس الآخر ، ويمكن ان لايتوازن هذا مع فكرة المؤرخ التاريخي حول الدقة ، ولكنه صحيح وبشكل واضح كاجراء فني ، ويكون ناجحا عادة ولكن يجب الاقرار بان حدود الاستعمال الصحيح للخيال بعيد عن ان يكون مصورا بوضوح في هذه الفكرة ، او الاحرى انه يجب ان نقول بانه لم يصور لانه يمكن ان تكون هناك حدود وراءه ، ولذلك يصبح استعماله غير صحيح ، ويحتمل انه ليس من المبالغة القول بانه حيث تكون لدينا حكاية واقعية نسبيا وغير مزوقة مثل حكاية فيلها ردين ، فانها ناتجا اليا لمزاح المؤلف اكثر من كونها محاولة مقصودة لازالة غموض الافكار المعاصرة لها حول الحقيقة ، وبشكل عام فان اي شيء يمكن اعتباره قابلا للتصديق في عصر كان جيوفري اوف مونماوث قد اخذ بجدية .

وللفصل بين مؤرخ كان يعمل بهذه الطريقة في حينه عن كاتب مثل كريتيان دي ترويس ، الذي كان بامكانه ايضا ان يأخذ قصته جاهزة ، ويعيد العمل فيها بشكل يبدو اعتباطيا تماما ، والمؤرخ مقيد بمادته اكثر من كاتب القصص الخيالية ، ولكن ليس الى حد ان لا شيء قد ترك الى قداته الابداعية : فاذا وفرت الحقيقة كل مادته تقريبا ،وقررت السياسة الى حد بعيد التوجه ، فان اللحمة تخصه كلية والفرق بين كاتبين هو في الدرجة لا في النوع وكلاهما مبتكر بطرق مختلفة واعمالها بناء عليه قابلة للنوع نفسه من النقد ، والفرق هو انه في احدى الحالتين ان مثل هذا النقد سينطبق على كافة العمل ، وفي الاخرى على ناحية واحدة فقط منها : ويمكن ان يكون التاريخ بغيضا من ناحية الاسلوب ومع ذلك يبقى مصدرا للمعلومات القيمة ، وعلى العكس فان المسرة الجمالية التي نحصل عليها في عمل يمكن ان يدوم طويلا بعد ان تكون قيمته العملية قد ذوت : فما الذي يبحث عنه القارىء الحديث في كتاب « كتاب تيسير » من النصائح العملية حول فن الحكم الجيد ؟ (٣)

وبكلمات اخرى ، هناك نوعان مختلفان متميزان يمكن ان نطلبهما من عمل غير خيالي اعلامي وجمالي ، ولايحتاج الاثنان للوجود في نسب معاكسة احداهما للاخرى ، وانها فكرة حديثة جدا الاحساس بالتزيين على انه ينقص من امكانية الاعتماد على عمل وتوقع طبيعة المضمون للحكم سلفا على الاسلوب ، وعليه فاننا لانجد ان تاريخ ماوراء البحار مكتوب بتفصيل اكثر من - لنقل - ترجمة وليم او نيل « ا - ب » مع انه اقل واقعية بكثير من اي من هذين .وفي الواقع إن النص الذي التقطناه على انه الأكثر بالمعلومات ، أي نيل(د) هو كما سوف نرى أيضا واحد من أفضل ماكتب متعة ، فالكاتب لم يكن مقيد في اختياره للأسلوب برغبته في ان يكون دقيقا •

وهو مقيد مع ذلك وبشكل جدي باللغة التي يستعملها في وسط ادبي حديث هو حتى الان غير موائم بالمرة لمهمته ، وحيث ان كاتب

ايمان سترا سبورغ وهو اول من حاول كتابة شيء يمكن ان نسميه فرنسيا ، كان عليه ان يبتكر وسائل جديدة من اجمل المعاني الجديدة ، وايضا كان على هؤلاء المؤرخين الفرنسيين المبكرين ان يبتكروا تعابير جديدة باللغة الدارجة من اجل المادة الجديدة التي كانوا يعبرون عنها للمرة الاولى نثرا باللغة الدارجة ، وقد فحص بشكل مرض من قبل ب ـ م سكون من اين حصلوا على كثير من الوسائل وتبين انهم اخذوا الكثير من اسلافهم المؤرخين اللاتين والكثير ايضا من الطرق والاعمال التي كانت عادة متبعة من قبل الشعراء الجوالين ، الذين مثلهم كثيرا ماتعاملوا مع شخصيات بطولية ومآثر عسكرية ، واحرزوا مجموعة واسعة نوعا ما من المفردات المناسبة للغرض (٤) ، ومن اجل الباقي كان على المؤرخين ان يحسنوا الارتجال ، وكان القصور الرئيسي في اللغة الدارجة في امكانياتها المحدودة في تركيب الجمل قد اتضح كثيرا في الترجمة الفرنسية لتاريخ وليم ، حيث تصور عجز القدرة على تركيب الجمل الفرنسية باد بوضوح خاصة بالمقارنة مع الامكانيات الاسلوبية الكبيرة في اللاتينية التي كان وليم كاتبا مقتدرا بها ، على سبيل المثال قوله :« وعلاوة على ذلك ارسل خليفة مصر ، وهو الحاكم الكافر الاقوى بين جميع الحكام الكفرة بسبب ثرواته وقواته العسكرية » (٥) .

وهذه تشبه لا بل هي ، جملة لاتينية بسيطة تماما . وهناك عبارة رئيسية واحدة ، عبارة وصفية تصف الفاعل ، وعبارة موصولة تابعة تصف المفعول . ولكن عندما ننظر الى الترجمة الفرنسية ، فان رقة اللاتينية البسيطة جدع ، والفن الذي يتكتم على فن ، يصبح ظاهرا على الفور :

'Entre les autres mescreanz princes, li califes d'Egypte estoient [sic] li plus puissanz de genz et li plus riches d'avoir. Icist envoia ses messages as barons qui estoient en l'ost. Si vos dirai par quele achoison. (٦)

ويتضمن هذا بالضبط كل معلومــات الاصــل ، ولكنه لايحصــل شيئا بالمرة من الاسلوب ، وللتأكيد ، هناك طرق يمكن للمترجم ان يقوم فيها بوظيفة افضل بالمواد نفسها ، وعلى سبيل المثــال لانرى المرء سببا لعدم اختيار .

كما هي قائمة للاداء بدلا مــن العبــارة الاطــول ولكن هناك عدم مواءمة اساسية فعبارة هي من قبل التركيب الشائع ، حتى اننا من قـــــــراءتها لانلحـــــــظ انهــــــــــــــا اداة اسلوبية بارعة ، ولكن بالتمعن بالتوسع المطلوب لتأدية المعنى نفسه باللغة الفرنسية القديمة نبدأ ندرك بالضبط كم هي معبرة واقتصادية

ومامقدار الخسارة عندما لايمكن ايجاد تركيب مماثل ليحل محلها

والفرق الرئيسي بين الاصل والترجمة على اي حــال هــو الذي له اعظم تأثير جذري ، وهو الافعال الرئيســية ـ واحــد في اللاتينية وثلاثة في الفرنسية ، واخر واحــد مســبوق بــكلية الوجــود ويمكن ان تأتي المرادفات مستقلة في « اناشيد العمــال» حيث تــكون العبارات القصيرة الملفتـــة النظـــر المناســـبة للخـــطابة هي بالضبط ماتدعو الحاجة اليه ، وحيث يكون القراء قد نسوا ماذا كانت بداية الجملة ، اذا ادخل من العبــارات التــابعة (الثــانوية) اكثر مما ينبغي قبل النهاية ، ولكن بالنسبة لقارىء ووجه بحــكاية نثرية مطولة فانه يصعب ان يكون مثاليا . ومع ذلك فــان الفــرنسية القديمة ، على الاقل في الفترة التي تتعامل معهــا ، كانت مــاتزال تميل لان تكون في الاساس لغــة متــرادفات ، والمؤلف الذي حــاول استعمال جمل طويلة فعل ذلك مخاطرا بقرائه كما سيبين هذا المثال من تاريخ هرقل :

Il avint quant Androines ot copée la teste a Alexe, qui avoit l'empire ue Costantinople en se garde et l'enfant, qui fu fiz de l'empereor Manuel; vint lors Androines, si se pensa d'une grant traison, et par le conseil d'un suen escrivain, qui avoit nom Langosse. Adonques fist il prendre le juene enfant, qui baron estoit de la fille dou roi de France Loys, que il deveit garder en bone foi, et le fist metre en un sac, et porter en un batel par mer et le fist geter ens, et fu noiés. (٧)

والمشكلة هنا أن هاتين الجملتين هما في الواقع لا شيء سوى سلسلة طويلة من العبارات المتتابعة ، وكلها مترابطة بكلمة ([illegible]) او باسم موصول وكلها تحمل الوزن نفسه مثل بعضها ولا تعلو واحدة على الأخرى .

والانطباع الاجمالي هو عدم النظام ، وما هو أكثر أننا في « غ ج » و « د » نجد عند هذه النقطة : الجملتين تفسرهما بجملة واحدة :

La nuit quant Androines ot la teste copée a Alex qui avoit l'empire de Costantinople en sa garde et l'enfant qui fu fis l'empereor Manuel, vint lors Androines, si se pensa d'une grant traison, et par le conseill d'un sien escrivain qui avoit a non Langosse, et fist une nuit prendre le juene enfant qui baron estoit a la fille dou roi de France Loys, que il devoit garder en bone foi, et le fist metre en un sac et porter en un batel par mer et le fist geter ens et si fu noiés. (٨)

إن هذا حتى أكثر تلونا وتشتتا ولكنه يعطي صورة مصقولة أكثر ويجب أن تقبلها كأفضل قراءة « *lectio difficilior* » التي حاول مصنف « أ ـ ب » تحسينها وتوضيحها ، ولكنه لسوء الحظ أضاع المعنى (٩) في العملية وفي كليهما غموض في المعنى في النهاية : فقد كان اندروان الفاعل لكل فعل حتى الأخير منها ، والنظرة السليمة ، وليست القواعد ، هي التي تخبر القارىء بأن هناك تغيير في الفاعل عند
'et si fu noiiés'.

وهذان المثلان يصوران على الفور تأثير اللاتينية على اللغة الدارجة التي أخذت في الظهور ومحاولة تقليد توازي « 'divitiis et militia' » نموذجية وأيضا إن القصور ، وهو ذلك المتأصل في اللغة ذاتها ، وفي اختيار وعرض المادة له تأثير أكثر ظهورا بكثير ، وهنا يبدو التباعد بين التواريخ

الصرفة ، والذيول الصحيحة والتصانيف « المختلطة » والموجز ، وتاريخ بلاد ماوراء البحار أكثر وضوحا. وهو مرتبط بهوية كثير من موادها ، لانها تنتمي في الواقع الى أنواع أدبية مختلفة تماما . وليس هناك فروق جذرية في اللغة المستعملة أو في الفائدة المتحققة منها ، وكل الخصائص الموصوفة من قبل ستكون موجودة في هذه التواريخ كما هي في التواريخ التي حللها ، وتكمن الفروق كليا في تطبيق الوسائل نفسها على مختلف الغايات فهل يمكننا حقا أن نسمي الموجز والتاريخ مبدئيا مصنفات تاريخية بشكل مطلق ، أم أن الاحرى بها أن توصف كقصص خيالية (رومانسية) تصادف أنها ذات مضمون تاريخي عالي كأسلاف الرواية التاريخية الحديثة ؟ وللاجابة على السؤال من الضروري أن نسأل ليس فقط ما هي محتوياتها ، ولكن ما الذي نوى المصنف أن يصنعه من هذه المحتويات ، وذلك بقدر ما يمكننا أن نحكم على مقاصده من خلال تصنيفه .

ويبدو عند النظرة الاولى أن الموجز يحوي تشكيلة مدهشة من المواد ، ويلقي على القارىء انطباعا بعدم التنظيم وعدم الوحدة ، فهو يقفز من موضوع لآخر ويتناول وصفا طويلا لبيت المقدس في مكان يقطع فيه التوتر الصاعد للحكاية بطريقة باعثة على منتهى الازعاج (١٠) ، وبشكل عام يبدو وكأنه مبني على حبل طويل من الافكار المرتبطة مع حبال أقصر تتفرع عنه حسبما وعندما يجد المؤلف ذلك موائما ، أكثر من أن يكون طبقا لخطة مقررة سلفا .

ولكن هنا بالضبط توحيد وحدته ، والمؤلف أو بدقة أكثر المصنف كان لديه فكرة في ذهنه ، واختار مادته ورتبها حول تلك الفكرة ، وقد أعلن كما اخبرنا في أول جملة له أنه سيخبرنا كيف سقطت القدس في أيدي المسلمين ، وكيف فقد الصليب المقدس ، وكل شيء يوحي به هذا الموضوع يعتبر متعلقا به ، وهكذا فإن خط الترتيب الزمني للقصة ، وسلسلة الاحداث

بالترتيب الذي وقعت فيه ، ذو أهمية ثانوية ، ويمكن أن يضحى بـه بشكل صحيح ، عندما يظهر اختيار من قـطار أفـكار المصـنف ، وهذا المبدأ الموحد الحقيقي للعمل ، وفي هـذا المجـال فإنه صـحيح تماما القول بأنه لمْ يكتب تاريخا من نوع التواريخ الرومانسية ، بل كتب تاريخا أعد ليخدم هدف حكاية جيدة ، والنتيجة النهائية تشـبه كثيرا القصص الخيالية النثرية الفروسية بقدر ما يعنيه شكل القصة فهو يسهب ويتسكع ، مع مـكائد ثـانوية وشـخصيات صـغيرة بوفرة ، ولكن يبقى الموضوع مع ذلك واضـحا في الذهـن ، وهـذا صحيح بالطبع عن الموجز فقط حتى ١١٩٧ بقـدر مـا يسـتمد مـن التاريخ الأصلي لأرنول ، الذي يأتي منه الموضـوع ، وبعـد ١١٩٧ فإنه يشبه كثيرا جدا التواريخ الأخرى : رواية مبـاشرة للأحـداث ذكرت عادة بترتيب زمني ، مع درجات مختلفة مـن الدقـة وبـدون عنصر الأخبار القصصي ، والخلاصة فإن الموجز كقطعة من الأدب في حينه يمكننا أن نقول أنه حتـى ١١٩٧ هـو على أي حـال حقـا قصة ، فيها الموضوع ومعظم المادة قـد أخـذها المصـنف مـن مصدره ، أرنول الأصلي ، وجعلها بالانتخاب والاختصاص وبعض الاضافات الخاصة به ، حـكاية الغـرض الرئيسي منهـا تشـويق القارىء ، ولكن في مضمونها الواقعي العالي يمكن أن نتبين أيضـا رغبة قوية ، وإن تـكن ثـانوية ، في الاعلام والاخبـار ، وبعـد ١١٩٧ ، يبقى فقط ثاني هذه الأهداف ، وباقي الموجز بالتالي أقل امكانية للقراءة بقدر كبير ، وهو اجمـالا ليس عمـلا له أي جـدارة أدبية خاصة ، مع أنه شائع بقدر كاف ٠

وفي حالة تاريخ ما وراء البحار ، غير المنشور ، وغير المعـروف تقريبا ، فإن تقنية خلط الحقـائق بـالخرافات وتـرابطها جميعـا وتصورها للموضوع نفسه هي حتى أكثر وضوحا ، لأن الاقحامات القصصية الخيالية واضحة تماما ولها هـدف واضـح ، ولم يبـال المصنف حقا بالمرة إذا ما كان صلاح الدين حقا قـد منح سرا رتبـة فارس أو إذا ما كان قد تحدر من كونتات بونثيو ، ولكنه رغب في لفت

الانتباه الى تلك الوجوه في شخصية صلاح الدين التي كان هدف هذه القصص هو شرحها ، وعلى العكس رغب في رسم صورة نفسية أكثر اقناعا لبطله بتقديم ايضاحات لما يمكن خلافا لذلك أن يرى كعناصر متنافرة في شخصية رجل كان هو فوق كل شيء العدو الرئيسي للفرنسيين ، أي لقراء المؤلف وجمهوره ، ويرى صلاح الدين بوضوح من سلوكه في مجرى التاريخ الصحيح الذي يحتويه الكتاب ، كشخصية ذات سمات معقدة ، لذا توجب أن يتزود بماض يتوافق مع هذا ، والمعايير التي اختيرت وفقها أحداث هذا الماضي ليست لأنها قد حدثت حقا أو حتى لأنها تتواءم بيسر مع بقية القصة ، وهو مالم يحدث ، بل مع متطلبات ليسنغ لأي قصة خيالية مقنعة « 'es hätte geschehen können. »

والتأكيد ، إن فكرة القرن الثالث عشر عما يمكن أن يكون قد حدث قد اختلفت بدرجة واسعة عن فكرة زمان ليسنغ ، ولكن *mutatis mutandis* مازال المبدأ الذي يطبق .

وعليه فإن الموضوع الموحد في التاريخ هو نفسه كموضوع الموجز ، موجود في ذهن المؤلف ، ولكن مع أن كليهما لديه ظاهريا الموضوع نفسه أي ضياع بيت المقدس والصليب المقدس ، فإن التاريخ في الواقع مشغول أكثر بكثير وبثبات بموضوع صلاح الدين ، وهو انشغال مرئي بشكل رئيسي في الحكايتين الخياليتين المقدمتين، وأيضا في الفقرات الواسعة نوعا ما التي تتعامل مع حروبه ضد ملك النوبة ، والتي لم تذكر في أي من النصوص الأخرى بالمرة . وهنا يصبح العنصر الموحد الثانوي في هذه الاعمال ظاهرا أيضا ، أي وجهة نظر المؤلف في موضوعه ، وهذا أكثر أهمية في التاريخ مما في أي من النصوص الاخرى ، وأكثر أهمية حتى من الابلنيين في « د » اذ أن ولاء المؤلف لهم جعل التاريخ الذي يحتويه بلا شك منحازا في الواقع الى حد مساعدتنا في التعرف على تغير المصدر ، وما يزال عاملا واحدا فقط في الحكاية الاوسع كثيرا . وفي التاريخ لا يكتفي موضوع صلاح الدين بمجرد تلوين الحكاية كما

فعل موضوع الابليشيين في « د » ، بل هو مهيمن على كل العمل . وهذا المعنى القوي لنية المؤلف وهو الانطباع الذي يمكن أن يستطرد فيه أحيانا مع انه لن يزعجنا بحكاية تافهة ملتوية ، ويساعد في جعل التاريخ اخف كثيرا وأكثر تسلية من الموجز ، الذي يبدو أحيانا كأنه قد فقد كل حس بالاتجاه ، وعامل آخر في تأليف التاريخ يجعل المرء يأسف هو تعذر الوصول اليه وفقر المعلومات بسبب عادة الشرود لدى مصنف إحدى المخطوطات (ب ن ف فر ٧٧٠) بوضع التفاصيل الصحيحة في النص بصورة تنتهك احساسه بالدقة ، من ذلك على سبيل المثال :

'Sor cele mer fu çou que Nostre Sire fist de l'aighe vin quant il fu as noces de Sainte Eglyse, mais non pas d'Archedeclin com on dist en ces roumans rimés. Archedeclin fu uns asaieres de vins. Nan pour quant il estoit princes entre les mengans, et ce fu fait en la cité de Tabarie.' (١١)

وهذا ليس صحيحا فقط بل مسل ، وهكذا نغفر للمؤلف الدفعة المميزة من تهنئة النفس ، التي بها صحح مصدره الخاطىء ، وأسهمت هذه الملاحظات في التنوع الواسع تماما في الاسلوب والموضوع الموجود في التاريخ ، والذي يعني لأجل ذلك كله أنه نص لا يعتمد عليه لأنه بمزجه بين الحقيقة والقصص ذات الخيال الصارخ يتركنا أحرارا في تكذيب مضمونه ، وذلك مع التأكيد أنه ممتع القراءة .

وعندما نتحول من هذين التصنيفين الى النيل الصحيح نجد أن الهدف السائد مختلف ويضفي شكلا مختلفا على العمل ، وهنا يعطي المؤلف – الى درجة كبيرة جدا – أفضلية أولى لتسجيل الحقائق والأحداث كما هي ، وهكذا تميل النيول الى استبعاد الاساطير الاكثر تلونا بدرجة كبيرة ، ولبيان فكرة الارتباط التي

تصبح أكثر قربا من الفكرة الحديثة ، وترتيب الحكاية أكثر دقة مـن الناحية الزمنية بكثير مما عليه الحـالة مـع الموجـز ، والتـاريخ والاستثناء لهذه القاعدة بصرف النظر عن تلك التي تسـببت بتغيير من التنقيح - هـو مـن نوع نتقبله بسـهولة ، إنه الاشـارات الراجعة : وتشير مقدما الى تنمية الفعل الذي يجري وصفه ، والتي تسمح لنا بـروايتها بإدراك متـأخر ، ونوع تيار تقنية الوعي الذي ادى بمصنف الموجز الى طرق غريبة وملتوية غائبة هنا ، وفي الاغلب ان الاستطراد يتألف من فقرة أو اثنتين ، والاسـتثناء الوحيد هـو النص المسمي بنيل روثلين (١٢) الذي لاينتمي بدقة للفـرع الأول بأي حال ، والذي هو خليط من الأساطير والأوصاف من الجغرافية والمنقول من جاك دي فيتري ، وهـذه كلهـا كمنوعات مثلهـا مثـل العناصر المجلوبة من بعيد التي يوفرها التاريخ ، وبصرف النظر عن هذا كله ان النيول بكلمة واحدة كلها متماسكة بشيء من الجمود .

وليس هذا للقول بأنها على الاقل مملة فـالنثر الجـديد بـاللغة الدارجة كان عليه أن يثبت احترامه ومـواءمته للأعمـال الجـدية في حقول كانت حتى الآن عامـلا مقصـورا على اللاتينية ، ولكن كانت هناك سابقة جيدة للجدية بلا ملل وحتى وليم نفســه بـكل ثقله ، لم يستنكف عن تطوير تاريخه بمثل تلك الحوادث الملهية مثل قطع رأس جمل بضربة واحدة من السـيف مـن قبـل غودفـري أوف بوليون (١٣) وهي حقيقية لو استمرت بصورة صحيحة لامـكن أن توفر التسلية بقدر ما تستطيع القصص الخيالية ، ومـع أن النيول تفتقر الى النوع المدهش دائما في الموجز والتـاريخ فإنهـا تجتـذب اهتماما كافيا بالمادة نفسها للتعويض عن هـذا ، وبعـد كل شيء إن المادة التي يستعملوها قادرة بشكل متأصل على إثارة مجال واسـع من العواطف لدى القارئ ويخبرنا جوسلين أوف بـريكلوند عن رد فعل الأب سامسون .

-٣٧١٦-

us of the reaction of Abbot Samson, '. . . qui, audito rumore de capta cruce et perdicione Jerusalem, femoralibus cilicinis cepit uti, et cilicio loco staminis, et carnibus et carneis abstinere (١٤)

وبالتأكيد ان نهوض وسقوط الرخاء الفرنجي في الشرق كان موضوعا حيويا ، كان بإمكانه دائما أن يسيطر على الاهتمام بسهولة أكبر ، وبفضل مادة موضوعهم ، كانت الذيول مضمونة النجاح تقريبا ، والعدد الكبير جدا من المخطوطات التي ماتزال باقية ، الى جانب حقيقة انها قد نسخت وأعيد نسخها حتى دخول الطباعة ، ثم طبعت (١٥) تشهد على هذا النجاح ، وقد تمتع تاريخ هرقل بكل وضوح بشعبية دائمة واسعة الانتشار .

ولكن مع أن شيوع مادتهم ، تفسر هذه الشعبية للسنوات المائة الأولى ، او نحوها لوجود التواريخ يجب أن نبحث بعد هذا عن تفسير آخر ، يبدو أنه يكمن في المهارة التي قدمت بها المادة والطريقة التي استمدت بها الامكانيات السهلة للقصص التي أعطيت الشمول والدوام ، وبناء عليه فان هذه الصفة هي التي يجب أن تكون موضوع حكم إجمالي ، بعد سبعمائة سنة أزالت كل الزخم المباشر للأحداث المروية ،وقد استبدلت بالطبع بشيء ما لم يوجد في ذلك الوقت ، وهو اهتمام أثري ، ولكن هذا لايمكن أن يفترض بشكل معقول أنه كان في نية المؤلف ، وهكذا يصلح موضوعا لسؤال آخر ، وفي الوقت الراهن هناك بعض الأمثلة على الطريقة التي قدم بها مصنفو الذيول مادتهم ، ستصور كيف أعطت هذه الطريقة اهتماما دائما لأحداث كان مقدرا لأهميتها الأولى أن تذوي مع مرور الوقت .

ويشكل المثال الاول في تاريخ هرقل الفصل العشرين من الكتاب الخامس والعشرين (١٦) ويروي قصة فارس نورماندي أنقذ

عددا كبيرا من الحجاج من الموت على يد اسحق كومنينوس ، مع أنه كان عارفا أن فعل ذلك يعني موته المؤكد ، اذ أنه كان مرتزقا في خدمة اسحق ، وهي قصة درامية بحد ذاتها ، الا أن الاسلوب الذي رويت به صريح تماما واستعمل عددا من الكلمات والعبارات العاطفية بشكل لامفر منه مثل : قاسي (مرتان) و « شهيد » (مرتان) « وشعر نحوهم بعاطفة كبيرة وبرحمة عظيمة » وهكذا هلم جرا ، ولكنها استخدمت جميعا دون مزيد من التأكيد ، ولم ترتب كلمات الجمل أو تصمم بشكل خاص لجعل تأثيرها دراميا ، فقد رويت حادثة تلو أخرى بطريقة واقعية جدا حتى البطل لم يذكر اسمه ، ولكن أشير اليه بمجرد القول :« فارس من أصل نورماندي » .

ويحتمل أن المؤلف لم يكن حتى يعرف اسمه ، وباختصار فان كامل الفكرة الاساسية للحادثة هي انقاص الأهمية ، أو حتى يمكن أن نقول تقنية الطرح جانبا التي ترسو دراما المحتوى فيها بالرفع بلا مبالاة ، وتدعه يقف بدون أي من التزيين البلاغي أو المبالغة التي في كتاب دي كلاري على سبيل المثال ، والتي غالبا ماكان لها أثر معاكس لما بدا انه كان يرمي اليه ، وبإقامة دعائم مفرطة فوق أخرى مفرطة تبلد أحساس القارىء وتنقص من زخم الموضوع نفسه ، ويساعد مصنف تاريخ هرقل في هذا المثال حقيقة أن الصفات التي تمتع بها من أجل ان يثير اعجابنا مقبولة عالميا على أنها مثيرة للاعجاب بأي حال : وفي الواقع تغدو القصة من وجهة النظر هذه واضحة الى حد ما ، ولكن بالتقنية غير الدرامية يجعلها تقول الشيء نفسه .

ومثال آخر على الايجاز والبساطة التي تعطي فاعلية لحادثة غير جديرة بالملاحظة نوعا ما ، وهو وصول برنغاريا النافارية الى عكا وروايتها هكذا في جميع نصوص تاريخ هرقل باستثناء « د » و الموجز :

Quant li rois de France sot que li rois d'Engleterre venoit, et que il avoit feme espousee, si en fu moult dolenz. Et por ce ne laissa il mie que il n'alast encontre lui. La fu li rois de France de si grant humilité que il descendi de son cheval a terre et prist la feme dou roi Richart entre ses braz et mist a terre hors dou batel, si come l'en dit. (١٧)

وتتوفر معارضة هامة بالمعالجة التي في رواية « د » لهذا الحدث بالضبط الذي يروى بالتعابير نفسها بالضبط تقريبا ، ولكن مع وخزة بالنيل :

Au descendre la feme dou roi Richart, le rei de France fu de si grant humilité que il ala encontre yaus au rivage. Il meismes enbraça l'espouse et la descendi en terre, et n'i vost descovrir son corage, ne semblant n'en fist de l'outrage que le rei Richart li avoit fait Ce est assaveir de ce qu'il avoit laissié le mariage de sa seror por le mariage de Berengiere la suer dou rei de Navarre. Il li mostra bien quant il torna en France (١٨)

وهذا مثال رائع لعادة تميز مصنف « د » عن كل المؤرخين الآخرين ، وهي اضافة تعليق موجز مفاجىء ومناسب يلقي ضوءا مختلفا تماما على كامل الحادثة ، وتظهر بالتضاد النفحة الرقيقة للرواية التي تعطيها النيول الأخرى ، ومرة أخرى تعتمد على انقاص الأهمية لاعطاء تأثير الوخز .

وهذان الاثنان كلاهما حادث صغير في تاريخ الحروب الصليبية ، ولكن هناك حادثا كبيرا شكل واحدا من أقوى النقط في قيمة النيول تاريخيا ، وقدم ايضا واحدا من افضل الصور للوسائل الأدبية الصرفة المستعملة بنجاح ، وجعل القصة حية بصرف النظر عن المعلومات التي احتوت عليها ، انها حكاية مفاوضات بالين دي ابلين مع صلاح الدين من اجل افتداء فرنجة بيت المقدس قبل تسليم المدينة في ١١٨٧ ، وكان هذا ذا أهمية سياسية عظيمة ، وتعطينا النيول رواية كاملة بشكل خاص عنها . ولكن الغريب ان الناحية

السياسية في المفاوضات اهميتها منتقصة ، ويمكن للمرء ان يقـول انها تقريبا مهملة ، بينما يركز المؤلف كل جهوده على جعل القصـــة شخصية ، حتى انها تصبح كما لو كانت جـزءا مــن كتلة القصص حول صلاح الدين كفرد ، اكثر منه كشخصية عامة ، وتغطي القصة فصلين طويلين (١٩) والقسم الرئيسي فيها هـو بـالكلام المبـاشر في صورة حوارات بين صلاح الدين وبـالين دي ابلين . وهـذا وحـده يجعلها مباشرة ودرامية . ولدينا بسهولة الانطباع بان المشاهد قـد مثلت امامنا ، وترى الشخصيات كأشخاص حقيقيين ، يتصر فـون على سجيتهم اكثر من ان يكونوا دمى للمؤلف ، وهذا اسلوب مقنع جدا لتقدم فيه الحادثة ، وله ايضا فضيلة السماح بقـدر كبير مــن التفاصيل التي يعبر عنها بدون ضجر مفرط ، وتميل الفقرات التـي بالكلام غير المباشر ردا على العكس ـ الى درجة شديدة من الرتابة مع كثير من التكرار في

dist que and *distrent que.*

ولم تضف ثروة التفاصيل التـي ضـمنها المؤلف في روايتـه شـيئا للمعلومات التي أعطاها لنا ويمكن ان يكون قد عبر عنها كلهـا كثيرا جدا بإحكام اكبر ، ولكنهـا تفيد في اشـغال القـارىء بتـطور المفاوضات ـ فنحن نراها تجري خطوة خطوة ، بدلا من ان نخبـر بكل شيء على الفور بتقدير مباشر ـ وهي اضافة الى الجو نصـف المسرحي الذي بناه المؤلف ، وهذا بدوره يضيف شيئا مـا لوجهـة نظرنا عن الاستيلاء كحدث تاريخي ، وليس الى معلوماتنا الحقيقية حـوله ولكن الى تقـويمنا لاهميتـه ، والاهمية التـي كانت له عند الفرنجة في ذلك الزمان وربما تكون هذه الحادثة : افضل مثال في كل الذيول عن قطعة من المادة كان مقدرا لها ان يكون لها بعض القيمـة ـ كمعلومات صرفة ـ لاي قـارىء وبناء عليه للاسـتمتاع ببعض النجاح حتى اذا عولجت من قبل مؤلف معتدل ولكن هذا المؤلف بالتقنية التي استعملها ، وبـالنظرة الى مـوضوعه ، التـي سـاعدت تلك

التقنيات على نقلها ، لم يعطها قيمة واحدة بل اثنتين ، دون التضحية باي معلومات كانت تنطوي عليها ، وقد جعل منها تقريبا قطعة من المسرح النظري ، وقد رأى اي امكانيات درامية لدى القصة واستثمرها بكفاءة ، حتى ان ماكان يمكن ببساطة ان يكون حادثة في الحرب مع اهتمام سياسي غير شخصي فقط ، قد اصبح ايضا صورة سيكولوجية باهرة لرجلين والعلاقة بينهما ،ورواية ململمة مدهشة عن معركة في المهارة الدبلوماسية ، مع الابقاء على التوتر عاليا بمعرفة ان حياة وحرية الاف من الفرنجة في خطر . وانه بفضل مهارة المؤلف كمؤرخ ، اي مقدرته على تنظيم الحقائق وتقديمها بوضوح ، فاننا بقينا في نهاية الرواية على معرفة جيدة باستسلام بيت المقدس ، واننا نشعر ايضا بانغماس في النتائج ، وباننا مهتمون بمصير الفرنجة ، وهذا معيار لمهارته كقصاص .

وحتى الان ، ان كل هذه الامثلة كانت مشتركة بين كل الذيول ، وبالتضمين الذي يمكن ان يعزى الى مصدرهم المشترك ارنول الاصلي ، ولكنه يمكن ان يكون بالطبع خاطئا تماما ان تعالج كل روايات تاريخ هرقل معا كما لو ان لها جميعا اسلوبا مشتركا واغراء واحدا للقارئ ، وهذا صحيح عن الفقرات المشتركة بينها ، مثل تلك المقتبسة ، ولكن هناك ايضا الاقسام الطويلة الموجودة فقط في واحدة او اثنتين من الروايات وليس في الاخرى ، والرواية المتفردة الاكثر إثارة للدهشة من وجهة النظر المتعلقة بالأسلوب وايضا في محتواها هي « د » ، وهنا كل الحيوية والبداهة ونوعية التقنية التي تذهب لجعل كل الروايات ممكنة القراءة مضاعفة ، وبقبول أن هذه هي الرواية الاقرب في مضمونها للتاريخ الأصلي لأرنول ، يجب ايضا أن نقبل أنها تعطينا الانطباع الاكثر دقة لما كان عليه أسلوبه ، وبفعل ذلك يجعلنا نأسف أكثر مما كان أبدا لأن الاصل قد فقد منا ، وهذا القرب من أرنول يقدم المفتاح للأسلوب المفعم بالحيوية للعمل : إنه ينطلق من اشتغال المؤلف في القصة التي يرويها ، والتي هي أقل نكهة في هذه الرواية عما في الاخرى ، ويأتي انشغال أرنول الخاص إلينا بوضوح هنا ، حتى أننا نحن أنفسنا

نتماثل بسهولة أكثر معه أكثر مما في تلك الروايات التي أصبحت نزيهة أكثر وهادئة أكثر ، وهكذا أقل أخبارا ، وقد سبق لنا أن رأينا مثالا في «د » يضيف تعليقا شخصيا إلى حكاية شبيهة بتلك التي في الروايات الأخرى ، وبذلك يحول كامل القصة بضربة واحدة ، في قصة وصول بيرنغاريا إلى عكا (٢٠) وهي رواية حتى أكثر تشخيصا ، فيها في الحقيقة يشكل الاهتمام الشخصي الظاهر للمؤلف السمة الرئيسية للعرض ، ويتعامل مع تقسيم غي لقبرص إلى إقطاعيات بعد أن اشترى الجزيرة من رتشارد في ١١٩٢ (٢١) ، وكل روايات الذيول تقوم ببعض التعليق على معالجته للحالة ، ولكن رواية « د » تمضي بعيدا جدا أكثر من البقية .

ورواية « د » وحدها هي التي تخبرنا أنه عندما استحوذ غي على الجزيرة أرسل إلى صلاح الدين في طلب النصيحة حول كيفية إدارتها وقد تعلم على مايبدو من أخطائه ، وقد رأينا من قبل أن موقف المؤلف من صلاح الدين كما هو مبين هنا نموذجي : أعلن صلاح الدين أن غي عدوه ، ولكنه مع ذلك تصرف تجاهه بشرف و *leiaument* هي الكلمة المهمة ، وبقية القصة هي بيان كيف أن غي وضع موضع التنفيذ النصيحة التي أعطاه اياها صلاح الدين (٢٢) بمنح الاقطاعات للفرسان الذين فقدوا أراضيهم في سورية نتيجة لفتوحات صلاح الدين .

Les chevaliers et les serjans et les borjeis, cui Sarasins avoient deserités, oirent le comandement dou rei Guy. Il murent et vindrent a lui, et des dames juenes et des orfenins et orfenines a grant planté, iceles cui les barons et les peres estoient mors et perdus en Surië. Il lor dona riches fiés, et as Griffons et as chevaliers que il avoit menés o lui, et as corversiers et as massons et as escrivains en Sarrasineis, ensi que la Deu merci, sont devenus chevaliers et grant vavassors de l'isle de Chypre. (٢٣)

وهناك ملحوظة شخصية لاتخطىء في هذا الاقحام لعبارة « رحمة الرب » التي صدرت عن حوار في المفاوضات بين بالين وصلاح الدين لتعطينا تبصرا بأهمية الحدث بالنسبة للناس

المعنيين ، وهي أيضا بالمصادفة بينة وموثقة ، من أجل مطابقة أرنول المؤلف مع أرنول صاحب جبلة والقول انهما الشخص نفسه الذي حرم من أراضي عائلته بالفتح الاسلامي واصبح « ملاكا كبيرا » في جزيرة قبرص (٢٤) والكسب الشخصي من سياسة غي ، يفسر ايضا كيف أن المؤلف الذي كان من قبل يري في غي الحاكم الضعيف الذي أضاع فلسطين ، وجد فجاة أن لديه بعد كل شيء بعض المؤهلات .

وبعد هذا التعداد للناس الذين جاءوا لاستعمار قبرص تحت حكم غي قامت رواية « د » مثل كل الروايات ، بمقارنة بين نجاح غي في قبرص واخفاق السياسة المضادة التي مارسها بلدوين في امبراطورية القسطنطينية ، ومرة أخرى أضافت رواية « د » ملاحظة من عندها ، هذه المرة المثل القائل « من يحاول احتضان كل شيء يخسر كل شيء » (٢٥) ، ولعل هذا عاطفيا بعض الشيء ، تعوزه البراعة ، ولكنه مع ذلك ربط المؤلف مباشرة بموضوعه بإظهار اهتمامه بمضمونه خطأ بلدوين ، وأعطاه تحريفا خاصا من أجلنا ليزيد من حدة الزخم كثيرا ، ويظهر هذا أيضا سمة أخرى لأسلوب«د»وهي شغفة بالعبارات المحورة بمهارة ، وبالعبارات الموجزة أو حتى بالكلمات المفردة المستعملة بصورة مثيرة للعواطف ، وارسال صلاح الدين بالنصيحة الى غي يزودنا بمثال جيد على هذا الاستعمال للكلمات :

Salahadin repondi as messages que il n'ameit gaires le rei Guy, mais depuis que il li requereit de conseill, il le conseillereit au miaus que il savreit. Car puis que l'on demande conseill a autrui, soit ami ou henemi, leiaument li doit conseillier, et sur ce dist as messages: 'Je conseille au rei Guy que, se il viaut que l'isle soit tote soue, que il la doigne toute. (٢٦)

وهنا في هذه الفقرة أولا كان استعمال « *leiaument* » الذي سبق ملاحظته والذي يثير على الفور هنا موقف صلاح الدين الكامل ومسلكه تجاه غي في هذا الأمر ، والمعيار الخلقي الذي عمل به والذي كان بعد كل شيء معيار

الفرنجة أنفسهم ، وهذا يذكرنا بغـانلون وهـو فـارس كان مثيرا للاعجاب بشكل مثالي له كثير من الفضائل ، وهي مع ذلك لم تـوفر له شيئا لانه كان يفتقر الى الفضيلة اللازمة والتي لايستغني عنها ،

وتقدم الكونت غانيلون ووقف أمام الملك
كان جسمه جميلا وبدا لونه ينبض بالحياة
لقد بدا رجلا نبيلا ، لكن ذلك كان زائفا (٢٧) .

وقد جعلنا مؤلف « د » باستعمال صلاح الدين لكلمة ذات معاني عديدة جدا ، وتتضمن بذاتها مجموعة اخلاقية كاملة ، نرى صلاح الدين كما كان يريدنا هو أن نراه ، بفعالية أكثر مما يستطيع وصف مطول حول الأخلاق وبلطف أكثر وقـد قبلنا تقـويمه حتـى دون أن نشعر انفسنا أننا قمنا بذلك

ثانيا تقدم كلمات صلاح الدين مثـالا آخـر لنوع التـوازي الذي تؤثره رواية « د »

كلمتان متضادتان في المعنى ولكنهما متماثلتان في النغـم ولهمـا التأثير نفسه بناء عليه مثل 'qui tout coveite tout pert', بنغم ايقاعي مع الحرف المتحرك نفسه في المثـال الاول ، وفي المثـال الثاني الكلمة نفسها مكررة في نصفي العبارة وهذا النوع من تركيب الجملة شامل تقريبا في الأمثال الشعبية والحكم المأثورة ، وواضح أن رواية « د » تؤثره كثيرا وفيه دليل على غرامه بـالسجع وتناغم القوافي ، وندين له بالمحافظة على الأغنية السياسية الشعبية :

Maugré li Polein
Avrons nous roi Poitevin.

وهنا مرة أخرى تعبر الكلمتـان متمـاثلتا النغـم بـوليان وبواتفين عن التناقض الذي يكون جزر معنى الجملة (٢٨) .

والنقطة الاخيرة في كلمات صلاح الدين والتي تصـور خصـائص اسلوب « د » هي الطريقة التي صيغت بها النصيحة ذاتها .

, 'se il viaut que l'isle soit tote soue, que il la doigne toute'

وهنا لايوجد تلاعب بالكلمات ، ولكن الفـكرة صـيغت بعبـارة ظاهرية التناقض ، وحيث أنه يمكننا أن نفترض بثقـة أن المؤلف لم يكن يعرف حرفيا ماذا قال صلاح الدين ، ويمكننا ايضا ان نفترض أنه بمعرفة ما قيل في جوهره ، اختار هو نفسه هذه الطـريقة للتعبير عنه •

ان هذا الشغف بالعبارات الآسرة بمهارة ، وبالاستعارة والمثـل هو الذي أدى برواية « د » في فقـرة ذات جـذب خـاص الى خليط مسل من الشخصيات ، فهي تصف حصار عكا من قبل المسـيحيين في ١١٨٩ ، وكانت محاولة اليأس ظاهر عليها عندما بدات طـالما أن الجيش المحاصر كان صغيرا بصورة تدعو للاشفاق ، والمدينة جيدة الدفاع ، وفي جهد لتنقـل لنا التسـاوي بين القـوتين مضـت رواية « د » بعيدا بفضل بلاغتها الخاصة :

Grant fu la fei des feaus de Deu, quant ensi poi de gent oserent enprendre si grant fait com de metre siege devant Accre. Car tant i avoit des Sarazins dedens la cité d'Acre que a peine i avoit un Crestien a dix Sarazins. Il se mistrent entre le maill et l'enclurne, et se cil de la cité vosissent, il eussent devoré les Crestiens et pris si come fait l'espervier le petit oiselet (٢٩)

وهنا للأسف يمضي المؤلف بعيدا، وحيثما حقق في معظم الحالات تأثيرا دراميا أو واضـحا ، لدينا في تلك الحـالة فقـط تسـلية غير مقصودة وغير مناسبة ، ولكن الاستثناء من القاعدة العامة هو أن مؤلف « د » يقف ورأسه وكتفاه فوق كتاب الهرقليات الآخرين ليس فقط بالاهتمام الفعلي بمادته ، بل ايضا ببراعته الفنية في التعبير

عنها ، وإن براعته هـي الاكثر آثارة للاعجاب بين كل الذيول في هاتين الناحيتين .

ومزايا نيل « د » كما رأيناها كبيرة ـ هو ادق تقليد لدينا لمزايا عمل أرذول الأصلي ، والحكم على مااحتفظ به « د » لنا، يمكننا القول بأن أرذول ككاتب كان بارعا الى درجة كبيرة ، وفي كتابته حيوية روبرت دي كلاري ولكن بدون النقص الوحيد في مجموعة الالفاظ الوصفية العجز الذي اتسم به دي كلاري ، هذا واذا كان وصف دي كلاري البالغ القوة هو مايؤكد أنه كان لايستطيع حقا وصف موضوعه بالمرة ، بالمقابل ندر أن كانت تعوز أرذول الكلمات ، وكمؤرخ جمع في الواقع بين فردية دي كلاري وذكاء فيلهاردين ، وككاتب هو أكثر براعة من كليهما ، حيث لم يعبر اي منهما عن نفسه بشيء له مثل سعة مجال الطرق التي استعملها أرذول ، فعندما أمر صلاح الدين بقتل الداوية أعطانا أرذول رأيه الخاص بأنه كان خطأ في الحكم ، ولكنه اضاف ايضا تحليلا محايدا لبواعث صلاح الدين (٣٠) وحول موضوع الصليبيين الألمان من جانب آخر كان منحازا بلا خجل (٣١) ، وهو ماهر في تفسيره ، دقيق التفصيل للموضوع المعقد ،فهو على سبيل المثال تتبع بوضوح مثير للاعجاب تطور اجراءات انتخاب بطريرك بيت المقدس (٣٢) ولكنه ايضا استطاع ان ينقل معناه ببضع كلمات كما في مسودته الموجزة والمثيرة للعواطف عن هنري دي شامبين (٣٣) فهو عاطفي وساخر ، صافي التفكير وانطباعي حسبما كان يتطلب الموضوع أو المناسبة ، ضيق الافق وكريم بالتناوب ، وفي الحقيقة ان التقلب ربما كان ميزته الرئيسية ، سواء في وسائل التعبير التي استعملها أو في مجال الموضوعات التي تعامل معها .

واختلف عن معاصريه ايضا في فهمه لموضوعه وكلمة « كيف » هي بدقة الكلمة المناسبة لعمله لأنه كان قصاصا كما كان مؤرخا بالفطرة ، وقد بين سكون بصورة مقنعة أن المؤرخين القدامى

باللغة الدارجة قد أخذوا من تقاليد « نشيد الاعمـال » الكثير مـن الالفاظ والكثير من الحيل الاسلوبية (٣٤) ولقد شاطرهم أرذول ايضا في مختلف الاحوال في معالجته لموضوعه وللتأكد هو أكثر دقـة بلا حدود مما كان عليه الشعراء المتجولون ، ولكنه مثلهـم كان يرى ابطاله كأبطال بالمعنى الفني والتاريخي ، وينقل مفهومه المزدوج الى قرائه وسمح له هذا بدوره بكثير جدا من الرقة وحدة الذهن في تعامله مع الشخصية مما هو ممكن في اطار معظم التواريخ من أجل شطري رؤيته ــ التاريخية والفنية ــ حيث يمـكن فصـلها عند الضرورة ، وهكذا فان رتشارد قلب الأسد بطل بالمعنيين ، في حين كان صـلاح الدين سياسي قاسى ، ولكنه بطل فنيا بالمقدار نفسه ، وبهذه الطريقة فان التقسـيم غير المرن للشـخصيات الى فـرنجية وبناء عليه هـم طيبون ، ومسلمين وهم بناء عليه سيئون ، قد تـم تفـاديه ، ولدينا على الفور صورة أغنى اخباريا عن الحالة الحقيقية للامور ، وأكثر اقناعا من الناحية النفسية ، وهنا فان الناحيتين الفنية والتـاريخية بعيدتان عن الصراع مع بعضهما ، وتمضيان يدا في يد وهـكذا تفيد تقنية واحدة العمل بكلتا الطريقتين .

وفي الحقيقة ان هذين الهدفين : الاخباري والأدبي هما الباعثان الرئيسيان لعمل أرذول ، وعلى وجه الاجمال فانه كان يوازن الاثنين بشكل جيد ، فهو لم يسـمح لضرورة الاخبـار بـطمس الرغبـة في التسلية ، ولم يحمله الخيال بعيدا جدا عن الحقيقة ، وبالمقارنة مع هذين الجزئين من الهرقليات وهما غير معتمدين على عمله ، تبـدو كتـابة أرذول مليئة بـالتسلية ، اذا كانت ربمـا مفتقـرة قليلا للرصانة ، وبالمقارنة من جانب آخر مع الخليط المنظم تماما ، وهو تاريخ ماوراء البحار تبدو هذه الكتـابة مـرتبة اخبـارية وبـراقة ويصورها ماس لاتري متبعا وصف فيليب دي نوفار *messire Harneis*

ومنصوره ك

'aussi apte à dicter un livre qu'à soutenir une discussion féodale(٣٥)

ومرة أخرى اثبت ماس لاتـري أنه متنبـيء حقيقـي فـالقيمة الاخبارية لعمل ارنول ، حتـى وإن لم تـكن صـورته مـؤكدة الشكل ، قدم تم الاعتراف بها طـويلا مـن قبـل المؤرخ ، أو يبقـى الاعتراف ايضا بمهارته الكبيرة ككاتب لم يسـتحق بين معـاصريه مكانا وضيعا .

هكذا اذا القيمة الجمالية للتواريخ التي تبقى حتى بعـد انقضـاء نحو سبعمائة سنة ، ولا شك انهم في ايامهم كانوا يقدرون لاسـباب أخرى ايضا تهرب الآن من أحاسيسنا الحديثة ، ولكنهم مع مـرور الوقت أحرزوا اهتماما بالنسبة لنا ماكان لهم ليمتلكوه بالاصل ، الا وهو الاهتمام بقطع المتاحف ، ومع أن هذه قـد لاتعـد شـكلا مـن الجدارة الادبية ، إن لها أهمية أدبية بمعنى انها تزودنا بقـدر كبير من المعلومات حـول تشريح نوع واحـد مـن أدب العصـور الوسطى ، والى درجة معينة بالطبع من أي عمل مفرد يخبرنا بشيء حول الجنس ، والعمر أو المدرسـة التـي ينتمـي اليهـا ، ولكن في الهرقليات والتاريخ ، والتواريخ المرتبطة بهما لدينا شيء مـا أكثـر قيمة بلا حدود من مجموعة عشوائية من العينات : و لدينا سـلسلة من الاعمال التي بارتباطها الشديد ونوعها تصور كليا تماما تـطور أنواعها ، وهي تضم معظم طرق العمل الاساسية لمؤرخي العصـور الوسطى وتغطي بينها تقريبا كل القرن الثالث عشر وتعطي أو تأخذ عشر سنوات من كلتا النهايتين ، وهي فترة حيوية في تطور التاريخ المكتوب باللغة الدارجة ، وبينها نجد أكثر الاعمال تنوعا التي يصور لنا احتضانها في شجرة الأسرة نفسها كم من الغايات المختلفة يمكن تحقيقها من قبل كتاب ممـن اسـتعملوا على نطـاق واسـع المواد الاساسية نفسها ، فما الذي يمكن أن تعلمه التـواريخ لنا في هـذه النواحي ؟

ولقد كان العنصر الاصـيل في الجسـم الاسـاسي كل مـاليس في البقية : متماسك وموحد مع اجتهاد ، ومعرتة تريد قاصدة وبنجـاح ان تدوم ، وكان وليم الصوري في الوضـع المثـالي لكتـابة تـاريخ

الحروب الصليبية ، فقد كان مواطنا سوريا بالمولد ولكنه تعلم كما اخبرنا في موطن أهله ، فرنسا حيث تعلم على ايدي رجال مثل موريس دي سالي وبطرس لومبارد وغيبرت دي لابوري [٣٦] وانتهى تعليمه فعاد الى بلده فلسطين ، ثم أصبح على التوالي معلما خاصا للشاب بلدوين الرابع ثم مستشارا لمملكة بيت المقدس ثم رئيسا لاساقفة صور ، وهكذا كان لديه مجال للوصول الى أوراق الدولة في المملكة والى اصدقاء من ذوي النفوذ لتشجيعه في مهمته ، والى كل مصادر البيوت الاسقفية ، من النساخ والمترجمين وما الى ذلك من الذين كانوا تحت تصرفه ، وقد انتج عملين تاريخيين كبيرين هما :« تاريخ الاعمال المنجزة في مملكة ماوراء البحار » وكتاب آخر ذكره في التواريخ ، هو تاريخ لمصر ، أشير اليه عادة بكلمات وليم باسم « أعمال امراء الشرق » وهو مع الأسف مفقود الآن [٣٧] .

وعلى الرغم من كل هذه المزايا من الموهبة الطبيعية والظروف السعيدة كان وليم مع ذلك كاتبا مترددا ، وقد كتب رائعته فقط من احساس ضاغط بمسؤولية المؤرخ ، وهو مدرك بحدة لوضعه ومخاطره ، وقد يقع المرء فريسة للانحياز والتحامل ، وقد يغري بتبديل الحقيقة حتى لاينفر الأصدقاء ، وهذه النقطة يبدو أنها ترجح لديه بشكل خاص ، وهو يستشهد بأحد مؤلفيه الأثريين سيسيرون قوله :« الحقيقة مزعجة ، لأن الكراهية تتبع منها ، وهي سامة الصداقة ، لكن التغاضي أكثر شؤما لأنك حين تتعامل برقة مع واحد من اصدقائك فانك تسمح له ان ينزلق بشدة نحو الدمار [٣٨]» وفي النهاية كان تقريبا تحت الاكراه انه قبل بالمهمة المعروضة عليه من قبل عموري ، ومن أجل سبب لابد أن يظهر ليعمل ضد الانحياز الذي قد يجده للتو ، إنه الولاء الوطني في قوله :« لكن حبي الدائم لبلدي يدفعني ويحرضني ، فمن أجل البلاد وفي سبيلها على الانسان المخلص اذا قضت الحاجة واستدعى الوقت ان يضحي بحياته ، واكرر القول ان بلادي تحثني وتأمرني بالحاح شديد وبكل ماتملكه من سلطان على العمل » [٣٩]

وكان هذا الباعث مع ذلك متوازنا مع آخر أكثر وعدا ، ظهر بجلاء قبيل نهاية العمل وكانت حظوظ المستعمرين تتردى بحدة وقد اصبح مؤلما لوليم الاضطرار لرواية اشياء ضارة بمواطنيه وببلاده ، وكان فقط قادرا على الاستمرار كما يخبرنا ، بسبب رغبة لاتهدف الى تمجيد موطنه بل لصنع سجل دقيق للأجيال القادمة ، وإنه لمفيد وله دلاله على عقليته ، وخلفيته ، انه أتخذ مرة أخرى المؤلفين التقليديين ، كمثال له وهذه المرة ، ليفي ويوسيفوس اللذان سجلا حظوظ شعوبهما ، ومحتذيا مثلهما ومتسلحا بدرسيهما تابع وليم العمل في كتابه حيث قال :« ان نسجل في هذا الكتاب للأجيال القادئة جميع أطوار مملكة القدس المعاكس منها والمزدهر ايضا » (٤٠) .

وهذا الهدف لم يكن عاما في زمانه ، وقد نفذ خطته بنجاح كبير ، وأبقته ثقافته مع أساسها الكلاسيكي المتين في وضع المتابع مثلما فعل على مايبدو حبه الفطري للدقة الواقعية ، ومقدرته وارادته في رسم الخط بين الحقيقة والخرافة تطور الى درجة ملحوظة في عصر كان التمييز فيه غامضا ، إذا كان موجودا أصلا ، ولم يختلف عمله كأدب عن عمل معاصريه الأوربيين والآخرى إنه اختلاف في تماسك المظهر الخارجي للكاتب ، وكان وليم رجل لاهوت بطبيعته كما هو بفضل منصبه ، ومع ذلك كان عليه أن يجهد من أجل حياد فكره ، وكان ملزما في النهاية بأن يأخذ نظرة أساسها رأي الحكم الديني في التاريخ ، وبالنسبة له لم تكن بلاد ماوراء البحار في المقام الأول مستعمرة فرنجية بل الأرض المقدسة ، وإذا كان لمدينة الرب أن توجد في أي مكان على الأرض فإنها يجب أن تكون بالتأكيد في بيت المقدس ، وكان حتى أكثر وضوحا لوليم من معاصريه بشكل عام ، أن الملوك كانوا يحكمون باسم الرب ، وهذا يجب أن يكون صحيحا بشكل خاص بالنسبة لهؤلاء الذين حكموا في بلاد الرب ، وعندما سجل بناء عليه بدقة تاريخ تلك البلاد على مدى حوالي ستة قرون وصل إلى وقت في العقود الأخيرة من القرن الثاني عشر عندما ، أخذ الرب بوضوح يسمح لشعبه محرر الأماكن المقدسة بأن

يتخلص تدريجيا من الأرض التي كسبها باسم الرب ، واكتئاب وليم أمر يمكن تفهمه . ولكن نظامه لم يخفق ، فالرب سيحفظ فلسطين للذين يطيعونه ، وهذا مالم يفعله الفرنجة . فقد مات الجيل القديم والجيل الجديد مختلف تماما سمعه يقول : « ونجد لدى دراستنا لهذا الوضع المعاصر بدقة وعمق ونحن متطلعون للعون من الرب ، خالق كل شيء أن السبب الأول الذي يقدم نفسه هو أن أجدادنا كانوا رجالا متدينين ويخافون الرب ، فقد قام مقامهم الآن جيل شرير وابناء آثمون مزيفون للعقيدة المسيحية ، يتبعون سبل جميع الأشياء المحرمة دونما تمييز ، وهم أشبه ، أو حتى أسوأ من الذين قالوا لربهم : أبعد عنا وبمعرفة طرقك لانسر ، ويسحب الرب بعدل تأييده من هؤلاء بسبب خطاياهم ، وكأنما أثير سخطه ، هؤلاء هم رجال العصر الحالي ، وخاصة القاطنون في الشرق ، كما أن المرء الذي سيتولى بقلم حذر وصف أخلاقهم أو بالأحرى رذائلهم الوحشية المرعبة » (٤١) .

وهكذا اخرج وليم قصته حتى نهايتها بلغة اعتقاده الديني وبالتالي بالنظرية السياسية الثيوقراطية ، وهي كلها متماسكة جدا ولابد أنه كان محزونا بلا شك ، وكان سيندهش قليلا لو أنه عاش ليرى سقوط بيت المقدس ، وفقدان الصليب المقدس ، وبالتالي سقوط الحكم المسيحي في فلسطين ، وفي الواقع إنه توفي في ١١٨٤ أو في ١١٨٥ في روما في ظروف مريبة . وقال بعضهم إنه ذهب إلى هناك في عمل خاص بالعائلة ومات ميتة طبيعية ، ولكن بعضهم زعم أنه كان في الطريق إلى الكرسي المقدس ، ليشجب هناك طريقة الحياة الفاضحة لهرقل بطريرك بيت المقدس ، وأن هرقل ، وقد أدرك أن وليم إذا وصل إلى غايته فإن هذا يعني دماره هو بالتأكيد . رشا طبيبا سوريا ليتبع وليم ويسممه ، فهذه هي القصة التي يعطيها الموجز (٤٢) ، وهي موائمة جدا للصورة المتملقة التي رسمها ذلك التاريخ لوليم ، وهكذا انتهت بعذف الحياة الفاضلة للرجل الذي لم نعرف كاهنا أفضل منه في النصرانية في أيامه ، انتهت بالقتل على يد خصمه الشرير .

ومع ذلك يمكن أن يكون التاريخ قد انتهى في ١١٨٤ مع الترتيبات من أجل الملكية بعد وفاة تلميذ وليم ، بلدوين الرابع ، وكما هو واضح إن كتاب التاريخ نموذج للتأريخ اللاتيني في العصور الوسطى في أفضل صورة : إخباري دون أن يكون جافا ، ومنظم ، ومنوع في حكايته ، براق في لغته وأسلوبه وقد رأى وليم نفسه في تقاليد الكتاب الكلاسيكيين وبشكل خاص كتاب التأريخ الرسمي الكلاسيكيين مثل ليفي ، وبهذا المعنى كان كتاب التاريخ نظرة إلى الوراء وقد ألقت مرساها بإحكام في تقليد قديم ، وعندما ترجم إلى اللغة الدارجة فإنها سرعته إلى الحاضر ، وربطته بتقليد كان بالكاد جيد الرسوخ لتسويغ الاسم والرصانة ، والعبارات الموزونة والاجتهاد في التفصيل في الأصل ولكنه ذهب كله في الاهمال ، لأنه كان في ذهن المترجم جمهور لن يتحمل الاسهاب من أجل خاطر العبارات الجميلة ، ومع ذلك كان الكسب تقريبا بقدر الخسارة . وتلت هذه الشعبية الواسعة ، ومن لايستطيع أن يقول إن تضمين التاريخ في تصانيف الهرقليات الأدنى سوية باعتراف من الجميع لم يساعد بطريقة ما في المحافظة على الاهتمام بالأصل ؟

والحقيقة الاكثر أهمية حول الترجمة ، من وجهة نظر تعزيز تقاليد التأريخ باللغة الدارجة ، هو توقيتها فإذا كان أحدث توقيت حالي صحيحا (أوائل العشرينات من القرن الثاني عشر ، وبالتحديد سنة ١٢٢٣) (٤٣)

فإنه بناء عليه يؤخر توقيت ليس فيلها ردين ، بل أيضا أرذول الأصلي وربما تاريخ دي كلاري أيضا ، وهذا يوحي بأن الترجمة المباشرة من اللاتينية إلى الفرنسية ربما هي أقل أهمية لتقويم الكتابة النثرية باللغة الدارجة عما يعتقد بشكل عام ، لأن هنا جسما واحدا نجد فيه قدرا كبيرا من المادة باللغة الدارجة وفي الواقع واحد من المصادر الرئيسية لهذه اللغة ، كان موجودا قبل كتلة المادة المترجمة ببعض الوقت ، ويبدو أن تواريخ الحروب الصليبية باللغة الدارجة كانت في الواقع جزءا جيد التوطد على المسرح الأدبي قبل أن

يفكر أحد في أن يترجم إلى الفرنسية التاريخ اللاتيني المعياري للحروب الصليبية ،وليس هذا للقول بأن ترجمة الأعمال اللاتينية لم تساعد بشكل عام في أن تجعل اللغة الدارجة معترفا بها كلغة للكتابة الجادة ، وتعدها لمهمتها ، ولأن وجود تقليد التاريخ بالنثر اللاتيني كان بلا تأثير في جعل المؤلفين مدركين لامكانية كتابة التواريخ أيضا باللغة الدارجة المنثورة ، ولكنه يوحي بأن التأثير كان غير مباشر أكثر مما يفترض عادة .

وهكذا لدينا في جسم الهرقليات أمثلة من التاريخ بالنثر اللاتيني ، ومن الترجمة من اللاتينية إلى الفرنسية ، ولدينا أيضا ، مع أن هذا مكون من فتات ، تاريخ مبكر جدا باللغة الدارجة ، هو تاريخ أرنول ، الذي يجب أن نصنفه من حيث النوع مع حياة القديس لويس لجوانفيل ، وكان تاريخ أرنول على مايبدو مثل عمل جوانفيل من ناحيتين : كان رواية لشاهد عيان واستمد قيمته التاريخية من تلك الحقيقة ، وكان مديحا تأبينيا ، وتقريبا دفاعيا ، عن عائلة واحدة ، كما كان عمل جوانفيل سيرة تقديسية من الكاتب للمترجم له .

وقد رأينا من قبل أن جدارة أرنول ككاتب كبيرة ، وكمثال على كتابة التاريخ الرسمي فإن قيمة عمله أقل ، لأنه لم يخبرنا بشيء لم نكن قد علمناه من قبل من جوانفيل ــ وهذا الانحياز في الموقف في اتجاه الموضوع لايؤثر فقط على مضمون العمل ، وإنما يجعله متعاطفا أمام القارىء ، الذي يستعير انشغاله من انشغال المؤلف نفسه . ومن جانب آخر إن الطريقة التي كيف بها كل واحد من المصنفين الذين استخدموا عمل أرنول وتبنوه جرى إيضاحها ، فكل واحد فرض عليها أسلوبه الخاص ، بنجاح متفاوت ــ فمصنف «أ ــ ب » على سبيل المثال كثيرا ماصاغها في قالب رسمي قيد فيه عدم الرسمية الاساسية للمصدر ، في حين احتفظ مؤلف الموجز بعدم الرسمية بصورة أكبر ، ولكنه طمس مصدره في كتلة من المعلومات الدخيلة كانت على مايبدو تغري ذوقه ، وهي لحسن الحظ غائبة عن

الذيول . والاكثر أهمية من الجميع أن العناصر الاكثر شخصية في تاريخ أرنول على مايبدو قد كبحت إلى درجة أكبر أو أقل من قبل كل المصنفين . ولا يمكننا الحكم بالطبع على مقدار ما استبعده « د » في هذا المجال ، ويمكننا فقط القول بأنه كان أقل من المصنفين الآخرين في الاقتطاع — ولكن من يعرف قدر المعلومات المتعلقة بالابلينيين مما يحله المؤرخ الحديث وقدفقدت حتى في هذه الرواية ؟ وكان لأعمال الحذف هذه سبب موضوعي ولم تكن مجرد نتيجة نزوات المصنفين : كما رأينا في تحليل متنوعات « د » ، فكثير من مادتهم مضحك جدا تقريبا ما لم يفترض المرء الاهتمام الشديد بعائلة ابلين .

وبصرف النظر عن هذا ، إن النصوص المتباه التي يمكن أن نتعقبها بمقارنة الذيول الواحد بالآخر ، تعطينا بعض الدلالات على مجال ذوق المصنفين ، والأذواق التي نسبوها لجمهورهم .

ومن الواضح أنه كان هناك قدر من التنوع لا يمكن أن يتوقع ، فقد قصد أن يكون الموجز كمرشد قصير للفترة ١١٨٥ — ١٢٣١ بينما تاريخ هرقل هو كتاب أثقل وزنا بكل معنى ويمكن أن نستنتج من هذا أن الموجز كان عملا مبسطا ، فإذا كان كذلك فقد كان اخفاقا مدويا في هذا المجال ، حيث مايزال باقيا تقريبا ستة أضعاف الموجز من تاريخ هرقل وهو اختلاف يعطي مجالا حتى لحوادث الحفظ، ومايزال اختلافا هاما جدا ، ومن المهم أيضا أن مخطوطات تاريخ هرقل تحوي العديد من العينات الدقيقة الكتابة ، الجميلة التزيين والوضوح بينهما تلك المعدة للبلاط الانكليزي والتي يمكن أن تسمى في هذه الأيام طبعة « مائدة — القهوة » (٤٤) .

ومخطوطات الموجز على العكس كان الغرض منها الفائدة العلمية لاالجمال مع أن مخطوط آرسنال ٤٧٩٧ مكتوب بأناقة كافية ،

ومنظم الصفحات ، وليس في اي واحدة منها منمنمات ذات جدارة ، لكن في بعضها حروف كبيرة مزينة برسوم تاريخية .

وبالنظر الآن الى تقدم التـواريخ على مـدى القـرن الثـالث عشر ، يتردد المرء في استعمال تعبير التطور بالمرة لأنها لاتحقـق في الواقع شيئا في أي اتجاه ، والمراحل الأخيرة من تـاريخ هـرقل اذا قورنت بالأقدم لاتبدو أكثر اشراقا ، ودقة أو بعـدا عنهـا بـرشاقة أكثر ، واذا حدث ترد في التصنيف أثناء مسـاره ، بحيث تصـبح حكاية ادنى فأدنى ويصـبح أشـبه بـالحوليات وفي الكتـاب « ٣٤ » (٤٥) الموجود فقـط في « غ ج » و « ب » يجـد المرء فصولا كاملة تتألف بـكاملها مـن قـوائم للأحـداث دون أي تعليق آخر ، وعندما يوجد شيء من نوع الحكايا التـاريخية فـانها تـكون عرضية ومفككة ، وبأخذ الهـرقليات ككل فـان الفتـرة الأولى مـن النيول ، حتى ١٢٣٢ تدهش القارىء بأنها بلا شـك الأكثـر أهلية للتقدير من وجهة النظر التاريخية ، وحتى أكثر هـكذا مـن وجهـة النظر الجمالية .

وفي الواقع بأخذ تواريخ القرن الثالث عشر الفرنسية ككل ، ماهو صحيح بالنسبة للهرقليات ، وهي تتطور ، يبدو أيضا صحيحا للنوع كله في هذه الفترة وقبـل أن تنتهـي الرواية الأخيرة مـن تـاريخ هرقل ، كان جوانفيل قد كتب سيرة القديس لويس (٤٦) ومع أن هذه بالكاد هي نموذج لحكاية حسنة الترتيب ، فإنها بالتأكيد عمـل أقل فوضى من الهرقليات ، ذلك أنه جرى تصوره على نطاق أضـيق كثيرا ، وأنجح بالكامل من قبل رجل واحد ، وبـاقرار هـذا كله أنه ليس بأي حال قطعة سـامية مـن العمـل ، واذا قـورن بالقسم « د » المستمد مـن أرنول ، وهـو الجـزء الذي يغـطي ١١٨٤ ـ ١١٩٧ فانه يسقط كحل أسوأ بشكل مميز ، ويجـب أن ننظر القرن التالي وقرنا آخر مرة أخـرى لنرى تغييرا في المحتـوى والعرض ، وذلك عندما أخـرج كوميتز أخيرا شـيئا يشـبه كتـابة التاريخ الحـديث بـالفرنسية ، وحتـى عند ذاك فـان كوميتز المثير

للاعجاب مثل عمله لايمكنه أن يتماشى مــع الحيوية والمباشرة غير المتعارضة لحكاية أرنول ، وهكذا فإنه تاريخ هرقل يعرض في مختلف فقراته مراحل نمو وتطور التأريخ باللغة الدارجة في فرنسا على مدى القرن الثالث عشر ، وأسهم بعض الاعتماد على المؤرخين اللاتين على مجاله ، لكن بدرجة قليلة ، لابل أقل صراحــة ممــا يمــكن أن نفترض ، وتميل التواريخ المستقلة ، أي تلك التي هي بقدر مانعرف من عمل رجل واحد ، لأن تكون قصيرة ، ولكنهــا مــابرحت تنتحــل الاعمال الابكر الى حد ملحــوظ ، وفي الواقــع ان حــرية الانتحــال أسهمت على مايبدو بقدر كبير في التقدم الذي حصل في التواريخ لأنه سمح للمؤلف أو المصنف بممارسة قــدراته في اتجــاه تــرتيب المادة والبناء والتعبير بدون المهمة الاضافية ، وهي وضــع مادة جــديدة وتصنيفها في الوقت نفسه ، وكل تقدم تــم بهــذه الطــريقة تحقــق مبكرا ، لنقل قبــل ١٢٥٠ أو نحــو ذلك ،ومــا أن استنبط معيار مرض ، فانه بقي وجميع التعديلات التي جــرت ، وتمــت لمواءمــة الموهبة الفردية للمــؤلف : كان جــوانفيل أصــيلا بقــدر كبير ، وفرواسار مسهب للغاية وأحداثي نوعا ما ، ولكن أيا منهما لم يفعل شيئا جوهريا اختلف كثير عما انهمك فيه العديد من المؤلفين الذين تورطوا أخيرا في انتاج تاريخ هرقل الذي سبق ان تــم صــنعة قبلهم ، واكتشف كتاب الهرقليات فيما بين وليم الصــوري وأرنول الى المصــنف المجهــول ، الذي جمــع نص « غ . ج » الطــويل جدا ، واستثمروا كل الامكانيات التي كانت هناك او التي ســتتوفر لبعض الوقت في المستقبل ، وأعمالهم فيما بينهم هــي تجســيد لكل شيء نجده في أعمال معاصريهم ، وليس تاريخ هرقل مجمــوعة مــن المستحاثات الاثرية التي يمكن من خلالها تعقب تاريخ أنواعها ، إنه بالاحرى عرض كامل مثل تطوره الخاص الذي يمكن أن نراه يتتابع أمام أعيننا ، وهو بالنسبة للمؤرخ لأدب التاريخ يحتل بين المؤرخين مكانة تعدل أن لم نقل تفوق على مكانة جزيرة غالاباغوس لدى شارل داروين .

الفصل العاشر

النصوص كبينات تاريخية

يبقى ان نسأل : ماهي مضامين هذه الدراسة للمــؤرخين الذين اعتادوا على استعمال هذه النصوص كمصادر ؟

وبأي الطرق ان كانت هناك طرق غيرت النتائج المستمدة نظــرتنا الى النصوص كبينات تاريخية ؟

كما سبق ان رأينا ، لقد عملت كل النصوص كثيرا جدا كمــادة مصدرية لمؤرخي الحــروب الصــليبية والدول الصــليبية ، وبــالكاد نحتاج الى ذكر التاريخ نفسه وقد جرى استخدام الهرقليات والموجز ايضا كثيرا ، ولقد نهلت التواريخ العامة للحروب الصليبية خاصة الرئيسية منه مثل مؤلفات : روهــرخت وغروســـية ورتشـــارد ورنسمان وبروور ،واستمدت من هذين النصين بدرجات متفاوتة في الصغر والكبر ، وفي حالات عديدة خــدمت كمصــدر رئيسي لأواخــر القرن الثاني عشر وأوائل القــرن الثــالث عشر ، وقــد اســـتمدت الاعمال الاكثر تخصصا أيضا بقدر كبير منها مثل أعمــال لين بــول وسميل وكاهن التي تقفز مباشرة الى الذهن ، وليست حالة الأمــور هذه مثيرة للدهشة عندما نتذكر مقدار قيمة هذه التواريخ كمصــادر للمعلومات عن الابلينيين وعن الشخصيات الهــامة في أي رواية عن المملكة اللاتينية في تلك الفترة ، وأكثر أيضا عن المشاكل الســياسية والعسكرية ، والاقتصادية يوما تلو آخر .

ولكن السؤال الذي يعنينا في الوقت الحاضر ، ليس كثيرا مــدى استخدامهما وطرائق ذلك ، بل ان النتائج التي ظهرت تقترح اجراء بعض التعديلات الكبيرة ، وفي هذا المجال ان التــواريخ نوعا مــا في

الحالة مثلهـا مثـل كتـاب « جين دي ابلن » (٢) الذي هـو نص آخر ، ومع انه في الحقيقة منجم غني بالمعلومات ، هـو ليس بالضبط كما ظهر في البداية وكان بقدر كبير أساس الاعتقاد بـأن مملكة بيت المقدس قدمت نوعا من انواع مستحاثات الاقطاع ، وهذا النص بلغ درجة من الدقة دفعت الى الاعتقاد أنه كتاب الاسس لانه من خـلاله يمكن اعادة تشكيل هذه الاسس ، ولكن كما بين بـرور (٣) ، لم يكن جين دي ابلن يكتب عن التركيب المؤسسـاتي والاداري للمملكة منذ زمن سحيق ، بل حول الاعراف القانونية حسـبما كانت سـائدة في أيامه ، ومثل هذا يجب أن نسأل أنفسـنا اي نوع مـن النصـوص نتعامل معه هنا ؟

ومالذي أراد مؤلفوها ومصنفوها تحقيقه في كتاباتهم ؟

وتقع التغيرات في الاستعمال الجاري في الوقت الحاضر للنصوص الذي تقترحه هذه الأسئلة في أربعة زمر كبيرة : أولا ، يجب التعامل مع النصوص كفئات وليس كوحدات قائمة بذاتها ، ثـانيا ، يجـب الغاء التـأكيد الموضـوع على بعض النصـوص على حسـاب أخرى ، ثالثا ، يجـب على الأقـل تعـديل النهـج المألوف للوائح الكلمات ، وأخيرا لكن ليس آخرا أبدا يجب تبني موقف أكثر حـذرا تجاه هذه التواريخ المتقلبة ،

والسمة الأكثر اثارة للدهشة في التواريخ من وجهة النظر النصية هي تلك التي تؤثر بشكل جوهري بالغ في قيمتها كمصادر ، وهـي الطبيعة المركبة لكل منها ، ومع أن هذا معترف بـه عالميا مـن قبـل المؤرخين (٤) فان هناك بشكل لامفر منه ميل لمعـاملة كل كتـاب كوحدة قائمة بذاتها ، وهذا النوع من الاستعمال يمـكن أن يصـور بشكل أفضل على أنه مشـابه لاسـتعمال الاصـوليين للكتـابات المقدسة ، الذي يعتمد على الاعتقاد بأنه ليس فقط كل أجزاء الكتاب المقدس صحيحة بالقدر نفسه ، بل انها صحيحة بشكل أكثـر حيوية بالطريقة ، نفسها وكما رأينا في الفصل المتقدم تتباين تـواريخنا في الواقع كثيرا في معالجتها لمواضيعها ، وما هـو أكثـر انه بين كل

النصوص الفرنسية لجسم تاريخ وليم الصوري ، لا يوجد واحد ليس إما تصنيفا من مصادر عديدة ، أو ترجمة تمت بدرجات مختلفة من الدقة ، أو شكلا من أشكال التبني لأعمال أبكر .

ولسنا بأي حال نتعامل مع تاريخ لنقل مثل تاريخ جوانفيل ، وهو عمل رجل واحد في موضوع واحد ، خطط له ، ونفذ من قبله بالصورة التي نملكها الآن ، وبناء عليه إنه أساسي فوق كل شيء من الأشياء أن نعامل الموجز ، وتاريخ ما وراء البحار ، والروايات العديدة للهرقليات ، على أن كلا منها مجموعة من المصادر ، وليس كل واحد منها مصدر واحد قائم بذاته .

وتبسط هذه المعالجة في الواقع الأمور بفعالية وذلك بقدر ما يعني المؤرخين ، وتجيب عن السؤال المتعب دوما عن ارتباط النصوص ببعضها بعضا ، وباعتبار كامل الجسم كمجموعة من الشذرات كل منها يمكن أن يظهر في نص واحد فقط ، أو في العديد منها ، ونؤكد في وقت واحد ميزيتين حيويتين هما الطبيعة المستقلة لكل شذرة ، وتعلق مختلف النصوص ببعضها ، وهي التي تعاود هذه الشذرات باستمرار الظهور فيها ، ومن ثم من المرغوب فيه كثيرا محاولة تجنب اصدار بيانات عامة حول قيمة نص كامل كمصدر موثوق المعلومات ، والتركيز بالاحرى على تقويم الأقسام المختلفة التي سبق لنا فصلها ، وبكلمات أخرى أن ننظر الى النصوص أفقيا ، آخذين الشذرة نفسها عبرها كلها ، لا أن ننظر رأسيا الى نص واحد على امتداد طوله الكامل ، وحتى نضرب مثلا لنأخذ الحملة الصليبية الرابعة ، حيث نجد أن لكل النصوص قيمة متماثلة ، طالما أنها جميعا تعطي أساس الرواية نفسها ، بينما من أجل الفترة ١١٨٤ - ١١٩٧ يمكننا القول أن رواية « د » تقارب بدقة أكثر تاريخ أرنول الأصلي من الروايات الأخرى ، ومن أجل غزو قبرص لدى « أ - ب » مادة ليست موجودة في أي مكان آخر بالمرة ويجب أن نأخذ كل عنصر من هذه العناصر بحسب جدارته الخاصة ، أي حسبما يستحق ، باذلين دوما جهدا واعيا لفصل

العنصر حسب تقديرنا عن المكونات الأخرى التي اختارها كل مصنف لاحاطته بها .

وبأخذ النقاط السلبية أولا ، يمكننا عمليا أن نقتطع من أجل البينة التاريخية الصريحة مثلما كان المؤرخون يفعلون دائما [٥] ، كل ذاك الجزء من تاريخ هرقل ، الذي هو ترجمة لتاريخ وليم ، ومن الواضح أن المؤرخين لن يقرأوا ، بشكل طبيعي الترجمة عندما يتوفر لهم الأصل ، هذا وإن الأجزاء الأخرى من المصنفات هزيلة جدا بحيث تكاد تكون عديمة الفائدة ، والجزء الابكر من الموجز ، على سبيل المثال سطحي جدا حتى أنه يصعب أن يكون ذا فائدة حتى كوسيلة ضبط ، على مصادر أخرى أكمل ، فإذا وجدنا تعارضا – لنقل – بينه وبين وليم ، فإنه سيكون قد أسيء نصحنا بأخذ وجهة نظر الموجز بصورة جدية كبيرة ، طالما أن المؤلف لم يعتبر بكل وضوح هذه الفترة عمله الرئيسي ، بل إنه تعامل معها بالاحرى كشيء مقحم على موضوعه الحقيقي ، وبالنسبة لأخذ هذه الفصول المبكرة كبينة على تذوق الغرب وتصوره آنذاك للمملكة اللاتينية ، وايضا وجهة نظر مصنف الموجز حول قيمة عمله ، سيكون لدينا المزيد لنقوله فيما بعد ، وكمصادر للمعلومات المحضة ، فانهم قد وصفوا بشكل جيد من قبل بلدوين [٦] على انهم يمكن أن يكونوا مفيدين في تكملة التاريخ ، ولكن لا يمكن قبولهم مطلقا بدون جدل .

والشيء نفسه يصح ، وإن لم يكن الى المدى نفسه بالضبط عن رواية الحملة الصليبية الرابعة الموجودة في كل النصوص[٧] ، وهي الى الحد الذي يمكن لنا ايضا ان نقوله مستقلة تماما عن المصادر الأخرى المعروفة من قبل ، وأعني بالاساس دي كلاري ، وفيلهاردين وهكذا كان يمكن أن تقدم رأيا مختلفا عن الاحداث نفسها ، وهذا دوما شيئا نافعا أن نستحوذ عليه طالما أنه يسمح بالحصول على نظرة مجسمة للموضوع ، ولكن مقارنة مع هذين الاثنين تعطي الذيول اهتماما أقل كثيرا لهذه الحملة

الصليبية ، حتى أن المقارنة يمكن بالكاد أن تكون تماما اما عادلة أو مسرفة ، ونقص التفصيل مع ذلك ليس بأي حال بالمعيار نفسه ، مثل ذلك المبين في الجزء الأول من الموجز ، حتى لا نستطيع تماما أن نستبعد احتمال أن النيول يمكن أن تثبت بأن لها بعض الأهمية في هذا الموضوع ، ويمكننا فقط القول انها يجب أن تعامل ببعض الحذر ، في القسم الذي فيه تكون مصداقيتها اما غير ثابتة ببينة خارجية أو هي غير كافية في معالجتها لمواضيعها .

وحول مواضيع أخرى للنيول هل تمتلك بدقة هذه القيمة ، أي أنها تقدم منظورا مختلفا للاحداث التي سبق أن كان لدينا قدرا كبيرا من المعلومات عنها ، وفي هذه الزمرة تقع روايتا حصار دمياط (٨) ، ومختلف الروايات عن حملة صليبية فريدريك الثاني وحروبه ضد قبرص وضد جين دي بريين ، ولا نستطيع أن ندعي أن النيول تبطل بأي طريقة ما سبق معرفته ، ولا أنها مصادر ثمينة بشكل بارز في هذه المجالات ، ولكنها بالقدر الذي يمكننا قوله واسعة الاطلاع بشكل معقول ، وتعطي قدرا معقولا من التفصيل ، حتى اذ في هذه الاقسام نمتلك تسويغا قويا في أخذها بجدية واعتمادها اذا لم تتفق مع مصدر آخر ، وأيضا انها من المحتمل جدا أن تكون قادرة على سد الثغرات الباقية في معلوماتنا من خلال استخدام المصادر الأخرى المتوفرة ، ومرة اخرى يمكنها ان تقدم لنا ليس فقط معلومات مختلفة أحيانا ، ولكن تفسيرا مختلفا للأحداث أكثر تماسكا ، وربما أكثر أهمية ، علما أنه ما من تاريخ يقدم معلومات صحيحة بدون اي تفسير مضاف من جانب المصنف ، وانه لحيوي جدا للمؤرخ اذا كان له أن يحاول أن يقوم بينته حياديا بقدر الامكان ، أن تتوفر له مصادر تصور أكثر من ولاء واحد ، والموجز والنيول المتفقة معه عند هذه النقطة هي ـ على سبيل المثال ـ في الواقع متعارضة مع فريدريك الثاني ، وهكذا تزودنا بتوازن مفيد مع المصادر الأخرى التي تتبنى موقفه .

وهذه الاستبعادات تتركنا ـ دون أن نقول ـ مع تلك الأجزاء من

التواريخ التي تعتمد على تـاريخ أرنول ، والتـي تسـتمد قيمتهـا الاستثنائية في كل مجال من هذا بالاعتماد على الأقسام التي تغـطي الفتــرة ١١٨٤ ـ ١١٩٧ ، وهنا ينطبـق التضـمين الثـاني لمحصلاتنا ، في تحريك التأكيد والاهتمام ، لأن هذه الشـذرة مـؤكد تمام التأكيد أنها مسـتمدة مـن تـاريخ أرنول ، الذي هـو أغنى المصادر جميعا ، وهذه الشذرة أيضا هـي التـي تتبـاين كثيرا في مظاهرها المتعددة في روايات الهرقليات والموجز .

وسيكون واضحا الآن أي تحويل في التـأكيد والاهتمـام أنا على وشك الدفاع عنه : إنه التحول تجاه المخـطوط « د» لهـذه الفتـرة ١١٨٤ ـ ١١٩٧ وكان الاهمال المحزن لهذا المخطوط والنتيجة التي يؤسف لها ، وربما التي لا مفر منهـا ، انزاله الى الحـواشي الذيلية وهي كثيرا ما كانت غير مرضية جدا في راشيل ، ورنسمان وحده هو الذي حقق اي فائدة هامة من بعض منوعاته الهامة [٩] ، وتبقـى منوعات اخرى كثيرة غير مستثمرة بالمرة ، وليس هذا القول بالطبع بأن الروايات الأخرى في تلك الفترة عديمة القيمة ، فرواية غولبـرت فونتنبلو (أ ـ ب) تحتوي على سبيل المثـال بشـكل خـاص على معلومات عن غزو قبرص [١٠] ، لايوجد في اي رواية اخرى ، مع انه لا علاقة لها بأرنول الأصلي ، وتبقـى ثمينة مثلهـا مثـل اي رواية اخرى عن الأحداث نفسها ، والتي اعتقد مصنف واحـد على الأقـل انها افضل من تلك التـي قـدمها ارنول ، لأن ارنول لم يكن شـاهد عيان لكل الأحداث التي يرويها.

وقيمة « د » هي ببساطة أنها كانت في هذه الفتـرة ، أدق اعادة اخراج باق لنا ، من تاريخ أرنول ، وفي هذا القسـم هناك بـالطبع بعض اجزاء أكثر قيمة من أخرى ، والقيمة تختلف بحسب عاملين : اذا ما كانت المعلومات لشاهد عيان أم لا ، وما هو القدر المعـروف أنه من مصادر أخرى تبرهن أنهـا ذات قـابلية ثـابتة للاعتمـاد عليها ، وهكذا مع أنه لدينا من مصـادر أخـرى كميات كبيرة مـن

المعلومات حول معركة حطين وسقوط بيت المقدس ، وحول الفترة التي سبقت مباشرة ، وتلت تلك الأحداث ورواية أرنول كما نقلها مصنفو الهرقليات والموجز ، وبشكل خاص من قبل مصنف « د » هي عالية القيمة كثيرا لسببين :

انها رواية شاهد عيان ، وانها أعطتنا التفسير الوحيد للأحداث مقدما من قبل فرنجي بلدي ومؤيد بالوقت نفسه لريموند صاحب طرابلس .

وعن الجزء المبكر من الحملة الصليبية الثالثة من جانب آخر كما سبق أن قلنا يجب الافتراض أن أرنول أقل امكانية للاعتماد عليه ، مع ان تفسيره يبقى هاما ، ولكن منذ ساعة وصول كل من رتشارد ، وفيليب اغسطس الى فلسطين (١١) ، حيث كان ارنول كما تبرهن لنا انه كان يشارك مرة اخرى بالنشاطات ، وتلقي صورة رتشارد بشكل خاص بعض الضوء الجديد على شخصية شهيرة ، لأن الصفات التي جعلت رتشارد ، غير شعبي عند الملوك الاوروبيين الآخرين ، ومكره الذي كثيرا ما كان يقارب الخيانة ، وانفراده بالأهداف التي وسمت بالقسوة ، وبذلك سميت ، وبراعته في التعامل مع المسلمين هي على سبيل المثال ، كانت بالضبط تلك التي ضمنت له نجاحا شعبيا مع الفرنجة البلديين ، وكانت الافكار المثالية عن الحرب المقدسة مقبولة جدا في أوربا وصالحة لها ، لكن في سورية كانت الاعمال العسكرية الصحيحة والسياسة الاستراتيجية هي التي تحتل المكانة .

وهناك موضوع يقدم تاريخ هرقل والموجز وبشكل خاص المخطوط « د » عنه قدرا كبيرا من المعلومات وهو مذكور بقدر صغير في المجرى العام للتواريخ (خلافا للعربية) الغربية ، إنه السياسة الداخلية للشرق الاوسط ، خاصة دولة ارمينية ، وعلاقاتها مع الدول الصليبية ، وهنا تتعزز قيمة التواريخ كثيرا أمام ندرة المصادر الاخرى ، وتزداد أكثر من أي شيء آخر ، لكن لا يجوز

التقليل من قيمة هذه المصادر وازدرائها على هذا الاساس ، وفوق كل شيء هنا ربما أكثر من أي مكان آخر نحرز أفضل تبصر ، بالحالة التي كانت عليها مملكة بيت المقدس وامارة أنطاكية بين الدول المجاورة لها ، وهنا ندرك مدى البعد عن أوروبا وعن السياسة الأوروبية وفق ما كانت عليه آنذاك ، وعن قدر الانشغال بقارة مختلفة كليا ، مختلفة في عقليتها ، وفي آليتها السياسية ، وفي ثقافتها ككل ، وهذا بدوره يغير رأينا في أرنول وتاريخه ، ويجعلنا نرى أنه وإن كان مكتوبا بالفرنسية ، غير أن عوالمه منفصلة تماما عن عوالم التواريخ الفرنسية الحقيقية في تلك الفترة ، لنقل مثلا عن فلهاردين و جوانفيل ، إذ مع أن احدهما استقر في الشرق ، وأمضى الآخر عددا من السنوات هناك ، فإن كل منهما بقي فرنسيا لا في مجرد اللغة ، بل في العقلية ايضا ، وبالنسبة للقارىء الأوربي الغربي ان تاريخ ارنول كما يمكن تتبعه في المخطوط « د » بشكل خاص يكشف عن عالم جديد بصورة مؤكدة بالضبط مثلما تفعل كتابات معاصريه من العرب .

وباختصار اذا ، ان تاريخ أرنول قيم للغاية كمصدر تاريخي لأنه يعطينا معلومات لا يمكن الحصول عليها من اي مكان آخر ، ولأنه فريد تقريبا في تفاسيره ، وهو يقف في هذا المجال في منتصف الطريق بين نصين رئيسيين من التواريخ : عربي وأوروبي ، والروايات المختلفة من الهرقليات والموجز ذات أهمية بالدرجة الأولى على أساس معيار تمثيلها الصحيح لأرنول ، وبناء عليه ان القسم ١١٨٤ ـ ١١٩٧ من رواية « د » هو الى حد بعيد أعلى الجميع أهمية وقيمة ومع أن تاريخ أرنول قد حظي منذ وقت طويل بتقدير المؤرخين فإن هذا التقدير قد عطل ، والمدى الكامل لجدارة أرنول قد طمس بقدر كبير ، بايلاء الاهتمام للنصوص الخاطئة ، ومن ثم ظهر ارنول أضعف كثيرا ، قد لون باللون الغربي ، وذلك من خلال الممارسة العامة بالاشارة الى الموجز على أنه « ارنول » افتراضا على اساس ، النصف الأول من عنوان طبعة ماس لاتري ، وفي الحقيقة مال جميع المؤرخين منذ ايام ماس لاتري الى قبول آرائه

ومحصلاته حول مؤلف الموجز ، وذلك بتأكيد أعظم وقبول أشد مما هو نفسه قد ادعى أصلا ، وبالنسبة للهرقليات ، إن الرواية الرئيسية من طبعة راشيل أي رواية « أ - ب » هي التي كانت البؤرة الرئيسية لاهتمام المؤرخين ، لكون السبب افتراضا هو نفسه وهو انهم اتبعوا الدليل المعطى ضمنا في بنية الطبعة ومقدمتها ، وهكذا كانت قدرة المحقق في خلق وعدم خلق نصه ، وهكذا كانت قدرة التفاؤل التي تقبل بها قراؤه استنتاجاته مهما كانت درجة التردد التي قدم بها نفسه هذه الاستنتاجات ، وبناء عليه لم يكن عبثا ولانزوة أن ماس لاتري نفسه أعطى طبعته عنوانا مزدوجا هو « تاريخ أرنول وبرنارد الخازن » وقد أظهر فحص آخر النص ان هذا الحذر له ما يسوغه تماما ،لكن العنوان كان طويلا ، وقد قدر له أن يختصر بالاستعمال الدائم ، والنتيجة التي لا مفر منها ، حتى أن حذر ماس لاتري قد ذهب دون أن يؤبه به كثيرا .

وبشكل مثالي لانجاز المضمون الثالث لهذه الدراسة ، قد يحب المرء ان يرى تنقيحا كاملا للجهاز المضلل للأسماء الذي أصبحت به النصوص بالتدريج مذ انه من الواضح ان الاسم المعطى الى نص ما هو عامل رئيسي في تحديد درجة المصداقية التي ينسبها القارىء اليه ، وسوف يرجح دائما في النهاية على اي شيء يمكن ان يقوله المحقق في المقدمة ، وبناء عليه يكون من الافضل ان لانسمي ان النص باسم ارنول ، طالما انه ولانص باق الآن يمكنه ان يتحمل المسؤولية

الكاملة لعمل أرنول غير المتبدل أو المعدل ، وحتى رواية « د» هي في أحسن الأحوال عمل متبني القسم ١١٨٤ - ١١٧٩ ، والقسم المتقدم على ١١٨٤ معروف لدينا فقط في الرواية المختصرة كثيرا جدا ، والمزيفة للموجز وكما بين المخطط (١٢) كانت أصالة هذه النصوص بعيدة جدا عن البساطة ، وعلاوة على ذلك فإن المخطط يكون على مسافة أو عدة مسافات من المخطوط الأصلي لنصه ، مع

كل المداخلات الكتابية المربكة التي يتضمنها هذا ، وعليه بينما يعترف بنص المخطوط « د » على أنه من ١١٨٤ الى ١١٩٧ أقرب مالدينا من أرذول يجب أن نؤكد مع ذلك أن هناك مسافة معينة ، ويحتمل أن تكون مسافة كبيرة بينهما ، ذلك أن تاريخ أرذول الحقيقي مفقود بالنسبة لنا .

ماذا اذا نسمي النصوص ؟ ان اسم « تاريخ هرقل » غير ضار أبدا كعنوان لمتن الترجمة والذيول ، طالما أنه لايقول شيئا عن تأليف النص أو المصدر أو المضمون ، أو في الواقع عن أي شيء سوى الكلمات الافتتاحية ، ولهذا لاحاجة لنا لأي تحفظات حول الاستمرار في استعمال اسم الفئة التي ترشحه لوحدها بقوة ، هذا ويمكن لهذا الاسم ان يتبنى بطرق مختلفة ليصف الروايات العديدة : فنص « أ ـ ب » مثلا يمكن أن يسمى (كما هو الحال بالفعل) تاريخ هرقل برواية غولبرت فونتيذبلو ويمكن أن يصبح نص « غ ج » معروفا باسم رواية نوالي لتاريخ هرقل ، متخذين له اسما كما فعل النص المعروف باسم « نيل دي روثلين » المستعار من اسم أقدم متملك معروف للمخطوط ، ويجب بالتأكيد أن يسمى نص « د » باسم تاريخ هرقل حسب مخطوطة ليون ، والأكثر صعوبة هي المشكلة المثارة بفعل الروايات العديدة للموجز ، وفيما يتعلق (١٣) بنص ١٢٣٢ إن العنوان البديهي هو تاريخ برنارد الخازن ، طالما أننا نعرف بالتأكيد أنه قد صنفه ، وأن أرذول عمل فقط كمصدر له ، غير أنه عرف باسم تاريخ أرذول لفترة طويلة جدا ، هي بكل دقة مائة سنة بالضبط حتى الآن حتى أن مثل هذا التغيير الكلي في الاسم سيسبب بلا شك تشويشا لا نهاية له و يحدث ضررا أكبر من الفائدة المقابلة ، وفي الوقت نفسه إنه من غير المرغوب فيه حقا في المضي في تسميته بتاريخ أرذول ليس فقط لأنه ليس تاريخه بل لأنه حتى ليس شبيها جيدا به في الجزء الأكثر جوهرية ، وهو ١١٨٤ ـ ١١٩٧ ، وقبل ١١٨٤ يمكن الاعتماد عليه فقط كحقيقة قائمة لعدم توفر الأفضل ، وأفضل تسوية كما يبدو هي أن ندعوه باسم « تاويخ أرذول ـ برنارد » وهو اسم

مماثل بشكل معقول للاسم الحالي ، ثم إنه وإن لم يحمل الحقيقة الكاملة ، فانه يحمل على الاقل بعض الحقيقة حول النص ، وهي أن أرذول هو أحد مصادره الرئيسية ، وبرنارد هو مصنفه ، واقصر روايات الموجز التي تنتهي في ١٢٢٧ و ١٢٢٩ (١٤) لاتستعمل بالعادة منفصلة عن رواية ١٢٣٢ ، طالما أنها لاتقدم شيئا هاما لايوجد في أرذول - برنارد ، ولكن اذا دعت الحاجة الى اسم متميز ، على سبيل المثال لتسهيل مناقشة هذه النصوص يمكن أن يكون هذا الاسم هو « موجز أرذول » مقدما مرة أخرى رابطة ذات مثال متقدم ، وايضا تعديلا لصالح الدقة ، واذا ماأمكن تطوير مجال كامل الاسماء ، وتم تبنيه بهذه الطريقة ، فإنه سوف يعني أن استعمالا أكثر تمييزا من ذي قبل يمكن تحقيقه من النصوص ، لاسيما في الاماكن الحيوية حيث تتصادم مع بعضها بعضا ، طالما أننا عندئذ سنكون متأكدين مما يعنيه أحد بقوله « أرذول - برنارد » بينما في الوقت الحالي ، إن أحد النواحي بالغة التشويش في المناقشات النصية ، هي أن المرء لايستطيع مطلقا أن يكون متأكدا تماما مالذي يعنيه ناقد واحد مثلا ، بتاريخ أرذول ، ونظام الاسماء المقترح هنا ليس مثاليا بأي حال ولكنه على الاقل يعني أن قضية المصداقية في النصوص لن يحكم عليها تماما مسبقا في ذهن القارىء بالعناوين المستعملة لتسميتها وتمييزها.

ورابع المضامين المذكورة أعلاه وآخرها أن معالجة أكثر حذرا بكثير للتواريخ مرغوب فيها ، على أن يبقى في الذهن أي نوع من النصوص هم في الحقيقة . ومالذي قصده كل واحد من مؤلفيها أن يكتب ؟ وأبسط طريقة للاجابة على هذا السؤال الجوهري هي افتراض السلسلة المتصلة ، التي لها من طرف مصادر ، هي عبارة عن تقارير معاصرة للأحداث ، أو أحوال الامور - سجل الابرشية أو الدائرة - مثلا وفي الطرف الآخر كل أنواع الابداع الأدبي الصرف ، الذي لم يكن لدى مؤلفيه تصور في أن يكون عملهم مستودعا لمعلومات دقيقة ، إنما قصدوا ببساطة شد انتباه قرائهم

اليهم ، ويمكن لكتاباتهم مع ذلك أن تقدم عرضيا كمصادر ، مع أن هذا سيكون بطريقة مختلفة تماما عن النوع الاول من الوثائق ، وحسبما قال غلادستون : ان أشعار هوميروس في أرفع معنى تاريخية ذلك أنها سجل للأخلاق والطبائع والمشاعر والأذواق ، والأعراف والبلاد والمبادىء والمؤسسات (١٥) .

ان هذه بينة ولكنها من أكثر الأنواع غير مباشرة ، ويجب أن تفسر بصورة مختلفة جدا عن بينة وثائق الوقائع المقصودة والأكثر صراحة ، وبين هذين الطرفين لأي نص بالضرورة مكان دائم في هذه السلسة ، وعلى سبيل المثال بين تحليل الموجز كيف تفاوت انشغال مؤلفه بالوقائع الصحيحة بدرجة كبيرة من جزء في النص الى آخر (١٦) . ولكن من الجوهري أن نسأل أنفسنا قبل استعمال اي نص : مالذي أراد مصنف النص أن يكتب ؟ والاخفاق في طرح هذا السؤال ، والتمييز بين النصوص ، مع ارتباطها السطحي ببعضها بعضا ، مختلف جوهريا في النوع ، ويمكن أن تكون له نتائج غير مرغوب فيها وسنتفحص الآن مثلا منها .

أعطى مؤرخ واحد فقط بعض الاهتمام للترجمة الفرنسية لتاريخ وليم وأعني هنا برور ، ففي بحثه عن استعمار المملكة اللاتينية (١٧) ، استخدم مرارا وتكرارا الفروق بين التاريخ وترجمته ، وتعلق استخدامه الأعظم لهذه الفروق حول تأسيس قلعة الشوبك في سنة ١١١٥ ، فقد تحدث وليم الصوري كيف جلب الملك سكانا الى القلعة بقوله « ... وضع حامية من الفرسان والجنود المشاة هنالك وأعطاها ممتلكات واسعة » (١٨)

وعلق برور على كلمة « ممتلكات » : لأن ما معنى كلمة « ممتلكات » هذه لدى وليم الصوري ؟ وأزال المترجم والشارح الفرنسي جميع الشكوك ، وأضاف معلقا على الحادث بقوله :

'Il [i.e. rei] i fist remanoir de sa gent chevaliers, sergens, villains gaengneors, et à toz douna granz teneures en la terre selonc ce que chascun estoit.'

وهكذا بين انه كان بين الذين نالوا الممتلكات بعض الفلاحين ، ومن المهم ملاحظة انهم لم يكونوا من السكان الاصليين للمنطقة بل كانوا رجالا جلبهم الملك مع حملته الى الجنوب (١٩) والآن ما الذي أراد المترجم أن يحققه في عمله ؟

يفترض برور هنا أنه كان يعمل على إخراج ترجمة بقدر مايستطيع من الدقة لكتاب تاريخ وليم ، وفي الحقيقة يبقى أفضل ان نقول أن اضافاته غير الكثيرة الى نصه ، قصد بها أن تكون شرحا للكلمات الصعبة ، ولم تكن انحرافات عن روح نصه ومعناه ، بل كانت توضيحات تمت عن معرفة ،وفي الواقع واضح مما نعرف عنه ، وعن عمله أن كل اهتماماته تعلقت بالتبسيط الشعبي أكثر منه بالنقل بدقة ، وأنه كرجل فرنسي كان يعمل في الربع الثاني من القرن الثالث عشر ، لم يكن بأي حال في وضع يجعله يعرف التفاصيل الدقيقة من هذا النوع ، ويحتمل أنه كانت لديه فكرة صغيرة جدا عمن كان هؤلاء الذين نالوا الممتلكات ، ولاتقدم أي كلمة فرنسية قديمة نفسها كترجمة مباشرة لهذا الاصطلاح ، وهكذا اخرج هذا الاداء الحر مكملا النقص في المعرفة من خياله الخصيب ، ومعطيا رواية أكثر تلوينا عما كان عليه الاصل المحترم ، وكان يقدم للقارىء الفرنسي عملا مشهورا أكثر مما ينبغي لأن تكون حاجة للاشارات الخارجية للاحترام ، مما يعتقد أن الأسلوب الرفيع يمكن أن يمنحه ، ولعل الذي التمسه هو أن يجعله اجمل مايمكن لجمهور كان بالطبع مهتما بالتاريخ الذي كتبه وليم أكثر منه بقصة ساحرة عن انجازات الجيوش فيما وراء البحر ، وأكثر من سجل ذي دقة مطلقة بالوقائع ، وكان تاريخ هرقل يعرف أحيانا باسم « رومان دي ايراكل » وهذا لم يكن عنوانا دقيقا لأنه كان مايزال تاريخا في جوهرة ، ولكن ليس تاريخا بدون دلالات .

وهذا المثال يخدم لبيان كيف أن المعـالجة المختلفـة لكاتبين (في هذه الحالة وليم ومترجمه) للمادة نفسها يمكن أن تعني أن معالجة مختلفة كانت مطلوبة أيضا مـن كل مـن يحـاول تفسـير معانيهما ، وفحص هذه المجموعة من التواريخ قد بين أنهـا تغـطي كامل المجال من الكتـابة التـاريخية الأكثـر رصـانة الى القصص الخيالية ، واوضـح وليم لنا في تـاريخه أنه رأى في نفسـه مؤرخا ، وأن هدفه من الكتابة كان تدوين سجل للأجيال المقبلة بأدق طريقه ممكنه وأكثرها حيادا دون أخذ بالاعتبار لمشـاعره الخـاصة بالامر ، وموقفه الثيوقراطي الواضـح لم يخـرب رؤيتـه للتـاريخ كسياق سبب وأثر ، وهو في الواقع كما وصـفه رنسـمان [٢٠] كان واحدا من أعظم مؤرخي العصور الوسطى . ونحتاج فقط أن نأخـذ بعين الاعتبار تعـاطفه المعلن ـ الكهنوتـي والملكي ـ وبعض عدم الدقة الذي لا مفر منه ، قبل أن نضع ثقتنا في عمله ، وبـالمقابل كان مترجمه في اشـتغاله وانشـغاله المسـبق رجـل أدب ولم يكن مؤرخا ، ويمكن لعمله أن يخبرنا بشكل غير مباشر بقدر كبير حـول الاختلافات في أذواق جمهور القراء ، مثلما هو الاختلاف المفتـرض بين مؤلف التاريخ ومترجمه ، وأيضا شـيئا حـول كيف تصـورت فرنسا القرن الثالث عشر ، بلاد ما وراء البحار في القـرن الثـاني عشر ،ولكنه كمصدر للمعلومات الواقعية لا يحتاج التوصية بنفسـه بالمرة ، وإذا استعمل هكذا يجـب أن يكون فقـط مـع أكبـر التحفظات . [٢١]

وتظهر هذه المقارنة بين التاريخ وترجمته الى الفرنسية بـوضوح كيف يمكن لمنتجات مختلفة جدا أن تنطلق من المادة الاساسية نفسها ببساطة لأنها استخدمت بطريقة مختلفة ، وقصد متباين ، ويصـبح هذا حتى أكثر وضوحا عندما نتأمل الهوة التي تفصل بين التـواريخ الصحيحة والذيول الصحيحة من جهة والمصنفات المختلفة أي الموجز وتاريخ ما وراء البحار من جـانب آخـر ، وسـيكون افـراطا في التبسيط ، ولكنه ليس بدون فائدة ، الاعتقاد بأن الأول (الموجز) يمكن مقارنته (مع أنه أدنى بكثير) مع تاريخ وليم والثاني (تاريخ

ما وراء البحار) كأنه مؤلف بروح أكثر شبها بروح مترجم وليم ، وإن التمييز بالطبع بين الجنسين من التاريخ والخيال في أذهان مؤلفيها لا بد أنه كان كالتمييز بين الحقيقة والخيال بشكل عام ، وضبابي جدا لكي يكون غير مفهوم عمليا ، ولكن مازال ضروريا لنا أن نسأل أنفسنا عندما نستعمل هذه النصوص التي يميلون بأكبر قوة نحو مناقضتها ، بالتالي أي نوع من البينة منطقيا يمكن أن نتوقع منها ؟ ،

وهكذا فإن الموجز لكونه كما رأينا عمليا تبسيطا ، وإن يكن بالاحرى غير ناجح ، يمكن على المستوى الواقعي أن لا يفعل شيئا أكثر من تكمله مصادر أخرى أكثر اكتمالا ، ولكن يعطينا أيضا بالاهتمام الذي منحه للعام ١١٨٧ [٢٢] بعض التلميحات الى الأهمية الكبيرة التى أولاها الغرب لضياع بيت المقدس والصليب المقدس ، والطريقة الدرامية التي تم التعامل بها مع هذه الأحداث ، ويرينا الاعداد المسرحي الذي هيء (والاستعارة اختيرت قصدا) لهم أيضا كيف أصبحت قصص بيت المقدس ترى من ضوء ليس غير مشابه للجو نصف الضبابي ، ونصف البطولي الذي أحاط بقصة آرثر ، وهذه ناحية قدر لها أن تجد تعبيرها النهائي والأكثر وضوحا مع كاكستون [٢٣]

ومثل هذا في حالة مواد تاريخ ما وراء البحار ، لا يمكن لاحتجاجات المصنف بنظرته بازدراء اليهم « كحكايات رومانسية » أن تخفي ميله الخاص اليهم حسبما تبين من الاقحامين الخياليين ، اللذين سبق ووصفناهما [٢٤] ، والمادة التاريخية الظاهرة التي يقدمها لنا هذا النص ، والتي ما أراد المؤلف حقا ان ينتجه كان قصصا رومانسيا عن صلاح الدين ، وفي هذا نجح بشكل مثير للاعجاب ، ونظرته للتمييز بين الحقيقة والخيال طفيفة. حتى أننا لا نستطيع أن نخاطر بالتصديق بدون فحص دقيق لأي شيء يقوله ، ولكن ما أراد لنا أن نصدقه كان صحيحا ، وبشكل خاص حول صلاح الدين نفسه ، وهذه هي الناحية الأكثر أهمية في

عمله ، وهي الناحية الأجدر بالدراسة القريبة ، وبكلمات أخرى : إن هذا النص ليس لديه على ما يبدو قدرا كبيرا يسهم به في معارفنا عن التاريخ السياسي للملكة اللاتينية ، ولكنه أضاف بينة جديدة للمسألة المساوية في الأهمية ، وهي مسألة الصورة الشعبية لصلاح الدين في الغرب .

ومع الذيول كما تتعارض مع هذه التواريخ القصيرة ، نحن فوق أرض أكثر أمنا بعض الشيء ، والفخ الرئيسي الواجب تفاديه هنا هو الاعتقاد أو الافتراض أن الذيول قد كتبت هكذا كما هي ، لأن هذا وان كان صحيحا بالنسبة لبعضها إنه غير صحيح بالنسبة الجميع ، فتاريخ أرذول وهو أحد المصادر الرئيسية التي استخدمها مصنفو الذيول ، يبدو أنه كتب كما رأينا كمسوغ لسياسات الابلينيين في فترة حرجة من تاريخ بلادهم ، وقد بقيت هذه الناحية بعد الآثار المعدلة للتنقيح بدرجات مختلفة في الروايات العديدة التي استخدمته ، ولكن بعيدا عن الانتقاص من قيمته بوساطة بينة انحياز آرذول ، ببساطة لأنه انحياز واضح جدا ، مما يفقده كثيرا من خطره ، ويضيف الى القيمة الاخبارية لعمله الفرصة المتاحة لنا لرؤية المملكة اللاتينية من خلال عيني فرنجي بلدي ، ويضيف هذا بدوره قليلا لمعرفتنا الهزيلة حول مجتمع خلف القليل جدا من الأثر الثقافي ، وهو مع أنه كان أوربيا بجذوره ومواريثه ، فإنه في الحقيقة أكثر غموضا بالنسبة لنا منه للجيران العرب الغرباء كليا ، والذين لديهم تراثهم الثقافي القوي جدا ، وتاريخ أرذول هو الى الحد الذي يمكننا فيه أن نتعقبه ، هو الى جانب كونه سجلا لكيفية سقوط بيت المقدس ، والصليب المقدس في أيدي المسلمين هو أيضا سجل « للأخلاق والطبائع والمشاعر والأذواق » لحضارة عاشت قليلا لكنها كانت حضارة متميزة .

ولا يمكننا أن نكرر كثيرا جدا الحقيقة المؤسفة أنه حتى تظهر مخطوطات جديدة ، الأكثر احتمالا أنه تاريخ أرذول سيظل مفقودا الى الأبد ، ولكننا نستطيع أن نخفف من وقع هذه الخسارة بعض

الشيء بتوجيه الاهتمام المستحق للنص الأكثر شبها به وصدورا عنه ، وأعني به قسم ١١٨٤ ـ ١١٩٧ من مخطوطة ليون من تاريخ هرقل (أي نص د) الذي لم يتلق حتى الآن الاهتمام الذي هو جدير به ، ويمكننا أيضا أن نتفادى الاضرار بأرنول باعارة اسمه لعمل قصير بسط شعبيا ذلك أنه غير لائق به بأي شكل من الأشكال ، أو إعارة مصداقيته لقطع أخرى من النص التي وضعها سوء الحظ وحده الى جانب عمله ، كما ويجب أن لا نضع ثقتنا في أي من هذه التواريخ على الأقل ليس الثقة التي لا تستدعي أي تساؤل ، لأننا يجب أن نأخذ دائما في الحسبان أنه من بين كل مؤلفيها ومصنفيها فقط الأول منها والأعظم أي وليم الصوري هو الذي كتب بوعي وضمير كمؤرخ لأيامه ، وكان لدى كل خلفائه بواعث أقل صفاء بكثير ، ويجب أن لا ندع لقناعتنا بأساليبهم مجالا لأن تدغدغنا بقبول غير متحرز بكل ما استهدفوا أن نصدقه ، وليس هذا القول بأن الهدف (أو ما يجب أن يؤمل ، أو النتيجة) من هذه الدراسة كان « إثبات سخف كل ماكتب حتى الآن واعادتنا الى الجهل مرة أخرى » بل الأحرى تقديم بعض المفاتيح لبناء هذه المتاهة المعقدة ، وفي الوقت نفسه تأكيد أننا لا يمكن مطلقا أن نتحمل التقليل من شأن تعقيدها ، ولكن الاستعمال الحكيم لهذه التواريخ يمكن أن يسمح لنا بأن نستخلص منها شيئا ما ، مع أنه ليس القصة التي تسبب أرنول بأن تسجل كتابة ، يمكنها أن تخبرنا بقدر كبير مما حدث في زمانه ، وكيف بدا ذلك لمعاصريه ، وهكذا فإن عمله كعمل وليم مع أنه بأسلوب أقل مباشرة يمكن في النهاية أن يستخدم كسجل لتقدم ثم سقوط المملكة اللاتينية في بيت المقدس .

الملحق رقم ١

مخطوطتا : القديس أومر ٧٢٢ وليون ٨٢٨

المخطوط رقم ٧٢٢ في مكتبة بلدية القديس أومر ، وهـو مجلد ورقـي مـن ١٦٣ ورقـة ، وبـالاضافة الى ورقتين فارغتين ، ومحتوياته كما يلي :

١ـ قطعة من « تاريخ القدس » تأليف جاك دي فيتري ـ أسقف عكا :

Incipit (f.1a): Innocens li apostoles de Rome vaut savoir les usages et les costumes les contrees des passages de le terre des Sarrasins. Explicit (f.4a): Toutes ces choses manda li patriarches al apostole Innocent et a l'eglyse de Rome.

٢ـ الاولمبياد أو فقدان القدس تأليف بيير دي بوفياس :

Incipit (f.4a): Lonc tans devant l'incarnation Nostre Segnor fu une chités en Gresse qui avoit non Elyde. Explicit (f.4b): A m ans et IIII vins et vii le reprist Salehadins. Or sont xiij fois. Encore le tiennent Sarrasin, Dieus par sa debonaireté le nous rende.

٣ـ تاريخ أرنول مع ذكر اسم المؤلف :

. Incipit (f.4b): Or entendés comment le terre de Iherusalem et le Sainte Crois fu conquise des Sarrasins sor Crestiiens (ff. 39b ff.)

يحتوي هذا النص على وصف فلسطين والقدس ويأتـي على ذكر ارنول بالاسم

f. 32b, col 2: Dont fist descendre i sien vallet qui avoit non Ernous. Ce fu cil qui cest conte fist metre en escrit. Explicit (f.91b): Apres s'amassa grant gens et grant ost et ala encontre le roi Jehan. Et manda son fil en Alemaigne.

٤ـ حياة شارلمان :

Incipit (f.92a): Ci commence le vie KM si come il conquist Espaigne.

وهذا المخطوط لم يكن معروفا لماس لاتري عندما أعد طبعته للموجز في ١٨٧١ ولكنه كان معروفا لدى راينت الذي ضمنه كرقم ١٣ في كتابه « مصنف جامع لمخطوطات هرقل » الذي نشر في سجلات الشرق اللاتيني لعام ١٨٨٠ ـ ١٨٨١ وهو مفيد من عدة وجهات نظر تتجمع لتجعل منه قطعة هامة مفقودة في صورتنا الكاملة عن تطور الموجز .

ويمدنا مخطوط القديس أومر ، ٧٢٢ بنسختنا الثالثة من موجز ١٢٢٩ ، والاخرى هي بروكسل ١١١٤٢ (مخطوط ماس لاتري الاساس) وب . ن . ف . فر ٧٨١ مع ذكر واسع لاسم أرنول كمؤلف بالاضافة الى هذين الاثنين والى موجز ١٢٢٧ الموجود في برن ٤١ وهو لايشابه النسختين الآخريين لموجز ١٢٢٩ على اي حال من ناحية هامة ، اعني انه لايرتبط به على اي صورة والقطعة التي تبدأ بجملة : « سنة تجسيد مولانا » ، ويحوي بروكسل-١١١٤٢ هذه بالصورة التي طبع بها من قبل ماس لاتري مثبتة في نهاية نص الموجز ويحويها ايضا في ب ن ٧٨١ في النهاية في صورة حتى أطول تمتد لبعض الطريق بعد نهاية رواية بروكسل ، وعليه فان مخطوط القديس أومر ٧٢٢ هو النسخة الوحيدة من موجز ١٢٢٩ الذي لاتوجد فيه هذه الشريحة والتي يسمح لنا بأن نرى الشريحة لاجل ماهي قطعة من نص غير مرتبط بالموجز الا بهوية مواضيعها ، وملتصقة بلا فائدة بنهاية من قبل احد الكتاب الذي نسخ النص كما هو موجود في القديس أومر ٧٢٢ ، وأعتقد أنه من المناسب أن يتابع الى شيء مشابه ، وهو الذي على مايبدو لم يتمه ابدا في بروكسل١١١٤٢ بالنظر للرواية الأطول الباقية في ب . ن ٧٨١ وبطريقة مابناء عليه يصور القديس أومر ٧٢٢ بذاته عائلة مختلفة من النصوص (اذا كان بالامكان استعمال كلمة « عائلة » حيث يوجد فقط عضو واحد) وهذا هو موجز ١٢٢٩ قبل ان تضاف الشريحة غير ذات العلاقة اليه ، ويشوش قضية العلاقة بينه وبين القديس أومر ٧٢٢ أن موجز ١٢٢٩ له

وجود مستقل ، ويصور النص في مرحلة أبكر في تطورة من أي مـن المخطوطات التي كانت معـروفة لماس لاتـري ، ويتـوجب على أي محقق جديد للموجز أن يأخذ مخـطوط القـديس أومـر بجـدية أعظم ، وهناك امكانات كبيرة في أن تقوم طبعة جديدة عليه بدلا مـن القيام على مخطوط بروكسل ١١١٤٢ الذي يجب أن يغـطي نصـا تاليا دون اعتبار لتواريخ المخطوطات طالما أنه سـبق للشريحـة أن اضيفت هنا ، ويجب على المرء أن يضيف أنه مستحيل بشـكل غير قابل للاثبات أن المصنف قـد نسـخ نصـا مـن عائلة بروكسل١١١٤٢ مستبعدا الشريحة وهـكذا أخـرج نص القـديس اومر ، ولكن يبدو أنه بكلمة واحدة ذلك غير وارد بالبتة .

أما بالنسبة لتاريخ مخطوط القديس أومر ٧٢٢ فهو قد أعطي في الفهرس ومن قبل راينت الذي يحتمل أنه قد اعتمد في هذا على تأريخ أمين المكتبة ــ على أنه القرن الرابع عشر ، ولكن الدكتـور جـارو سلاف فولدا من جامعة نورث كارولينا شـابيل هـل قـد أثبـت أن المنمنمات ومن ثم المخطوط ذاته لايمكن أن يكون تاريخه أبعـد مـن القرن الثالث عشر (١) .

ونقطة واحدة أخيرة حول المخطوط هي أنه أتى من دير القـديس بيرتين وهو بيت بندكتي (لم يبق منه سوى الأطـلال) ومـكانه في القديس أومر ، وهذا يثبت حتى بوضوح ارتباط الموجز بهذه المنطقة من فرنسا ، وماهو أكثر فان القـديس أومـر يقـع على أقـل مز ..١ كيلو مترا مـن طيران الغـراب عن بيت بندكتـي أكثـر شهرة ، هو غوربي ، ونعـرف أنه كان اجـراء شـائعا بين البيوت الدينية ان تعير بعضها بعضا كتبا ، أحيانا لافساح المجـال لأخـذ نسخة لمكتبة الدير ولدينا الآن نصان ــ القديس أومر ٧٢٢ وتاريخ برنارد الخازن - المثبت باحكام ببيوت المرتبة نفسها وقريبة نسبيا من بعضها بعضا ، وعلاوة على ذلك فان تحديد هوية (مرة أخـرى من قبل الدكتور فولدا) كل من مخطوطي تـاريخ مـاوراء البحـار وب . ن . ف . فر . ٧٧. و ١٢٢. ، بأنهما زينا في هـذا الجـزء

نفسه من فرنسا يعطينا نصا متعلقا آخر ، مرتبط بالناحية نفسها ، ويبدو أن شمال شرق فرنسا وفلاندرز لم تعط فقط كثيرا من الحملات الصليبية بل ايضا كثيرا من التواريخ المتعلقة بالحروب الصليبية ، لأسباب يوجد هنا فقط وقت لذكرها كتخمينات : انها ربما الرخاء العام للمنطقة وكذلك الوجود الكثيف للبيوت البندكتيه ، التي أمكن لفرق النسخ فيها أن تقدم كل التسهيلات الضرورية ، وفوق كل شيء الطريق الذي مالت فيه الصليبية لأن تصبح تقليدا عائليا كما فعلت في عائلة جوانفيل وفي قادة قلاع القديس أومر ــ الفوكمبرغ ، وباختصار بأخذ القيمة الاجمالية لنص القديس أومر بحد ذاته بالاعتبار والبنية التي يقدمها عندما ينظر اليه في علاقته بالنصوص الأخرى ، وماسبق معرفته حولها ، نرى ان راينت لم يكن مبالغا بالحد الأدنى عندما وصف هذا المخطوط بالثمين جدا (٢) .

وبالانتقال الآن الى مخطوط ليون ، نجد حتى أكثر لنتعلم منه ، لا بل حتى الكثير من القيمة كما أصبح واضحا في مجرى هذه الدراسة انه مجلد من قطع الربع كبير « بقياس ١٢ بوصة × ٥ر٨ » بوصة مكون من ٣٨١ ورقة ، بالاضافة الى ثلاث ورقات بيضاء ، وهو مكتوب بأيد عديدة في عامودين من ٣٩ سطر للعامود وبه ٢٣ من المنمنمات ، وهذه كلها كبيرة نوعا ما ، وبشكل نموذجي بعمق ثلاث بوصات واتساع كامل العمود وذات أهمية خاصة لمؤرخي الفن ، الذين يعرفونها بأنها من عمل ورشة عكا (٣) .

ومايمكن ملاحظته ان المنمنمات ترد فقط في ترجمة وليم ، وليس في جزء النيل من النص ، والمخطوط ليس مؤرخا بالضبط ولكن الصور يعتقد من قبل بوختال بأنها شبيهة جدا بصور مخطوط عكاوي آخر ، حتى أنه يمكن ادراك أنها من عمل المعلم نفسه ، وأعطي هذا المخطوط الثاني تاريخا هو حوالي ١٢٨٠ ، وكان هذا المخطوط في أحد الأوقات تابعا للكلية

اليسوعية في ليون ، وتذكر رقعة مكتوبة أثبتت على أول الكتــاب انه قد أعطي لها في ١٦٩٨ من قبل شخص يدعى ملاكور فيلبــرت وهــو الآن ملك لمكتبة المجلس البلدي ويحمــل رقــم ٨٢٨ (مـــن قبـــل ٨١٥ و ٧٣٢) في مجموعتهم .

والخط في القسم الأعظم كبير ، ومقروء بوضوح ولكن عددا مــن الصفحات قد بهتت واصبح من الصعب ،ويجمل أحيانا من المتعذر ، قراءتها والصعوبات ليست على أي حال بقدر مايمكن بشكل معقــول استنتاجه ، من قراءة طبعة هــذا الخــطوط في صــور مختلفــة في را شيل ، حيث الكثير من المسافات الفــارغة غير الضرورية والكثير من القراءات الخاطئة بدرجة كبيرة ، ولاحاجة للاسهاب في الحــديث عن أهمية هــذا المخـــطوط الناقـــد التـــاريخي ، والنص على السواء ــ وقد سبق أن رأينا أن نصــه فــريد وحيوي لفهمنا لتعــدد روايات الهرقليات ، والحاجة الى طبعة جديدة واضحة وفي الحقيقة يمكن للمرء أن يقوم ببساطة بطبعة طــالما أن طبعــة را شــيل له غير مقروءة في صورتها ، وغير أهــل أيضــا للاعتمــاد عليهــا ، ولكن السؤال هو ، مالذي يجب تحقيقه بالضبط ؟ وبــالنسبة للمــؤرخين ماهو مطلوب هو طبعة جزئية لهذا الجــزء مــن النص الذي يعتمــد مباشرة وبدقة على تــاريخ أرنول ، والذي يحــوي كثيرا جــدا مــن المعلومات القيمة لهم ، وهو القسم ١١٨٤ ــ ١١٩٧ ، وهذا أيضا القسم الذي يهتم به أكثر دارس النص ، ولكن تبقى حقيقة أن طبعة جزئية في كثير من الاحوال غير مرضية كثيرا له. والبديل مع ذلك هو تحقيق كامل النص ، اي جميع ال ٣٨١ ورقة منه ، وهذا ســيكون طويلا ، والى حد بعيد غير مثمر تماما لانه ما مــن احــد ســيكون مهتما بقراءة الترجمة الصحيحية ، ثم إن القسم ١١٩٨ ــ ١٢٣١ ليس فيه خلاف جوهري عن الموجز الذي سبق تحقيقه بشــكل واف ومناسب من قبل ماس لا تري .

والقسم ١٢٣١ ـ ١٢٤٨ مشابه تقريبا للقسم نفسه من المخطوطات الاساسية في راشيل ، وهو مرة أخرى كاف بشكل مناسب في هذا المجال ، والمشكلات المثارة هكذا بفعل مسألة تحقيق هذا المخطوط هي في حد ذاتها ليست دلالة سيئة على التشكيلة الواسعة من الاهتمامات التي تخدمها ، وعندما نسأل انفسنا ، ماذا تكون حالة معرفتنا حول كتاب تاريخ هرقل بدون هذا المخطوط فإن الجواب سيكون محبطا بدرجة كافية ، وفيما يتعلق بتتبع الصورة الأصلية لتاريخ أرذول ، فإن هذا يكون مستحيلا ، وقد أصدر ماس لاتري تعليقا عابرا فقط حول النص (٤) ، لكنه كان مصيبا مرة أخرى.

الملحق رقم ٢

الفرنجة البلديون ـ البوليانز ـ

لا يتصل المعنى الذي ينسب عادة لهذه الكلمة من قبل مصنفي المعاجم بدقة الاستعمال الجاري لها من قبل مؤلفي اللغة الفرنسية القديمة ، ويتفق كل من توبلر لوماتش وغودفري ـ والملاحظة الواردة في نيل روثلين (راشيل ـ ج ٢ ص ٦٣٣ ، ملاحظة ب) في وصف البوليانز بأنهم أبناء زيجات مختلطة بين الفرنجة ، والسوريين ، ولكن النصوص لا تؤيد ذلك ، ويقتبس كل من توبلر لوماتش وغودفري فقرة من جوانفيل قيل فيها : « الناس من الفلاحين والبوليانز » فهو لم يقل شيئا حول تحدرهم المختلط ، وواضح من السياق أن كلمة « فلاحين » اصطلاح أراد به هنا بكل بساطة الفقراء من سكان فلسطين ، وهؤلاء « الفقراء » في مواجهة الأوربيين مثل جوانفيل نفسه ، لم يشكلوا طائفة اجتماعية ، ولم يكن من المستبعد أنها حوت أناسا من الشريحة الراقية ولدوا في الدول الصليبية ، ولم يستبعد أيضا الذين كانوا من سلالة فرنسية صرفة ، ويتفق هذا مع استعمال الاصلاح نفسه في نص « د » من تاريخ هرقل (انظر راشيل ج ٢ ص ٦٣ ، « د » متنوع) حيث وصف البوليانز « بجيل الفقراء » و « بأبناء المملكة » وذلك في مقابل الفرنجة الوافدين ـ البوتيفينز ـ وهم الذين لم يلدوا في المملكة بل أنهم ، جاءوا من أوروبا مع غي لوزنغنان ، ومرة ثانية ما من شيء محدد حول تحدر البوليانز ، ومن المؤكد أن الطائفة المواجهة البوتيفينز حوت أعداد كبيرة من الناس الذين لم يكن تحدرهم الفرنسي وأصلهم الصافي موضع أي شك ، ولنضرب هنا مثلا بالأخوة الابلينيين ، وريموند صاحب طرابلس ، ونكتفي هنا بالأسماء ذات الشهرة الواسعة والوصف الأكثر تفصيلا ووضوحا

البوليانز موجود في « تاريخ المشرق » و « تاريخ القدس » لجاك دي فيتري حيث أن هناك فصل كامل (فصل ٧٣ من طبعة ١٥٩٧ و ٧٢ في النص الوارد في كتاب بونغراس أعمال الفرنجة) أوقف على وصف البوليانز ، ويوجد هنا عدة نقاط جديرة بالملاحظة ، أولاها أن جاك دي فيتري مثله مثل النصوص الأخرى لم يقل أي شيء عن البوليانز أنهم سلالة خليطة ، وكل ما قاله بكل بساطة انهم انحدروا من الصليبيين الاصليين مع انهم غير جديرين بوراثة ما استولى عليه آبائهم:

'ex supradictis peregrinis . . . procedentes', albeit

مع انهم غير جدرين بوراثة ما استولى عليه ابائهم:

Generatio enim prava atque perversa, filii scelerati et degeneres, homines corrupti, et legis divinae praevaricatores, ex supradictis peregrinis, viris religiosis Deo acceptis, et hominibus gratiosis, tanquam faex ex vino, et amurca ex oleo, quasi lolium ex frumento, et rubigo ex argento procedentes, paternis possessionibus, sed non moribus successerunt; bonis temporalibus abutentes, quae parentes eorum ad honorem Dei contra impios strenue dimicantes, proprii sanguinis effusione sunt adepti. *Filii autem eorum, qui Pullani nominantur* . . . (Bongars i. 1088-9, my italics.)

وهذه الفقرة مشابهة بشكل مدهش لوصف وليم لأبناء قومه ، كأبناء متدهورين لآباء نبلاء ، وفي الحقيقة استعمل المؤلفان الكلمة نفسها في عدة أماكن ، من ذلك قول وليم : « ونجد لدى دراستنا لهذا الوضع المعاصر بدقة وعمق ونحن متطلعون العون من الرب ، خالق كل شيء ، أن السبب الاول الذي يقدم نفسه هو أن أجدادنا كانوا رجالا متدينين ويخافون الرب ، وقد قام مقامهم الآن جيل شرير وأبناء آثمون مزيفون للعقيدة المسيحية يتبعون سبل جمع الأشياء المحرمة دونما تمييز ، وهم أشبه ، أو حتى أسوأ من الذين قالوا لربهم : ابعدنا ، وبمعرفة طرقك لانسر ، ويسحب الرب بعدل تأييده من هؤلاء بسبب خطاياهم ، وكأنما أثير سخطه ، هؤلاء هم رجال العصر الحالي ، وخاصة القاطنون في الشرق ، كما أن المرء الذي سيتولى بقلم حذر وصف أخلاقهم أو بالاحرى رذائلهم الوحشية المرعبة سيقف عاجزا أمام هول المادة وضخامتها ، وسيبدو بالاختصار بأنه يكتب مقطوعة هجائية اكثر

منه يصنف تاريخا » (راشيل ج ١ ص ١٠١٥ ــ الترجمة العربية ص ٩٧٩ ــ ٩٨٠) .

ولو أن البوليانز لدى رجال دي فيتري أو « الأبناء الآثمون » لدى تاريخ وليم كانوا جزئيا من أصل سوري ، لكان هذا زود هذين المؤلفين بأحسن وسيلة للاعتذار ، لكن مامن واحد منهما فعل ذلك .

ثانيا : يتفق دي فيتري مع تاريخ هرقل في فصل البوليانز كطائفة ، ليس على أساس العرق ، بل بالأحرى على أساس أنهم قد ولدوا في الشرق ، وذلك مقابل الفرنسيين المتروبولتان ، أو أولئك الذين ولدوا في الغرب بشكل عام .

. . nisi Francos et *Occidentales populos* secum haberent, plusquam sexum foeminum non formidarent' (Bongars, loc. cit., my italics).

وفي مكان آخر ميزهم عن المجتمعات الايطالية المختلفة في فلسطين ، وهو ما يوحي ربما بأن البوليانز كانوا من أصل فرنسي أكثر منهم من أصل أوروبي بشكل عام .

ثالثا : ويصف دي فيتري الموقف السياسي للبوليانز نحو المسلمين كما يلي :

'Ipsi autem cum Saracenis foedus ineuntes . . . et bella civilia inter se concitantes, et plerumque ab inimicis fidei nostrae contra Christianos auxilium postulantes' (Bongars, loc. cit.).

وهذه بالضبط هي التهم التي وجهها المؤرخون الأوروبيون الى بارونات الفرنجة المولودين في سورية ، خاصة ريموند صاحب طرابلس وباليان دي ابلن ، في أنهم أبرموا مواثيق مع المسلمين ، وأضاعوا الوقت والطاقة وهم يتشاجرون فيما بينهم ، والتمسوا مساعدة المسلمين ضد المسيحيين .

وإذا كان دي فيتري قد عنى بالبوليانز شعبا من سلالة

فرنجية ـ سورية خليطة ، كان لديه فرصا عديدة ليقول هذا ـ أصله السوري جزئيا يمكن أن يقدم كأفضل التفاسير وضوحا من أي من المزايا والسمات المقتبسة أعلاه ، وأيضا من اخرى من عاداتهم التي ذكرها فيما بعد ، وهي في ابقاء زوجاتهم تحت حراسة مشددة داخل البيت ، وهذه الأخيرة عزاها لا لتحدرهم من شعب كان مثل هذا لديه عاديا ، ولكن لطبائعهم الغيورة . أما بالنسبة لاشتقاق كلمة بوليانز فإن توبلر لماتس ، فقد رآها كمعنى موسع للاسم الشائع : *polain<pullus,*

وهو صغير الحيوان ، وهذا يتطابق بالضبط مع ما رأيناه لدى استعماله من قبل جاك دي فيتري : كان البوليانز هم ذراري الصليبيين ، الذين قارنهم دي فيتري مثله مثل وليم مع آبائهم الصليبيين الأصليين ، وفي تاريخ هرقل أيضا هم ليسوا جيل المهاجرين الأول من أوروبا ، مثل غي وأتباعه ، بل : « أبناء المملكة » أي ، ذرية المهاجرين . مدعيا بأن هذا في الواقع هو أصل الكلمة ، الأمر الذي لا يبدو هناك أي سبب للشك فيه ، والمضمون النهائي هو أن البوليانز كانوا على الأقل مستعمرين من الجيل الثاني ، ولم يكونوا بالمرة من دم خليط .

ذيل

تاريخ وليم الصوري (١١٨٤ ـ ١١٩٧)

حققته مرغريت روث مورغان

تقديم

من المتوارث والمتعارف عليه أن مخطوط ونص نيل تاريخ وليم الصوري كثير التعقيد ، ولو عدنا الى ماقبل عشرين سنة لوجدنا انفسنا بعيدين عن أن نعرف كل شيء عن موضوعه ، وفيما يتعلق بالطبعة الحالية ، لها هدف واحد متواضع هو أن تضع في متناول مؤرخي الحروب الصليبية واحدا من نيول تاريخ وليم الصوري وهو المخطوط رقم ٨٢٨ في مكتبة مدينة ليون ، وليس المجال هنا متوفر للرجوع الى جميع تفاصيل الدراسة ـ المتقدمة ـ التي أوقفناها على النيول ، حيث كانت النتيجة هي لفت الانتباه الى أهمية نص ليون .

وسنكتفي هنا بتلخيص الجوهري والمهم من دراستنا المتقدمة مضيفين اليها بعض التعديلات مع شيء من التعمق الذي توفر نتيجة ابحاثنا منذ عام ١٩٧٣ ، هذا وسيتاح للقارىء تحديد النص المتعامل معه من بين المجموعات العائد اليها والتي لايمكن فصله عنها ، ذلك أنه يوجد اليوم تسع وأربعون مخطوطة معروفة من تاريخ هرقل ، وجاء تحت هذا الاسم منذ زمن بعيد الترجمة الفرنسية لتاريخ وليم الصوري الكبير مع النيول التي ألحقت به ، وكنا قد أعطينا المخطوطات الرئيسية رموزا ، هذا ونجد بين التسع وأربعين مخطوطة أربع وأربعين منها مرتبطة على الاقل بالمخطوطة الكبيرة « غ » ، ولايوجد طابع واحد يجمع المخطوطات في أسرة واحدة ، بل على العكس يمكن أن نرى عدة منها، ومع هذا ان هذه المخطوطات وان أعطتنا نصوصا ذات مجال قابل للتبديل ، وقراءات متنوعة ، انها تمنحنا المصنف نفسه ، وأعنى بذلك النص نفسه الذي يقدم لنا المادة ذاتها ، وتبقى لدينا المخطوطات الخمس التي غضضنا النظر عنها وهي المخطوطات : أ ـ ب . س . و د من راشيل و المخطوطة «بلوتس»

« ٦١ ـ ١٠ » في مكتبة لورانتي في فلورنسا ، وقد استخدمت المخطوطة الأولى مع الثانية كأساس لطبعة راشيل ، وبدايتهما هي سنة ١١٨٤ (نهاية تاريخ وليم) ونهايتهما سنة ١٢٢٩ ، وهما تقدمان نصا متطابقا ـ فيما يخص أكبر جزء من الرواية ـ مع مجموعة « غ » مع شيء من الخلافات أحيانا ، ولكنهما خلافات هامة ، ومنذ عام ١٢٢٩ فصاعدا يشكل المخطوطان « أ ـ ب » و مخطوط « غ » مخطوطا واحدا حتى سنة ١٢٤٨ ، حيث يبدأ المخطوط « أ » بالالتحاق بذيل روثلين ، في حين يتابع المخطوط « ب » التحاقه بالمخطوط « غ » حتى سنة ١٢٦٤ حيث يتوقف ، ومن الممكن القول إن العلاقات بين الروايات « أ ـ ب » و « غ » غير ثابتة الى بعض الحدود ، ويمكن للقارىء أن يرى بأم عينيه في راشيل وجود بعض التشابه بالمظاهر في الصيغ ، ومن فوائد وضعها في صفحة واحدة أنه تتضح لنا السبل التي تنفصل به هذه المخطوطات أو تنتظم عدة مرات .

ولننتقل الآن الى الرواية « س » هنا ، في هذه الحالة سنتردد طويلا بالحديث عن مؤلف مستقل مادام نصه لايمكن أن يبتعد كثيرا عن « غ » وهكذا سيجد قارىء « ي » من راشيل بعض النصوص الخاصة بمخطوط « س » ولكنه سيلاحظ أحيانا أن مصنف المخطوط « س » لم يقم الا بتعديل نص « غ » باختصاره كثيرا دون أن يجدد فيه شيئا ، وهكذا نرى في « س » نوعا من التقارب العائلي مع « غ » .

أما بالنسبة لمخطوط « د » الذي هو الأصل المعتمد لطبعتنا ، أجد أنه من غير الضروري تكرار الأسباب العديدة التي حدت بنا أن نرى فيه بينة واحدة وثمينة جدا الحقبة ١١٨٤ ـ ١١٩٧ ، ولنذكر هنا بمسألة أساسية هي أن هذا النص لايحتوي على ماكتبه أرنول مباشرة ، ومع هذا إننا من خلاله نستطيع التوصل الى تحصيل فكرة عما كان عليه كتاب أرنول ، وهنا سبب من الأسباب الرئيسية التي فرضت علينا العمل

على طباعة مخطوط « د » هذا ، يضاف الى هذا أن مصنف هذا المخطوط كان أمامه أثناء عمله نموذج من عائلة « غ » ونموذج آخر من عائلة « ب » ونموذج ثالث ، ان لم يكن كتاب أرنول نفسه كان قريبا منه كثيرا .

ومن أجل حقبة ١١٨٤ ـ ١١٩٧ ، أحدث مصنف النص خليطا لم يكن دوما عقلانيا ، وقام ذلك على المصدرين الآخرين ، وانضم بعد هذا التاريخ (موت هنري دي شامبين وتتويج ايزابيل « سيبيل » نهائيا الى عائلة « غ » ولم يفارقها بعد ذلك ، ولهذا قد يقال بعد ذلك إن نص « د » يخلو اعتبارا من عام ١١٩٧ من الفائدة الخاصة لأنه لم يتعد كونه نسخة اضافية المؤلف « غ » ، ويعطينا نص « د » هذا التاريخ بالمشاركة مع « أ ـ ب » وأحيانا مع « غ » في جزء من أخباره كثيرا من النصوص الطويلة التي هي غير موجودة في أي مكان آخر ، مما يؤكد أنها بأصولها غير متصلة نهائيا لابالمخطوط « غ » ولابالمخطوط « أ ـ ب » وهكذا نشكر أصالة هذا المؤلف لأنه احتفظ لنا بالشيء الذي غيره من المؤلفين حكم لأسباب ما ، أنه غير مفيد ادخاله في مجموعة مصنفاتهم .

وتبقى أمامنا مخطوطة فلورانسا حيث يبدو أنها منقولة عن رواية « غ » وهكذا لم نضف أولها ، وفيما يتعلق بأكبر قسم بقي من النص يبقى التناظر دقيقا ، ولكن هناك بين صفحات ٢٩١ و ٣.٣ بعض النصوص التي لايمكن أن تكون قد أتت من غير عائلة « د » وأحرص هنا على توجيه الشكر الى الدكتور ادبري الذي لفت انتباهي الى هذا القسم من مخطوطة فلورنسا ـ ويتبين لنا من تفحص مخطوطتي ليون أنه ولا واحدة من الاثنتين كانت نموذجا للأخرى ، انهما بالأحرى نسختان لابل نقول انهما ايضا تكييفان من نموذج مشترك لهذا الجزء من النص فقط ، وباختصار تحتوي مخطوطة فلورنسا مجموعة خليطة لمؤلفي « غ » و « د » ، وأكبر جزء من نصها يخص فصيلة

عائلة « غ » وليس له فائدة محتملة لهذا المؤلف ، والجـزء الآخـر مختصر كثيرا ، ويتعلق بنص « د » ولهـذا اسـتعملناه ونشرناه مع « د » .

ومن جديد ماذا تعلمنا مخطوطة فلورنسا عن نيول تاريخ وليم الصوري ؟ انها من حيث المبدأ زادت عدد المؤلفات المعروفة في هـذا الباب ، وعرفنا من قبل أن طرائق المصنفين قامت على جمع مـواد وجدت في مصنفات أخرى مع اضافة بعض الشيء من لدنهم ، وهـذه الطريقة ذاتها اتبعها مصنف مخـطوطة فلورنسـا ، فقـد اعتمـد كأساس له نص « غ » ثم وضع محل جزء من هـذا النص شـطرا قابله في نص « د » وأضاف الى هذا كله تذييلا جديدا من عنده بدأه من آخر نص « غ » حتـى غاية عام ١٢٧٧ ، وبهـذا تـوصل الى تصنيف نص جديد في مجمله ان لم يكن في عناصره .

وهكذا تطلعنا مخطوطة فلورنسا على أن مخـطوطة « د » التـي هي الآن وحيدة ، لم تكن دائما متوفرة ، وأن مصنف « د » قد وجد ربما منها مخطوطتان ، التي نعرفها الآن وأخرى استخدمها مصنف مخطوط فلورنسا وهي مفقودة الآن ، ونستخلص من هـذا نتيجـة هامة هـي ان نص « د » لكونه كان قليل الانتشـار لم يكن عمـلا محرفا أبعد عن الأصل من قبل الناسخ ، وبفضـله لدينا مخـطوطة ليون ، ونلاحظ أيضا بما أن الناسخ لربما نسخ أحيانا بشيء من قلة العناية المؤسفة ، و يضفي هذا على مخطوط فلورنسا مـزيدا مـن الأهمية لكن لن نستفيد في التعرف الى محتوى المخطوطة المفقودة الا قليلا لأن الذي احتفظ به مصنف مخطوط فلورنسا كان قليلا ، ومع هذا هناك بعض الفوائد الثمينة ، فصـحيح عرفنا أن صـاحب نص فلورنسا اطلع على أصل يشبه أصـل مخـطوطة ليون ، لكن في نص فلورنسا نصين اسقطهما ناسخ مخطوطة « د » ، ومع ذلك يبدو أن ناسخ « د » لم يضف شيئا الى الأصل الذي اعتمده ، ومـع هـذا ينبغي علينا التمسك هنا بالجذر لأن مصنف مخطوطة فلورنسا برهن لنا في كل مكان عن اتجاهه نحو الاختصار ، فقد بتر شطرا من نصه

المتعلق بنص « غ » والشيء نفسه قام به مع الجزء الذي هو موضع اهتمامنا ، ولقد كان أحيانا يتبع مصدره كلمة كلمة ، لكنه غالبا ما اختصر وحذف ماراه زائدا من كلمات أو لأسباب لغوية ، وبتر أحيانا مقاطع مع نصوص كاملة ، لعله اعتبرها مفسرة ، ومن هنا قام بعض التعارض في روايته ، وظهر ذلك من خلال عرضه ، فمثلا روى لنا وفاة أسقف بيت لحم ودي أوبري دي ريمس وكأنه حدثنا عن ذلك من قبل ، مع أنه لم يفعل ذلك ، بل إنه قفز فوق المكان الذي له نظير في نص « د » حيث نحن أمام سفارتهم الى صلاح الدين .

لكن اذا كان هذا المصنف كان يميل الى الايجاز نعرف على العكس ان مصنف « د» كان يستطرد ثم يخرج بسهولة مبتعدا عن موضوعه ليقدم لنا منشورات تاريخية وتعليقات شخصية ، أو بكل بساطة تفاصيل جذابة أو مثيرة للاعجاب ، ونعرف أيضا أنه كان مصنفا أحمق أساء التوفيق بين مصادره وضاع في سياق الأحداث ، وكرر لنا الشيء نفسه ثلاث مرات حول أحاديث مختلفة ، وعلى عكسه كان مصنف نص فلورنسا ، لقد كان ذكيا وفنانا : قام بواجبه لينتج لنا أثرا جيد التأليف ، منسجما وواضحا وذلك انطلاقا من مادة صعبة وقاسية ، وذلك ان الحقيقة التاريخية لاتتم دائما الا بالرواية المنطقية المتسلسلة ، فهناك حوادث بعيدة الواحدة عن الأخرى بالمكان والزمان من الممكن ان تلتقي وتترابط بالتحليل السياسي ، وهنا هل ينبغي اتباع خط تسلسل الحوادث أم خط الفكر ؟ انها مسألة منهج وطريقة ، بيد أن مصنف مخطوطة ليون لم يعبث بنصه الى حد التشويه ، بل إنه أنتج من انعدام النظام لديه رواية حية هامة ومثقفة ، ومع ذلك انها غامضة ايضا لكنها توشك أثناء العرض ان تتصل بالقارىء ، وليس علينا الا أن ننظر الى الصفحة ١٠٨ ومايليها من الطبعة الحالية لنتعرف الى الطرائق المختلفة بالعرض لدى هذين المصنفين أثناء معالجة الحكاية لموضوع واحد ، ليكن مثلا احتلال قبرص أو احتلال عكا ، فهنا تتشابه الروايتان بشكل ضيق ، لكن تختلف بالوقت نفسه في وصف أحداث كثيرة في بلدان أخرى ، وبالنظر الى هذا التباين في الروايات وجدنا

من الضروري اضـافة اعادات للأجـزاء المقـابلة الواردة في النص الآخر .

وأمام هذا التباين في العقليتين لانستطيع القول بالتأكيد فيما اذا كان هذا النص أو ذاك قد حذف من قبل أحدهما أو أضيف من قبـل الآخر ، فالفصل الذي يصف وصول الألمان الى عكا موجود بـالمكان نفسه في نصوص « أ ـ ب » وس و غ ، وفلورنسا ، ومن المحتمل ان عدم وجوده في مخطوطة « د » جاء بسـبب اسـقاطه مـن قبـل ناسخها ، ان كان هذا الفصل قد وجد أصـلا في مخـطوطة الأصـل التي اعتمدها ، وفي حالة تاريخ ملك أرمينية ننكب على اسـتخلاص نتيجة عكسية ، حيث نعثر على هـذا التـاريخ في جميع الذيول ولكن بصيغ مختلفة وفي أماكن متنوعة ايضا ، ويبدو لنا أن هذا التاريخ قد انتشر تحت صيغة مستقلة (نشرة دعائية بدون شك لأن لاون تـوج ملكا على أرمينية من قبل هنري دي شامبين) واستخدمها كل منيل اختياريا ، ففي مخطوطة « د » جاء مكان هـذا التـاريخ ووضـعه سيئا جدا ، حيث عرض إثـر الحـديث عن وفـاة هنري ، وذلك في الوقت الذي انضمت فيه مخطوطة « د » الى مخطوطة « غ » وعلى عكس ماقام به مخـطوط « د » نجـد أن مصـنف مخـطوطة فلورنسا ـ وهو منطقي دائما ـ فضل هنا أن يثبت هذا التـاريخ في مكانه ضمن سياق الأحداث ، أي قبل موت هنري ، لكن مـامن شيء يخبرنا أنه وجد ذلك في مخطوطة من عائلة « د » .

وفي الحالة العكسية التي تعني أن بعض النصـوص مـوجودة في مخطوطة « د » ومحذوفة في مخطوطة فلورنسا يمكن القول بالتأكيد أن الاسقاط كان متعمدا من جانب مخطوط فلورنسا فقد حدثنا هذا المخطوط علنا أثناء رواية أخبار سفارة الألمان لدى اسحق كومينين عن نيته بحذف بعض التفاصيل التي تعيق تقدم روايته ، وبـالعكس ان بعض النصوص الموجودة فقط في مخطوطة « د» ربما هـي مـن عمل ناسخ هذه المخـطوطة ، وهـذا مـاتبين لي عام ١٩٧٣ أثناء التعليق على طباع الامبـراطور فـريدريك الثـاني ، الذي هـو غير

موجود في مخطوطة فلورنسا ، وبشكل عام عمل نيل فلورنسا على اختصار مواده بمنهجية ، بينما تاه نيل ليون بكل سهولة ، وهذا ماحال بيننا وبين معرفة المضمون الدقيق لأصلهما المشترك .

ومن أجل سعة هذا النموذج الأصل ليس بامكان مخطوطة فلورنسا أبدا أن توضح لنا التاريخ الذي بدأت فيه الرواية ، وليس مؤكدا أن ذلك كان الوقت نفسه الذي بدأ فيه نيل فلورنسا ، وسبب هذا أننا نجد في مخطوط فلورنسا مقطعا واحداً لعله نقل بالصدفة من رواية « د » ليدخل في سياق الحديث ، وجاء هذا لدى روايته أخبار حصار القدس ، ونستنتج من ذلك أنه كان أمام عيني الناسخ أو المصنف نسخة من « د » احتوت على هذا الجزء من الذيل ، لكنه لم يستخدم هذه النسخة بشكل منهجي الا من أجل الجزء الملحق بتصنيفه التنظيمي ، أما بالنسبة لنهاية النموذج المشترك بين « د » وفلورنسا لانعرف شيئا مطلقا ، وثابت بما أن مخطوط فلورنسا توقف عن اعطاء رواية « د » نفسها في الوقت الدقيق لموت هنري دي شامبين ، أن هذا يؤكد النتائج التي استخلصناها من بينات أخرى ، ومن الممكن أيضا أن مخطوط مصنف « د » الذي كان نموذجا أصيلا لمخطوطتي ليون وفلورنسا ، قد توقف في ذلك التاريخ ، ومن أجل ذلك بدأ آنذاك مصنف نص مخطوط ليون اكمال تذييله اعتمادا على مخطوطة من عائلة « غ » ومن المؤكد الى حدما أن نموذج أصل « د » وفلورنسا من الذيول لم يقدم بعد ١١٩٧ مواد لها اهمية خاصة .

وخلاصة القول أن معرفتنا المعمقة عن مخطوطة فلورنسا لم تغير غير القليل من تقديرنا للذيول التي نعرف منها الآن خمسة مؤلفات هي « أ و ب وس » و «د » و«ف ل ، وغ » ومن مؤلف « غ » وحده انتشرت في أوربا ، وبين الأربع والاربعين مخطوطة من « غ » ثلاث منها أتت من عكا وواحدة من لومبارديا ، وواحدة من روما ، وواحدة من انكلترا ، وأتى الباقي جميعا أي الثمان والثلاثين مخطوطة من فرنسا ومن

فلاندرز ، ولاتوجد المؤلفات الأخرى الا في خمس مخـطوطات هـي التـي تحمـل في را شـيل وفي عملنا الحـروف الأولى « أ - ب - س - د - ف ل » ومخطوطة « أ » وحـدها أتت من عكا ، ولايوجد نسخة أخرى عنها في مكان آخر .

وهكذا لاتتفق مخطوطة ليون ٨٢٨ في مجملها مـع أي مخـطوطة أخرى معروفة من الذيول ، ونتعـامل معهـا هنا كمخـطوطة وحيدة النص الذي تحتويه ، ويجب أن نبين أن هذه لكونها نتاج ناسخ قليل العناية ، تحتوي على عدد معتبر من النصـوص الغـامضة والطنانة الى حد أن المنضد في مـطبعتي ، وأن كان ملتـزما ، وجـد أن عليه التدخل والتصحيح ، ولهـذا هناك ثـلاث طـرائق تبنيناهـا أثناء النشر ، جاء كل منها حسب الحالات ، ففي الحالات التي لايوجـد المتعامل معه في أي مخطوطة أخرى أعطيناه اضطرارا قراءة حدسية أو تخمينية ، وأبدلنا في مـكان آخـر قـراءة غير مقبـولة في « د » بقراءة من « ب » وذلك في أجزاء مـن النص حيث وجـدت علاقـة واضـحة بين المؤلفين ، وبـدت لنا أحيانا قـراءات في « د » مقبـولة ولكنهـا غامضـة ، وحينئذ لم نصـحح نص « د » ولكننا اقتصرنا عن التـوضيح بـاعطاء قـراءة مـن « ب » في الحاشية ، ومن أجل الجزء الأخير من النص الذي نتولى طباعته استخدمنا مخطوطة فلورنسا كأداة رقابة وضبط لمخـطوطة « د » وطبعنا منها النص كاملا في مقابل نص ليون ، وفي الأمـاكن التي اتضح فيها أن ذلك كان مستحيلا بسـبب الوضـعية المختلفـة للمادة نفسها ، تولت الحواشي تـوجيه القـارىء نحـو الصـفحات المقابلة في نص ليون .

المخطوطات التي استخدمناها هي كما يلي :

مخطوطة ٨٢٨ في مكتبة مدينة ليون ورمز اليها بحرف « د » من قبل الذين تولوا تحقيق را شيل ، واحتفظنا بـرمز الحـرف الأول في

جميع الحالات الممكنة ، وبالنسبة لمخطوطة عكا التي يعود تـاريخها الى حوالي سنة ١٢٨٠ ، فقد كان يتملكها في القـرن السـابع عشر ملكيور فيلبرت ، وهـو تاجر من سكان مدينة ليون ، وقد أهدى هـذا المخطوط في سنة ١٦٩٨ الى الكلية اليسوعية في ليون ، ومن الكلية هذه انتقل الى مكتبه بلدية ليون ، وهذا المخطوط ورقي ، صـفحاته ذوات عمودين ، والكتابة بشكل عام مقروءة بشكل جيد ، بـاستثناء بعض المحلات ، حيث هي مطموسة جزئيا ، وكلمة واحـدة قـاومت جهودنا لحل رموز خـطوطها ، وهـي اسـم أسـقف « دي بوي » (ص ٩٨) ويبدو أن هذا الاسم قد محي عمدا ، ووصـف هذا المخطوط بالتفصيل من قبل بوختال وكذلك من قبل فولدا .

ـ مخـطوط بلوتـوس ٦١ ـ ١٠ في مـكتبة اورانتـي في فلورنسا ، وهي نسخة ورقية كتبت على عمودين ، ونسخة من عكا تاريخها حوالي سنة ١٢٩٠ ، وقد دون على غلافها : « العبور الى الاراضي المقدسة واحتلالها باللغة الدارجة لأحـد المؤلفين » وكتبـت الاوراق ١ ـ ٨ على وجه واحـد ، وامتـلأت بمـلاحق اختصرت تاريخ هرقل الموجود في بقية المخطوطة ، وفي هـذه الملاحـق ايضـا بعض الاضافات لأحداث أخرى وقعت في دول الصـليبيين ، وكانت هذه المخطوطة بين مخطوطات اسرة مدتشي ، خطها مقـروء بشـكل جيد في كل المواضـع ، منمنماتها جميلة بشكل منقـطع النظير وقـد حظيت بدراسة مفصلة من قبل فولدا ، وقد رمز لها محققو راشـيل بالحرفين « فـ ل » وقد احتفظنا بهذا الرمز في الطبعة الحالية .

ـ مخطوط ٢٦٢٨ وهو ملك المكتبة الوطنية الفرنسية ، ورقـي كتب على عمـودين ، وقـد نسـخ الجـزء الاول منه في عكا سنة ١٢٦٠ والجزء الثاني في حوالي سنة ١٢٨٠ ، ولقد اسـتخدم أصلا من قبل محققي طبعـة راشـيل وهـم الذين رمـزوا له بحرف « ب » .

ولقد احترمت الكتابة السليمة للمخـطوطات في كل مـكان وكذلك التقسيمات والفصول والعناوين .

وأشكر هنا بكل اخلاص الاستاذة أوديت دي موروغوس ، والسيد م . فوستر ، والسيد أ . كوبي، وجميع الزملاء على كثرتهم الذين قدموا لي المساعدة بأشكال مختلفة ، وأشكر الأكاديمية البريطانية ، والسيد أرنست كاسل رئيس الهيئة التعليمية ، وجامعة كمبردج التي سهلت مساعداتها مهمتنا هذه ، ومكتبات ليون وفلورنسا وباريس ، والسيدة أ . م بولي دي لسدين ـ سكرتيرة القسم الروماني في معهد الدراسات التاريخية والنصوص ، شكري لجميع الذين أعانوني ، وفيما أنا أشكرهم جميعا أقدم هذه الطبعة لمؤرخي الحروب الصليبية على أمل أن تساعدهم وتكون بمثابة دليل داخل المتاهة الساحرة ، الا وهي ذيول تاريخ وليم الصوري .

نيل

تاريخ وليم الصوري ١١٨٤ ـ ١١٩٧

اعتمــادا على مخــــطوطة مـــكتبة مـــدينة ليون رقم ٨٢٨

١ ـ وجدت كراهية شديدة بين الملك وكونت يافا ، واخذت هــذه الكراهية تزداد يوما تلو الآخر وبــات هــــذا الشــغل الشــاغل للملك ، فسأل رئيس الأساقفة وليم الذي التقــاه وا شــتكى اليه عن زواج أخته لأنه لم يكن صحيحا ولا قانونيا ، وعلم الكونت بهذا فأتى الى القدس حيث كانت زوجته مقيمة آنذاك ، وطلب منها بالحاح أن تغادر المدينة بالحال قبل أن يعود الملك من سفره ، وكان مرتابا بأن الملك لو وجدها هناك لن يسمح لها بــالعودة اليه ، لذلك ألح عليهــا بالرجاء أن تعــود الى عســقلان الى حيث كان يريد هــو الذهــاب حالا ، وعندما قدم الملك الى قصره بعث اليها بــرسالة طلب منهــا فيها العودة الى البلاط ، فأجابت أنها لاتســتطيع فعــل ذلك لأنهــا محتجزة بالمرض،ثم بعث اليها بعدة رسائل أخرى ، بعث بــالواحدة تلو الأخرى لتعود غير أنها كانت تعتذر بسبب المرض ، وقــال الملك بما أنها لاتريد الرجوع فأنا سأذهب اليها وأدعوها بنفسي ، وهــكذا ارتحل يتبعه البارونات مباشرة وقصد عسقلان غير انه وجد الابواب موصدة ، فنادى وأمر أن يفتح له ، لكن لم يأت أحــد ولم يســتجب انسان لما أصدره من أوامر ، وصــعد أهــالي المدينة الى الأســوار وتسلقوا الأبراج ووقفوا دون أن يتحرك أحد ، وهكذا انتظروا بعض الوقت ، وغادر الملك المكان مزعوجا جدا ، وأخذ طريقه مباشرة الى يافا ، وتلقاه الفرسان والجنود وصــحبوه الى الداخــل بــدون أية مقاومة ، ثم ترك المدينة بعد ماعين لها حاكما ثم سافر من هناك الى

عكا ، ودعا الى مؤتمر يضـــم البـــارونات جميعـــا مـــع كل الأساقفة ، وعندما اجتمعـوا تقـدم البـــطريرك ومقـــدم الداوية (جيرارد دي ردفـورت) ومقـدم الاســـبتارية (روجـــر دي مولين) من الملك وجثوا أمـامه وتـــوسلوا اليه بـــكل تـــواضع وتقوى ، وطالبوه أن يغفر للمذنب ، على أساس أن يمثل كونت يافا أمامه ويعتذر اليه ، ولم يرد عليهم الملك ، وكل مافعله كان الاصغاء اليهم ، ثم أجاب مصرحا أنه لم يتخذه قط صديقا له ، ولهـذا عبـر عن كراهية شديدة له ، فالملك وأن كان ضعيفا في جسمه الا انه حمل حقدا عظيما في قلبه ، ثم غادر المجتمعون البلاط وتوجهوا الى خارج المدينة ،وكان على المجلس ان يجتمع ليرسل وفدا كبيرا الى فـرنسا وغيرها من البلدان يطلب اغاثة بـلاد يســوع المســيح وســكان الأرض ، ولكن البطريرك الذي كان عليه أن يتكلم عن هذه المسألة قد تحدث عن أمر آخر ، ولأنه لم ينجز شيئا ، فقـد غادر المكان ومعـه البارونات ورجالات الاكليروس ، وهكذا لم ينتج عن الاجتماع أمرا مفيدا ، ولم يتحقق ماجاءوا من أجله ، واجتمعوا للبت فيه . وسمع كونت يافا أن الملك لم يمدحه ولم يطـره وأنه لا ســلام ولامصـــالحة،

فـفكر حينئذ بما يمكن أن يزعجه به ، فقاد أكبر عدد ممــكن مــن الفرسان ، وذهب الى قلعة الداروم حيث احتشد عدد كبير من البداة العرب الذين كانوا يرعون الحيوانات في المراعي ، وكانوا قد قـدموا للملك حصة من دخولهم مقابل احاطتهم بعنايتـه ووضـعهم تحـت حمايته ورعايته ، وبـذلك رقـــدوا بـــأمان ، ولم ينتـــابهم أدنى خوف ، وباغتهم الكونت والفرسان ولم يقتلوا أحدا غير أنهم أخذوا كغنيمة كل ما وجدوه لديهم من مواشي وأمتعة وألبسة ، وحملوا ذلك كله الى عسقلان ، ولدى عودة الملك من عكا الى القدس بلغه الخبـر كيف انقض الكونت غي كونت يافا على ارض الداروم ، ونهب البدو الذين كانوا تحت حمايته ، مما أغضبهم وخيب آمالهم وبعد ذلك وقع الملك مريضا ، وقدأودى ذلك المرض بحياتـه ، وراســل آنذاك أمير طرابلس ، لأنه كان يثق بشـخصه وأمـانته ، وفـوض اليه بـذلك الاشراف على الســلطة وعلى بـارونات الأرض والمملكة ، وحصــل بذلك فـرح عظيم وعم السرور بين صـفوف البـــارونات وبـــاقي

الشعب ، لأنهم قالوا لم تكن البلاد في وضع جيد من قبل ، لأن الملك لم يكن قادرا قويا ، ولم تكن السلطات كلها تحت وصاية كونت طرابلس .

٢ - وبينما كان الملك بلدوين على فراش الموت ، استدعى اليه جميع رجالات مملكة القدس ، وأمرهم بتأدية القسم لكونت طرابلس (ريموند الثالث)بأن تكون المملكة تحت وصايته حتى يبلغ ابن أخته بلدوين السن المناسب ،وكان قد توجه أثناء حياته ،و جعله ملكا مثلما فعل معه عمه الملك بلدوين الثالث وبهذا الشكل صار الترتيب لو أن سوء الحظ الم بابن أخته بلدوين الملك الصغير ، الذي كان ابن أخته سيبل من المركيز وليم بن وليم الثالث العجوز ، ومات بدون ولي العهد ، ولم يكن هناك وريثا لمملكة القدس ، عليهم تنصيب ريموند صاحب طرابلس ، وليس هناك حاجة لجلب ملك من وراء البحار ، لأن ريموند متمتع بالحكمة والارادة ، وكان الملك بلدوين الرابع يعرف جيدا ان مامن أحد آخر يوجد أصلا في مملكة القدس له الحق مثلما لكونت طرابلس ، لأنه كان ابن عم الملك بلدوين الثالث ، وسبب عدم وصوله الى الملك أنه عندما انتقل الملك بلدوين من الحياة الى الموت ، تم الاتفاق على أن يكون لأخيه عموري الملك في مملكة القدس ، لأنه كان ولي العهد الحقيقي والوريث الشرعي ، ومن بعده ابنه بلدوين لأنه كان ابن اخيه .

٣ - بعد موت من يعرف باسم الملك بلدوين الثالث ، جاء أخوه عموري الى بطريرك القدس والى بارونات المملكة وطالب بتاج الملك ، لأنه كان من حقه ويعود له وليس لغيره ، فأجابه البطريرك ليس من حقك أي شيء من هذا القبيل ، والذي في مثل وضعك ليس جديرا أن تكون مملكة القدس تحت حكمه ، لكونك تحت طائلة الخطيئة المميتة ومن كان مثلك لايمكن أن يؤول اليه التاج أو أن يحمل أي لقب شرف آخر ، والجريمة أو الذنب الذي أنب عليه

البطريرك الأمير عموري ، هو أن عموري كان قد تزوج من أغنس أخت الكونت جوسلين ، لوجود قرابة بينهما توجب الابتعاد والانفصال ، ورد عموري على البطريرك قائلا انه يريد أن ينال المغفرة برحمة من الكنيسة ومنه أيضا ، وأنه سيعمل ما في وسعه للامتثال لأوامره ، فأجابه البطريرك اذا لابد لك من أن تترك ابنة عمك وتنفصل عنها ، لأنك تزوجتها ضد الرب وضد العقل ، وعند ذلك يمكنك أن تحصل على تاج مملكة القدس ، وبعدما وافق عموري على الانفصال عن أغنس ، اتفق مع البطريرك ان يراسل روما ويطلب له من الكرسي الرسولي المقدس الغفران ، وتبرئة زوجته وأولاده من الذنب ، وبعدما انفصل عموري عن السيدة توج ملكا وبات سيدا لمملكة القدس ، وفي الوقت الذي بعث عموري برسائل الى بلاد روما اقترنت أغنس بهيو دي ابلين ، وفيما بعد تزوج عموري من ماري ابنة أخي الامبراطور مانويل (وكان ذلك في ٢٩ آب ١١٦٧) ومنها ولد ابنة سماها ايزابيل ، وهي التي أصبحت فيما بعد ملكة القدس ، ولم يكن الملك بلدوين المجذوم يرغب بدخول أي أجنبي الى مملكة القدس بدون موافقة الوصي على أمر المملكة ، فضلا عن ذلك كان يعرف معرفة أكيدة أن غي لوزنغنان ليس مناسبا أبدا لأن يحكم في القدس أو أن يتمكن من تثبيت الأوضاع فيها وفي المملكة ، ثم انه ليس لأخته سيبل أي حق بالملك لأن أمها عندما انفصلت عن أبيها لم تجر تبرئة الأولاد واعتبارهم شرعيين ، لهذا رأى ان أفضل الحلول منح الوصاية الى كونت طرابلس ، وإعطاء السلطة على بارونات المملكة ورجالاتها له وحده وليس لأي انسان آخر .

٤ ــ واستجاب الكونت ريموند صاحب طرابلس ، وقال انه سيتحمل أعباء السلطة بكل رغبة ، فهو لن يخشى من الطفل خلال السنوات العشر المقبلة ، اللهم اذا لم يصبه مكروه ، أو مات أو حدث أي شيء آخر له ، وأراد أن تكون القلاع والحصون تحت حماية فرسان الداوية والاسبتارية ، وآنذاك لم تكن هناك أية هدنة بين المسلمين والمسيحيين ، وأراد ريموند أن تتثبت له السلطة خلال

عشر سنوات (حتى يبلغ بلدوين الخامس سن الرشد) انما اذا مات الملك الطفل أثناء تلك المدة فتؤول السلطة لمن هو أحق بها ، وذلك استنادا الى قرار مجمع السلطة الرسولية في روما وامبراطور المانيا وملك فرنسا وملك انكلترا ، فالذي يقرر هؤلاء أن له الحق بالسلطة من الورثة بين الاختان سيبل التي كانت ابنة الاميرة أغنس او ايزابيل ابنة الملكة ماري ، ذلك أن الملك عموري جاء من أم لها حق بالوراثة لأنها البكر بين أخواتها من الملك والملكة ، ولهذا السبب لم توكل الا لمن له حق الوراثة بالبكورة ، أو استنادا الى أمر مجلس السلطة العليا حسبما ذكرناه ولم توكل الى قريب ملكة طرابلس ، حتى لايقع الخلاف في البلاد اذا مات الطفل ، ولذلك أرادوا التمسك بما يقره المجلس الثلاثي الذي ذكرناه .

٥ — وكان هذا التدبير لصالح الملك والبارونات ، وقد ارتأى هؤلاء بأن يكون الكونت جوسلين وصيا على الولد لأنه كان عم أمه ، وأن يحكم كونت طرابلس مدينة بيروت وتوابعها ، وكان هذا تعويضا له من قبل بارونات البلاد ، وعندما آن الأوان أمر الملك بتتويج الطفل ، وان يحمل الى كنيسة الضريح المقدس ، ويوضع على رأسه التاج ، وحمله احد الفرسان على ذراعه الى هيكل الرب ، وذلك لانه كان صغيرا ، وكان الفارس كبيرا وعاليا ، وكان اسمه بالين دي ابلين ، وكان واحد من بارونات البلاد ، وكانت العادة انذاك في القدس اثناء تتويج الملك ان يحمل التاج الى الضريح المقدس ، ثم يحمله راعي الضريح الى الهيكل حيث وضع يسوع المسيح ، وهناك يترك التاج ، ومن ثم الاحتفال بانقاذ الضيف ، ففي العادة عندما كانت الأم تلد اول ولد ذكر يضحى له بحمل او بحمام او بشحرور ، وعندما كان الملك يقدم تاجه الى هيكل سليمان ، حيث يقيم مقدم فرسان الهيكل ، كانت تنصب مائدة الطعام والاكل ، وما عدا اهالي القدس ، فهم الذين كانوا يتولون الخدمة ، فقد كان من واجبهم خدمة الملك ، عند تناوله الطعام بعد تتويجه.

وبعدما توج الملك مات الملك المجذوم ، وكان قبل وفاته استدعى كل رجاله للاجتماع به في القدس ، فقدموا جميعا ، وبعد قدومهم توفي الملك ، ووقتها كان جميع بارونات الارض بين الحضور . ودفن في اليوم التالي في الجلجلة حيث دفن بقية الملوك منذ ايام غودفري دي بوليون ، لقد دفنوا في جبل الجلجلة حيث صلب يسوع المسيح بعدما واجه الالام .

٦ ـ قبل وفاة الملك وايضا قبل تتويج الطفل تمت مراسم تقديم الولاء من قبل جميع بارونات غلبلاد حسبما يحصل بين النبيل والملك ، وقدم هذا الولاء الى كونت طرابلس صاحب السلطة ، الذي اقسم بدوره اليمين امام جميع بارونات وفرسان المملكة الذين استدعاهم ، كما حصل من الاختان على الوعد بمساعدته في الحفاظ على الارض خلال عشر سنوات ، الا اذا مات الطفل وعندما توفي الملك المجذوم ، وقبل تتويج الطفل كلف الكونت جوسلين بالمحافظة عليه واخذه الى عكا ، ليرعاه ويحافظ عليه باحسن مايمكنه ، واستلم ريموند كونت طرابلس سلطة الملك .

٧ ـ وكان مما حدث في السنة الاولى من بعد وفاة الملك بلدوين المجذوم ان السماء لم تمطر في القدس ، ووجد شح بالماء للشرب ، وحدث انه كان في القدس واحد من اهلها يدعى غيرمين ، كان يقدم الخير تلقائيا ، لابل الخير الكثير في سبيل الرب ، فقد احضر احواضا الى القدس للتخفيف من ضيق العيش فيها ، وكان يتركها كل يوم مملوءة بالماء ، واليها كان يذهب كل من اراد الشرب ، وعندما راى غرمين ان مجاري المياه قد جفت لانعدام المطر ، تألم كثيرا لانه لم يعد بامكانه متابعة عمل الخير الذي اعتاد على القيام به .

٨ ـ ولم تكن مياه نبع سلوان صالحة للشرب لانها كانت ملوثة ، ففي مياه هذا النبع كان الانسان يغسل جلود المدينة القديمة كما كانوا يغسلون الالبسة ، وكان الناس يسقون البساتين القائمة

تحت النبع في الوادي ، ومياه هذا الينبوع لاتجـري ياصـديقي يوم السبت ، ففي هذا اليوم يكون كل شيء هـادىء ، حتـى لتتسـاءل ماالذي حدث لهذا الينبوع .

وذات يوم بينما كان يسوع المسيح متوجها عبر المنطقة ، كان مولانا انذاك في القدس بين رسله ، وعندما عبروا الطريق رأوا رجلا بائسا بدون عيون ، وحينذاك توجه الرسل الى يسوع المسيح يسألونه فيما اذا كانت حالته بسبب خطأ من الاب او الام او الاهل ، حتى صـار هكذا بدون عيون ، فاجاب يسوع المسيح : هذه الحالة ليست نتيجـة خطأ للاب او الام او الاقارب ، ولكن ذلك ماحصل له ، ثم جاء يسوع المسيح وجلس هناك وتناول كاسا ووضعه امام عيني الرجل ثم امره ان يذهب ليغتسل في مياه نبع سلوان ، فذهب واغتسل ، فعـاد اليه البصر ورأى الاشياء ، وبعد هذا قصد مـدينة القـدس ، ومضى الى اهله الذين اندهشـوا كثيرا ، لدى رؤيتهـم انه اصـبح قـادرا على الرؤية بعدما تعافى من مرضه ، وسألوه كيف رد اليه بصره ، فـروى لهم ماحدث معه ، ولم يستطع احد ان يفهم كنه ماحدث وتساءلوا عن السر ، وتعلقت القضية بالبصيرة قبل العين .

٩ ـ وسأحدثكم الان عن الكونت ريموند صاحب طـرابلس ، الذي كان حاكم مملكة القدس ، فهو عندما رأى انحباس الامـطار ، وان الامطار لم تنزل على الارض ، وان القمح الذي بذر لم ينمو بتـاتا ، خاف من هذه الحالة والوقت الصعب فاستدعى بارونات البلاد مـع مقدم الدواية ومقدم الاسبتارية وتوجه اليهم بالخطاب : اي نصـيحة يمكن ان تقدموا لي بشأن انحباس المطر وتأخر نمو القمح ، واخشى ان يلاحظ المسلمون مانعاني منه في هذا الموسم الجاف والصـعب ، ويتعرفوا على هذا الوضع السيء ، فما رأيكم ايها السادة ، وماهي النصيحة التي تقدموها الي ، هل اقـدم على ابـرام هـدنة مـع المسلمين ، واتوسل الى صلاح الدين من اجل ذلك ؟ وبالفعل اتصل بصلاح الدين وتوسل اليه فأعطاهم صلاح الدين هدنة سنة واحدة ، وبعدما عقدت الهدنة بين المسيحيين والمسلمين ، قدم المسلمون كثيرا

من الاغنية والمؤن الى المسيحيين ، ففرجوا عنهم خلال هذه السنة الصعبة والوقت القاسي ، والذين ـ من المسيحيين ـ لم يعقدوا هدنة مع المسلمين ، ماتوا جوعا ، ولعقد كونت طرابلس هذه الهدنة مع المسلمين ، احبه سكان البلاد كثيرا وبجلوه كثيرا وباركوه .

ونسيت عندما حدثتكم عن نبع سلوان ان احدثكم عن الاحسان الذي قام به واحد من اهالي القدس . فقد قام يوم الاربعاء من الاسبوع الرابع من الصيام ، وفقا لما تحدث عنه الانجيل عن الرجل الفقير الذي اعاد له يسوع المسيح الابصار بوساطة كأس الماء وعندما امره بالذهاب الى نبع سلوان ، فلبى طلبه فاسترد بصره وبات مبصرا ، وبمناسبة هذه الذكرى ومرورها كان يتم هذا الاحسان ،فقد كانوا يحملون الاحواض الى النبع ومن ثم ملأوها بالنبيذ ثم حملوا الجنود الخبز والخمر من كل نوع ، وقدم اليهم الناس الفقراء فحصلوا على الخبز والنبيذ كما حصلوا على الماء ، وشارك الرجال والنساء وساروا ذلك اليوم للاسهام بهذا الاحسان .

١٠ ـ وسأحدثكم الآن عن رجل صاحب مقام رفيع أصله من لومبارديا واسمه بونيفيس وهو أبو وليم صاحب السيف الطويل ، واسمه بالحقيقة وليم الثالث وابنه بونيفيس أخو وليم صاحب السيف الطويل كان بمرتبة مركيز ، وكان هذا المركيز جد الملك بولدين الذي كان ما يزال طفلا ، وكان أبوه وليم السيف الطويل ، وكان أبو هذا ملكا ايضا ، وعندما سمع أن أخوه البكر كان ملكا سر سرورا عظيما ، وقدم اليه ، وترك الأرض الى ابنه البكر ، وتوجه مسافرا الى بلاد ما وراء البحر ، وعندما وصل الى بلاد ما وارء البحر طمأنه كثيرا الملك وكونت طرابلس وبارونات البلاد ، فقد كانوا مسرورين بمجيئه ، وانئذ قام الملك واعطاه قلعة قرب النهر حيث صام يسوع المسيح أربعين يوما ، ويبعد هذا المكان ستة أميال عن القدس وميلان اثنان أيضا عن النهر بجانب جبل يدعى جبل القديس الياس ، ويروي بالنسبة لهذا المسمى هلياس انه صام عند الجبل عدة أيام ثم نام فأرسل الرب اليه الى هنالك طبقا

فيه قطعة من الخبز مع بعض الماء ، وقد أيقظه الملاك ليأكل ويشرب ، فأكل وشرب وبعدما حصل هذا في ذلك المكان الذي يدعى بلد القديس الياس والذي كان يدعى قديما أفرام أرسل الرب ملاكه الى جدعون (هنا التباس جغرافي بين منطقتين هما : افرون وعلى مقربة منها دير القديس الياس ، وجبل الأربعين قرب اريحا حيث قرية هلياس) الذي تحرك في الهواء وقال انه سيذفي المدينيين الذين جاءوا لهدم بلد القديس وتخريب أرضها ، وقال جدعون أعطني اشارة تبرهن بها وتجعلني أومن بها ، وطلب منه ذلك لأنه كات من أسرة فقيرة ، وبرهنت له الشارة المقدمة اليه مع المكافأة التي حصل عليها عن رضى الرب وأنه مرسل اليه ، فقد أصبحت أرضه مملوءة بالورد بعدما كانت جافة تقريبا ، وكان في هذا اشارة الى سيدتنا .

١١ ـ وكان للمركيز بونيفيس ولد يدعى كونراد ، وكان هذا قد قرر التوجه الى بلاد ما وراء البحار بعد سفر والده حيث ابن أخيه الذي كان ملك القدس ، وبعدما أصبح على ظهر البحر لم يرغب له مولانا بالعبور ، فبعث اليه من قادة الى القسطنطينية ، فهو قد فقدالأرض ، ولما اقترفه كونراد من الآثام هو وأتباعه ، وللآثام التي اقترفها الناس في أرض القدس ، وللاغراق في الترف الذي أمر مولانا بالنزوع عنه والاقلاع ، آخرهم هنا بعض الوقت ، وحصل معه تماما مثلما حصل مع سليمان عندما غضب الرب عليه للخطيئة التي اقترفها مع امرأة وثنية كانت لديه ، والتي كان يجب ألا يبقيها لديه ، وجعله يكفر ببناء معبد على الجبل الذي يبعد ميلان عن القدس وثلث المسافة عن جبل الزيتون ، ثم غضب الرب من بنائه للمعبد على جبل الزيتون أكثر من غضبة من الخطيئة التي اقترفها من قبل ، فمن هناك صعد يسوع المسيح الى السماء أمام رسله وذلك بعدما انبعث من الموت الى الحياة . وقال الرب آنذاك لسليمان لقد أغضبتني ، لكن من أجل حبه لأبيه داود هدم ما بناه ، ولهذا تألم سليمان كثيرا بالتأكيد طيلة حياته ، ولم يتسلم المملكة الا قليلا من بعده ، وتركه الرب هكذا حيا محبة لأبيه داود ، وهكذا لم تنشر المسيحية في الأرض إلا محبة البشر ، وايضا ترك سليمان بن داود ،

كما ترك أيضا المدينة باسمه، وعقد كونراد عقدا بالقسطنطينية واذا ما سألتم كيف حصل ذلك ؟

ولم يبرم كونراد هذا العقد في القسطنطينية عندما كان اسحق الثاني هو الامبراطور وقبل أن يفقد بصره ، فقد كان في القسطنطينية رجل كبير اسمه ليفرناس (ألكس برناس) وكان ابن عم الامبراطور مانويل (كومينوس) وكان ليفرناس هذا متخفيا ومطاردا أيام الامبراطور أندرونيكوس (أندروكوميذوس) وسبب اختفائه أنه كان يتعرض لما تعرض له أقرباؤه على يدي أندرونيكوس ، وعندما قيل له ان أندرونيكوس قد توفي ، وأن اسحق الثاني أصبح الامبراطور خرج من مخبئه ، والتحق بالامبراطور الذي وثق به واعتمد عليه وتعلق به كثيرا ، وصار سيدا لامبراطورية القسطنطينية ، ولم ينزعج من شيء طيلة امبراطورية اسحق .

١٢ ـ وحدث عندما كان أندرونيكوس وصيا على الطفل الكسوس بن مانويل امبراطور القسطنطينية ، أن تآمر أندرونيكوس هذا وخطط لخيانة كبرى وذلك بنصيحة من واحد من كتابه واسمه لانغوس (ايتين هاغيوكرستوفارايت) وفي احدى الليالي أخذ الأمير الطفل الى ابنة ملك فرنسا (أغنس ابنة لويس السابع) لتحتفظ به لديها ولتضعه من بعد في كيس ثم تحمله في مركب الى قلب البحر ، وتلقيه هناك فيغرق ، ثم تمكن أندرونيكوس من وضع آل الامبراطور مانويل في السجن ، فقلع عيون بعضهم وقطع ألسنة بعضهم الآخر وشفاههم ، وبعدئا فعل ذلك بكل من وصل اليه أو استطاع العثور عليه ، بعد هذا صار امبراطورا توج وأحدث كثيرا من الشرور كما قلت لكم .

١٣ ـ وعندما صار أندرونيكوس امبراطورا لم تبق راهبة في دير أو ابنة فارس أو سيد الا وجلبت غليه بالقوة والغضب ، وبما أنه كان مكروها لخبثه وشروره تمنى جميع سكان القسطنطينية دماره وموته ، وجاء يوم كان فيه أندرونيكوس خارج القسطنطينية ونزل

هناك في أحد القصور ، وكان معه خادم من سلالة الامبراطور ما
ذويل اسمه كيرساك (اسحق الثاني انجيلوس) وكان ابن أرملة
وفقيرا جدا ، ولقد خدم أندرونيكوس في بلاطه وتحمله على
مضض ، وأخذ منه ذات يوم أننا بالذهاب الى القسطنطينية ليأخذ
مناشفه وأغراضه الى الحمام فأعطاه أندرونيكوس الأذن . وبعدما
غادر من عنده كيرساك ، غرق الامبراطور بالتفكير العميق ، فقد
أراد أن يعرف كم ستكون حياته وكم ستطول ، فأرسل يسأل
المنجمين كم سيعيش ، واستجاب المنجمون لطلبه ، وذهبوا ليسألوا
الفلك فوجدوا أنه يعيش غير أيام ، وقال أقدمهم لآخر إن يشك أن
تدوم حياته سوى أيام ، وأراد أن يخفي عنه ذلك حتى يخفف عليه
الألم الشديد ، واتفقوا على ان يقولوا له ، إنه سيعيش
أياما ، وبعدما تطابقوا على هذا القول مثلوا في حضرته وقالوا له :
إنه سيعيش أياما ، وقد انزعج كثيرا لدى سماعه بذلك ، وسألهم
من الذي سيكون الامبراطور من بعده ، وما هو اسمه ، فطلبوا منه
امها لهم حتى يوم الغد ليخبروه ، فأعطاهم
ذلك ، ثم عادوا اليه وقالوا له إن اسمه كيرساك ، فخيل
لأندرونيكوس أن المعني هو (اسمه كوميذوس) دوق قبرص في ذلك
الوقت ، فجهز جيشه برا وبحرا ، وأعلن الحرب ضد الخائن
كيرساك ، الذي قالت النبوءة أنه ضد مولاه الامبراطور ويريد أن
يسلبه عرش الامبراطورية ، وعندما أمر أندرونيكوس بهذا مثل في
حضرته لانغوس وأخبره أنه يشك في كيرساك الخادم ، وأنه له كل
الحق في قتله اذا كان مشكوكا به ، وفوضه أندرنيكوس في أن يعمل
ما يريده ، فذهب الى القسطنطينية وتوجه الى بيت
كيرساك ، وعندما سمع كيرساك صوت لانغوس قال لأمه : إن هذا
الذي يناديني يريد قتلي ، لذلك قولي له إنني نائم ، وكان أهالي
القسطنطينية يعرفون جيدا أن لانغوس عندما يطلب أحدا لايطلبه الا
ليقتله ، وقالت أم كيرساك للانغوس إنه نائم ، فأجابها إن عليه
الاسراع والمثول في حضرة الامبراطور ، فما كان من كيرساك الا أن
استأذن أمه ومن أهله ونزل ومعه سيفه قد أخفاه تحت
ثيابه ، وعندما مثل أمام لانغوس خاطبه بجذون وسأله أين

كان ، فأجابه : لماذا تسيء معاملتي ، لقد جئت برضى من الامبراطور ، فقال له لانغوس : إذا كنت مزعوجا مما أقوله فأنا مزعوج منذ أكثر ، ورفع يده التي كان يحمل بها سوطا ليضربه به وداراه كيرساك حتى وضع يده على سيفه فضربه فقطع رأسه .

١٤ ـ وفي الحال خرج كيرساك الى الطريق يحمل رأس لانغوس ، فتجمهر الناس حوله وحملوه وهو ملطخ بالدماء الى« قصر بوكليون » ومن هناك أخذوا التاج ومضوا به الى كنيسة آياصوفيا وتوجوه امبراطورا ، وبعدما أنجزوا ذلك علا الصراخ في المدينة : مات الشيطان ، مات الشيطان ، وسمع أندرنيكوس الذي كان في منتجعه بذلك وعلم أن كيرساك قد توج امبراطورا ، فبادر على الفور بعبور البوسفور والعودة الى القسطنطينية ونزل في قصر **بلاشرين ، وجهز قوسا ، وتمركز هناك ، وقال ان كيرساك سيمر بعد تتويجه من أمام القصر ، وعندها سيرميه ويقتله وبذلك يعود** فيبقى امبراطورا وتعيش الامبراطورية بسلام ، وحدث هذا بالفعل ، لكن عندما مر كيرساك متوجا فوق أندرونيكوس قوسه نحوه وعندما أراد ارسال سهمه نحوه انكسر القوس بين يديه ، وأحبط سعيه ، واكتشف أمره ، فكان أن حاصره أهالي القسطنطينية على الفور وقبضوا عليه ، وجاء كيرساك فأودعه في قصر بوكليون ، وقرر أن يميته شر ميته لأنه أغرق سيده في البحر مع أنه كان ولي عهد الامبراطور مانويل شرعيا ، ولأنه اقترف اساءات فظيعة ، ثم جاء كيرساك وعراه من ثيابه ، وأخذ منه القوس ، ثم صنع له تاجا وتوجه مثلما يتوج الملك ، ثم حاكمه ومدده على الصليب فقلع احدى عينيه وترك له الأخرى ليرى بها ما سيحل به من عذاب وما سيلحقه من عار ، وأركبوه بعد هذا على ظهر حمار بالمقلوب وجعلوه يمسك بذيله ، ثم قيد عبر شوارع القسطنطينية وعلى رأسه التاج ، وسأقول لكم ما الذي فعلته النساء ، لقد أحضرن البول والأوساخ ورمينها على وجهه ، والنساء اللواتي لم يستطعن الوصول اليه صعدن الى أسطحة المنازل والقوا أيضا على رأسه

البول والقاذورات ، وجرى هذا في كل شارع وأندرونيكوس حـــامل على رأسه التاج ثــم حمــل الى خارج المدينة حيث ســـلم الى النساء ، فركضن عليه مثل الكلاب الاليفة فمزقنه قطعة قطعة وأكلنه حتى آخر جزء منه ، وبعدما جردوا عظامه وأضلاعه ، ولم يبق منه ما لم يؤكل ، قالوا إن اللواتي أكلن منه سينجين من كل عذاب لأنهن ساعدن على الثأر منه لآثامه التي اقترفها ضد الناس ، وبعدما مات وعذب كما وصفنا أخذ ما تبقى منه الى « ساحة موكوفليس » حيث كانت هناك مزبلة ، وهناك وضعوه ودفنوه في أسوأ مــكان ، وهناك وجدوا وعاء أخضر فكتبوا عليه بالاغريقية « عندما يموت امبراطورا مجللا بالعار سيدفن هكذا »

١٥ ــ وكان الامبراطور كيرســاك محبــوبا كثيرا مــن ســكان البلاد ، والكراهية التي حظي بهــا أندرونيكوس مــع لانغــوس لما اقترفاه من اساءات لم يبق دير في القسطنطينية الا وكتب على بــابه لعنات عليهما ، وعندما توج كيرساك لم تــكن له زوجــة ، وبناء على نصيحة مـــن رجــاله أرســـل الى ملك هنغــــاريا (بيلا الثالث) يطلب أخته لتكون زوجــة له ، وكان هــذا الملك مســتجيبا ومتفهما لمطالبه ، فأرسلها الى القســطنطينية فتــزوجها كيرســاك وتوجها امبراطورة ، وحدث أن الامبراطور سافر عبر امبراطوريته ونزل في مدينة القيصر فيليب ، حيث ولد الاسكندر كما قيل ، وهـــي قرب القسطنطينية ، ذكرها القديس بولس في جزء من رسائله التــي عرفت باسم رسائل الى أهــل فيلبــي ، وكان هناك مــدينة تــدعى استيف كانت تعج بالاقمشة الناعمة المستوردة من سورية . وفي دير هناك عاش ألكس أخوكيرساك ، وبتحريض من زوجته التي قالت له إنها إذا لم تكن امبراطورة فلن تعيش معه ، سافر الكس وتوجه الى عند أخيه ، فاستخدمه وشرفه ، وطبعا لم يحذر منه ولم يحترس ولم يخش خيانته ، وفي أحد الأيام دخل ألكس الى الغرفة التي كان فيها أخوه الامبراطور ، فانقض عليه وتناوله من شعره ثم رمــاه أرضــا وجلس على صدره فاقتلع عينيه ، ثم جــاء الى القســطنينية فتوج نفسه امبراطورا وتوج معه زوجته .

١٦ — بعدما تتوج الكس ، قامت الامبراطورة التي كانت زوجة كيرساك فزوجت ابنتها من فيليب بن الامبراطور فريدريك (ايرين انجليوس التي تزوجها فيليب دي سوابيا بن فريدريك بربروسا سنة ١١٩٦ كانت ابنة الزوجة الأولى لاسحق ولم تكن ابنه مرغريت) وبعثت أيضا ابنها الى أخيها وملك هنغاريا فأعتنى به ورباه وحافظ عليه حتى قدوم ملك فرنسا ، حسبما ستجدونه في المخطوطة ، وقام ليفرناس الذي ذكرته من قبل ، وكان من أقرب الناس الى الامبراطور مانويل ، فجمع زعماء الناس ، وقدم نحو القسطنطينية ، وعندما عرف الكس أن ليفرناس زاحف ضده أعلنه عدوا له ، وتوسل الى المركيز كونراد ، الذي كان آنذاك في القسطنطينية ، أن يبقى هو ورجاله ويقف الى جانبه حتى ينتهي من حربه مع عدوه ، وطمأنه المركيز أنه سيبقى وسيقف الى جانبه بكل رغبة ، وجاء ليفرناس الى القسطنطينية وكله أمل في معاقبة المجرم ، وقبل نشوب القتال لم يرغب الكس في حشد قواته ضد ليفرناس في خارج المدينة لأن له أعوان كثر في المدينة ، ولهذا جاء المركيز ووقف ضد ليفرناس ، ثم قام بمهاجمته ، وآنذاك خيل لليفرناس ومن معه أن كونراد ترك المدينة وقدم لمساعدتهم ، لكن عندما اقترب كونراد من ليفرناس وضربه فرماه من على ظهر حصانه ميتا ، ثم عاد أدراجه نحو القسطنطينية ، وعندما رأى رجال القسطنطينية الذين أرادوا حصار المدينة أن سيدهم قد مات هربوا ، وحينئذ قدم الامبراطور الى عند كونراد وشكره في قصره ، ذلك أنه لم يرغب في أن يلحق أدنى أذى بأتباعه من أهل المدينة ، وهنا رأى كونراد أن يستأذن الامبراطور ليسافر ، ذلك أنه جاء الى ما وراء البحار ليحافظ على المدينة التي وهبها الرب الى المسيحيين.

١٧ — وفيما يخص الملك بلدوين الطفل الذي كان في عكا يعيش تحت رعاية خال أمه ، انتابه المرض وتوفي سنة ١١٨٦ في شهر ايلول ، وحينذاك فكر الكونت جوسلين في خيانة عظمى قام بها ضد كونت طرابلس ذات تأثير ، فقد قال له ناصحا اذهب الى طبرية ولا

تذهب مع الملك الى القدس لدفنه ، ولم يسمح جوسلين بذهاب أي بارون من البلاد الى القدس ، وعوضا عن ذلك أعطوا الجثة الى الداوية الذي توجب عليهم حمله إلى القدس لدفنه ، وأخذ كونت طرابلس بمشورته وعمل بها بكل حماقة ، وحمل رجال الدواية جثة الملك لدفنه في القدس وذهب كونت طرابلس الى طبرية ، وعند ذلك جاء الكونت جوسلين فاستولى على مدينة عكا ، ثم ذهب الى بيروت التى كانت تحت حماية كونت طرابلس ، وتورط في الأعمال الخيانية بشكل مؤكد حيث شحنها بالفرسان والسيرجانتية ، ثم أرسل الى أميرة يافا التي كانت ابنة أخته لتأتي الى القدس مع جميع فرسانها ليقوموا جميعا بعد دفن ابنها بالاستيلاء على القدس والمحافظة عليها وبذلك يمكن تتويجها ملكة .

وعندما عرف أمير طرابلس أن الكونت جوسلين قد خانه بهذه الصورة ، بعث الى جميع بارونات البلاد ليجتمعوا به في نابلس ، وذهبوا كلهم للاجتماع به باستثناء الامير أرناط وجوسلين ، ولم يرغب الكونت جوسلين بالتخلي عن عكا ، بل احتفظ بها وذهبت كونتسية يافا الى القدس ورافقها زوجها مع جميع فرسانهما ، وقامت بالاشراف على اجراءات دفن ابنها الملك ، وكان في القدس أيضا المركيز بونيفيس مع البطريرك مع مقدمي الداوية والاسبتارية ٠

وبعدما دفن الملك جاءت كونتسية يافا الى البطريوك والى مقدمي الاسبتارية والداوية وتوسلت اليهم ليجتمعوا بها ، وأخبرها البطريرك ومقدم فرسان الداوية أن عليها الا تشغل بالها تجاه هذه المسألة ولتأخذ الامور بالهونى ، فهما سيتوجانها على الرغم من آراء جميع الموجودين في بلاد سورية ، ومرد ذلك لحب البطريرك لأمها ولكراهية مقدم فرسان الداوية لكونت طرابلس ، وبعثوا وراء الأمير أرناط صاحب الكرك ، ليأتي الى القدس ، واستجاب وجاء الى القدس ، ثم تداولوا فيما ينبغي عليهم القيام به ، وكيف عليهم التصرف .

وأقر المجتمعون أن على الكونتيسة أن ترسل الى كونت طرابلس والبارونات الذين كانوا في نابلس تستدعيهم لحضور تتويجها ، لأن المملكة آلت اليها ، وبادرت على الفور بارسال رسول الى هناك ، وأجابها البارونات الذين كانوا في نابلس أنهم لن يحضروا ، وعوضا عن ذلك بعثوا باثنين من رعاة الديرة الى القدس للقاء البطريرك مع مقدمي الاسبتارية والداوية يحظرون عليهم أمام الرب والرسل القيام بتتويج كونتيسة يافا حتى ينعقد مؤتمر يضم جميع الذين أدوا يمين الولاء في أيام الملك المجذوم ، وذهب الراهبان الى القدس ومعهما فارسان هما جون دي بلسم ووليم دي كيوز الذي كان والد توماس دي سينت بيرتن وأبلغوهم الرسالة .

وأجابهم البطريرك ومقدم الداوية والأمير أرناط أنهم لا يحسبون أدنى حساب لقسم أو كلمة ، وبدلا عن ذلك سيتوجون السيدة ملكة ، ولم يرغب مقدم الاسبتارية أن يكون طرفا مشاركا ، ولا أن يحضر لأن كل شيء كانوا يقومون به هو ضد الرب ويمينهم . ثم أوصدت أبواب المدينة حتى لايتمكن أحدا من الخروج منها أو الدخول إليها ، لأنهم باتوا يخشون أن يقوم البارونات الذين كانوا في نابلس (على مسافة اثني عشر ميلا من هناك) بالدخول الى المدينة أثناء تتويج السيدة ، وأن قتالا قد يندلع .

١٨ ــ وعندما سمع البارونات الذين كانوا في نابلس بأن أبواب المدينة قد أوصدت ، وأن مامن أحد يمكنه الدخول اليها أو الخروج ، أخذوا جنديا من الرجالة ، وكان من مواليد القدس وأهلها ، وألبسوه ثياب راهب وأرسلوه الى القدس ليراقب عملية تتويج السيدة ، وتوجه هذا الرجل الى هناك غير أنه لم يتمكن من الدخول الى القدس عبر أي واحد من أبوابها ، فمضى الى دير مالدري المقدسي الذي كان مجاورا لسور المدينة وهنا أقنع راعي الدير بالسماح له بالدخول من باب خلفي من خلال الدير ، وقصد مباشرة الى كنيسة القيامة ، ومكث حتى شاهد وسمع وعرف كل ما بعث ليعرفه .

واصطحب مقدم الداوية والأمير أرناط السيدة الى كنيسة القيامة حيث كان البطريرك وذلك من أجل تتويجها ، وارتقى الأمير ارناط مكانا عاليا ثم وقف يخاطب الحضور من الشعب قائلا :أيها السادة انكم تعلمون أن الملك المجذوم وحفيده (ابن أخته) الذي كان قد توجه هما الآن ميتان ، وهكذا باتت المملكة بلا وريث وبلا حاكم ، ونحن نرغب ، من بعد اذنكم أن نتوج سيبل ، التي هي موجودة هنا ، والتي هي ابنه الملك عموري وأخت الملك ، بلدوين المجذوم ، لأنها صاحبة الحق الأوفى والواضح والوريث الصحيح للملك ، وردد الشعب الذي كان موجودا هناك في صوت واحد بأنهم يفضلون أقرباء الملك عموري على أي واحد آخر ، وبذلك نسوا بالحال الأيمان التي أقسموها لكونت طرابلس ، ولهذا السبب لحقهم سوء الحظ منذ ذلك الحين .

وعندما كانت السيدة في كنيسة الضريح المقدس جاء البطريرك الى مقدم الداوية وطلب منه مفتاح خزانة الذخائر حيث كان التاج موضوعا ، وأعطاه مقدم الداوية المفتاح بكل رضى ، ثم طلب من مقدم الاسبتارية أن يحضر مفتاحه ، وأجابهما مقدم الاسبتارية أنه لن يعمل شيئا من هذا القبيل ، فضلا عن أنه لن يخطو خطوة واحدة الى هناك ، ما لم يكن التدبير صادرا عن ارادة مجلس بارونات البلاد ، ثم توجه البطريرك مع مقدم الداوية الى حيث كان مقدم الاسبتارية للحصول منه على المفتاح ، وعندما علم مقدم الاسبتارية انهما في طريقهما اليه ، أسرع للدخول الى دير الاسبتارية ، ولم يكن من السهل أبدا العثور عليه والتكلم اليه ، وعندما عثرا طلبا منه أن يعطيهما المفاتيح فأجابهما أنه لن يسلمهما اياها ، ولقد توسلا اليه ورجوه بحرارة ليفعل ذلك مما اغضبه والقى بالمفاتيح بعيدا عنه ، ثم التقطهم وامسكهم بكلتا يديه خشية أن يلتقطهم واحد من رهبان الاسبتارية ويعطيهم الى البطريرك ، ثم جاء مقدم الداوية مع الامير أرناط وأخذا المفاتيح منه وذهبا الى الخزانة وأخرجا التاجين منها وسلماهما الى البطريرك ، فوضع البطريرك أحدهما على مذبح الضريح المقدس وتوج بالثاني كونتسية يافا .

وبعدما توجت الكونتسية ملكة خاطبها البطريرك قائلا : سيدتي إنك امرأة ، ومن الضروري أن يكون الى جانبك رجل يساعدك في حكم المملكة ، ويستطيع بالفعل أن يحكمها ، وجاءت وأخذت التاج ودعت اليها زوجها غي لوزنغنان الذي وقف أمامها ، وخاطبته بقولها : مولاي ، تقدم وتسلم هذا التاج ، لأنني لا أعرف استخداما له أفضل من اعطائه لك ، وجثا الرجل أمامها فوضعت التاج على رأسه ، ووضع مقدم الداوية يده عليه وساعدها في وضعه على رأسه وقال مخاطبا اياه : إن هذا التاج أفضل لك وأربح من الزواج من سيده البترون ، وبعد هذا قام البطريرك برسمه ومباركته ، وهكذا أصبحت ملكة وأصبح ملكا ، وتم هذا يوم جمعة في سنة ١١٨٦ لتجسيد مولانا المسيح ، ولم يحدث من قبل أن جرى تتويج ملك في القدس يوم جمعة ، ولم يحدث أيضا اغلاق الأبواب وقت ذلك .

وبعدما فرغ العسكري — الذي تخفى بزي راهب — من مشاهدة عملية التتويج غادر القدس من الباب الخلفي الذي دخل منه الى المدينة ، وانطلق نحو مدينة نابلس الى كونت طرابلس والبارونات الذين أرسلوه ، وأخبرهم بالذي رآه .

وعندما سمع بلدوين صاحب الرملة أن غي لوزنغنان بات ملكا للقدس قال : انني أراهن أنه لن يبقى بالملك سنة ، وبالفعل لم يبق ملكا لمدة سنة لأنه توج في منتصف ايلول وخسر المملكة في يوم القديس مارتن في الشطر الأول من حزيران (٤ — حزيران) .

ثم توجه بلدوين صاحب الرملة بالخطاب الى بارونات البلاد وقال : أيها السادة الكرام ابذلوا ما يمكنكم من جهد لأن البلاد قد ضاعت ، وسأقوم بمغادرة البلاد لأنني لا أرغب في أن أنتقد أو الام لمساهمتي بأي شكل من الأشكال في ضياع الأرض ، ذلك أنني أعرف أن الملك الحالي معرفة جيدة ، إنه على درجة عالية من الحماقة ثم انه رجل سوء ، وإنه لن يفعل شيئا مفيدا بناء على مشورتكم ، وبدلا عن ذلك انه يفضل الضياع والضلال بوساطة بدع

هؤلاء الذين لايعرفون شيئا ، ولهذا السبب انني سأغادر البلاد ، فرد عليه كونت طرابلس قائلا : ياسيد بلدوين من أجل الرب ورحمة بالمسيحية دعنا نجتمع ونتداول حول كيف سيكون بامكاننا الحفاظ على سلامة البلاد ، لدينا ها هنا ابنة الملك عموري مع زوجها همفري ، اننا سنتوجها ومن ثم نقصد القدس ونستولي عليها ، لأننا نمتلك قوى بارونات البلاد مع قوى مقدم الاسبتارية ، وذلك باستثناء الأمير أرناط الموجود مع الملك في القدس ، ولدينا هدنة مع المسلمين ، يمكننا أن نمددها حسبما نريد ، ولن يأتينا أذى أو ضرر من جانبهم ، لا بل عوضا عن هذا انهم سيساعدوننا اذا ما احتجنا ، وهكذا تعاهدوا واقسموا أنهم سيتوجون في اليوم التالي همفري .

١٩ - وعندما عرف همفري أنهم يرغبون بتتويجه ملكا ، فكر عميقا بالمسألة ورأى أنه لن يكون أبدا قادرا على تحمل هذه المسؤولية ، وعندما حل الظلام امتطى حصانه وكذلك فعل فرسانه ، وساروا طوال الليل ، وبذلك هربوا الى القدس ، وعندما جاء صباح اليوم التالي ، وبعدما استيقظ البارونات أخذوا في اعداد انفسهم لتتويج همفري ، ثم سمعوا فيما بعد أنه هرب وذهب الى القدس .

وعندما وصل همفري الى القدس مثل في حضرة الملكة ، التي كان زوجا لأختها ، ورحبت به ثم قالت انها لا ترحب به لأنه عارضها ووقف ضدها ولم يحضر تتويجها ، فأخذ يحك رأسه حياء مثل الأطفال قائلا : مولاتي هذا ما لم أتمكن منه ، فقد احتفظوا بي وأرادوا أن يجعلوني ملكا بالقوة ، ورغبوا في تتويجي بالحال ،ولقد هربت لأنهم أرادوا جعلي ملكا بالقوة ، وردت عليه الملكة بقولها : ياسيد همفري أنت على حق ، إنهم أرادوا الاساءة اليك اساءة كبرى عندما رغبوا في جعلك ملكا ، وبما أنك تصرفت على هذه الشاكلة فسأجنبك غضبي اذهب الآن وقدم ولاءك للملك ، وشكر

همفري الملكة لأنها أعفته من غضبها وقدم الولاء الى الملك ، ومكث مع الملك في القدس .

ولدى سماع كونت طرابلس والبارونات الذين كانوا في نابلس أن همفري ذهب وقدم الولاء للملك حزنوا كثيرا ، ذلك أنهم خسروا بذهابه ما كانوا يخططون له لمساعدة أنفسهم للحفاظ على البلاد ، ولم يعودوا يعرفون ماذا سيعملون ، ثم جاء البارونات الى كونت القدس وخاطبوه قائلين : مولانا ، بحق محبة الرب ، أشر علينا ماذا يمكن أن نفعل بالنسبة لليمين الذي أخذه علينا الملك المجذوم نحوك ، ذلك أننا لا نرغب أن نقوم بأي عمل سننال من ورائه اللوم أو النقد ، فضلا عن أننا لا نود مطلقا أن نقدم على أي اجراء فيه أدنى ضرر نحوك ، وأخبرهم الكونت ان عليهم الاحتفاظ بيمينهم وألا يبدلوا شيئا عما صنعوه من قبل ، فهو الآن لا يعرف رأيا أصوب ليقدمه لهم ، واجتمع البارونات فيما بينهم للتداول .

٢٠ ــ وبعدما تداولوا بين أنفسهم جاءوا الى الكونت وخاطبوه قائلين : مولانا ، بما أن الأمور سارت على هذا المنوال ، وأخذت هذا المنحى ، فبات هناك ملك في القدس ، لا يمكننا الآن أن نحكم ضده ، لأننا لو فعلنا ذلك فزنا بالملامة ، ولانحب أن نحصل على ذلك ، إننا نتوسل اليك ، من أجل الرب ولا تنزعج منا تجاه ذلك أو تشعر بالأذى أن تذهب إلى طبرية وأن تمكث هناك ، وسنذهب نحن إلى القدس ونقدم الولاء للملك ، وكل ما نستطيع أن نفعله لصالحك سنفعله الا ما تعارض مع كرامتنا ، وسنسعى لتأمين التعويضات عن كل ماأنفقته على البلاد ، الأمر الذي كان الملك المجذوم أعطاك ضمانا له مدينة بيروت ، ولم يرغب بلدوين صاحب الرملة في مشاركتهم بهذا الرأي والمسلك .

وعندما رأى كونت طرابلس أن جميع البارونات قد تخلوا عنه ، ذهب الى طبرية وذهب البارونات الى القدس لتقديم الولاء الى الملك ، باستثناء كونت الرملة ، فقد بعث بأصغر أولاده ، وطلب

من البارونات أن يتوسلوا للملك ليعطي ابنه حق وراثة الارض عندما يقدم الولاء له .

وعندما قدم البارونات الولاء للملك أخذوا معهم ابن بلدوين صاحب الرملة ليمنحه وراثة أرض أبيه وليقدم له الولاء ، فأجاب الملك بأنه لن يمنحه حق الارث للأرض ولن يقبل الولاء منه حتى يأتي الأب بالذات ويقدم بنفسه الولاء الى الملك ، وعندما يقوم الأب بتقديم الولاء يمكن جعل الابن وريثا لأبيه ، وأضاف الملك أنه إذا لم يأت وليم صاحب الرملة لتقديم الولاء ، فسيصار الى مصادرة أرضه .

٢١ ـ واستدعى الملك غي اليه بلدوين دي ابلين (يبنا) ثم وجه الدعوة الى باقي بارونات البلاد للاجتماع به في عكا ، وقد استجابوا جميعا ، واجتمعوا في مقر رئيس كنيسة الصليب المقدس ، وفي البداية ارتقى الملك المنبر واخذ يتحدث مبينا كيف توج ملكا على القدس ، وكيف أن الرب من عليه بهذه النعمة وجعله جديرا بالتاج ، وبعدما أنهى خطابه قال له الأمير أرناط الذي كان واقفا على مقربة منه : ادع الأمراء لتقديم الولاء لك وادع أيضا بلدوين دي ابلين ليقدم لك الولاء ، ومالبث الأمير أرناط أن توجه بالدعوة الى بلدوين عدة مرات ، ولما كان بلدوين رجلا حكيما عاقلا متزنا لم يرغب بتلبية طلبه ، ولما رأى الملك أن بلدوين دي ابلين لم يستجب لطلب الأمير أرناط ناداه بنفسه وقال : أصدقائي الكرام تقدموا لتأدية الولاء ، وليكن لكم الشجاعة بأن يكون الناس الطيبون هنا على رأسكم .

ورد الكونت بلدوين دي ابلين على الملك قائلا : بما أن والدي لم يقدم الولاء لوالدك ، فأنا لن أقدمه لك ولن أكون وفيا لك ، لكن هناك ابني توماس الذي مايزال صغيرا فعند بلوغه السن المناسبة سيأتي اليك ويمثل بحضرتك كما يمثل أمام سيده ، وسيقدم لك الولاء وسيقوم بكل ما يتوجب عليه وأنا سأترك المملكة في يوم قريب .

ثم التفت الى أخيه بالين واستأذنه وكلفه في أن يتولى حفظ ولده حتى بلوغ السن وبعد ذلك أخذ الطريق وقصد انطاكية وبرفقته الفرسان الذين كانوا تحت إمرته ، ولدى سماع بوهيموند الثالث أمير انطاكية أن بلدوين دي ابلين قادم اليه مع كثير من الفرسان ابتهج كثيرا ، وتوجه الى استقبالهم وتلقاهم ورحب بهم بسرور عظيم .

٢٢ ـ وبينما كانت الأمور تسير على هذا المنوال ، جاء رجل الى الامير أرناط وأخبره أن قافلة عظيمة قادمة من مصر تريد دمشق لابد أن تمر قريبا في أرض قلعة الكرك ، فما كان من أرناط الا العودة الى الكرك ودخل الى هذه القلعة وجمع أكبر عدد من رجاله ، وتوجه بقصد الاستيلاء على القافلة ، وكان فيها أخت صلاح الدين ، وتمكن من ذلك .

وعندما سمع صلاح الدين أن الأمير أرناط استولى على القافلة واسر اخته غضب غضبا شديدا وتألم كثيرا ، وبعث بعدة رسائل الى الملك الجديد يطالب باسترداد القافلة مع أخته ، ولم يعلن الغاء الهدنة ، وأراد اعطاء الفرصة الى الملك الجديد الشاب ، وبالفعل أرسل الملك غي الى الامير أرناط يطالبه باعادة القافلة الى صلاح الدين مع أخته التي أسرها عند الاستيلاء على القافلة ، فأجابه بأنه لن يعيد شيء قطعا ، لانه هو سيد أرضه كما أنه سيد بلاده ، ولايوجد بينه وبين المسلمين هدنة ، المهم أن الاستيلاء على هذه القافلة كان السبب في ضياع مملكة القدس ، حسبما اشرنا من قبل .

٢٣ ـ وعقد الملك غي اجتماعا في القدس مع مقدم فرسان الداوية ، وقال له : أن أمير طرابلس لم يقدم له الولاء والطاعة ، فأشار عليه أن يرسل قواته لمحاصرته في طبرية ، وعندما عرف أمير طرابلس بأن الملك غي أرسل جنده ضده انزعج كثيرا فراسل صلاح الدين في دمشق وأعلمه أن الملك غي قد أعد قواته

ليزحف ضده الى طبرية ، وتساءل فيما اذا كان بوسعه انقاذه فبعث اليه صلاح الدين بالفرسان والجنود مع كثير من السلاح ، وأوصى قواته : أنهم اذا حاصروه صباحا ، أنقذوه مساء ، على هذا تدخل صلاح الدين فأرسل بقواته ، بعدما حشدها في بانياس ، وبعث منها الى طبرية مقدار ألف شخص .

وحشد الملك غي قواته في الناصرة ، وعندما فعل ذلك قدم اليه بالين دي ابلين وقال له : لماذا يامولاي جمعتم هذه الفيالق كلها ؟ والى أين ستزحف هذه القوات ؟ فالوقت غير مناسب للقتال ، فأجابه الملك بأنه يريد حصار طبرية ، فقال له بالين : من الذي أشار عليكم بالقيام بهذا العمل ؟ إنه رأي سيء ، ومامن رجل حكيم يوافقك على هذا التحرك ، وأعلم علم اليقين انه برأيي ورأي البارونات أنك لن تنجح في هذه المهمة لوجود عدد كبير من الفرسان داخل طبرية من المسيحيين والمسلمين ، ولديك قليل من الرجال لحصار طبرية ، ثم اعلم أنك اذا ذهبت للقيام بهذا العمل ، وعندما ستتولى حصارها سيقدم صلاح الدين الى انقاذها بعدد كبير من الرجال ، والآن اصرف قواتك وعندي عدد كبير من الرجال يمكن أن يذهبوا الى أمير طرابلس ، وسنعمل بقدر ماأوتينا من قوة لاصلاح ذات البين بينكما ، لأن الشحناء بينكما ليست مجدية .

واستجاب الملك فصرف قواته وبعث برسائله الى طبرية ، ولدى وصول الرسل الى طبرية التقوا بالامير ريموند وتحدثوا معه بشأن احلال السلام بينه وبين الملك ، فأجابهم الامير أنه لن يكون هناك سلم ولن يستجيب لأي مسعى للصلح مادام الاستيلاء على حصن بيروت مستمرا ، واذا مااستمروا في الاستيلاء على حصن بيروت الذي اغتصبوه ، فسيعمل ماسيراه مناسبا ، وعاد الرسل الى الملك ورووا له ماوجدوه لدى الكونت .

٢٤ ـ وهكذا ظلت الاحوال طيلة موسم الشتاء حتى قبيل حلول عيد الفصح ، وقبيل حلول عيد الفصح سمع الملك أن صلاح الدين

شرع بحشد قواته على نية غزو البلاد والدخول الى أراضي المملكة ، فبعث وراء جميع بارونات البلاد ، ورؤساء الاساقفة والاساقفة للقدوم اليه والاجتماع به في القدس ، واستجابوا لطلبه ، واجتمع به البارونات وبقية السادة فأخبرهم بتحركات صلاح الدين ، وطلب منهم تقديم الرأي والمشورة حول ماينبغي القيام به ، وقال له بارونات البلاد ناصحين ان عليك الاتفاق مع أمير طرابلس ، واذا لم تتفق معه لن يستطيع الجند التصدي للمسلمين ، وذلك انه لدى كونت طرابلس جيشه الكبير من الفرسان ، ثم أنه رجل حكيم مدبر واثق من نفسه ، استهدف دوما ضمان أمنه واظهار أنه لايخشى من أحد حتى من المسلمين ، ثم استطرد البارونات يقولون : مولاي لقد فقدتم أعظم فارس في أرضكم وأحكم رجل في بلادكم الا وهو بلدوين صاحب الرملة ، واذا ماخسرتم مساعدة أمير طرابلس ورأيه تكونون قد خسرتم كل شيء .

وعند ذلك قال الملك لابد من ازالة الخلاف والنزاع فيما بيننا واقامة مصالحة وسلام معه ، واذا ماوافق على ذلك بطيبة خاطر سيكون هذا مفيدا ، وسيكون حسنا فعل ، واثر ذلك استدعى اليه مقدم فرسان الداوية الاخ جيرارد دي ردفورت ، ومقدم فرسان الاسبتارية الاخ روجر دي مولين ، ويوسيه رئيس أساقفة صور ، وبالين دي ابلين وريذو صاحب صيدا ، ثم أمرهم بالتوجه الى طبرية للاجتماع بأمير طرابلس لعقد المصالحة معه واقامة السلام ، واعلامه أن الملك تائق لهذا السلم الذي سيعقدونه فيما بينهم .

وتحرك الوفد وذهب الى نابلس أولا ، وذلك باستثناء ريذو صاحب صيدا الذي سافر عبر طريق آخر ، ووصل ليلا الى نابلس ، ثم جاء بالين دي ابلين الى مقدمي الداوية والاسبتارية والى رئيس أساقفة صور وقال لهم : ان نهار الغد قصير ، وأنه

سيمكث بنابلس ثم يتحرك ليلا ، ويبقى مسافرا طوال الليل حتى يلتحق بهم عند مطلع النهار ، وهكذا سافر هؤلاء وبقي بالين .

٢٥ ـ وكان واحد من أبناء صلاح الدين عرف باسم نور الدين ، قد برز آنذاك وعبر عن نفسه كفارس شجاع ، وهو الذي حمل اسم الملك الأفضل ، وأصبح فيما بعد أمير مدينة دمشق ، وكان هذا الأمير معسكرا آنذاك عبر نهر الأردن ، على مقربة من مخاضة يعقوب ، وكان صلاح الدين ، والده قد أمره بالدخول الى أراضي المسيحيين بغية الانتقام منهم لحادثة القافلة التي استولى الأمير أرناط عليها وليثأر لأخته التي أسرها حين الاستيلاء على القافلة وأبقاها لديه سجينة ، ولأنه لم يكن بامكانه الدخول عن طريق آخر غير خلال ممتلكات طبرية التي عادت آنذاك لكونت طرابلس ، وبسبب أن الكونت المذكور كانت بينه وبين صلاح الدين هدنة قائمة وقد تسلم منه مساعدات كبيرة ، وعطايا تدل على صداقته نحوه ، لم يرغب صلاح الدين في الدخول الى أراضي المسيحيين بدون اذن وبالنظر لوجود شقاق بين كونت طرابلس والملك ، طلب من كونت طرابلس السماح له بالدخول الى أراضي المسيحيين من خلال أراضيه ، ومن ثم القيام بغارة هناك .

وعندما سمع الكونت بهذا الطلب أصيب باضطراب عظيم ، فهو إن رفض هذا المطلب الذي قدم اليه ، بات يخشى فقدان مساعدة صلاح الدين ومساندته ، واذا ماسمع بذلك فانه سيوصم بالعار ويوجه اليه اللوم الشديد في أوساط المسيحيين ، وأخيرا قرر أن يتصرف وفق مايلي : سيقوم بانذار المسيحيين وبذلك لن يخسروا شيئا ، وبناء على ذلك أعلم ابن صلاح الدين انه على استعداد لاعطائه الاذن المطلوب بالدخول الى أراضيه والى أراضي المسيحيين في ظل بعض الشروط المحددة : عليه أن يعبر النهر عند شروق الشمس وأن يعود عند غروبها الى اراضيه بدون كرة ، والا يسلب بيتا أو يستولي على شيء ما أو يلحق به أذى في أي مدينة أو بلدة ، ووافق ابن صلاح الدين على هذه الشروط والتقيد بها .

وعندما أتى صباح اليوم التالي ، عبر المسلمون النهر حسب الاتفاق ، ومروا من أمام أبواب طبرية ، ودخلوا الى أرض المسيحيين فأغلق كونت طرابلس أبواب طبرية حتى لايدخلوها فيحدثوا فيها الاضرار ، وكان هذا التصرف من كونت طرابلس أحمقا في ذلك اليوم ، لأنه قام به قبيل وصول رسل الملك اليه ، ولتدارك الأمور أعد الكونت رسالة وبعث بها مع رسول الى الناصرة الى الفرسان الذين كانوا هناك ليتنبهوا ويأخذوا حذرهم ، كما بعث ينذر أهالي البلاد جميعا لاسيما المناطق التي كان يعرف ان المسلمين لابد أن يمروا بها ، وطلب منهم الا يغادروا مدنهم ويغلقوها ويتحصنوا بها ويلتزموا بيوتهم ، لأن المسلمين لن يهاجموا مدينة مغلقة وسيلتزمون بالصمت ، لكن لسوء الحظ اذا وجدوا أحدا خارج المدن سيأسرونه أو يقتلونه ، وبموجب هذه الوصايا تصرف الكونت في طبرية وجهز سكان مدينته ، ثم بعث بعد ذلك بالرسل الى حصن الفولة حيث التقوا بمقدمي الداوية والاسبتارية وبرئيس أساقفة صور ، وقدموا اليهم الرسائل التي حملوها من كونت طرابلس .

ولدى اطلاع مقدم الداوية على الأخبار التي ذكرت أن المسلمين سيدخلون غدا الى البلاد ، بعث على الفور برسول الى دير الداوية الذي كان على مسافة أميال من حيث كان ، وطلب من فرسانه القدوم اليه لأن المسلمين سيدخلون يوم الغد الى البلاد في الصباح ، ولما سمع الفرسان استعدوا واحتشدوا ونفذوا أوامر مقدمهم فساروا نحوه فكانوا في منتصف الليل لديه حيث تمركزوا أمام حصن الفولة .

وعند حلول الصباح من اليوم التالي تحركوا وقصدوا مدينة الناصرة حيث كان بعض فرسان الداوية وفرسان الاسبتارية مع مقدمهم كما كان هناك الفرسان المخصصين لحماية الملك ، وعبر الناصرة نحوا من ألف فارس وأخذوا اتجاه طبرية ، فوجدوا المسلمين عند نبع ماء اسمه كرسون ، وكانوا على نية العودة لعبور

نهر الأردن ، دون الحاق أدنى ضرر بالمسيحيين لأن المسيحيين كانوا قد صانوا أنفسهم بالالتزام بوصايا كونت طرابلس .

وكان في مقدمة فرسان الداوية فارس مقدام ازدرى كل الناس الآخرين واحتقرهم ، ولهذا لم يعر الاهتمام الى آراء مقدم الاسبتارية الأخ روجر دي ميلون ولاأيضا أوامر الأخ جاك دي ميالي مارشال فرسان الداوية ، حتى أنه خاطبه برعونة وقال إنه لن يسمع كلام رجل يستعد للفرار ، فأجابه المارشال بأنه سوف لن يهرب أبدا من المعركة ، وهكذا وقف في ساحة القتال ، غير أنه هرب فيما بعد مثل جندي خائن ، خلاصة القول اندفع مقدم الداوية والفرسان الذين كانوا بصحبته وألقوا بأنفسهم أمام المسلمين وكان معهم أيضا مقدم الاسبتارية ، فتلقاهم المسلمون بكل شدة ، وغرق المسيحيون بين صفوفهم ، فقد كان المسلمون مسلحين تسليحا جيدا ، ولم يكن المسيحيون كذلك ، وعلى أرض المعركة فقد مقدم الاسبتارية رأسه وفقد معظم فرسان الداوية كذلك رؤوسهم ، حيث قطعت جميعا ، ولم ينج غير مقدم الداوية مع ثلاث من فرسانه ، أما الفرسان الذين كانوا يتولون حماية الملك فقد أسروا جميعا ، وعندما رأى جنود الداوية والاسبتارية أن فرسانهم غرقوا في لجة جيش المسلمين ، هربوا وأخذوا معهم عتاد المسيحيين وهكذا لم يخسر المسيحيون شيئا من عتادهم .

٢٦ــ وحدث أنه عندما كان مقدم الداوية يعبر الناصرة زاحفا ضد المسلمون أن بعث جنديا على ظهر حصان ليستنفر في الناصرة كل من هو قادر على حمل السلاح ليجتمعوا ويبادروا على الفور الى اللحاق به ، فعندما سيصلون اليه سيجدون المسلمين قد أصابهم الانهاك ، وبعدما احتشد أهل الناصرة وأسرعوا مغادرين لمدينتهم وركضوا ليصلوا الى حيث كانت المعركة ، وجدوا عندما وصلوا المسيحيين أمواتا مدمرين ، ومالبث أن انقض عليهم المسلمون وأسروهم جميعا ، وما أن فرغ المسلمون من عملهم ومالن أكملوا قتل المسيحيين وتحطيمهم قاموا بحمل رؤوس فرسان المسيحيين

الذين قاتلوهم على أسنة رماحهم ، واقتادوا الذين أسروهم نحو السجون ، ومروا في طريق عودتهم من أمام طبرية ، وعندما رأى مسيحيو طبرية أن المسيحيين قد دمروا وأن المسلمين حملوا رؤوس المسيحيين على أسنة رماحهم وأخذوا الباقي أسرى واقتادوهم أمامهم ، أصابتهم الام عظيمة .

وهكذا عبر ابن صلاح الدين ومعه رجاله النهر عائدين عند غروب الشمس ، وقد حافظوا تماما على مواثيقهم مع كونت طرابلس ، بحيث لم يتسبب أي منهم بأي أذى لقلعة أو مدينة أو لبيت من البيوت ، وفقط الذين صدفوهم على ساحة القتال نزل بهم مانزل ، ووقعت هذه المعركة يوم الجمعة ، وكان يصادف يوم عيد القديس جيمس مع القديس فيليب ، وهو أول أيام شهر أيار ، وجرى هذا كله بسبب استيلاء الأمير أرناط على القافلة في أراضي الكرك ، وكانت هذه بداية فقدان المملكة .

٢٧ ـ عند حلول الظلام تحرك بالين الذي كان في نابلس حسب الاتفاق ومايقتضيه الحال باتجاه مقدم الاسبتارية ومقدم الداوية وليطارد الأعداء ، لكن بعدما قطع مسافة عشرة أميال وصل الى البلدة التي تحمل اسم سبسطية ، وعندها لاحظ أن الفجر قد بزغ فآثر التوقف لسماع القداس وبناء عليه عاد وقصد بيت الأسقف وأيقظه وجلس معه وتحدث حتى شروق الشمس ، وعند ذلك ارتدى الأسقف لباس الصلاة ورتل القداس .

وبعد ماسمع بالين القداس بادر الى السفر بسرعة نحو مقدم الداوية ، وظل مندفعا حتى وصل الى حصن الفولة ، فوجد هناك خارج الحصن خيما منصوبة ولايوجد فيها أحد ، فاصيب بالذهول لعدم وجود أحد فيها ليسأله عن جلية الأمر ، وبناء على ذلك بعث بواحد من أتباعه الى داخل الحصن ليسأل من يجده فيه ، ودخل التابع الى الحصن وصاح في داخله فلم يجد أحدا ، ولم ير انسانا يطلعه عن خبر ، وفقط عثر على المرضى في احدى الغرف ، ولم

يستطيع هؤلاء ان يخبروه بشيء مطلقا ، وعند ذلك عاد الى سيده واخبره أنه لم يجد أحدا يخبره عن سر الاوضاع القائمة ، وهنا أمره سيده بامتطاء ظهر حصانه ويتبعه للذهاب الى الناصرة ، وماان ابتعدوا قليلا عن الحصن ، حتى خرج منه أخو مقدم الداوية ممتطيا ظهر جواده وصاح طالبا انتظاره حتى يصل اليهم ، فانعطف نحوه باليان دي ابلين وسأله عن الأخبار فأجابه : انها سيئة ثم استطرد يقول : ان رأس مقدم الاسبتارية قد قطع مع جميع رؤوس فرسان الداوية باستثناء الذين لاذوا بالفرار ومنهم مقدم الداوية وثلاثة من فرسانه ، وقد وقع الفرسان الذين يتولون حراسة الملك بالأسر جميعا ، ولدى سماع باليان دي ابلين بهذه الأخبار تيقن أن المعركة كانت كبيرة وقاسية ، فاستدعى واحدا من جنوده وبعث به الى نابلس الى عند الكونتيسة زوجته ليطلعها على الأخبار ، وليقول لها بأن تأمر جميع فرسان نابلس ليأتوا اليه ليلا من نابلس ، ثم مالبث أن تصادف مع الجنود الذين كان معهم عتاد فرسان الهيكل ، أي الجنود الذين فروا من المعركة الضارية ، ولقد أدرك باليان أنه لو لم يذهب الى سبسطية ويتوقف لسماع القداس لكان أتى عليه ماأتى على الذين حضروا المعركة .

وعندما جاء باليان الى الناصرة سمع بحدوث فوضى كبيرة في المدينة بسبب سكانها الذين قتلوا أو أخذوا أسرى في المعركة ، وشكل هؤلاء أكثرية الذين لديهم منازل في المدينة ، وهناك وجد مقدم الداوية الذي هرب من المعركة ، وهناك أيضا مكث فرسانه ثم أعلم أمير طبرية أنه في الناصرة ، وعندما علم كونت طرابلس بما حدث في المعركة انزعج كثيرا ، وعندما جاء الغد بعث بفرسانه اليه ليصحبوه الى طبرية .

٢٨ ـ وعندما وجد الكونت باليان مقدم الداوية في الناصرة توجه اليه ، ومن ثم سأله كيف كانت المعركة ، فعرف انها كانت بمعركة حامية الوطيس قتل فيها العديد من المسيحيين من قبل

المسلمين ، فقد كان المسيحيون في وضع صعب جدا عندما اشتبكوا مع المسلمين فقد طوقوا من ثم هزموا ، وأثر ذلك تبادلوا الراي لارسال جماعة الى مكان المعركة من أجل دفن أجساد الفرسان وفي سبيل ذلك جمعوا الخيول التي توفرت بالمدينة ، وأرسلوها لحمل هذه الأجساد الى الناصرة لأجل دفنها .

وفي اليوم التالي اجتمع بالين مع رئيس أساقفة صور ومقدم الداوية ، وتحركوا للذهاب الى طبرية ، وبعدما قطعوا مسافة قصيرة عاد مقدم الداوية .فقد وجد نفسه غير قادر على السفر بسبب ماعاناه من آلام حصلت له نتيجة الضربات التي تلقاها في معركة اليوم السالف.غير أن بالين ورئيس أساقفة صور تابعا سفرهما الى طبرية ، وعندما سمع كونت طرابلس بقدوم بالين مع رئيس أساقفة صور توجه لاستقبالهما ، مبديا ألمه الكبير وغضبه الشديد للفاجعة التي حصلت في اليوم الماضي ، فقد كان ذلك كله محصلة لرعونة مقدم الداوية ونتيجة لعجرفته ، وعندما التقى الكونت بالسفيرين استقبلهما بحفاوة عظيمة ، واصطحبهما الى قصره ، وفي ذلك الحين وصل ريذو صاحب صيدا ، وبعدما دخل السفراء الى القصر ، ومثلوا بين يدي الكونت ، قدموا له الرسالة التي حملوا ، وذكر بهم الكونت أنه متألم كثيرا ويشعر بالخجل العظيم بسبب الفاجعة التي حصلت ، وبعد هذا عمل على ابعاد المسلمين عن مدينة طبرية ، وعندما تحقق له هذا رافقهم وتوجه معهم لمقابلة الملك ، وكانوا قد بعثوا برسول الى الملك أعلموه بوساطته أنهم قادمون وبصحبتهم الأمير .

وعندما سمع الملك بمجيء كونت طرابلس نحوه ، وسمع بما حدث ، تألم كثيرا وانزعج غاية الانزعاج بسبب الأضرار التي لحقت بفرسان الداوية ، ومع هذا خرج من القدس حيث كان مقيما وذهب لتلقي أمير طرابلس ، وجاء كونت طرابلس بدوره للالتقاء بالملك ، وكان أن التقيا أمام حصن يدعى حصن القديس جوب ، لأن جوب عاش كما يقال هناك ، وكانت هذه قلعته ، ومن بعيد عندما

رأى الملك أمير طرابلس ترجل وذهب لملاقاته ، وعندما رأى الأمير الملك يترجل لملاقاته ، ترجل هو أيضا ، وذهب لملاقاة الملك ، وعندما اقترب الملك منه جثا أمامه فأقامه الملك وأحاط ذراعية برقبته وعانقه وقبله ، ثم عادا معا الى نابلس ، وتوجها الى القصر واعتذر الملك للأمير بشتى السبل لما حصل اثناء تتويجه ومن أجل ذلك ومن أجل أعمال أخرى ، وتحدث الأمير الى الملك وأعلمه أنه اذا سار وفق نصائحه وأخذ بمشورته ستكون المملكة قوية ومستقرة ومحكومة بشكل جيد ، لكن مالبث ذوي الحسد والبغضاء يشعرون بالالم نتيجة اصغاء الملك لنصائح الأمير وعمله وفقها .

وبعد هذا تحرك الملك والأمير وغادرا نابلس الى القدس حيث استقبلا بحفاوة كبرى ، وأقام السكان احتفالا كبيرا ، وعم السرور بين الناس لتوطد السلام بين الملك والأمير ، ومالبث أن استأذن الأمير الملك للمغادرة ، فأمره الملك بأن يجمع جنده ويقودهم الى نبع الصفورية لأنه علم أن صلاح الدين يجمع عساكره ليقودهم الى داخل أرضه ، ونصحه الأمير أن يراسل أمير انطاكية ويطلب منه ارسال النجدات له ، وقام الجميع بحشد فرسانهم وتقدمهم بذلك مقدما الداوية والاسبتارية ، وذهب أمير طرابلس الى صفورية ، وأرسل أمير أنطاكية ابنه البكر ريموند مع (خمسين من) فرسانه ، وبعد وصول الأنطاكيين أمر الملك البطريرك ليحضر له الصليب المقدس ، وأحضره البطريرك من القدس ، ثم عهد بحملة الى راعي الضريح المقدس ، وطلب منه أن يتولى حمله ويأخذه الى الملك لأنه هو نفسه لديه عذره بالتخلف وبعدم الذهاب ، وسيكون من الصعب عليه التفكير بالالتحاق بالجيش (وترك السيدة باسك دي رفري) وحقق هذا الملك النبوءة التي سبق لرئيس أساقفة صور أن عملها يوم جرى اختياره ليكون بطريركا ، لقد هزم هرقل الفرس وأعاد الصليب الى القدس ، وسيلقي به هرقل وسيفقد الى الابد ، ففي ذلك الوقت ألقى هرقل (البطريرك بالصليب الى خارج القدس ولهذا لم يعد مطلقا ، ولكنه فعل ذلك في المعركة التي سنسمع عنها :

وعندما حمل الصليب الى الملك استعدادا للمعركة ، جـاء مقـدم الاسبتارية ونصح الملك في أن يصدر الاوامر بحشد جميع الرجال في ارضه ليأتوا اليه ، وأن يدفق عليهم ببحبوحة وكرم مـن المبلغ الذي بعث به هنري الى بيت الداوية .

٢٩ ـ وكان عندما عذب الملك هنري القـديس الشـهيد تـوماس اوفـ كانتربري وسبب شهادته في ٢٩ ـ أيلول ١١٧٠ ـ اعتقد أنه اقترف اثما عظيما ، وندم كثيرا ، وراح يعمل للتـكفير ، وتصـدق بكثير من الخبز وغير ذلك ، على أمل أن يساعده الرب ويغفر آثـامه وما اقترفه من أعمال أخرى ، لقد كان هـذا مـاحصل بعـدما عذب القديس توماس ، وصار يرسل في كل عام واحدا مـن عنده ليأخـذ الطريق الطويل حتى يضـع بعض المال في خـزينة كل مـن فـرسان الداوية والاسبتارية في القدس .

واستهدف الملك هنري جمع كمية كبيرة من المال في القدس حتـى يجد هذا المبلغ أمامه عندما سيصل الى الاراضي المقدسة ليسـاعدها وينقذها وأعطى مقدم فرسان الداوية خزانة المال التي كانت لديه الى الملك غي ، وقال له : أريدك أن تحشد أكبر عدد ممـكن مـن الناس مثلما جمع المسلمون وأكثر ، فبذلك يمكنك أن تحارب وتثـأر للعـار والأضرار التي سببها المسلمون لي وللمسيحيين والمسيحية ، وأخذ الملك المال وأغرى به الفرسان والجنود ، وهكذا تمكن من جمـع عدد كبير من الفرسان وآلاف من الرجالة ، وطلب أمير طـرابلس الأذن ليذهب الى طبرية ويجهزها ذلك أنه سمع أن السلطان صـلاح الدين قد جمع بالفعل آلافا من الرجال يمتطون الخيول ، وأراد أيضـا أن يسوغ موقفه أمـام الملك لأن الأخير عرف بـوجود اتفـاق بين أمير طرابلس وصلاح الدين لكن الآن تصالح هذا الأمير مـع الملك لهـذا توجه الأمير الى طبـرية لتحصـينها وتجهيزهـا بـالعتاد اللازم والرجال ، وأمر زوجته التي تركها فيها ، وكذلك أمر أعوانه أنهـم اذا رأوا قوات صلاح الدين كبيرة جـدا الى حـد أنهـم لايمـكنهم

مقاومتهم أن يتحصنوا داخل البحيرة ، وهو سينجدهم في أقرب وقت .

٢-في الوقت الذي غادر فيه الملك القدس وتوجه الى عكا نجد من جانب آخر كونت طرابلس يتوجه بدوره من طبرية الى عكا ، وفيما الجميع في عكا وصلت رسالة مستعجلة بشكل مفاجىء من طبرية ارسلتها أميرة طبرية تعلم فيها الملك أن صلاح الدين قد دخل الى المملكة وحاصر طبرية بقوة كبيرة من الرجال ، وتألم الملك كثيرا وتأثر لسماع هذا الخبر ثم أمر بدعوة الفرسان والبارونات ليتشاور معهم حول الأحداث التي علم بها ، وعندما حضر الجميع طلب الملك مساعدة الحضور من الرجال ونصيحة جميع الذين كانوا هناك ، وأشار مقدم الداوية مع الأمير أرناط ومعهم عدد آخر كبير على الملك أن يزحف مباشرة لطرد صلاح الدين من البلاد ووضعه خارج المملكة ، ففي هذا

محك لسلطته الملكية ، فصلاح الدين بعمله هذا جرده من سلطاته الملكية ، وبذلك اصطدم بالمسلمين ، ولقد احتقره صلاح الدين ، وهو ان لم يستطع – منذ هذه الساعة – الوقوف ضده وصده ، فهو على وشك أن يفقد المملكة ، وعند نهاية الاجتماع سأل الملك أمير طرابلس عن رأيه ونصيحته ، فخاطبه على مسمع من الذين كانوا هناك قائلا :

« مولاي انني انصحك واقترح عليك أن تشحن مدنك وقلاعك بالرجال والمؤن والعتاد والسلاح والمواد الأخرى المفيدة بالدفاع ، ومع أن أمير انطاكية قد بعث أبنه مع خمسين فارسا ، راسله ثانية ، واكتب أيضا الى بلدوين دي ابلين وأخبره أن صلاح الدين قد دخل الى أراضي المملكة مع جيش جبار ، وأن عليه القدوم لمساعدة المملكة ، فأنا أعرف أنه سيقدم ، وأنت تعرف ان الوقت الآن منتصف الصيف وهو الوقت الذي تصل فيه الحرارة الى الذروة خلال السنة كلها ، هذا وان عزلة المكان وخشونته

والطقس الحار سيهاجمونهم ، وفي تلك الاثناء سـيمتلك بلدوين دي ابلين الوقت الكافي للوصول ، وفي الوقت الذي سيشعر فيه صـلاح الدين بالأمان سنكون جاهزين ، وسنهاجم ساقة قـواته وسـننزل بها ضربات مؤلمة ستمكننا — بمشيئة الرب — من ابقـاء مملكتـكم تعيش بسلام » .

٣١ — وعندما فرغ الامير من كلامه ، رد عليه مقدم الداوية مـع الامير ارناط وقالا : ان النصيحة التي سمعناها غير جيدة ، ورأي غير مقبول ، فيه رائحة الخيانة ، هو مبرقع بجلد الذئب ، وعندمـا سمع الامير ذلك التفت نحو الملك وقال له :« مـولاي اسـألك لابـل ادعوك أن تذهب لتقديم النجدة والعون الى طبرية » ، فرد عليه مقدم الداوية مـع الامير أرناط : ان الملك سـيذهب بـكل سرور الى النجدة ، وحينذاك تجهز الملك ومعه جميع فـرق الفـرسان في مملكة القدس ، وتحركوا جميعا من مدينة عكا ، وذهبوا للتمركز قرب نبع الصفورية ، وهناك أظهر الملك كرمه مرة أخـرى فحصـل على عدد معتبر من الفـرسان والرجـالة والخيالة ، ولهـذا السـبب أحضر الصليب المقدس من القدس ليحمله وليسـير في حمـايته كثير مـن الناس ، ووضع الملك ثقته برجاله بفضل يسوع المسـيح الذي قـدم الفداء على الصليب .

٣٢ — بعدما مارس الملك كرمه على هذه الصورة أراد أيضـا أن يتشاور مع رجاله فبعث مجددا وراء كونت طرابلس ليسـتشيره وليستمع الى رأيه .

وأجابه ريموند ، بحكمة وعقل ، قـائلا : اعلم ياسـيدي أن أي ضرر يلحق بطبرية أنا مسؤول عنه ، ويقع على عاتقي وحدي وليس سواي ، وبالنسبة لزوجتي سيدة طبرية ولأولادي ، هـم في طبـرية داخل قلعتها ، وأن لاأرتضي بكل ما في الدنيا من ثروات مقابل لحاق الأذى بأي منهم ، ولهذا سبق لي أن أوعزت اليهم أنهم اذا ماوجدوا قوات صلاح الدين أكبر من أن يستطيعوا التصدي لها ، عليهـم أن

يصعدوا على ظهر قواربهم ، ويفتشوا عن ملجأ داخل البحيرة حتى يأتي وقت نستطيع فيه القدوم لتقديم العون لهم ، وبعد هذا استطرد يقول : سيدي اذا كنت ترغب أن تدخل الحرب ضد صلاح الدين دعنا نرحل ونتمركز أمام عكا ، حيث نبقى على مقربة من قلاعنا ، إنني أعرف صلاح الدين ، انه رجل متكبر ، ومتشبث وشجاع ومقدام وماأظنه سيترك أراضي المملكة حتى يذشب القتال معك ، واذا ماجاء لمحاربتك أمام عكا وسارت الأمور لغير صالحنا ، وقانا الرب من ذلك ، يمكننا أن نطلب النجدات من عكا والمدن القريبة منه ، واذا مانصرنا الرب ،وتمكنا من الحاق الهزيمة به قبل وصوله الى أراضيه ، فسننزل به ضربة مميتة لن يتمكن من التعافي منها أبدا .

وعندما انهى الكونت ريموند كلامه تمتم مقدم الداوية بشكل يسمعه قائلا : اني أشم رائحة الخيانة ، انه يتبرقع بجلدالذئب ، وعندما سمع الكونت قوله ، احتد وانبرى قائلا موجها خطابه الى الملك : سيدي أرجوك وأتمنى عليك أن تهب الآن للذهاب الى نجدة طبرية ، فأجابه بأنه يتمنى أن يفعل ذلك ، وفي تلك الساعة وصلت رسالة من صاحبة طبرية موجهة الى الملك طالبة القدوم لمساعدتها ، لأنها ومن معها عرضة الخطر الشديد ، ولدى سماع الفرسان لهذه الأخبار ضجوا وصرخوا جميعا في وسط الجيش : دعونا نذهب لحماية سيدات طبرية ونسائها .

٣٣ ـ لقد تحدثنا عن الملك وعن كتائب فرسانه التي كانت متمركزة قرب نبع الصفورية ، وبقدر مافعلنا ذلك نولي الاهتمام مسألة أخرى فنتساءل عن السبب في سوء التفاهم والتباغض بين مقدم الداوية الاخ جيرارد دي فورت وخصمه أمير طرابلس ، عندما جاء من قبل مقدم الداوية الى أرض القدس ، بات فارس عصره ، وقدره الملك عموري منذ أن كان أميرا ، ووعده ثم أجاز له أفضل زواج يحصل بين فرسانه ، وكان هناك وليم دوريك الذي كان قبل موته سيد البترون ، وهو الذي كان قد تزوج من استيفاني ابنة هنري دي بوفل ، وبعد وفاة وليم تزوجها هيو صاحب جبلة ومنها

جاء غي صاحب جبلة ، وقد كان لديه ابنة من امرأته الأولى ، وقبيل وفاته قدم الى البلاد رجل ثري يدعى بليفين ، وأحضر بليفين هذا له أموالا طائلة ، وطلب أمير طرابلس منه ابنته زوجة له ، وهي طبعا سيدة البترون ، ووعده الكونت بتلبية طلبه ، وكان ذلك بحضور جيرارد دي ردفورت ثم أعطاها له بكل سرور بحضور بليفين لأن بليفين أعطى الى أمير طرابلس أموالا طائلة في سبيل إتمام هذا الزواج ، حتى ليقال انهم وضعوا الآنسة في الميزان ووزنوها وأعطى الذهب الذي وزنته الى الأمير ، وأكثر من ذلك ، ومن أجل هذا المال الكبير ، أعطى الأمير ابنته الى بليفين ، ولم يعطها الى جيرارد .

وعندما رأى جيرارد دي ردفورت أن أمير طرابلس بصنيعه هذا قد رفضه وحرمه من الزواج بابنته غضب غضبا شديدا ، لأنه أعطاها – كما قال – الى رجل سافل ، ولهذا السبب عامل الفرنسيون الايطاليين بكل ازدراء ، فهذا الغني ماكان ليستفيد لو لم يكن سافلا ، فأكثر سكان إيطاليا عبيد وقراصنة أو تجار أو بحارة ، والفرنسيون فرسان ، لذلك احتقروا الايطاليين ، ولهذه الأسباب غضب جيرارد كثيرا من أمير طرابلس ثم سافر الى القدس ، وهناك أصابه مرض ولهذا التجأ الى بيت الداوية ، وبعدما توفي الأخ أرمانت صاحب قلعة الروج ومقدم الداوية ، انتخب رجال بيت الداوية الأخ جيرارد دي ردفورت مقدما ، وأثناء حادثة تتويج الملك غي ، عندما وضعت الملكة التاج على رأس الذي سيكون ملكا ، ساعد مقدم الداوية الملكة في وضع التاج على رأس البارون غي دي لوزنغنان ، وبعدما وضعته توجهت نحوه وقالت :« في هذا التاج سداد للبترون » ولقد كان هذا هو سبب البغضاء بين مقدم الداوية الأخ جيرارد رد فورت وأمير طرابلس .

بعد هذا استدعى الملك أمير طرابلس والبارونات ومقدم الداوية في المساء وتشاور معهم وسأل عما يرونه ، وأشار أمير طرابلس على الملك الا يتحرك من عند الينبوع حيث كانت اقامته والا يغيرها ، لأن

صلاح الدين كان لديه الكثير من الرجال والملك ليس لديه مايكفي من الرجال ليتمكن من التصادم معه ، وعليه البقاء حتى وأن هدم صلاح الدين طبرية أو استسلم من فيها له ، وسلم الملك والبارونات لصواب هذا الراي ، وجرى اقرار ذلك في سرادقه .

وبعد هزيع من الليل دخل مقدم الداوية على الملك وخاطبه بقوله : سيدي لاتثق بمشورة الكونت ريموند ، لأنه رجل خائن وأنت تعرف أكثر من سواك أنه لايحبك ، ويتمنى أن يلحق العار بك ، وأن تفقد المملكة ، ولهذا أشير عليك بأن تمضي من هنا ، فنحن معك ، ونحن نرى أن علينا التوجه نحو صلاح الدين لالحاق الهزيمة به ، وهذا بالاصل واجبك الأول الذي عليك القيام به ، طبعا بمشيئتك وحسب رغبتك ، وأعلم انك اذا لم ترحل من هذا الموقع ، فسيأتي صلاح الدين ويحاربك هنا ، واذا ماانسحبت من هذا الموقع خشية هجومه فسيلحق بك العار ، وسينصب لوم الناس عليك بشكل أعظم .

وعندما سمع الملك هذا أصدر أوامره بتحرك الجيش ، ولدى سماع بارونات الجيش بأنه أصدر الاوامر بالزحف توجهوا اليه ، وقد استولت عليهم الدهشة ، وخاطبوه بقولهم : أيها السيد ، لقد سلف أن وافقت معنا في اجتماعنا الأخير على قرار عدم التحرك من هنا ، فما الذي جعلك تصدر الأمر بتحرك الجيش ؟ فأجابهم بقوله : ليس من شأنكم توجيه مثل هذه الأسئلة ، ماعليكم سوى امتطاء خيولكم ، والتحرك حالا ودونما ابطاء نحو طبرية :

لقد كانوا رجال صدق واخلاص ، لهذا أطاعوا أوامر الملك التي أصدرها اليهم ، وليتهم لم يطيعوه ، فذلك كان أفضل للمسيحية ، وهنا أجد لزاما علي اخباركم بأمر عجيب حدث في ذلك اليوم ، فقد رفضت جميع حيوانات النقل والخيول في الجيش المسيحي شرب الماء من نبع صفورية وملامسته في اليوم والليلة قبل

الرحيل على الرغم من شدة الحر ، وظهر عليها الحزن الشديد كما ظهر على رجال الجيش الذين تحركوا وهم يبكون وينتحبون ، ولهذا تخلوا في اليوم التالي – أثناء العمل – عن أصحابهم لما لحق بهم من ضعف شديد ، وماتوا عطشا لانعدام الماء .

٣٥ – وعلي أيضا الا أغفل عن اخباركم بحادثة رهيبة نزلت برجالات الجيش ، مع أنها تبدو كأسطورة ، تحظر علينا الكنيسة المقدسة تصديق أمثالها والاعتقاد بصحتها : عندما انطلق الجيش من منطقة نبع صفورية ، وتجاوز الناصرة ، فكان على مسافة ميلين منها ، اجتاز سيرجانتية الجيش بامرأة مسلمة عجوز ممتطية حمارا ، واعتقد السيرجانتية بأنها عبدة آبقة ، فألقوا القبض عليها ، وتعرف عليها بعضهم وقال بأنها من الناصرة ، وسألها الجميع عن وجهتها في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، ولم تتمكن من تقديم جواب واضح لجميع الأسئلة ، فهددوها وتوعدوها ، فاعترفت اثر ذلك بأنها عبدة لأحد السوريين من أهالي الناصرة : فسألوها : الى أين أنت ذاهبة ؟ فأجابتهم بأنها ذاهبة الى صلاح الدين لتحصل على جائزة ، مقابل خدمة أدتها له ، فعرضوها لمزيد من العذاب الشديد ليعرفوا منها نوع الخدمة التي أدتها الى صلاح الدين ، فأخبرتهم أنها ساحرة ، وأنها نفثت سحرها على رجال الجيش لمدة ثلاثة أيام متوالية حيث دارت حولهم مرارا ، وألقت سحرها عليهم باسم الشيطان ليمنعهم من التحرك من مكان اقامتهم ، وقيدتهم بفن شيطاني ، حتى يتمكن صلاح الدين من قبضهم جميعا ، ولن يفلت أحد منهم من بين يديه ، ولقد كان حقا أن قلة من الفرسان هم الذين نجو من الموت أو الوقوع بالأسر ، ثم سألها الناس الذين وجدوها قائلين : هل تستطيعين الافراج عن الجنود الذين قيدتيهم ؟ فقالت : نعم اذا أرادوا العودة الى المكان الذي تحركوا منه ، وليس هناك من طريقة أخرى ، فاعتبروها محتالة ، لأنها مسلمة ، ثم لأنها اعترفت أنها ساحرة ، وبناء عليه قاموا بجمع كميات كبيرة من الأشواك والاعشاب الجافة ثم أوقدوا نارا عظيمة وألقوها فيها ، فقفزت منها

مرتين أو ثلاث مرات ، وكان هناك واحد من السيرجانتية وبيده بلطة هولندية ، فضربها ضربة عظيمة شطر بها رأسها شطرين ، وعندها القيت في النار فاحترقت ، وسمع صلاح الدين فيما بعد بقصتها فأسف أسفا شديدا لفقدانها ، ذلك أنها لو بقيت حية لفداها بمبلغ كبير من المال .

٣٦ ــ ولايستغربن احد هذا الخبر لأننا نجد في كتاب الموسويين (سفر العدد) قد كتب أنه عندما عبر بنو اسرائيل صحراء سيناء ودخلوا الى مآب التي كنا ندعوها من قبل الكرك ومونتريال (الكرك والشوبك) وكان اسم ملك هذه الأرض بالاق ، وخوفا من بني اسرائيل استعان هذا الملك بأناس آخرين من الأراضي المجاورة ، وبعث اليهم برجاله محملين بالأموال وأمرهم أن يذهبوا الى بلعام الساحر الذي كان مقيما بالرها فيما وراء الفرات ويعطوه هذا المال ويعدوه بأكثر إن جاء ليلعن بني اسرائيل ويسحرهم ، ووصل اليه الرسل وأعطوه رسالتهم والهدايا التي حملوها ، فأمرهم بأن يعودوا اليه فيما بعد ، ثم قام في الليل وقدم قربانا للرب حسب العادة ، فقال له في المنام دع هذا وامتنع عن لعن بني اسرائيل ، وبينما هو يسير على الطريق أغفل الأمر الذي أعطاه الرب اياه ، وأراد أن يلعن بني اسرائيل ، فأرسل مولانا ملاكا التقى به بالطريق وهو يحمل سيفا ، وعندما رأت أتانه الملاك حاملا سيفه خافت وحادت عن الطريق الى داخل الحقل ، وبدأ بلعام يبحث عن الأتان ليعيدها الى الطريق ، وعندما عادت الأتان الى الطريق الضيق الذي كان على حدود كرمة ، وكان الملاك ايضا أمامها حاملا سيفه ، وخافت الأتان خوفا شديدا فأوقعت صاحبها ، وعندما سقط كسرت رجله ، ثم فتح مولانا فم الأتان وجعلها تتكلم وتخاطب بلعام قائلة له : مولاي ألست أنا أتانك التي يجب أن تحافظ عليها ، فلماذا تضربني ؟ فقال لها : لو كان لدي سيف لقتلتك ، لهذا الكلام ، ففتح مولانا عينيه فرأى الملاك حالا ، وعند ذلك قال له الملاك : طريقكم هذا ضدي ، فأجابه : مولاي انني سأرجع وأعود الى الوراء اذا كان هذا يرضيك ؟ فأجابه

الملاك : كلا أريدك أن تمضي في ســــبيلك على أن تمتنع عن لعنة بني اسرائيل .

واستقبله بالاق بكل حفاوة وتشريف واقتاده الى جبل مرتفع حتى يستطيع رؤية بني اسرائيل فيتمكن من لعنهم بشكل جيد ، وعندمـــا توجه بلعام نحو بالاق قائلا : كيف يمكنني لعنة هؤلاء الذين باركهم الرب ، وعند ذلك تلا نبوءة سيدتنا مريم المبـــاركة وحـــكى عن ولادة يسوع المسيح بأنها ستكون على الشكل التالي : أنها ســـتولد مـــن نسل يعقوب ، وسيأتي رجل من بني اسرائيل ويهد أركان مآب .

وعندما عجز عن لعـــن بني اسرائيل وأن يتغلب عليهـــم بســـحره وبأعماله السيئة أشار عليه أن يختار أجمل بنات أرضه وأن يعـــطي لكل منهن كمية مـــن الخمـــر ويرســـلهن الى الحـــانة أو النزل لأن الاسرائيليين الذي يشـــتغلون فيه ســـيشاهدون جمـــــال الفتيات فسيأتون اليهن ويشربون الخمر معهن ، وهكذا سيأثمون فيغضبون الرب ، فيغضب عليهم « وهكذا يخطئون ويغضبون الرب فيغضـــب عليهـــم الرب ، واذا طـــردتموهن يعـــدن اليكم واعلمـــوا أنهن يهدمكن » ، لقد منع بذوا اسرائيل الفتيات ولكنهم شربوا الخمرة .

ولايستغربن أحد اذا ضاعت أرض القدس ، فقد اقترفوا خـــطايا كثيرة فيها وفي القدس بالذات حتى غضب الرب عليهم كثيرا ، وبذلك سهل عمل عبيد الشيطان فتقـــدموا للعمـــل بين صـــفوفهم فـــرموا بالبغضاء فيما بينهم فضاعت المملكة بذلك من بين أيديهم .

٣٧ ـ وسأحدثكم الآن عن انتخاب البـــطريرك هـــرقل الذي كان رئيسا لأساقفة قيسارية .

عندما مات البطريرك أمالرك ، جاء رئيس أســـاقفة صـــور الذي كان يخشى الرب كثيرا وطبعا يحبه وكان نائب البطريرك الى اساقفة الضريح المقدس ورهبانه وجمعهم ، ثم توجه اليهم بالقول : تعلمون

ان الرب أخذ أمانته بموت أبينا البطريرك ، وأنتم مكلفون بـانتخاب البطريرك الجديد ، وانصحكم بايمان الا تنتخبوا أحـدا مـن هـذا الطرف من البحر ، لانكم لن تستطيعوا ان تنتخبـوا مـن هنا كمـا تحبون ، ولذلك ستقع الخسائر على المملكة ، فـاما أن تنتخبـوني شخصيا ، أو تنتخبـوا هـرقل رئيس أسـاقفة قيسـارية ، واذا انتخبتموه وقدمتموه الى الملك سـيستقبله بـكل طيبـة خـاطر لأن أمه (أغنس دي كورتني) تحبه كثيرا ، وأنتم تعرفون كيف عينته رئيسا لأساقفة قيسارية ، وأنكم على معـرفة تـامة بحياتـه وكيف هي ، تماما كما أنا أعلم شخصيا ، واذا مارغبتهم بانتخاب واحد من وراء البحر ، أنا وسائر الاساقفة بالمملكة أنصحكم بـذلك بـكل طيبة خاطر ، واذا شككتم بما قلت وارتبم بالأمر لأنني أشرت عليكم هكذا ، اعلموا أنني قرأت في واحد من الكتـب : هـرقل قـد أحضر الصليب من بلاد الفرس ووضعه في القدس ، وهرقل سـيأخذه مـن القدس ولذلك سيفقد ، ولهذا السبب دعوتكم الى هذا الاجتماع .

ثم افترق رئيس اساقفة صور عن هؤلاء اساقفة الضريح المقدس ورهبانه ، وعندما أصبحوا لوحدهم ، عقدوا اجتماعا ، فرجتهم هنا أم الملك ان ينتخبوا المعـروف بـاسم هـرقل ، غير أنهـم لما كانوا مجتمعين قرروا انتخاب رئيس اساقفة صور وذلك بمـوافقة الجميع ودون ان يخالف أحد منهم ، ثم مـالبثوا أن اختـاروا كل مـن وليم رئيس اساقفة صور وهرقل رئيس اساقفة قيسـارية ليكون واحـد منهما بطريركا ، وقدموا بعد هذا الاسـمين الى الملك ، وقبـل الملك اللائحة بـكل سرور ، وهنا تـرجته أمـه أن يقـع اختياره على هرقل ، ويتخذه بطريركا ، وقبل الملك رجاء أمه ووافق على الاختيار الذي رفعه له أساقفة الضريح المقدس ورهبانه ، ولايمكن لأحـد أن يقول ان الملك لم يتلق اقتراحا مـن الاسـاقفة بشـأن تسـمية البطريرك ، وجرت العادة انه عندما يتولى أساقفة الضريح المقـدس اختيار البطريرك عليهم أن يقدموه الى الملك ، فاذا ما انتخبوا أحدا عند صلاة المساء يقدمون الاقتراح الى الملك فورا ، والملك يعـطيهم الجواب في الساعة الأولى من صباح اليوم التالي ، واذا اختاروه في

ساعات الصباح يرفعونه الى الملك حتى يعطي جوابه عند المساء وبصراحة يقال كان الملك موجودا أثناء الاجتماع لاختيار بطريرك القدس ، وهذا مالم أجد من يؤكده وما سمعت أحدا يتكلم أنه شهده ، اذا لم يكن للملك أي تأثير مباشر على الاجتماع لأنه كان يعرف جيدا أن أثره وتأثيره سيظهر عند اللزوم ، ومع ذلك قضت القاعدة بالاختيار بالقرعة فهذا ماوجد في الكتاب المقدس حيث يروى أنه عندما كان الرسل مجتمعين (أعمال الرسل : ١-١٥) في جبل صهيون بعد عيد العنصرة وذلك بعد موت يهوذا رشحوا اثنين هما يوسف العادل ومتى ، ووضعوا اختيار القرعة عليهما ، فوقعت القرعة على متى ، ولهذا السبب يقول الناس أساقفة الضريح المقدس يختارون والملك يجري القرعة ويوافق .

٣٨ ــ وسأحدثكم الآن واصفا حياة البطريرك هرقل ، وكيف غدا بطريركا ، فهو كان ذكيا ، أديبا ، وكان أيضا شخصا جميلا ، وكانت أغنس أم الملك المجذوم تحبه كثيرا ، والمحبة العظيمة التي كانت تكنها له جعلته رئيس كهنة القدس ثم رئيس أساقفة قيسارية وبعد هذا بطريركا ، كما تحدثت عن ذلك من قبل ، وكانت هناك زوجة أحد السادة في نابلس ، التي تبعد ثلاثة وعشرين ميلا عن القدس ، وتدعى باسك دي رفري ، وقد وقع البطريرك بحبها وهام ، حتى غالبا ما كان يأتي بها الى القدس حيث كانت تمكث لديه يوما أو أكثر ، وكان البطريرك يغدق عليها الأموال وعلى البارونات حتى جعلهم أغنياء ، وذلك بسبب أن البارونات كانوا متطابقين مع ارادة البطريرك ، وعندما مات زوج هذه المرأة ، لم تبق لوحدها ، لأن البطريرك أحضرها الى عنده ، واشترى لها ملكية كبيرة من الأرض ، وزرع لها فيها أشجار التفاح ، وكانت تروح دوما وهي مزينة بالذهب داخل مدينة القدس ، وكانت كل امرأة أجنبية أميرة أم غنية تقدم لها الذهب والأحجار الثمينة لتزين بها جسمها ، وكان الناس الذين يعرفونها يقولون عندما تمر من أمامهم . « هذه البطريركة ».

٣٩ ـ وفي احدى المرات ، بينما كان البطريرك والملك وبارونات المملكة في واحد من اجتماعات مجلسهم الذي اعتادوا على عقده في قصر البطريرك للبحث في مصالح البلاد وحاجات الشعب ، جاء واحد من الناس الى حيث كان مجمع الاسياد وصاح : « مولاي البطريرك معي لك أخبار جديدة سأقولها لك إذا سمحت لي على انفراد » ، وخيل للبطريرك والملك والبارونات الذين كانوا مجتمعين معا أنه يريد أن يقول للبطريرك أخبارا جديدة مفيدة للمسيحيه لأنهم كانوا يشعرون بالانزعاج عندما لا تأتيهم أخبار جديدة إلى القدس ، وذهب مع البطريرك ليقول له ما حمله من أخبار ، وعند ذلك قال له : هات ما عندك من أخبار جديدة ، عسى أن تكون مفيدة لنا ، فقال له : لقد أنجبت السيدة باسك دي رفري ابنة ، فقال له البطريرك : اسكت يا مجذون ولا تقل شيئا بعد ، ومن أجل هذه السيرة التي كان يعرفها عنه رئيس أساقفة صور ، قال ما سمعتوه من قبل الى اساقفة الضريح المقدس وكهنته ، ومع هذا تصرفوا على عكس ما نقل اليهم ، مع أن مولانا قد تعذب بسبب خطايا أهل القدس ومن أجلها .

وكان بعدما أصبح هرقل بطريركا أن قام يوم الخميس المقدس (١١٨٣) على جبل صهيون فحرم رئيس أساقفة صور ، بدون دعوة مثارة ضده أو حجة وبدون أن يستدعيه اليه ليستجوبه ، وقام رئيس الأساقفة المذكور بناء عليه بالشكوى الى روما ، وعندما كان على نية السفر الى روما ليمثل أمام البابا الكسندر(الثالث) بناء على طلبه ، وليشارك في المجمع المسكوني الذي كان سيعقده ، واستعد رئيس الاساقفة وتحرك ليسافر ، وهنا استأجر البطريرك كيماويا وأعطاه المال الكثير ليذهب الى رئيس الاساقفة وليم واستجاب المأجور وسممه .

وقام البطريرك بدوره بالسفر فعبر البحر وذهب الى مرسيليا ، ومن مرسيليا ذهب الى جلفادان (جيفودان) في بلاده ، وهنا عندما سمع البطريرك أن وليم رئيس أساقفة صور قد

مات ، عاد من بلاده ، وجاء الى القدس ، متظاهرا بذلك أنه لم يكن موجودا من قبل عند وقوع حادث التسمم ، ولنتذكر أن رجال الاكليروس أعطوا في كل عصر المثل الصالح لكن من أجل خطاياهم الآن غضب مولانا كثيرا ، غضب على الذين يسكنون مملكة القدس ، وطهر الأرض من الخطيئة ومن الذين أقترفوها ، وحدث أنه عندما أخذ صلاح الدين القدس ، وجد في المدينة رجالا مسنين ، يدعى أحدهم روبرت دي كودري ، وهو ممن كانوا مع غودفري دي بوليون اثناء احتلال القدس ، واسم الآخر فولتشر فويل ، وقد ولد بالقدس عندما احتلت للمرة الأولى ، كما وجد صلاح الدين رجالا مسنين آخرين فأشفق عليهم ، وأخبروه أنهم يودون البقاء في القدس وامضاء حياتهم فيها ، فأذن لهم بكل طيبة خاطر ، واوعز أن يعطوا العمل الذي يرغبونه مادامو على قيد الحياة وكذلك ما يكفيهم لعيشهم ، وهنالك أمضوا حياتهم .

٤٠ ــ ونعود الان لنحدثكم عن الملك غي وجيشه ، فقد تحركت قواته من موقعها قرب نبع الصفورية بقصد التوجه نحو طبرية ، ولكن ماأن ساروا قرابة مرحلة حتى جاءهم صلاح الدين فصدمهم من الأمام وأرسل بمقاتليه فتحاربوا معهم من الصباح حتى الظهيرة.

وكانت الحرارة شديدة ، ولم يستطع أحد تقديم المساعدة أو القدوم بها ، وأصيب الملك وجميع الناس الاخرين بالشرور والضياع إلى حد أنهم لميعرفوا ماالعمل ، وكانوا لايستطيعون التراجع لأن الخسائر ستكون فادحة .

وبناء عليه بعث إلى كونت طرابلس الذي كان في خط الدفاع الأول فسأله عن رأيه وماالذي ينبغي عمله ، فأجابه الكونت أنه لو سمع نصيحته بالمقام الأول كما يود سماعها الان ، لكان ذلك أعظم فائدة له ، ولأمكن انقاذ المسيحية ، ولكن الوقت تأخر الان كثيرا ولايمكنه أن يفكر بوسيلة مجدية أو مفيدة سوى التظاهر بالتوقف هنا ، وأن يقدم الملك على نصب خيمته هناك ، واخذ الملك بهذه النصيحة الفاسدة ، على عكس ماكان يفعله من قبل عندما كان يقدم له

النصائح الجيدة فلا يأخذ بها ، ولم يكن على هذا الجانب غير المسيحيين ، ولم يعارض المسلمون التوقف وكذلك فعل صلاح الدين .

٤١ ـ وبينما المسيحيون في خيامهم أمر صلاح الدين رجاله أن يجمعوا أشواكا واخشابا واشياء اخرى ليشعلوا فيها النيران ، واوقف المسلمون القتال مع قوات المسيحيين ، وبعدما نفذت أوامر صلاح الدين بحذافيرها ، وجاء الصباح أمر صلاح الدين باشعال النيران بين صفوف المسلمين وصفوف المسيحيين ، ونفذ الأمر بشدة ودون تقاعس ، واشتعلت النيران وكان الدخان المنبعث من النار كبيرا ، وعلى هذا كانوا علاوة على الأذى الصادر عن الدخان وحرارة النار متضايقين جدا أيضا من حرارة الشمس ، وفي هذه الاثناء أمر صلاح الدين بأن يجلبوا بقوافل الجمال بالمياه من بحيرة طبرية ، وافرغت المياه أمام المسيحيين الذين كانوا يتألمون كثيرا من شدة العطش .

وكانت قد حدثت حادثة غريبة شائنة لقوات المسيحيين يوم تمركزوا قرب نبع الصفورية الا وهي رفض الخيول الشرب من الماء في الليل ونهار اليوم التالي ، وهكذا أوشكوا على الموت لشدة العطش هم وفرسانهم .

وآنذاك جاء فارس الى الملك كان يدعى جيوفري دي فرانك ليوك وقال له : « مولاي حانت الساعة أن تسقط رؤوس السادة وتقص لحاهم جميعا » ، وكانت هذه احدى الوقائع التي حصلت لشدة بغض سكان هذه البلدة للملك غي والسادة ، فما أن أصبح غي ملكا أنشد أهل هذه البلدة أنشودة في القدس ، أزعجت كثيرا أهالي المملكة ، وتقول الانشودة :

على الرغم من البلديين
لدينا ملك من الوافدين
وجعلنا هذا البغض وهذا الحقد نفقد مملكة القدس

٤٢ ـ بعدما اندلعت النيران ، وارتفع الدخان الكثيف تقدم المسلمون وتسللوا بين صفوف المسيحيين ، وبدأوا يأسرون من المسيحيين بين الدخان ، وهكذا حتى طوروا عملهم فضربوا وقتلوا الرجال والشجعان من الفرسان ، وعندما رأى الملك ما أصبحت عليه حالة جنوده واتباعه عموما استدعى مقدم الداوية والأمير أرناط وسألهما : ما رأيكما وما العمل ، فأشارا عليه بمتابعة القتال ضد المسلمين ، فاستدعى أخاه ايمري (آمالرك ـ عموري) ليعطي أوامره لكتائبه بالحملة ففعل ذلك ، وكان أمير طرابلس في المقدمة ، يقود أول الكتائب ، وكان أول من حمل ريموند ابن أمير انطاكية وفرسان كتيبته ، وكان هناك في المقدمة أيضا أولاد سيدة طبرية وهم : هيو ، ووليم ورالف وأوتو ، وفي الوقت نفسه كان بالين دي ابلين والكونت جوسلين في ساقة القوات ، وبعدما انتظمت الكتائب واحتدم القتال واشتد ، تحرك خمسة من الفرسان من كتائب أمير طرابلس والتحقوا بقوات صلاح الدين ، وذهبوا اليه قالوا : « مولاي ما الذي تنتظره ، اذهب واستول على المسيحيين لأنهم جميعا في وضع ميؤوس منه » وعندما سمع هذا أمر كتائبه بالتقدم ، وتحرك هو الى الأمام نحو المسيحيين .

وعندما رأى الملك أن صلاح الدين قد زحف يريده ، وجه الأوامر الى كونت طرابلس بأن ينقض على المسلمين ، فهذا حق أسياد المملكة ، فعندما يكون الجنود مع أسيادهم على صاحب الأرض أن ينشب القتال ويبدأ المعركة ، وأن تكون كتائبه أول الكتائب ، وأول من يهاجم أول الأهداف ، ويتولى عند مدخل الأرض قيادة مقدمة الجيش ، وعند عودة الجيش يكون في الساقة ، ولهذا كان أمير طرابلس على رأس مقدمة القوات ، ذلك أن طبرية كانت تحت امرته ، وهكذا هاجم الأمير وكتيبته أول هدف المسلمين ، وكان ذلك الهدف أكبر كتائب المسلمين ، ففتح لهم المسلمون الطريق وسمحوا لهم بالمرور ، وعندما أصبحوا في وسطهم أطبقوا عليهم فلم يفلت من الحصار من فرسان الأمير غير قلة والأمير نفسه وأبناء سيدة طبرية

وريموند ابن أمير انطاكية ، ولم يجرؤ ريمـــوند أمير طـــرابلس على الذهاب الى طبرية التي كانت قـــريبة منه ، لانه رأى انهـــم خـــذلوا وهزموا ، وهكذا خشي من أن يحاصر هناك ، فيعرف صـــلاح الدين بمكانه فيأتي للقبض عليه ، ولهذا سافر مع قسم كبير من رفاقه الى مدينة صور .

لقد هزمت الكتائب المسيحية ، وكان وقتهـــا غضـــب الرب كبيرا على الجنود المسيحيين ، وذلك بسبب خطاياهم ، فقد هزمهم صلاح الدين بمدة ساعات قليلة ، فمنذ الساعة الثالثة بعد الظهـــر وحتـــى حلول المساء احتل صلاح ساحة القتال بأكملها وأسر الملك ، ومقدم الداوية والأمير أرناط والمركيز بـــونيفيس ، وايمـــري كافـــل المملكة ، وهمفري صـــاحب تيرون ، وهيو صـــاحب جبلة . وبليفين رئيس البترون ، وسادة آخرين كثـــر ، مـــع عدد كبير مـــن الفرسان ، وفي الحقيقة يطول الحديث اذا ما ذكرنا اســـم كل واحـــد ممن وقع في أسر صـــلاح الدين ، وضـــاع ايضـــا صـــليب الصلبوت ، وحدث في أيام هنري دي شامبين أن جـــاء واحـــد مـــن فرسان الهيكل اليه ، وقال له بأن كان حاضرا في معمعـــة الخـــذلان الكبرى ، وقام بتهريب صليب الصلبوت ، ويعـــرف جيدا أين هـــو مـــوجود ، وإذا ســـمح له ، بـــالذهاب الى ذلك المكان فســـيذهب لاحضاره ، وأعطاه الأمير هنري الأذن باحضاره ، وذهـــب وفتش عليه ليلا ونهارا فلم يجده ، فمن ثم عاد الى مدينة عكا .

وحلت هذه الكارثة بالمسيحيين في مكان اسمه قرني حطين قـــرب طبرية ، على بعد قرابة الثلاثة أميال منها ، وكانت في ســـنة ١١٨٧ لتجسيد يسوع المسيح وذلك في اليوم الرابع من حزيران ، وكان يوم السبت نهار عيد القدس مارتين لى بـــويلان ، وكان الجـــالس على الكرسي الرسولي في كنيسة روما البابا أوربان الثالث ، وأيضا أيام فريدريك (الأول بربروسا) امبراطور المانيا ، وأيضـــا أيام فيليب أوغسطس (ابن لويس السابع) ملك فرنسا ، وأيضـــا أيام هنري الثاني ملك انكلترا وأيام كيرساك امبراطور القسطنطينية .

وأثر هذا الخبر على المسيحيين وأحزنهم كثيرا ، وحز في نفوس المؤمنين بيسوع المسيح ، حتى أن البابا أوربان الذي كان في فراري مات متأثرا من الألم الذي حل به (ت ٢٠ تشرين أول ١١٨٧) وذلك اثر سماعه لهذا الخبر المؤلم ، وبعده كان غريغوري الذي كانت حياته كلها قداسة ، فقد بقي شهرا يشغل الكرسي الرسولي المقدس ، وقد توفي وانتقل الى رحمة الرب (انتخب في ٢١ تشرين أول ومات في ١٧ تشرين ثاني في ١١٨٧) وجاء بعد غريغوري كلمنت الثالث (١٩ تشرين ثاني ١١٨٧) واليه حمل جوسيه رئيس أساقفة صور هذا الخبر ، فهذا ما وجدته مكتوبا ومرويا من قبل .

٤٣ ـ وبعدما عاد صلاح الدين الى مخيمه وقد حقق النصر في المعركة ، شعر بفرح عظيم لأنه بالفعل نال نصراً كبيرا ، وما أن استقر في سرادقة حتى امر باحضار جميع الأسرى المسيحيين الذين اسروا في المعركة ، فأحضروا له اولا الملك ومقدم الداوية والأمير ارناط والمركيز بونيفيس ثم همفري صاحب البترون ثم ايمري كافل المملكة ، ثم هيو صاحب جبلة وعدد كبير آخر من الفرسان ، وعندما رآهم جميعا أمامه توجه بالخطاب الى الملك قائلا : انه يشعر بفرح عظيم ، وبفخر كبير لوقوع أسرى نبلاء من هذا القبيل تحت سلطته ، فيهم مثل ملك القدس ومقدم الداوية والبارونات الآخرين .

وعند ذلك امر بأن يجلب له شراب ملطف في كأس من ذهب ، وبعدما تذوقه قدمه للملك لكي يشرب ، وقال له :« اشرب حتى ترتوي » ذلك أن الملك كان يشعر بعطش شديد ، وشرب الملك ثم قدم الكأس الى الأمير أرناط ، ولم يقبل الأمير أرناط أن يشرب ، وعندما راى صلاح الدين أنه قدم الكأس الى الامير أرناط انزعج منه ، وعندئذ قال للأمير أرناط :« إشرب وإن كنت لن تشرب ثانية أبدا » فأجابه الأمير : إن شاء الرب لن أشرب من عندك ولن اكل. ثم سأل صلاح الدين الامير أرناط :« ياأمير أرناط ، في شريعتكم اذا اسرتوني ووضعتموني في سجنكم كما عملت أنا معكم

كيف تعاملونني ؟ فأجابه :« لئن أعانني الرب أقطع رأسك » ولأنه أجاب صلاح الدين بهذه القساوة وبهذا اللؤم تأثر صلاح الدين وغضب غضبا شديدا ، وقال له عند ذلك :« ياخنزير أنت في أسري وتجيبني بمثل هذه الرعونة » ؟! وكان ممسكا بيده سيفا فأدخله في جسمه ، وبادر الحراس الذين كانوا واقفين أمامه فقطعوا رأسه ، ثم أخذ صلاح الدين بعضا من دمه ودهن جسمه به ليعلم من كان هناك أنه ثأر منه ، ثم أمر أن يؤخذ رأسه الى دمشق ، وأن يطاف به في البلدان ليظهر الى المسلمين أن الأمير أساء اليه فلاقى عقابه الشديد .

٤٤ ـ ثم أمر صلاح الدين بحمل الملك والأسرى الآخرين الى دمشق ، هذا وعندما سمعت سيده طبرية أن الملك وقع بالأسر ، وأن المسيحيين قد هزموا ، اعتقدت أن زوجها وأولادها قد هلكوا في هذه المعمعة ، فكان أن أرسلت الى صلاح الدين تعرض عليه تسليم طبرية مقابل اعطائها الامان للذهاب إلى طرابلس ، واستجاب صلاح الدين بكل سرور ، وأرسل فاستولى على طبرية ، واقتاد السيدة وأهالي طبرية اليه بسلام .

وبعد مضي ثلاثة أيام على المعركة أمر صلاح الدين ابن أخيه الأمير الكبير الذي كان يدعى تقي الدين عمر والذي كان أميرا على حماة ، أمره أن يذهب حالا الى عكا ، ونفذ الامر وسافر فوصل الى مدخل المدينة ، وهكذا عندما وصل الى مكان عند مدخل عكا اسمه سفران ، بادر جوسلين الذي كان مقيما في عكا ، بعدما فر اليها اثر الهزيمة العظمى ومعه بالين دي ابلين قائد ساقة جيش المسيحيين ، فهذا أيضا فر الى هذه المدينة ، بادر عندما سمع أن القائد الكبير الامير تقي الدين قد جاء مسرعا الى عكا فاستدعى عددا من أهالي المدينة ، وتقرر بالتشاور معهم ارسال مفاتيح المدينة الى تقي الدين طالبا منه الامان حتى يسلم المدينة الى السلطان ، شرط منح أهالي المدينة رجالا ونساء الأمان مع أموالهم ، وكان الذي حمل المفاتيح الى تقي الدين مع عرض

الاستسلام واحدا من اهالي عكا اسمه بيبربرايس ، وعندما سمع السادة من بقية الشعب أن الأمير جوسلين قد سلم مفاتيح المدينة الى المسلمين ثاروا وغضبوا أشد الغضب ، ولكون المدينة سلمت بدون قتال رأى هؤلاء اشعال النار في جميع أرجاء المدينة على أن يسلموها الى المسلمين ، وهكذا ألقى بعض هؤلاء الناس النار في مدينة عكا ، ومهما يكن من أمر أرسل تقي الدين الأخبار الى صلاح الدين قائلا ان المملكة بأكملها صارت اليه ، وطلب منه القدوم لأن اهالي عكا سلموا اليه المدينة والمفاتيح بين يديه .

وعندما سمع صلاح الدين هذه الاخبار سر سرورا عظيما ، وجاء حالا لكنه لدى وصوله وجد النيران تشتعل بالمدينة ، فتوجه بالخطاب الى سكان المدينة بكل مودة ولطف ، وطلب منهم القدوم الى حضرته وأعطاهم الأمان ، وطلب منهم اطفاء النار واخبرهم انهم اذا أرادوا البقاء بالمدينة يمكنهم البقاء بأمان وسلام ، واستهدف ازالة الصراع بين المسيحيين و المسلمين ، وخبرهم انهم اذا لم يرغبوا البقاء فهو سيقودهم سالمين الى حيث يريدون الذهاب .

٤٥ ـ وعندما سمع أهالي عكا هذا الكلام أخذوا بالنصيحة واطفأوا النار وأرسل صلاح الدين رجاله فاستولوا على المدينة وابراجها وقلاعها ، واعطى مهلة بضعة أيام للذين كانوا في داخل المدينة حتى يستطيعوا أن يخرجوا نساءهم وأولادهم وامتعتهم ، وبعدما استولى صلاح الدين على مدينة عكا شحنها برجاله ، وسمح للناس الآخرين بالمغادرة وقادهم الى حيث أرادوا الذهاب ثم حاصر مدينة صور التي كان فيها بالين دي ابلين الذي كان يقود مؤخرة الجيش يوم المعركة ، فهو قد استقبل بعد فرارة في مدينة صور ، ولدى اقتراب صلاح الدين من صور توصل بالين الى صلاح الدين يرجوه ويتوسل اليه بأن يأذن له ويؤمنه ليذهب الى القدس حتى يجلب امراته (ماريا كومينوس أرملة الملك عموري واولادهم) ومن ثم ليذهب الى طرابلس ، وأجابه صلاح الدين

بقوله : انه معطيه الأمان بشكل سرور وأذن له بالذهاب الى القدس، شريطة أن يقسم اليمين في الدير على انجيل المسيحيين الا يبقى في القدس سوى ليلة واحدة ، وأن يغادرها في اليوم التالي ، وبعدما أقسم اليمين المطلوب مكنه صلاح الدين من الذهاب بأمان وسلام الى القدس .

وأدخل وصوله السرور كثيرا على قلوب أهل القدس مع البطريرك والسادة ، ونفذ بالين بعد وصوله الى القدس قسمه ، وأراد أن يغادر المدينة كما وعد صلاح الدين في الدير ، غير أن أهالي المدينة ذهبوا الى البطريرك وتوسلوا اليه باسم الرب في أن يحتفظ ببالين ويبقيه في المدينة لأنه لم يبق لهم مرشد أو حاكم غيره ، فهو يستطيع أن يرشدهم ويسوسهم ، وبعث البطريرك يسأل بالين ذلك ويطلب منه البقاء معهم فأجاب بالين البطريرك بأنه أقسم يمينا لصلاح الدين ، ولن يستطيع البقاء أبدا ، فقال له البطريرك لابأس ، ووعده بأن يحلله من هذا القسم الذي أداه لصالح الديانة المسيحية ، ووافق بالين على نصيحة البطريرك فتحلل من هذا القسم الذي أداه ومكث بالقدس حتى غادرها فيما بعد .

وبعد هذا الحدث ذهب صلاح الدين لالقاء الحصار على مدينة صور ، والذي حصل أنه واجه عند مدخل المدينة أمرا جديدا ، فقد وجدها محمية بشكل ممتاز بالجنود والناس والفرسان الذين فروا من المعركة ووجدوا الملاذ داخل هذه المدينة ، وعندما رأى أنه لن يستفيد شيئا ذهب وتحرك من هناك فقصد مدينة صيدا للاستيلاء عليها (٢٩ - تموز ١١٨٧) وبعد ذلك قصد بيروت (٦ آب ١١٨٧) فاستولى عليها ، ثم زحف نحو جبلة ، واقتاد معه (هيو) صاحبها الى مقابلة القلعة ، وجعله يتحدث الى رجاله ليعملوا على تخليصه من الأسر بتسليمها ، واصغى رجال الحامية في قلعة جبلة واستجابوا فأنقذوا سيدهم ، ومن هناك زحف صلاح الدين ضد طرابلس فوجدها محمية بشكل ممتاز فتجاوزها ، وذهب من هناك الى أرض جبيل

فاستولى على مدينة جبيل ثم على اللاذقية ثم على قلعة صهيون ثم على القصر الابيض (طرطوس) ثم على بغراس ثم على بكسرائيل ثم ذهب لحصار قلعة فرسان الداوية المعروفة باسم قلعة المرقب ، وكان في هذه القلعة فارس ولد في صور يدعى جوهان غالية وكان قد فرمن المملكة ، وجاء الى هذه القلعة لانه كان قد قتل سيده ، وعندما جاء الى صلاح الدين عفا عن ابن عمه ليعلمه استخدام السلاح وحمله وفق طرائق الفرنجة ، كما علمه طرائق المبارزة بشكل جيد جدا ، أما التابع الذي كان يحرس الفارس فأراد الحصول على السلاح ليعود به الى عند المسيحيين ، فحصل على ذلك بكل يسر وطيبة خاطر ، وذهب صلاح الدين بعد هذا الى منطقة حلب واصطحب معه الفارس وتابعه ، وتركهما في منطقة حلب ، واحيط جوهان غالية بالاكرام والتشريف والهبات ، فبعث برسالة الى فرسان الداوية في قلعة بغراس يخبرهم انهم اذا ارادوا الحصول على ماأخذه من صلاح الدين من سلاح عن طريق الشراء فهو على استعداد لبيعهم اياه بكل سرور في أي دير يريدون ، فبعد اعطائهم السلاح سيعود الى مملكة القدس ، وتجاوب معه رجالات الداوية ، كما وأعطاه المسلمون الطيبون الأمان والسلام ، وبعدما طمأنه رجال الداوية جاء اليهم مع تابعه ، ودخل الى أراضي المسيحيين ، وهنالك تجهز رجال الداوية وأخذ الداوية التابع واقتادوه الى القلعة .

٤٦ ـ بعدما هزم صلاح الدين المسيحيين وأسر الملك ، بدأت أخته تلح عليه لايجاد من يستطيع اعادة ابنه الظاهر من حلب وألح عليه كذلك تقي الدين من أجل إعادة ابنه وكان صلاح الدين يريد ذلك ايضا ، وذهب صلاح الدين ليحاصر كل من كان في القلعة ، وكان في داخلها ريذو صاحب صيدا وكان قد فر من المعركة والتجأ الى مدينة صور ، وبعث هذا بفارس الى صلاح الدين الذي كان يحاصر قلعة كوكب يقول له إنه يريد تسليم مدينة صور ، ويريد شاراته وأعلامه لتوضع فوق القلعة ، وعندما سمع صلاح الدين بهذه الأنباء فرح كثيرا ، وأعطى الشارات المطلوبة الى الفارس الذي جاء اليه وطلب

أن تسلم اليه المدينة حالا ونهب الفارس الى صور وسلم الشارات الى رينو صاحب صيدا وفكر هذا بالذي عليه ان يعمله وكان الرب لايريد ان تسلم صور الى المسلمين ، بل أراد الحفاظ عليها للمسيحيين ، وخاف رينو صاحب صيدا من وضع الشارات والرايات على القلعة لخوفه من أهل المدينة فأرسل كتابا الى صلاح الدين حيث كان يحاصر كوكب قائلا بأنه لايجرؤ على أن يضع الاعلام والشارات على قلعة صور ، اذا لم يأت هو بنفسه ، وأن عليه القدوم بسرعة اذا ماأراد الحصول على المدينة ، وماأن وصل الخبر الى صلاح الدين حتى تحرك وترك حصار قلعة كوكب ، وفيما هو في طريقه الى صور أرسل اليها الرب المركيز كونراد مونتفرات الذي كان في القسطنطينية منذ زمن طويل فاستولى على مدينة صور ، وحصنها ضد حملة صلاح الدين ، كما أنه طرد رينو صاحب صيدا من صور ، وأخذ الشارات والأعلام التي وجدها على القلعة فمزقها ورمى بها الى خارج القلعة ضد صلاح الدين ، وعند وصول صلاح الدين الى صور كان يتأمل في أن يجد رينو صاحب صيدا في انتظاره ليسلمها له ، فلم يجده أبدا ، بل على العكس وجد المدينة محمية بشكل جيد جدا ، فكان أن سافر من هناك لحصار قلعة عسقلان .

٤٧ ـ أنا سأحدثكم الآن عن قدوم الماركيز ، وكنت قد حدثتكم من قبل أن الماركيز كونراد قد تحرك من بلاده على نية القدوم الى القدس ليقوم بحجة ، لكن الايام رمته في مدينة القسطنطينية ، ثم كان أن أعطاه الامبراطور كيرساك أخته لتكون زوجة له ، وذلك لأنه قتل ليفرناس ، وقد هدده أهل ليفرناس بالقتل ، وكان كونراد نفسه شجاعا باسلا حتى أن الامبراطور ألكس (أقرأ : كيرساك) كان يخاف منه كثيرا ، وهكذا أراد أن تنتزع عينيه ، وعرفت زوجته ذلك فأخبرته لأنها كانت تحبه كثيرا ، وترجته في أن يحتاط لنفسه حتى لايصاب بأذى ، فما كان منه الا أن استدعى الفرسان الذين كان قد أحضرهم معه من بلاده ، وأطلعهم على الكلام الذي نقلته له زوجته ، وترجاهم وقال لهم : عندما ستذهبون لتحية

الامبراطور ، عليكم أن تطلبوا منه اننا يسمح لكم بموجبه بالذهاب الى القدس والقيام بالحج ، وأوصاهم الا يقبلوا من الامبراطور أي عطاء أو وعود سخية من أجل البقاء لأنهم لو قبلوا بالبقاء سيكونون تحت خطر الموت ، أو فقدان العيون .

وذهبوا في اليوم التالي لأداء التحية الى الامبراطور ، وكان بعدما أدوا التحية له أن طلبوا من الماركيز الأذن للذهاب لأداء الحج ، فترجاهم الماركيز للبقاء ، فأجابوه بالرفض وأنهم لن يمكثوا أكثر مما فعلوا أبدا ، وسمع الامبراطور من رسوله أنهم يطلبون اننا للذهاب والمغادرة فورا فترجاهم ووعدهم بالأموال الطائلة من أجل الحروب التي كان يقوم بها ، فأجابوه كلهم بالاجماع بأنهم لن يبقوا مطلقا ، ثم قال الماركيز للامبراطور بأنهم وعدوه ، وأقسموا له بالعودة اليه بعد تأديتهم الحج : وتلقى الامبراطور هذا الوعد بطيبة خاطر وسمح لهم بالسفر .

وكان لديه قطعة بحرية تابعة لأهالي بيزا ، تريد الذهاب الى سورية ، فطلب منهم نقلهم ، وزودهم الامبراطور باللحوم والمؤن وأعطاهم ايجار السفينة ، وأعطاهم الماركيز جميع الأموال التي كانت بحوزته في القسطنطينية ، وبينما كانت السفينة مستعدة للاقلاع ، كان الامبراطور قريبا من شاطىء البحر ، ولدى رؤية الماركيز السفينة جاهزة للسفر والبحر هادئا ، والوقت مناسبا للابحار وللسفينة للانطلاق قال للامبراطور :« مولاي نسيت حاجة علي أن أعطيها الى واحد من الفرسان ليذقلها الى والدي وابن عمي » فقال له الامبراطور :« اذهب بأمان الرب وقل له ماتريد » وركب الماركيز في أحد الزوارق وذهب الى السفينة ، وعندما صعد الى ظهرها سأل بحارته عما اذا كان الوقت مناسبا للتحرك ، فأجابوه بالايجاب ، فقال لهم ارفعوا أشرعتكم وأقلعوا فورا بمشيئة الرب ، وبالفعل حركوا أشرعتهم ، ومنحهم الرب الوقت الجيد المناسب ، فوصلوا الى سورية وجاءوا الى أمام مدينة عكا ، وبذلك نجا الماركيز من الامبراطور .

٤٨ ــ كان في ذلك الوقت ــ الذي وصلوا فيه الى أمام مدينة عكا ــ عادة في المدينة أن يقرع الناقوس ساعة وصول أحد من وراء البحار ، وأن تسير ناقة الى السفينة ، وعندما وصل الماركيز لم يسمع أبدا صوت الناقوس ، فألقى بزورق بالبحر ووضع فيه مجموعة من الرجال الأكثر حكمة في السفينة ، وأرسلهم الى السفينة ليسألوا وليستطلعوا سبب عدم قرع الناقوس ، وليعرفوا له ماهي الأخبار بالبلد ، ووصل الزورق الى أمام برج موسى ، وسألوا هناك الذين صدفوهم : لمن تعود الآن ملكية هذه المدينة ، فأجابوهم انها تعود الى صلاح الدين ، وقالوا لهم أيها الأخوة والأخوات أننا أتينا الى هنا بأمان صلاح الدين ، فقال لهم هؤلاء الرجال : ما كنا قدمنا الى هذه المدينة لو عرفنا أنها بحوزة المسلمين ، فقال لهم رجل من داخل البرج :« اذهبوا الى صور حيث سيأسركم مولاي صلاح الدين الذي استولى على صليبكم وأسر ملككم وأخذ جميع ممتلكات المسيحيين».

وعندما سمع الذين كانوا في الزورق هذا الكلام عادوا الى السفينة ، وأطلعوا الماركيز على هذا الخبر ، فتألم الماركيز لسماعه كثيرا ، ثم اقلعت السفينة من هناك الى أمام مدينة صور ، ولدى وصولهم اليها ابتهج المسيحيون الذين في المدينة كثيرا، وسروا لأن الرب أرسل اليهم السفينة في هذا الوقت وهم في أمس الحاجة اليها ، ثم بعث سكان المدينة من يستطلع لهم أمر السفينة وليعرف من كان على ظهرها ، وعندما عرفوا بأن الماركيز كونراد دي مونتفرات فيها ابتهجوا كثيرا .

وذهب عدد كبير من أهل المدينة اليه ورجوه بأن ينزل ويلتحق بهم ، وأن يأتي لانقاذ مدينة صور ، لأنه اذا لم يأت الرب وهو لانقاذ المدينة ، فحالما يغادر من هناك ويسافر سيسلموها الى المسلمين « لأن قوات صلاح الدين موجودة في المدينة » وعند ذلك استجاب المركيز لطلب أهل مدينة صور وقال :« أيها السادة انكم تقولون إنه اذا ما سافرت سوف تستسلم المدينة الى المسلمين

وسيخسرها المسيحيون ، اذا أردتـم ان تسـتقبلوني لكم سـيدا وأن تكون المدينة بحوزتي ، وتقسمون لي بأنه بعد وفاتي سيكون أولادي أسيادكم سأنزل عند رغبتكم وبعـون الرب سـأدافع عنهـا ضـد المسلمين ، وبعدما تفرق سكان المدينة ، وعلمـوا أن صـلاح الدين قادم للاستيلاء على المدينة ، نظـروا في عرض الماركيز الذي تجـرأ على التعهد بحكم المدينة والقيام بحمايتها ، وقـدروا حـق التقـدير ارادته الطيبة ، وأقسموا له ولخلفـائه مـن بعـده حسـبما طلب منهم ، واثر هذا نزل الماركيز الى اليابسة ، حيث استقبل بتشريف عظيم وبمسيرة كبرى الى داخل المدينة ، فاستولى حالا على المدينة وقلعتها والأبراج وذلك في الوقـت الذي لم يتجـرأ فيه ريذو صـاحب صـيدا الذي كان يريد تسـليم المدينة الى صـلاح الدين على الانتظار ، وركب في زورق وهرب الى طرابلس ، وغدا المركيز سـيد مدينة صور .

٤٩ ـ ومالما فرغ من انزال ماكان في السفن المحملة مـن مـؤن وأناس وصلوا الى صور واطمأن السكان فيها ، حتى وصل صـلاح الدين للاستيلاء على المدينة وفق مـاتم تـرتيبه مـع ريذو صـاحب صيدا ،وبعدما تمركز أمام المدينة خيل اليه أن المدينة ستفتح أبوابها لاستقباله ، لكنه وجد نفسه مزعوجا لأن المركيز ـ كما سمعتم من قبل ـ كان قد استولى على المدينة ، ووجد في القلعة بعضا من قوات شحنة صلاح الدين ، فاعتقلهم وحملهـم الى أعلى الأسـوار ، ثـم وقف مقابل تمركز صلاح الدين ، وألقى بهم نحـو الخنادق تحـديا لصلاح الدين ، ولدى مشاهدة صلاح الدين لهذا التحدي الذي جرى له حينما أوشك أن يستولي على المدينة أرسل الى دمشـق ليحضروا له الماركيز بونيفيس ، وعندما أحضر هذا الاخير جعله يتـكلم مـع المركيز الذي كان في المدينة ويسأله إن كان يريد أن يسـلم له صـور فيعيد له والده الذي أسره ، ويعـطيه كثيرا مـن المال ، فـأجابه الماركيز بأنه لن يعطيه أصغر حجر من صور من أجـل أبيه ،« ولكن اربطوه بوتد لأكون أول من يطلق سهما عليه لأنه شيخ طاعن بالسن ولاقيمة له أبـدا » وقـرب الماركيز الأب مـن أسـوار المدينة

فصرخ : « بني ياكونراد احرس المدينة بشكل جيد » وهنا أمسك كونراد قوسه وفوقه نحو أبيه وأطلق عليه ، وعندما سمع صلاح الدين بأنه أطلق على أبيه قال :« هذا مجرم شديد التوحش » .

وتخلى صلاح الدين عن متابعة حصار صور ، وقصد من هناك مدينة قيسارية فاستولى على أرسوف ثم على يافا (في شهر تموز ١١٨٧) وذهب من هناك لمحاصرة عسقلان ولم يستطع الاستيلاء عليها بالسهولة التي توقعها ، لأنها كانت مدينة محصنة وقوية ، فأرسل الى دمشق فأحضر له الملك غي ، وعندما حضر الى أمام عسقلان قال له :« أيها الملك اذا سلمتني مدينة عسقلان ، أعدك بأن أطلق سراحك وأدعك تذهب سالما » فأجابه الملك بأنه سيتكلم مع رجاله ، ولدى اقترابه من أسوار المدينة استدعى اليه رجال المدينة لانه لم يكن فيها ولا فارس ، وقال لهم :« ايها السادة ، قال لي صلاح الدين اذا سلمته هذه المدينة سيدعني أذهب سالما ، وهذا بالطبع ليس بالعمل الجيد ، وليس مناسبا قطعا أن تسلم هذه المدينة الجميلة من أجل رجل ، واذا علمتم انكم تستطيعون متابعة الدفاع عن عسقلان في سبيل المسيحية ومن أجلها فافعلوا ولاتسلموها ، واذا رأيتم أنكم لن تستطيعوا المحافظة عليها ، أرجوكم أن تسلموها وتحرروني من الاسر » واجتمع أعيان المدينة ، ورجالاتها وتشاوروا فيما بينهم فراوا انهم لن يستطيعوا المحافظة على المدينة، ولا أمل لهم حيث لن تأتيهم نجدة من جهة ما ، ولو أنهم علموا أن نجدة ما ستأتيهم لكانوا استمروا بالمحافظة عليها ، وكان الرأي أن يسلموها ، وينقذوا حياتهم أفضل من ان يجوعوا ويؤخذوا بالقوة ، وهكذا سلموها الى صلاح الدين الذي وفى لهم بوعوده ، فحفظ حياتهم ومعهم نساءهم وأولادهم وأموالهم وأوصلهم الى أرض المسيحيين ، ثم أفرج عن الملك ، فتحرر من سجن صلاح الدين ، وجرى آنذاك اختيار ايمري كافل المملكة ، مقدما لفرسان الداوية وهو أخو الملك ، واتخذ الملك لنفسه أحد الفرسان كاتبا ، وأعطى الفروسية الى واحد من

السريان ، وكان صلاح الدين قد أبقى الملك محتجزا لديه حتى نهاية آذار ، ثم أن عسقلان استسلمت في نهاية آب (١١٨٧) وبعدما حصل صلاح الدين على عسقلان أرسل الملك ليقيم في نابلس وبعث الى الملكة لتذهب الى نابلس وتقيم مع زوجها هناك ، فهو لم يرغب في بقائها في القدس عندما سيذهب لمحاصرتها ، وعندما وصلت الرسالة الى الملكة وسمعت بها ذهبت الى نابلس لتقيم مع الملك ، وظلت هناك حتى استولى صلاح الدين على القدس .

وفي اليوم الذي استسلمت فيه عسقلان الى صلاح الدين عاد اليه من القدس الوفد الذي ارسله الى أهلها يعرض عليهم شروط الاستسلام ، وكان اليوم يوم جمعة عندما تحرك ، وكانت الشمس قد مالت الى الغروب حتى بدا أنه قد حل الظلام ، ولدى وصوله الى مشارف القدس بعث الى رجالات المدينة يقول : انكم تعلمون باستيلائي على كل الأرض باستثناء القدس ، فاذا سلمتموها لي فحسنا تصنعون (لقد نسيت أن أقول لكم أنه في اليوم الذي استسلمت فيه عسقلان الى صلاح الدين سلمت اليه جميع القلاع المجاورة) ورد سادة القدس على صلاح الدين بقولهم : بمشيئة الرب لن يسلموه المدينة ، فقال لهم صلاح الدين :« قولوا لي مالذي تودون صنعه اذن أعتقد ان القدس بيت الرب ، وايمانكم هو ايماننا ، وسوف لن أحاصر بيت الرب ، ولن أضع فيه النار اذا استوليت عليه بالسلم والمحبة ، أريد أن أتسلمه بطيبة خاطر ، وسوف أعلمكم مالذي سأصنعه معكم ، سأقدم لكم ألف مساعدة ومساعدة مقابل تخليكم عن القدس وسأعطيكم الحرية لتذهبوا حول القدس الى حيث تودون ، واذا أردتم الحصول على أي بضائع أو مؤن من أي مكان في الأرض ، لن تحصلوا من أي سوق على الذي سأعطيكم اياه ، وسأمنحكم الآن هدنة من اليوم حتى عيد العنصرة ، وفي هذا الوقت اذا حصلتم على مساعدة لتحموا أنفسكم مني افعلوا ، واذا لم تحصلوا على أي مساعدة وتعيدون المدينة الي سأقتادكم أنتم وأموالكم بسلام الى أرض المسيحيين . فردوا عليه : بمشيئة الرب لن يسلموا المدينة

المسلمين ، وانهم لن يسلموا المكان الذي سفك فيه المخلص دمه من أجل خلاصهم فلهذا السبب جاء ٠

وعندما سمع صلاح الدين الجواب وراه ، أقسم أنه لن يأخذها بالتسليم ولكنه سيأخذها بالقوة ، وهنا طلب بالين دي ابلين أن يعطى له الأمان ولامرأته ولأولاده ليذهبوا الى طرابلس ، وأعلن أنه لن يستطيع البقاء في القدس والمحافظة عليها ، وأرسل له صلاح الدين فارسا اقتادهم الى طرابلس ، وبذلك استولى على جميع ممتلكات مملكة القدس باستثناء صور والكرك والشوبك .

٥٠ ـ وغادر صلاح الدين عسقلان بقصد حصار القدس يوم الخميس مساء (١٧ ـ ايلول ١١٨٧) وبدأ بحصارها صباح الجمعة من جهة باب داود حتى باب القديس ايتين ، وفيما هو مقيم الحصار عليها أرسل الى سكان القدس يطالبهم بتسليم المدينة ، ويعرض عليهم ماوعدهم به أمام عسقلان ، وأنه على استعداد لتنفيذ وعوده بكل طيبة خاطر ، وهنا أدرك أهالي القدس بشكل جيد أنهم اذا لم يسلموا المدينة له سيشدد الحصار عليها ، وسوف لن يمنحهم الأمان وسيستولي عليها بالقوة لأنه أقسم يمينا أنه سيفعل ذلك .

وبعث سكان المدينة الى صلاح الدين يقولون مهما تفعل من خير أو شر لن نسلمك المدينة أبدا ، وحينئذ سلح صلاح الدين رجاله لحصار القدس ، وخرج المسيحيون منها وقاتلوا ضد المسلمين ، ولم تدم المعركة طويلا لأن شمس الصباح بهرت عيون المسلمين فانسحبوا الى الوراء ، وانتظروا حتى الزوال ، وعند حلول المساء بدأوا الهجوم وحاصروها طوال الليل ، وهكذا بقي صلاح الدين أياما يحاصر القدس ، وليس من ضعف أو خوف لم يستطع المسلمون الاستيلاء بالقوة على المدينة وقهر المسيحيين فيها ، فهؤلاء كانوا دوما يشتبكون بالمسلمين خارج الأبواب خلال النهار وكانوا يصدونهم الى الوراء حتى خيمهم وأماكن

اقامتهم ، ولم يستطع المسيحيون بدورهم اصابة المسلمين بالسلاح أو القذائف ، وقد تسألون كيف حاصر المسلمون المدينة وحاربوا أهلها ، انهم لم يحاربوهم الا بعد مرور فترة الصباح ، عندما تغدوا الشمس وراء ظهورهم وفي وجوه المسيحيين ، وعند ذلك كانوا يحاصرونهم حتى الليل ، وهكذا اعتاد المسلمون أن يفعلوا وتولوا قذف المدينة بالمواد المشتعلة والمتفجرة ، كانوا يقذفون بقذائفهم نحو الأعلى ، وبذلك كان المسيحيون يتلقون منذ الزوال المواد المشتعلة والمتفجرة مع أشعة الشمس في وجوههم .

٥١ – وعندما رأى صلاح الدين أنه لم يستطع قهر المسيحيين من هذه الجهة نقل حصارة وحول قواته من باب القديس ايتين حتى جبل الزيتون ، لأن الذي يقف على جبل الزيتون يمكنه أن يرى كل مايجري داخل القدس ، وبذلك لايستطيع أحد الخروج أو الهرب أبدا من باب القديس ايتين حتى باب يهوشافاط حيث تشدد الحصار ، لذلك لم يبق باب يستطيع ان يخرج منه من هم داخل المدينة لمحاصرة المسلمين ، وذلك باستثناء باب مادلين الذي ترك مفتوحا للمرور بين الأسوار وداخلها ، وفي اليوم الذي تحرك فيه صلاح الدين من باب داود وجاء الى باب القديس ايتين ، في ذلك اليوم أرسل جيشه للانقضاض على أسوار المدينة ، كما وأرسل في الليل عددا كبيرا من الجنود والرجال المسلحين ، وبذلك انقضوا بشدة واندفعوا نحو اسوار المدينة ، وعندما جاء الصباح ، سلح صلاح الدين رجاله وألبسهم الخوذ ، ودفعهم للهجوم ومن ورائهم النبالة الذين حملوا القسي ، وانهمر النشاب كالمطر ، حتى أنه لم يوجد بين المسيحيين في المدينة رجل شجاع أو قوي تجرأ على أن يرفع اصبعه فوق الأسوار ، وكان المسلمون قد حفروا نفقا تحت السور ، ثم لغموا الحفرة ، وفي الصباح صبوا على الأخشاب الزيت ثم أضرموا النيران ، وهكذا سقط السور ، ولم يتمكن المسيحيون من الحيلولة دون اللغم كما وعجزوا عن المقاومة ضد هجمات المسلمين ، فقد خافوا من ضربهم بالاسلحة أو اصابتهم بالقذائف وشعروا أنهم لن يستطيعوا متابعة المقاومة .

٥٢ ـ وتكلم صلاح الدين أثناء حصاره للقدس بكل لباقة ، وظل يفعل ذلك لدى مخاطبته السكان وكان بلدوين دي ابلين عندما سافر من مملكة القدس ترك ابنه الذي يدعى توماسن تحت رعاية أخيه بالين ، وكان له طفل آخر اسمه وليم من ابنة ريموند صاحب جبلة وعندما سمع والدهما أن صلاح الدين قد حاصر القدس أرسل يتوسل اليه أن يطلق سراح ولديه اللذان هما في المدينة حتى لايقعا في الاسر وفي الحال أرسل صلاح الدين الى بالين الذي كان مقيما في القدس أن يبعث اليه ابن أخيه توماسن وابن أخيه بلدوين ووليم ابن ابنة ريموند صاحب جبلة ، وعندما عرف بالين بما رغب به وأراده بعث بهم بكل طيبة خاطر ، وعندما جلب الطفلان إلى حضرة صلاح الدين استقبلهما بكل احترام بما يليق بهما كأبناء أناس أشراف ، وخلع عليهما الالبسة وأعطاهما مالا ، وأمر أن يجلس أحدهما على ركبته اليمنى و الآخر على ركبته اليسرى ثم أخذ يبكي بحنان وعندما سأله بعض قادته عن سبب بكائه قال مجيبا :لا أحد يتعجب أو يستغرب لأن كل شيء في هذا العصر اخذ وعطاء ، أو دين وسداد ، واقول لكم لماذا بكيت ، لانني كما أعامل أولاد الآخرين سيعاملون أطفالي بعد وفاتي ، وأضيف لكم مثلما أعامل الأجانب وكل من هو ضد سلطتي ، وأخي سيف الدين ، الذي سيحافظ على أولادي بعد وفاتي سيعاملهم أيضا بالمثل ، وكانت نبوءة صحيحة ، لانه كما قال عاملهم سيف الدين

٥٣ ـ بسبب رغبة صلاح الدين في الاستيلاء على مدينة القدس سليمة ، لم يشدد عليها الحصار ليلا ونهارا بدون استراحة ، مع أن الذين كانوا داخل المدينة كانوا يشعرون بالانزعاج كما وكانوا قد هدهم الارهاق من العمل المتواصل وعندما تيقن هؤلاء انهم لن يستطيعوا الاستمرار بالدفاع طويلا ، اجتمع وقتها مسيحيو المدينة وأخذوا يتداولون حول أفضل السبل ، ويبحثون عن أفضل المخارج لما هم فيه ، ثم توجهوا الى البطريرك والى بالين دي ابلين وقالوا لهما بأنهم يريدون الخروج ليلا من المدينة والانقضاض على المسلمين ، لانهم يفضلون الموت بشرف في المعركة على أن يؤخذوا

أسرى في المدينة ، وأيقنوا أن استمرارهم بالدفاع لن يجدي شيئا ، وفضلوا أن يموتوا حيث تألم يسوع المسيح من أجلهم ومات ، واثروا ذلك أن يسلموا المدينة ووافق الفرسان وأعيان المدينة على هذا الرأي ، أما البطريرك فقد رأى عكس الذي رأوه حيث قال :أيها السادة أريد هذا الذي تريدون جيدا ، فهو التصرف الذي يعجبني ، ولكن يوجد شيء آخر ، فنحن اذا تخلصنا وأخذنا معنا كل مايمكننا من سلاح سيكون ذلك أفضل لنا.ان هذا الذي أراه شخصيا ، لان لكل رجل في هذه المدينة زوجة وأطفال ، واذا متنا كلنا يأخذ المسلمون النساء والأطفال ، وهم لن يقتلونهم ، بل سيرغمونهم على ترك الايمان بيسوع المسيح ، وكلهم بذلك سوف يخسرهم الرب ، والانسب أن نتوسل الى صلاح الدين بوساطة أحدنا حتى نتمكن من الخروج جميعا من المدينة والذهاب الى بلاد المسيحيين ، وهذا عندي الرأي الافضل من أن نذهب الى الحرب لاننا لن نستطيع أن ننقذ منهم النساء والأطفال »

ووافق الجميع على هذا الرأي ، وقدموا الرجاء الى بالين دي ابلين ليذهب الى صلاح الدين ليتفق معه على السلام الذي يريدون أن يقيموه معه ، ونهب بالين هذا الى صلاح الدين وتكلم معه حول هذا الموضوع ، وبينما هو في حضرة صلاح الدين انقض المسلمون على المدينة وقربوا بعض السلالم الى أسوار المدينة ، وبعدما اسندوها الى الاسوار صعدوا عليها حيث مهدوا السبيل لدخول المدينة ، ورفعوا أعلام صلاح الدين على أسوار المدينة .

وعندما رأى صلاح الدين أعلامه ورجاله وحاشيته فوق أسوار المدينة قال لبالين :« لماذا تطلب مني التباحث بشأن تسليم المدينة واعقد معكم الصلح ؟ انظر فهاهم رجالي واعواني فوق أسوار المدينة لقد تأخرت ، ان المدينة أصبحت لي ، ان الفقراء والحجاج وعلماء دين محمد (صلى الله عليه وسلم) سيحرجونني وسيلحون علي الا أثق بكم ، وهذا وقت الثأر للذين سفكت دماؤهم في شوارع القدس وفي الهيكل والانتقام لدماء المسلمين التي سفكها غودفري».

وفي تلك الساعة التي كان الحديث يجري على هذه الصورة سارع مولانا فأمد المسيحيين بالقوة والنصر على المسلمين الذين كانوا فوق الاسوار ، فألقوا بهم على أرض الخندق ثم طردوهم الى خارج الخندق ، وهنا خجل صلاح الدين وتألم كثيرا ، وطلب من بالين أن يعود الى المدينة دون أن يعمل شيئا .

وعند الصباح عاد بالين اليه ، فسمع كلامه بكل سرور ، وعند ذلك توسل اليه بالين وقال مخاطبا اياه : مولاي ، أحمد الرب على كل حال لأن سكان المدينة يئسوا من حياتهم وهم يتسابقون أحدهم أمام الآخر مدافعين لئلا يؤخذوا بالقوة ان مذبحة كبيرة ستقع اذا ما استطعتم أخذ المدينة بالقوة كما تعتقدون .

٥٤ ـ وأحدثكم انه وقع هجوم هائل من المسلمين أضر بأهالي المدينة وأخافهم كثيرا ، وكل الذين كانوا في الداخل والخارج استبد بهم الرعب ، وكان كل منهم يصرخ ويصيح « خيانة خيانة » واعتقد الذين كانوا في داخل المدينة أن المسلمين قد دخلوا الى المدينة ، وأن المسيحيين قد هوجموا وحوصروا .

وسأحدثكم الآن عما صنعه نساء القدس ، لقد أخذن أطباقا ، ووضعنها في الساحة أمام جبل الجلجلة ، وملأنها بالغذاء البارد ، ثم وضعن أطفالهن في الداخل وقطعن لهم قطعا والقين بها بعيدا عنهن ، وسار الرهبان والأساقفة والراهبات جميعا حفاة الى أعلى الاسوار في موكب ، وكان الاساقفة يحملون القربان المقدس على رؤوسهم ، بيد أن مولانا أمر الا يسمح لا لصلاة ولا لصياح ولاحتى توسل بالدخول الى المدينة ، لأن القذارة العامة وروائح الانتان والخطيئة ضد الطبيعة لم تسمح بارتفاع الصلاة الى عند الرب ، فقد كان الرب غاضبا غضبا شديدا على شعب هذه المدينة ، وهكذا لم يبق فيها ولا رجل ولا امرأة سوى الاناس المسنين الذين لم يعيشوا طويلا .

٥٥ ـ ونحدثكم عما حدث بعد ذلك ، ففي هذا الجو الرهيب والرعب الشديد ذهب بالين دي ابلين الى صلاح الدين واعلمه أن المسيحيين على استعداد لتسليمه المدينة مقابل الحفاظ على حياتهم ، فأجابه صلاح الدين لقد جئت متأخرا :« لانني عندما أردت ذلك وقدمت لهم أفضل الشروط اذا سلموا لي المدينة ، رفضوا القبول بما تقدمت به اليهم وعرضته عليهم ، وعند ذلك أقسمت بعدما رفض هذا العرض انني لن أتصالح معهم مطلقا ، بل سأقهرهم بالقوة ، والآن اذا أرادوا أن يستسلموا لرحمتي فسأعاملهم بارادتي كعبيد وقعوا بالأسر ، والا فلا » .

وعند ذلك جاء اليه بالين وقال له بصوت مرتفع : شكرا ، من أجل الرب أشفق عليهم ، وحينئذ أجاب صلاح الدين ورد على بالين بقوله :« محبة لله ولك سأقول لك ما سأصنعه ، سأشفق عليهم بطريقة ما حتى أبر بقسمي وأنفذه ، انهم سيستسلمون لي كأنهم أخذوا بالقوة ، وسأترك لهم أثاثهم وأموالهم طبقا لارادتي ، وسأزج بهم في سجني ، وكل من يستطيع أو يريد أن يفدي نفسه سأدعه يذهب بعد دفع فدية حرب ، والذي ليس لديه اي شيء يدفعه أو لايريد أن يفتدي نفسه سيظل في سجني وكأنه أخذ بالقوة » وعند ذلك قال له بالين : « مولاي ماهي قيمة الفدية »؟ فأجابه صلاح الدين قائلا : ستكون قيمة الفدية متساوية للفقراء كما هي للأغنياء ، مع اعفاء النساء والأطفال ، أما الذي لن يستطيع دفع الفدية سيكون عبدا » فأجابه بالين قائلا :« مولاي لايوجد في هذه المدينة سوى القليل من الناس الذين يستطيعون دفع الفدية ، لأن المدينة مكتظة بأعداد كبيرة من الذين جاءوا اليها من جوارها ، فكيف لهؤلاء الاستطاعة في هذه الحالة التعويض عن أنفسهم » ؟ فقال له صلاح الدين : تدبر الامر وتشاور معهم وتعال الي بالغد ، واستأذنه بالين ورجع الى المدينة ، والتقى بالبطريرك واستدعى ايضا جميع السادة ، ليقول لهم الذي وجده ، وعندما سمعوا ذلك غضبوا غضبا شديدا من أجل شعب المدينة .

ثم اجتمعوا اليه واخبروه بوجود مبلغ معتبر في مقر الفرسان الاسبتارية جاء من ملك انكلترا ، واذا ماتمكنوا من الحصول على المال من بيت الاسبتارية ليفدو به قسما من الشعب سيكون ذلك عملا جيدا ، لأن الملك غي أخذ المال الذي في بيت الداوية ، وانفقه على الناس الذين جندهم معه ، ولقد هلك هؤلاء جميعا وفقدوا الصليب المقدس ، واذا ماأمكن الحصول على هذا المال من الاسبتارية فسيكون انفاقه افضل بكثير من انفاق مال الداوية ، وبناء عليه اجتمع البطريرك مع بالين واستدعيا اليهما رجال الاسبتارية وقالا لهم :« نريد مال ملك انكلترا الموجود في بيتكم لنفدي به العديد من شعب المدينة بقدر مانستطيع ويرضى صلاح الدين ، واجابهم الاسبتاري الذي التقى بهم بأنه سيتشاور مع اخوته ، فأجاباه بأن سكان المدينة ينتظرون نتيجة التشاور ، ومعرفة فيما اذا كان هؤلاء سيدفعون المال لفدية الفقراء والمسيحيين ، وتشاور الاسبتاري مع الفرسان في بيتهم ، وقال الفرسان بما أن المال يخصهم فبودهم أن يفتدوا به الفقراء ، ثم عاد الاسبتاري الى البطريرك والآخرين وقال لهم : ان الاسبتارية يرغبون في تسليم مال ملك انكلترا اليهم لفداء الفقراء ، وبناء عليه توجهوا بالرجاء الى بالين ليذهب الى صلاح الدين ويعقد معه أفضل صفقة ممكنة وليدفع له ، وهكذا توجه بالين الى صلاح الدين وسط جيش المسلمين وسلم على صلاح الدين ، فسألة صلاح الدين : مالذي جاء بك ولماذا جئت وماذا تطلب ؟ فقال : انه جاء ينشد لطفه ورحمته وتنفيذ وعده من اجل الذين ترجاه ، فقال صلاح الدين انه سيكتفي بأخذ ما هو في بيت الاسبتارية ، واذا لم يكن في هذا البيت شيئا فلن يأخذ شيئا ابدا

« لأن المدينة وكل ما فيها ملكي » فأجابه بالين : حمدا للرب يا مولاي ، سير رجالك الى فقراء المدينة وسأعمل ما في وسعي كي يدفعوا لكم الفدية » فقال صلاح الدين من أجل الله من قبل ومن أجله من بعد تقرر عليهم الفدية بقدر ما يستطيعون بحيث يدفع الرجل القادر عشر قطع نقدية ، وتدفع المراة خمس قطع ويدفع الطفل قطعة واحدة ، وسيجري تسديد هذه المبالغ عند أبواب المدينة

أثناء المغادرة ، وعند ذلك يتم احضار الرجال والنساء والأطفال ويتم طلب الفدية من الذين يستطيعون دفعها ، ويبحثوا فيما اذا كان لديهم أثاث أو متاع يمكنهم بيعه أو أخذه معهم دون أن يسبب أية اساءة أو ضرر لهم .

وبعدما هيأ على هذه الصورة مسألة فديتهم قال بالين لصلاح الدين : « مولاي اذا أخذنا الفدية من الذين هم لديهم القدرة على الدفع ، لن يبق في المدينة أحد يستطيع دفع فدية رجل واحد ، فمن أجل الرب خفض الفدية وحددها وسأطلب أنا من البطريرك ومن الداوية والاسبتارية دفع فدية الفقراء» وبناء عليه أجابه صلاح الدين انه سيستجيب لطلبه بكل طيبة خاطر ، وأنه أنقص قيمة الفدية وحددها بدينار بيزنطي واحد ، من دفعه سمح له بالذهاب ، وحينئذ قال بالين : « مولاي إن الذين يستطيعون دفع الفدية يفرج عنهم ويسمح لهم بالمغادرة ، ولم يبق سوى المبلغ الذي تطلبه من الفقراء » فأجابه صلاح الدين انه لن يتصرف خلاف ذلك ، وارتأى عند ذلك بالين أن من المستحسن الا تدفع المبالغ دفعة واحدة ولكن على أقساط ، فلعله سيحصل على مساعدة الرب لتأمين الدفعة الأخيرة ، ثم سأل صلاح الدين عن عدد الرجال الذين سيفرج عنهم ، فقال له صلاح الدين ، كل رجل مقابل دينار بيزنطي ، فقال له بالين :« مولاي ، بحق الرب ، اجعل ذلك مقابله ». ثم تحدث بالين مع صلاح الدين عن عدد الرجال القادرين ثم احصيا عدد النساء والشيوخ والأطفال من مختلف الأعمار .

٥٦ ـ وبعدما تم الاتفاق ، أعطاهم صلاح الدين أربعين يوما ليبيعوا أغراضهم أو يرهنوها ومن ثم يدفعون الفدية ، وأنه من وجد بعد ذلك سيكون هو وماله لصلاح الدين ، ووعدهم صلاح الدين أنهم عندما يصبحون خارج المدينة سيرسلهم بأمان الى بلاد المسيحيين ، وقال لبالين من كان لديه سلاح فليحمله للدفاع عن الذات أثناء الطريق ، وبعدما أبرم اتفاق السلام طلب بالين الأذن

من صلاح الدين وقال له : « مولاي سأذهب الى المدينة واذا وافقوا على شروطكم ومطاليبكم سأحضر لكم المفاتيح ».

ومن ثم ذهب بالين الى المدينة ، ومضى الى البطريرك حيث جرى استدعاء رجالات الداوية والاسبتارية وأعيان المدينة وسادتها ، ليستمعوا الى موضوع السلام الذي حققه ، ويروا فيما اذا كان يوافقهم ، فقالوا بعدما شرح لهم جلية الأمر :« اذا لم يتوفر ما هو أفضل من هذا ، ولا يمكن القيام بعمل آخر فليكن ذلك ، وهكذا كان بعدما شرح لهم كل شيء وبين لهم طبيعة مفاوضاته مع صلاح الدين ، أخذوا مفاتيح الأبواب وأحضروها الى صلاح الدين ، وبعدما حصل صلاح الدين على المفاتيح سر سرورا عظيما وشكر مولاه (الله) و(صلى على) محمد (صلى الله عليه وسلم) وأرسل شحنة من الجند من الفرسان والرجالة الى برج داود ، وأمر الا يسمح لمسيحي واحد بالمغادرة وذلك من أجل دفع الفدية ، ودخل المسلمون الى المدينة لشراء الاغراض التي كان المسيحيون يريدون بيعها ، وكان اليوم الذي سلمت فيه القدس الى صلاح الدين يوم جمعة ، وصادف ذلك الثاني من تشرين الأول .

٥٧ ــ زين صلاح الدين البرج وأبواب المدينة ، وما أن فرغ من ذلك ، نادى في المدينة بأن يحمل سكانها فديتهم الى برج داود ، حتى يدفعوها الى رجاله وكتابه الذين وضعهم لاستلام الفدية ، والا ينتظروا الأيام تمضي ، فكل ما يوجد فيما بعد من رجال ومال سيكون حقا لصلاح الدين ، وذهب البطريرك وبالين الى بيت الاسبتارية وأخذا المال ، ونقلاه الى برج داود لدفع فدية المسيحيين الفقراء ، وبعد دفع أموال الفدية استدعيا البارونات والسادة من كل شارع ومن كل منطقة ، وجعلوهم يقسمون الأيمان باسم القديسين ليعترفوا بألا يوفروا أحدا من رجل أو امرأة سواء من الأصدقاء أو الأهل الا ويحلفوهم بالقديسين ليعترف كل منهم بما يملك ، وألا يأخذوا معهمْ إلا ما يكفيهم للذهاب الى بلاد المسيحيين ، وبعدما نفذوا هذا وجدوا أنفسهم أنهم ما عادوا يستطيعون التعويض عن

الفقراء ، ولقد سجلوا اسماء الفقراء كل حسب الشارع الذي يقطنه ، وحسب حالته المادية ، فبعضهم كان افضل حالا من بعضهم الآخر ، واختلف عدد الفقراء بين شارع وآخر ، وإثر ذلك وضع خارج المدينة الذين جرى التعويض عنهم ، وانقطع الاتصال بين هؤلاء والذين تخلفوا في المدينة ، ثم اجتمع البطريرك وباليان وأرسلا الى القائمين على بيتي الداوية والاسبتارية والى السادة ، وتوجها اليهم بالرجاء — من أجل الرب — للاجتماع بالناس الفقراء الذين لم يتمكنوا من الخروج من القدس لتقديم المساعدات اليهم ، وقدم بيتا الداوية والاسبتارية بعض المساعدات ، ولكنهما لم يدفعا مايكفي وما توجب عليهما ، ثم إن الداوية والاسبتارية لم يخافوا أبدا من أن يؤخذ منهم بالقوة ما كانوا يملكون لأن صلاح الدين أكد لهم الامان ، ولو أنهم ظنوا أنهم سيعاملون بقسوة لكانوا قد دفعوا أكثر مما أعطوا ، ومع الذي أخذ من الفقراء الذين خرجوا دفع سادة القدس المزيد من أموالهم وعوضوا عن الناس الفقراء ، ولا أقدر أن أذكر لكم تعداد هؤلاء ، لكن سأحدثكم عن صلاح الدين وأصف لكم كيف حافظ على مدينة القدس ، وحرص الا يساء الى أحد المسيحيين الذين كانوا في المدينة ، من قبل المسلمين ، فقد وضع في كل شارع عددا من الفرسان والجنود للقيام بحراسة المدينة ، وبالفعل حرسوها بشكل جيد ، ولم يسمح أحد بأي اساءة قام بها رجل مسلم ضد أي مسيحي ، خاصة اذا ذكرنا ان المسيحيين كانوا يخرجون من القدس ويسكنون امام جنود المسلمين ، ولم يحدث أن أصيب أحدهم من أحد بسهم ، فقد أمر صلاح الدين جنوده بحراسة المسيحيين ليلا ونهارا لئلا يعتدى عليهم ، أو يزعجهم أحد اللصوص .

وعندما خرج من المدينة الذين أمكن التعويض عنهم ، بقي فيها الذين لم يعوض عنهم وكان هؤلاء الذين ظلوا في المدينة من الفقراء وكان عددهم كبيرا جدا ، وقال حينذاك سيف الدين لأخيه صلاح الدين : « مولاي لقد ساعدتك في الاستيلاء على الأرض وعلى مدينة القدس ، أرجوك أن تمنحني عددا من هؤلاء الفقراء في القدس

أتخذهم عبيدا لي » فسأله صلاح الدين ماذا سيصنع بهم ، فأجابه بأنه سيتصرف بهم وفق ارادته ، وبناء عليه أمر صلاح الدين اتباعه باعطائه ما اراده عبيدا ، ونفذ هؤلاء الاتباع أوامر صلاح الدين على الفور ، وقام سيف الدين اثر ذلك في اطلاق سراحهم جميعا وتركهم يذهبون بأمان الله ، واثر ذلك جاء البطريرك وبالين الى صلاح الدين ورجواه باسم الرب ، أن يطلق سراح الذين لم يستطيعوا دفع الفدية ، وقالا له :لقد اطلقت لنا عددا من رجال الاسبتارية والداوية والسادة وغيرهم ، فلو اطلقت لنا اكثر منهم لما كان هناك خسارة واضرار ، فالتفت صلاح الدين نحو رجاله وقال : بودي أن أتصدق واحسن مثلما فعل أخوتي والبطريك وبالين ثم أمر صلاح الدين أتباعه في القدس أن يفتحوا مخرجا خلفيا أمام دير القديس لارد ، وأن يوضع هناك بعض الجنود ليقفوا عند هذا الباب ، كما وأمر المنادي بالنداء بالمدينة بأن يخرج الناس الفقراء من المدينة ، ثم أمر اتباعه أن يوعزوا الى الجنود عند باب داود ليفتشوا في السجون عن كل من يستطيع أن يدفع الفدية لاخراجهم ، وكان في السجون أعداد كبيرة من الشباب والشابات ، ثم أخرج المسنين الى خارج القدس ، ودامت هذه العملية من شروق الشمس حتى غروبها ، وخرج من المنفذ الذي اعد خصيصا جميع الفقراء الذين تصدق عليهم صلاح الدين ، وكانوا كثرة لم يعرف لذلك أحد عددهم .

ثم أوقف السماح بخروج الفقراء الذين بقيوا هناك ، وأقول لكم : لم يكن هذا اجراءا سيئا ، فقد مشى رجل مع عدد كبير آخر من الفقراء ، وكان يحمل جرة كبيرة من الخمر على كتفيه وقد ربطها بعصاه ، ولم يكن هناك بين الحشد ولا واحد من المسلمين ، بل الذي وجد عدد كبير من رجال الاكليروس ومن الرهبان مع الذين يدعون الحجاج ، وكان هؤلاء يشربون فيما بينهم كثيرا من الخمرة ، مع أننا نعد ذلك اسرافا ، ورأى واحد من الجنود هذا المشهد وظن أن الجرة كانت مليئة بالخمرة فقال : « أما آن أن يذهب هؤلاء الخنازير ونتخلص منهم ومن خمرهم ، أعاننا الله على

تنظيف المدينة منهم » ثم ضرب الجرة بعصا كان يمسكها فأفرغ ما كان بها ، واذا هو مال كثير ، فدهش الجنود والمسلمون كثيرا ، وأعلموا صلاح الدين أن المسيحيين كانوا يحملون الأموال ، ولم يرغبوا ابدا في دفع الفدية عن الفقراء ، وبناء عليه أوقف صلاح الدين الخروج من المدينة ، ولم يعد يسمح لأحد بالذهاب دون دفع ألفدية ، وهذه الحادثة رواها لي واحد ممن بقي في المدينة ، وحدثت أيضا أنه عندما علم البطريرك وباليان ببقاء عدد كبير في الاسرى ، مثلا أمام صلاح الدين وقالا له : « مولاي من أجل الرب ضعنا نحن الاثنين في السجن ، ودع هؤلاء الفقراء يذهبون ، وسنبقى رهينة في سجنك حتى نرسل واحدا ليجمع لك الفدية » لكن صلاح الدين رفض أن يضع أحد في السجن أما الذين كان قد أسرهم فلم يرغب بالحديث عنهم لاطلاق سراحهم ، ولهذا مكث بعض الناس طويلا أسرى في سجن صلاح الدين .

٥٨ ـ وأحدثكم الآن عن الصنيع الطيب والمجاملة الرائعة التي قام بها صلاح الدين نحو سيدات القدس من نساء الفرسان وبناتهم ، الفرسان الذين ماتوا أو أسروا في المعركة ، فقد هربن الى القدس ، وبعدما دفعت فديتهن وخرجن من القدس ، ذهبن الى صلاح الدين وشكرنه بأعلى صوت ، وعندما رآهن صلاح الدين سأل عنهن وماذا يطلبن فقيل له انهن نساء وبنات الفرسان الذين ماتوا أو أسروا في المعركة ،وسأل ماذا يردن فقيل له انهن يردن أن يشفق عليهن ، وأن يطلق في سبيل الله من في أسره من أزواجهن وآبائهن ، فقد فقدوا الآن الأرض ، ويسألنه من أجل الله أن يجتمع بهم ليساعدهن ، وعندما رآهم صلاح الدين يبكين ، أشفق عليهن كثيرا وقال لهن انه سيبحث عن رجالهن وسيطلق سراحهم جميعا ، وبالفعل جرى التفتيش وأطلق صلاح الدين سراح كل الذين كانوا في سجنه ، وبعد ذلك أمر أن يعطى للسيدات والفتيات اللواتي توفي اباؤهن أو أزواجهم في المعركة كفاية كل واحدة منهن من المال ، وهكذا دفع لواحدة خلاف الاخرى أقل أو أكثر حسب

وضعهن ، ولقد أعطين بقدر ما توسلن الله مالا وشرفا أولاهن اياه صلاح الدين .

وبعدما أخرج جميع المسيحيين من القدس ، تجمع الذين خرجوا من فقراء وأغنياء في الجهة المقابلة لجيش المسلمين ، وأصيب المسلمون بالذهول لدى رؤيتهم للحشد الهائل من الشعب الذي تجمع هناك ، وهكذا اعلموا صلاح الدين أن عدد الشعب الذي خرج من المدينة كان كبيرا جدا ، بحيث لا يمكن أن يسافروا كلهم معا .

٥٩ ــ وأمر صلاح الدين أن يوزعوا على ثلاثة أقسام ، فأخذ الداوية قسما منهم ، وأخذ الاسبتارية قسما آخر ، ثم أخذ البطريرك وباليان الثلث المتبقي ، وعندما أخذ كل قسمه ، كلف صلاح الدين بعضا من فرسانه أن يقتادوهم بسلام وأمان الى أراضي المسيحيين . وسأحدثكم كيف اقتادوهم : سار بعض الفرسان أمامهم في المقدمة وسار بعضهم الآخر من خلفهم ، وكان الذين يسيرون في المقدمة يتوقفون عندما ينامون لاعطاء العلف لخيولهم ، وتراهم بعد العشاء جميعا قد حملوا اسلحتهم وامتطوا ظهور خيولهم ، وهم يطوفون طوال الليل بين المسيحيين وحولهم حتى لا يهاجمهم أحد اللصوص ، وأما الفرسان الذين كانوا يسيرون في المؤخرة ، فكانوا عندما يرون رجلا أو امرأة أو طفلا لا يستطيعون السير يترجلون عن ظهور خيولهم ، ويسيرون على الأقدام ويحملون هؤلاء حتى أماكن الاستراحة وكثيرا ما كانوا أنفسهم يضعون على ظهور خيولهم من أمامهم أو خلفهم الأطفال ، وعندما كانوا يصلون الى محطات التوقف ، كانوا يتناولون طعامهم وينامون ، واعتاد الذين يسيرون هذا اليوم في المقدمة على السير غدا في المؤخرة ، ويتقدم الذين في المؤخرة الى الأمام ، وجرت عادتهم لدى وصولهم الى ممر ضيق أو موضع ريبة وخوف ، أنهم كانوا يسلحون بعض المسيحيين ، ويعطوهم بعض الأسلحة التي يحملونها بغية حراسة الممر الضيق حتى يعبر الجميع ، ولدى التوقف كان بائعو اللحوم في الأرض يجلبون اللحوم

بكثرة حتى أن المسيحيين أقاموا لذلك سوقا كبيرا ، وبالنسبة للقسمين الاولين اللذان عادا الى أرض المسيحيين ، كان أول من وصل مقدم الداوية ومعه قسمه ، ثم تلاه مقدم الاسبتارية ، وجاء بعد ذلك البطريرك وبالين لانهما فكرا في اقناع صلاح الدين بتوسلاتهما ليطلق سراح الأسرى الذين بقيوا في المدينة ، وقد أخفقا في اقناعه ٠

٦٠ — على هذه الصورة جرى اقتياد المسيحيين الى أرض طرابلس ، وبعدما عبروا أراضي كافل المملكة دخلوا الى أراضي صاحب البترون وهونين ، وأمر ريذو صاحب هونين بجمع جنوده وأوقفهم في مكان محدد من أرضه حيث أمرهم بتقديم المساعدات الى الناس بقدرما يستطيعون ثم استقبل بقية أهل القدس الذين تركهم صلاح الدين .

من الذي يستطيع وصف البكاء والآلام أو رواية أخبار هذه المحنة الحزينة التي عانت منها مدينة القدس المقدسة ، هذه المدينة التي كانت تدعى سيدة المدن جميعا أصبحت الآن خادمة وتابعة ، هذه التي كان ينبغي ان تحكم بجدارة باتت محكومة .

وأساء صاحب هونين معاملة الذين التجأوا اليه ، فذهبوا الى طرابلس ، ظانين أنهم سيستقبلون بشكل لائق داخل طرابلس و لكن كونت طرابلس أمر باقفال أبواب طرابلس في وجوههم ، والا يسمح بدخول اي شخص اليها ، ثم بعث رجاله الى قلعة كوكب ، فأخذ هؤلاء سادة القدس وأغنيائها وعاملوهم معاملة سيئة ، ولا بد هنا من الاقرار ان اهالي طرابلس وهونين عاملوا أهل القدس أسوأ معاملة ، وبما أن المساعدة أمر يجب الاقرار به لم تكن معاملة أهل طرابلس وهونين مثل معاملة المسلمين لأن المسلمين كما سمعتم من قبل اقتادوهم بأمان وقدموا لهم مساعدات كبرى ، بينما أساء هؤلاء معاملتهم ولم يستقبلوهم واقتص المولى من صاحب هونين ، لأجل ما اقترفه من آثام ، اقتص منه في حياته

حيث فقد بصره ، وخسرت أخــواته أزواجهــن وهــن أحياء ، ولم يخلفه أحد لا هو ولا أخواته من بعده ، وحصــل القصــاص نفســه ونزل ليس فقط بأهالي هونين بـل بـكل المتآمـرين والذين يعملون الشر ، وذهب فقراء أهل القدس الى أنطاكية ودخــل بعضــهم الى الأراضي البيزنطية ، وبقي قسم منهم أمام مدينة طرابلس ، وذهــب سكان قادس وعسقلان مع قسم من أهالي القدس الى الاســكندرية حيث أحسن استقبالهم في أراضي المسلمين ، بينما الذين ذهبوا الى طرابلس لم تحسن معاملتهم هناك .

وعندمــا جــاء هؤلاء الى أرض الاســكندرية ، اســتقبلهم والي الاسكندرية استقبالا جيدا ، فوضع حرسا بينهم وحافظ عليهم ليلا ونهارا ، واستمر يعاملهم بمثل هذه المعاملة الطيبة وبحمايتهم طيلة الشتاء ، فقد مكثوا هناك حتى شهر آذار ، حيث ذهبوا اثر ذلك الى أرض المسيحيين فيما وراء البحار .

٦١ ــ وأحدثكم الآن عما كان يقوم به المسلمون في الاســكندرية كل يوم ، كان أعيان المدينة يخرجون فيقــدمون الهــدايا والأعطيات الكبيرة الى المسيحيين وكانت من الخبــز والخمــر والمال ، ثــم إن أغنياء المسيحيين الذين كانوا يملكون الأموال قاموا فــاستخدموهم كسلعة فربحوا منهم ربحا كبيرا عندما عبروا البحر .

وأروي لكم الآن خبر المخاطرة الكبيرة التي تعرضوا لها ، فقــد ذهبوا الى ميناء مدينة الاسكندرية ، ووقفوا أمــام أهــالي : بيزا والبندقية وجنوى وقوم آخرين ، فقد كان يعقد لهؤلاء في شــهر آذار سوق كبير للعبور ، وعندما جاء شهر آذار استقبلوا هناك ، ثم قام مقدموهم بالذهاب الى والي الاسكندرية ليسددوا ماعليهم من حقوق وطلبوا منه أن يعطيهم حكام هؤلاء وقــادتهم ، حتــى عندمــا يحين الوقت يستطيعون الذهاب معهم ، فقال لهم : انه لن يحرر حكامهم اذ لم يتسلموا الفقراء منهم ، فأجابوا بأنهم لن يتسلموا الفقراء لأن القوانين لاتسمح لهم بــذلك ، وليس لديهــم مســاعدات ليقــدموها

لهم ، فقال لرجاله :« مـــاذا تـــرون ان نعمـــل ومـــاذا تريدون ؟ » فقالوا :« نقيدهم » ثم توجه هذا الوالي بالخطاب اليهم قائلا :« غريب أمـركم الا تفـكرون ، هـل تـريدونهم أن يهلكوا ويصبحوا عبيدا للمسلمين بخرق الأمان الذي أعطـاهم اياه صـلاح الدين ؟ هذا لن يكون ، خذوهم معكم ، وسأخبركم ماالذي سأعمله للمحافظة على الأمـان ، سـأعطيهم الخبـز والمسـاعدات الكافية ، وتتسلموهم أنتم وتصبحوا مسؤولين عنهم ، وبخلاف ذلك لن تستطيعوا الحصول على حكامكم ».

وعندما رأى اصحاب السفن أن لامناص أمامهم ، سمحوا لهـم بالصعود الى ظهر السـفن ، ولقـد كان الوالي حـكيما وكان يخشى الله ، هل تعلم ماالذي قاله هـذا المسـلم للسـادة وقبـاطنة السفن :« تقدموا وأقسموا لي على انجيلكم بأنكم ستنقلونهم نقـلا جيدا وستعاملونهم بكرامة حتى يصلوا الى مرسى السـلام في أرض المسيحيين ، وأن تضعوهم حيث تضعون الأغنياء وألا تسيئوا اليهم أو تزعجوهم ، واذا سمعت يوما من الايام أنكم أسأتم معاملتهم أو أزعجتموهم سأضايق تجـار بـلادكم الذين يأتـون الى هـذا البلد » وهكذا ذهب المسيحيون الذين أمضوا الشتاء في الاسـكندرية بسلام الى بلادهم عبر أرض مصر .

٦٢ ـ وسـأحدثكم الآن عن الذي صـنعه صـلاح الدين عندمـا استولى على القدس ، إنه لم يغادر المدينة قبل أن يصلي في المسـجد الاقصى ، فقد بعث فجلب أخته التي أسرها وغصبها نفسـها الامير ارناط حتى تصلي معه في المسـجد الاقصى ، ليقـدما الشـكر لله وليصليا على محمد(صـلى الله وعليه وسـلم) لعـظيم الشرف الذي اولاه اياه الله ، وعندما سمعت هذا النداء حملت الجمال بـالهدايا والمساعدات ، وتحركت للقدوم الى القدس .

وقبل ان يدخل صلاح الدين واخته الى المسـجد الاقصى ، عمـلا على تنظيف هذا المسجد وتخليقه بالعطور ، وامر رجال الاكليروس

والاساقفة بالعودة الى الكنائس التي قد انتهكت ، ذلك ان المسلمين قالوا : لاخنزير ولارجل يأكل الخنزير يجوز ان يدخل الى هذا المسجد ، الذي اوقفه صلاح الدين على عبادة الله : وتوجه عدد من المسلمين الى الضريح المقدس ، وانزلوا الصليب الذي كان فوقه ، وبعدما حطمه المسلمون سحبوه الى باب داود ، وتعالى قبل ذلك وبعده صراخ ضد المسيحيين ، ويقول بعض الناس بأنه نقل الى الكرك اثر استيلاء صلاح الدين عليه ، ويقول اخرون : انه حطم فوق المسجد الاقصى ، وامر صلاح الدين بغسل المسجد الاقصى بالعطور التي احضرت من دمشق ، ثم دخل الى المسجد الاقصى ، فصلى وشكر الله على منحه السيادة على بيته المقدس ، وبعدما خرج من القدس ذهب الى طبرية ، ثم مر من امام قلعة كان يسيطر عليها مقدم الاسبتارية واسمها شقيف ارنون ، فاستردها ثم جاء الى صفد التي كان يحكمها مقدم الداوية ، وكان الداوية بداخلها فاستسلموا له ، وبعدما ان استولى على جميع المدن والقلاع التي كانت على ضفتي نهر الاردن ذهب لمحاصرة قلعة الكرك ، وكان مقدرا ومعتقدا انه حين يصل اليها ستستسلم له ، وكان بداخلها اناس طيبون كانوا لايريدون ان يصيبهم العار ، ولاان يسببوا الضرر للمسيحيين ، فقاموا ودافعوا بكل قواهم ، وبينما كانوا يدافعون عن انفسهم اكلوا الكلاب والهررة وكل مافي القلعة من حيوانات ، وحاصرهم صلاح الدين وشدد عليهم الحصار ، لكنه كان يفكر بصور لانه اراد ان يستولي عليها ، وحاصر ايضا قلعة الشوبك التي تقع على مسافة خمسة وثلاثين ميلا من الكرك ، وتقع الشوبك في بلادأدوم بينما تقع الكرك في بلاد مآب ، وعانى المسيحيون من الحصار الى حد ان نساءهم واولادهم جاءوا يستجدون الخبز من المسلمين ، وفقد سكان الشوبك ابصارهم ولم يعودوا قادرين على النظر لانهم عانوا من قلة الغذاء والمواد المغذية التي انعدمت من بينهم ، ولم يرغبوا بمغادرة القلعة ، وانتظروا ودافعوا بالايام علّ الرب يرسل لهم النجدة ، وعرض عليهم صلاح الدين مرارا وتكرارا الاموال الطائلة ووعدهم بان يقودهم سالمين الى ارض المسيحيين فلم يقبلوا .

وتخلى صلاح الدين عن قيادة الحصار ، ولم يتابع الوقوف امام القلاع ، وذهب إلى دمشق ، وهناك جهز اسلحته وجيشه وذهب الي صور ، وارسل الى مصر فاحضر سفنه البحرية وحاصر صور برا وبحرا ، واحضر ابا الماركيز الذي كان في سجنه قرب صور ، كما احضر قسما كبيرا من سكان القدس ، وجعلهم يعبرون امام صور ، وكان امامهم فرقة من جنوده واستهدف ان يراهم الماركيز مع مسيحيي صور حتى يرتعدوا ويخافوا فيسلموه صور في اقرب وقت ، غير ان الماركيز ، المسيطر على المدينة ، لم يرتعد ولم يخف مما رآه .

٦٣ ـ وطلب صلاح الدين من الماركيز ان يتمعن ويتفكر جيدا كيف انه استولى على القدس ، واسر والده ورماه بالسجن ، واعلمه انه لو رغب في تسليم صور لاعاد اليه والده واعطاه مالا كثيرا ، فاجابه الماركيز سيعمل ويبذل كل جهده من خير وشر ولن يعيد له ابدا صور اذا اراد الرب ، وسيدافع عنها بعون الرب .

وعندما سمع صلاح الدين هذا الكلام امر قادة البحر ان يحاصروا مدينة صور ، ويشددوا الحصار عليها حتى لايستطيع احد ان يخرج منها او يدخل اليها ، وامر ان يوجه الى اهل صور الانذار بالتسليم ، فوجهوا اليهم عدة انذارات ليلا ونهارا ، لكنهم لم يلحقوا ضررا بسكان المدينة ، حيث لم يمض النهار حتى انقض المسيحيون على المسلمين بمساعدة فارس من اسبانيا كان في صور واسمه شانجه مارتين ، كان يحمل سلاحا اخضر ، وعندما خرج هذا الفارس استنفر المسلمون جميعا لينظروا الى هندامه الجميل ، وكان اهالي صور يسمونه الفارس الاخضر ، وكان يحمل قرون غزلان وضعها على ثيابه ، قد احضرها له كثير من الناس .

وصنع الماركيز مراكب مغلفة بالجلد في داخلها نوافذ جلس امامها جنود الدفاع ، وكانت هذه المراكب خفيفة جدا تقاد بسهولة الى

الشاطىء ، والحق هؤلاء الجنود اضرارا بالغة بالمسلمين ، ذلك ان المراكب الاخرى لم تستطع الاقتراب منهم .

وعندما رأى الماركيز انه قد حوصر من البحر والبر سلح مركبا واخرجه من صور ليلا وبصمت ، وبعث به الى امير طرابلس يطلب منه المساعدة بالرجال والعتاد ، وماان سمع امير طرابلس هذا الخبر حتى جهز سفنه الحربية ووضع داخلها الفرسان والعتاد وامرهم بالذهاب الى صور ، لكن عندما وصلوا الى قرب صور ، لم يشأ الرب ان يدخلوا الى المدينة ، فقد بعث بريح عاصف مما ارغمهم جميعا على العودة الى طرابلس دون احداث اية اضرار .

وعندما رأى الماركيز انه لم يستطع الحصول على النجدة من احد ، توسل الى الرب ان يرشده ويساعده في حماية صور ومداومة السيطرة عليها ، وساعده الرب ، فقد روي انه حدث مايلي : قام واحد من امراء المسلمين ، وكان ابن قائد الاسطول بالفرار من والده بعدما غضب منه ، فهرب من جيش المسلمين ودخل الى مدينةصور ، وقد جعله الماركيز يصير مسيحيا ، وسأحدثكم الان عن الذي فعله الماركيز : عندما كان هذا الامير في احدى القاعات الكبيرة داخل مدينة صور ، كتب الماركيز بوساطة هذا الذي تحول الى المسيحية رسائل الى صلاح الدين ، بعث فيها بتحياته الى مولاه صلاح الدين وكتب اليه يفيده بما علمه عما كان يحصل داخل مدينة صور ، واخبره ان المسيحيين يعدون الان العدة للهرب من المدينة بحرا ، وانه إذا لم يصدق ليذهب لرصد المرفأ ، حيث سيسمع ضجيج الناس الذين اخذوا يتجمعون في المراكب بهدف الفرار ليلا ، وبعدما كتب هذه الرسائل ارسلها الماركيز الى جنود المسلمين ، مع واحد من حراس مدينة صور .

٦٤ ــ وعندما وقف المسلمون على الرسائل المبعوثة اليهم حملوها الى صلاح الدين ، فقرأها ثم اطلع عليها قادة البحر وسواهم ، ثم امر باستنفار جنود الاسطول ليكونوا جاهزين للعمل

ضد المسيحيين ، وفي الوقت نفسه زاد الماركيز من تحصينات البـرج القائم فوق الباب الرئيسي ، كما وحصن السور الرئيسي ، حتى اذا مارغب المسلمون بالهجوم عليه امكن صدهم والدفـاع عنه ، وامـر الرجال الذين كانوا يعملون بالتحصينات ان يلزموا جميعا الصـمت والا يحدثوا ادنى ضجيج فذلك سر المهنة .

واثر ذلك اغلق الابواب ، ولم يسمح لاحد بالدخول او الخروج وظل طيلة النهار داخل المدينة ، وبعدما فـرغ مـن تحصـين البـرج والاسوار ، توجه الى المرفأ ، وسلح المراكب ، وامـر جميع الناس الذين يستطيعون حمل السـلاح ان يكونوا ليلا في المرفـأ ، فـكانوا كلهم هناك ، وهكذا لاحظ المسلمون ان الرسائل التـي بعـث بهـا الامير كانت صحيحة .

وتسلح المسلمون وصـعدوا الى مـراكبهم وتـأهبوا لمواجهـة المسيحيين ، وعندما حل النهار جاء المسلمون الى الميناء ، فوجدوا المنطقة خالية ، فخيل اليهم ان المسيحيين اضـطروا الى الخروج قبيل هذا الوقت والفرار ، وقام المركيز بهذا العمل لانه اراد التغرير بسفن المسلمين حتى تدخل الى ميناء المدينة ، بعدما جعلهـم يرون وهما جموع الناس التي تجهزت في الميناء واثارت الفـوضى في اليوم الفائت .

وعندما رأى المسلمون خلو المرفأ مـن جمـوع الناس ، شرعوا بالولوج الى هذا المرفأ رويدا رويدا ، ودخلت المراكب المسـلمة الى الميناء ، وهنا عندما رأى الماركيز ان المراكب قـد دخلت الى المرفـأ امر الناس المتمركزين في الخفـاء بـالانطلاق ، وفـورا اندفـع المسيحيون بشكل مفاجىء الى المراكب المسلمة ، فـاخرجوا جميع المسلمين منها واستولوا عليهـا ، وبسرعة سـلح الماركيز مـراكب المسلمين التي استولى عليها مع المراكب التي وجدها في مدينة صور ووضع في داخلهـا عددا كبيرا مـن الفـرسان والجنود المسـلحين بمختلف الاسلحة ومع مجيء فجر اليوم التالي ، أخرج هذه المراكب

بكل هدوء فـانقضت على بقية سـفن المسـلمين ، وعندمــا رأى المسلمون انه ليس بامكانهم مقاومة هجوم المسيحيين انسحبوا نحو اليابسة بالحال ، وجاءوا الى مقربة رجـالهم ، واندفـع فـرسان جيش صلاح الدين باعداد غفيره وهـم على ظهـور خيولهـم نحـو الشاطىء ، وخاضوا في البحر لمساعدة جنود المراكب ، وقـد لحـق بالمسلمين اضرار بالغة حيث فقدوا عددا كبيرا من جنودهم بين قتلى وغرقى ، ولقد فقدوا ايضا بعض خيولهم ، وعندما وجدوا انفسهم غير قادرين على صد الهجوم ومتابعة المقاومة انسحبوا الى اليابسة، ثم رفعوا الحصار وذهبوا الى بيروت حيث احـدثوا فيهـا ضررا كبيرا والحقوا بالمسيحيين خسائر لم يسبق لها مثيل .

٦٥ ـ واحدثكم الان عن المسلمين وعن نشاطهم فوق الارض ، فقد احضروا سلالم وحملوها حتـى وصلوا الى السـور الرئيس ، وهناك ارادوا استعمال السلالم ، لكنهم وجدوا ان الاسـوار كانت عالية جدا ، فلم يستطيعوا البلوغ اليها ، وهكذا لم يتمـكنوا مـن الحاق الضرر من خلالها بسبب التحصينات المعدة فوق الاسـوار ، وعندما وجدوا انهم غير قادرين على الصعود الى اعلى الاسـوار ، احضروا النقابين فلغموا الاسوار ، وبعدما لغموها نسفوها وبذلك لم يبق مايحمي المسـيحيين ، فـدخلوا الى المدينة واشـتبكوا مـع المسيحيين ، وفي تلك السـاعة ارسـل الرب عونة ، فبعـدما دحـر المسيحيون المسلمين من البحـر ، علمـوا ان المسـلمين اختـرقوا اسوار المدينة ، وان الساحات باتت مليئة بالمسلمين .

وما ان سمع الماركيز بذلك حتى عاد وبادر الى فتح الباب الرئيس للمدينة ، واخرج جميع القوات التي لديه دفعة واحدة ضد المسلمين ، وعندما رأى المسلمون حملة المسيحيين مـن سـكان المدينة الكبيرة ضدهم ، تخلوا عن مواقعهم ، وتدبروا امورهم قدر الامكان وعادوا الى جيش صلاح الدين ، ثم تم القاء جميع القتلى في البحـر ممـن مات في الساحات ، وحصلت هذه الهزيمة في اليوم الاول من السـنة الجديدة ، فقد بدأ الحصار في يوم عيد جميع القـديسين ودام حتـى

اليوم الاول من كانون الثاني من سنة ١١٨٦ لتجسيد المسيح (في الحقيقة ١١٨٨) •

٦٦ ـ ورأى صلاح الدين انه اخفـق في البـر والبحـر ، فـاوقف الحصار على المدينة ورفعـه ، وعند حلول الظـلام اضرم النيران في المراكب التي هـربت واحــرق كل شيء ثـم انســحب ليلا حيث اتخـذ مواقع جديدة له بعيدا عن صور ، ووجد قلعة لم يكن قد سيطر عليها بعد تدعى قلعة الشـقيف ، ورأى ان الاسـتيلاء على هـذه القلعـة سيمكنه من اضعاف صور كثيرا ، وبذلك يمكن السـيطرة عليهـا في وقت مقبل ، وكان صلاح يعرف ان ريذو صـاحب صـيدا مـوجودا داخل القلعة ، فبعدما طـرده الماركيز مـن صـور ذهــب اولا الى طرابلس ، ثم توجه الى الشقيف .

٦٧ ـ وعندما وقف صـلاح الدين امـام قلعـة الشــقيف ورأى حصانتها ادرك انه لن يستطيع تحصيل اي شيء بالقوة ، ففكر بعمل خياني مميت ، فقد راسل ريذو واعطاه الامان ليأتي للحديث اليه ، غير ان ريذو رفض طلبه ، ولم يشأ الذهاب ، لانه يجب عدم الثقـة بغير المؤمن ، وامره صلاح الدين عدة مرات بالقدوم اليه وتهدده انه اذا لم يأت سيقوم بالاستيلاء على القلعة بالقوة ومــن ثـم سـيقوم باحراقه هـو وكل من في القلعة ، وقد تشكك ريذو بذلك غير انه بعدما طلب منه ذلك مرة اخرى اجتمع ريذو برجاله وتشاور معهم وسألهم :

هـل يذهب ام يبقى ؟ واشار عليه رجاله ونصحوه بعـدم الذهــاب مطلقا ، لانه اذا ذهب سيعتقله رجاله ورفض مشـورتهم ، فـذهب مخالفا لنصحهم ، دافعا ثقته بالطرف الاخر ، وقبل ان يتحرك من القلعة اقسم متعهدا لرجـاله بـالمحافظة على القلعـة وان يســعى لانقاذها لصالح المسيحيين ، وعلى الا يسلموها مـطلقا الى صــلاح الدين ، مهما كلفهم الامر ، وهكذا غادر القلعة وجـاء الى صــلاح الدين ، فـاستقبله اسـتقبالا جيدا ، ثـم ابـدى له عظيم السرور بقدومه .

٦٨ ـ ما أن اصبح صاحب صيدا المتولى على قلعة الشقيف بين يدي صلاح الدين حتى تأكد من حصوله على هذه القلعة ، وهكذا بعث اليه بالهدايا الجميلة والجواهر الثمينة وفق ما جرت عليه عادات المسلمين في اغراء المسيحيين ، ثم أحاطه بالحراس ، وهنا شعر ريذو بمؤامرة مدبرة ضده ، واشتم رائحة الخيانة المدبرة ضده ، وبناء عليه طلب مهلة ليذهب بسلام الى حصنه تحت حماية صلاح الدين كما جاء اليه تحت حمايته ، وهكذا عندما أدرك صلاح الدين أن ريذو شعر بالمؤامرة ، أعطاه المهلة المطلوبة .

وبعدما سافر ريذو من عند صلاح الدين وبات قريبا من بيروت ، واقترب من الشقيف ، جاء كاتب من الشقيف ، كان في خدمة ريذو واسمه بلهيس ، الى صلاح الدين وسأله : لماذا سمحت لصاحب صيدا بالذهاب ؟ فأجابه صلاح الدين بأنه جاء بأمان منه ، ولم يرغب في خرق الامان االذي أعطاه اياه ، فقال له بلهيس :إنه إن دخل القلعة لن تتمكن من اخراجه منها ابدا ، ان أمانك الذي أعطيته اياه قد انتهى منذ أن سافر من عندك ، فقال صلاح الدين : إن محاولة القبض عليه ستكون بدون جدوى ، فقال الكاتب مجيبا صلاح الدين : أعطني رجالا يأتمرون بأمري يسيرون وفق ارادتي وأنا أذهب فألقي القبض عليه وأجلبه لك ، فأمر صلاح الدين فرقة من رجاله بالذهاب مع الكاتب وتنفيذ أوامره ، وتحرك هؤلاء الجند ، فأمرهم الكاتب بأن يمضوا بسرعة ويقوموا بأسر صاحب صيدا ومن معه من الرجال الذين سيدخلون الى القلعة برفقته ،وقال الرجال الذين كانوا برفقة صاحب صيدا : « مولاي هناك عدد غفير من الناس قادمون خلفنا » فأجابهم صاحب صيدا : « نعم أعرف جيدا أنني خدعت ، فهؤلاء الناس قادمون لالقاء القبض علي ، تسلحوا جيدا وحافظوا على القلعة بقدر ما تستطيعون ، واحتراما لي أرجو الا تسلموها ، وأن تدافعوا عنها وتحافظوا عليها لصالح المسيحيين ، ولا أرغب بهذا الأمر من أجل انقاذي انا ثم امر الفرسان الذين كانوا معه بالصعود الى القلعة . ووصل المسلمون فاعتقلوا صاحب صيدا واقتادوه الى صلاح الدين

٦٩ ـ ما أن ألقى صلاح الدين القبض على صاحب صيدا حتى تأكد من أن قلعة الشقيف قد تم الاستيلاء عليها ، وهنا أحضر صاحب صيدا الى حضرة صلاح الدين فطلب منه تسليم قلعة الشقيف ، فأجابه ريذو ، رجاء من أجل الرب يا مولاي ، ولكونك عظيما بين الرجال ، والله قد أكرمك بشكل جيد ، لا تخرق أمانك من أجل هذه القلعة المتواضعة ، فقد حافظت على كل أمان أعطيته لأحد من الناس ، فأجابه صلاح الدين : يا ريذو علمني نبيي محمد (صلى الله عليه وسلم) أن أقبض على كل عدو لله ، وأن أتوكل على الله وأثق به ، هذا من جانب ومن جانب آخر : لقد أقسمت يمينا بألا أدع قلعة ولا مدينة دون أن أسعى للاستيلاء عليها بجميع الأساليب التي أتمكن من استخدامها ، دون أن أقترف خطأ أو جريمة ، فأجابه ريذو : يا مولاي رجاء من أجل الرب ، دعني أذهب الى القلعة ومن ثم سأسلمك اياها ، فأجابه صلاح الدين : دع عنك هذا الكلام ومن مصلحتك أن تسلم القلعة وإلا سأميتك شر ميتة ، وسلم ريذو أمره الى الرب وقال صلاح الدين : جسدي بين يديك ، أما الروح فبيد الله ، وتستطيع أن تعمل بجسدي الذي تريده ، لكنك لن تحصل أبدا على القلعة .

٧٠ ـ وبعدما سمع صلاح الدين كلام ريذو هذا غضب غضبا شديدا ، واقتاده الى أمام القلعة ، وهناك جعل يضربه ويعذبه بقسوة ، وعلقه من يديه ورجليه أمام رجاله في القلعة ، الذين أشفقوا عليه ، وقام حيث كان يعذب فصرخ الى رجاله :« قاوموا جيدا ، ولا تغضبوني حافظوا على القلعة من أجل المسيحيين »

وعندما رأى صلاح الدين ريذو يتحمل العذاب ، ولا يريد تسليم القلعة ، شدد عليه العذاب ، ولما لم يعد ريذو يستطيع تحمل العذاب ، وفي الوقت نفسه لم يقدر أن يموت من شدة العذاب الذي عانى منه ، وقضت ارادة الرب أن يبقى حيا ليحصل على ذويه ويراهم ، عند ذلك طلب أن يقاد الى قرب القلعة ، وطلب من رجاله السماح وقال :« لم أعد أستطيع تحمل العذاب ، وأحلكم من القسم الذي أقسمتموه لي ، سلموا القلعة وأنقذوني ، فأنا أخشى أنه اذا لم

تحررونى أن أهلك جسدا وروحا » ، فتشاور هؤلاء فيما بينهم ، وسلموا القلعة الى صلاح الدين من أجل انقاذ سيدهم ، وهكذا سيطر عليها المسلمون وظلوا مسيطرين حتى مجيء ملك نافار . (ثيبوت دي شامبين — وصل الى عكا في شهر ايلول سنة ١٢٣٩).

٧١ — فرح صلاح الدين فرحا عظيما عندما استطاع الاستيلاء على قلعة الشقيف ، لأن مدينة صور ، ضعفت من جراء ذلك ضعفا شديدا ، وبعدما أصبحت القلعة تحت سلطته ، أعطى ريذو من أجل الخيانة التي قام بها بتنازله له عنها أعطاه نصف صيدا وكل ما كان يقتنيه ، ولم يطالبه بشيء أبدا ، وحافظ على ذلك طيلة حياته ، وكذلك فعل من بعده ابنه بالين حتى تاريخ الهدنة التي أبرمها الملك الكامل ، ملك مصر مع الامبراطور فريدريك (شغل بالين صاحب صيدا دور الوسيط في مفاوضات الهدنة بين الكامل و فردريك الثاني في ١١ شباط سنة ١٢٢٩ ، أما منحه صيدا من قبل صلاح الدين فكانت في سنة ١١٩٠) . و بالين هذا صاحب صيدا كان ابن ابنة بالين الذي يعرف باسم هلفس ، وأمه (أي بالين بن ريذو) الملكة ماريا ، وكان ريذو هذا الذي تحدثنا عنه قد تزوج من هذه الفتاة بعد أن فقد الأرض ، أي إثر تحرره من بين أيدي صلاح الدين . هذا وسافر صلاح الدين من هناك ، وذهب الى دمشق ليقيم فيها هو وحاشيته أيضا .

٧٢ — والآن سنريحكم من الحديث عن صلاح الدين ، لأنني سأحدثكم عن جوسيه رئيس أساقفة صور ، فقد كان قد سافر الى مدينة روما ، رسولا يحمل معه أخبار الكارثة الحربية التى ألمت بأرض الميعاد ، ولقد سافر في مركب طلي كله بلون السواد ، واستهدف من طليه بهذا اللون ، أنه عندما يصل المركب الى قرب الشاطيء يعرف الناس أنه يحمل اخبارا سيئة ، لا بل مميتة ، ووصلت هذه السفينة الى بلاد الملك وليم الذي كان حاكم بلاد : صقلية ، وأبوليا وكالبريا ، وكان الملك وليم هذا متزوجا من

ابنة هنري (الثاني) ملك انكلترا ، وكان اسم هذه السيدة جوهاني ، وكان الملك وليم موجودا في المكان الذي وصل اليه رئيس أساقفة صور ، وعلم رئيس الأساقفة أن الملك وليم كان قريبا من المكان الذي وصل اليه ، فذهب اليه وحدثه عن الخسارة الفادحة التي حلت بأرض القدس ، وعندما علم الملك بهذه الأخبار تألم كثيرا ، وتذكر أنه كان هو أيضا مسؤولا عن ذلك الأمر مثلما هو مسؤول عن ضياع الأرض ، وسأروي لكم كيف :

عندما سمل الكسي عيني أخيه الذي كان امبراطورا ، وأصبح هو الامبراطور ، اجتمع الملك وليم مع رجاله وأخبرهم أنه سيرسل عددا كبيرا من الناس الى القسطنطينية ليستعيد بوساطتهم الأرض ، ووعدهم بكل تأكيد أنه سيقوم بذلك ، وأعد اسطولا كبيرا ، من الشواني ومختلف أنواع السفن ، وبعث به الى بلاد ما وراء البحر ، والى جميع البلدان التي كان فيها فرسان وجنود وأعطاهم السلاح والعتاد كل حسب حاجته واختصاصه ، واحتفظ بهؤلاء الحجاج وحال دون مرور غيرهم ، فقد كان متعذرا على أي حاج الذهاب الى بلاد ما وراء البحار الا عبر الممر الذي احتفظ به في بلاده ، وهكذا ضعفت بلاد ما وراء البحر ، وعندما هزم الملك غي كان ذلك بسبب العدد القليل جدا من الرجال النين كانوا لديه ، فقد كان قد جلب الى ساحة المعركة كل ما استطاع حشده من الرجال ، وهكذا استسلمت جميعها له ، باستثناء مدينة صور ، ونتيجة لهذه الهزيمة قال الملك وليم بأنه كان مخطئا ومسؤولا عن خسارة الأرض.

٧٣ ـ وسأحدثكم الآن عما حدث لهذا الأسطول ، وبعده عن النجدة التي أرسلها الى ما وراء البحار ، ولم يذهب الملك وليم مع هذا الاسطول وبقي حيث هو ليرسل بالعتاد والرجال الحاقا بالاسطول وارسل الملك وليم خيرة رجاله وأرقاهم في بلاده ليتولوا حراسة هؤلاء الناس وادارة أمورهم ، وبعدما جهزت الشواني والسفن اجتمعت ثم تحركت مقلعة في البحر حتى وصلت الى

دورازو ، فاستولوا عليها وحصنوها ، ثم ذهبوا نحو سالونيك فاحتلوا البلاد الواقعة ما بين دورازو وسالونيك ، واثر هذا استولوا على سالونيك وحصنوها ، (احتلت هذه المدينة من قبل النورمانديين في شهر آب ١١٨٥) ثم اجتازوا سالونيك وتوجهوا نحو القسطنطينية ، وعندما رأى كونت هنغاريا أنهم استولوا على كثير من البلدان تألم وشعبه كثيرا ، غير أنهم قالوا لهم : أهلا وسهلا ، وتأثروا كثيرا من قدومهم ، ثم أعلموهم أنهم سينضمون اليهم اذا ما ثاروا الذي سملت عيناه ، وأعلموهم أنه خطأ كبير التوجه بحرا الى القسطنطينية ، والافضل السفر برا ، وهكذا اقتادوهم برا ، وذهبوا معهم ، وأحضروا معهم مساعدات كبيرة ، ذلك أنهم كانوا لا يحبون الامبراطور ، واصطحب فرسان الاسطول كونت هنغاريا واتباعه ، وتخلوا عن الاسطول وساروا برا حتى كانوا هناك في الوادي ، وكان عندما اقتاد كونت هنغاريا رجال الاسطول برا ، انتشر الخبر في طول البلاد وعرضها ، وتجمع السكان قرب فيلبه وتسلحوا ثم هاجموا في اليوم التالي رجال الاسطول ، وهزموهم وأسروهم باستثناء عدد قليل فروا وعادوا الى الاسطول ، وهكذا دمر الاسطول .

وسأحدثكم الآن عن الملك وليم ، وأبين لكم نوع النجدة التي أرسلها الى بلاد ما وراء البحار ، فقد أرسل بالمراكب وحملها بالفرسان وبعث بهم لحماية البلاد التي بقيت للمسيحيين ، ثم جهز بعد ذلك اسطولا كبيرا من الشواني ومختلف أنواع السفن ، وقدم مع ملك انكلترا الذي كانت أخته زوجة للملك وليم ، ولم أقل انه عبر مع الصليبيين ، ذلك أنه لم يمكث طويلا بعدما بدأ بهذه الحملة ، فقد مات بدون وريث ، ومن ثم قام أهالي صقلية وأبوليا وكالبريا فاختاروا ابن عمه تانكرد واتخذوه ملكا ، وحدث هذا في سنة ١١٨٧ لتجسيد يسوع المسيح (مات وليم الثاني بالفعل في ١٨ ـ تشرين الثاني ١١٨٩) .

٧٤ ـ وسأحدثكم الآن عما حدث مع تانكرد في ذلك الوقت ، وعما

سيحدث معه فيما بعد ، كما وسأحدثكم عن جوسيه رئيس أساقفة مدينة صور الذي وصل الى بلاد الملك وليم ، فقد أعطى الملك وليم الى جوسيه هذا بعض الخيول وما لزمه من نفقات للذهاب الى روما ، غير أن رئيس الأساقفة هذا وجد البابا أوربان في مدينة فيراري ، فروى له أخبار الكارثة وحدثه عن الخسائر الفادحة التي لحقت بالمسيحيين في أرض مملكة القدس ، وشرح له كيف استولى عليها المسلمون ، وعندما سمع البابا ذلك كله تولاه الغضب والحزن معا ، وتألم كثيرا حتى أنه مات من شدة الألم ، وكان الذي حدث معجزة ، فهرقل - الامبراطور - وضع الصليب في القدس ، وهرقل - البطريرك - أخرجه من القدس ففقد ، وفي أيام أوربان الثاني جرى احتلال القدس ، وفي أيام اوربان الثالث سقطت القدس ، لأن المسلمين استولوا عليها .

وبعد وفاة أوربان ، صار غريغوري الانساني بابا ، لكنه عاش فقط لمدة شهر واحد ، وتولى عرش البابوية بعده كليمنت الثالث ، وهو الذي بعث برسله الى جميع البلدان المسيحية لاطلاعها على فحوى الأخبار السيئة التي وصلت اليه من أرض الميعاد ، وبعث الى جميع وجهاء المسيحية والى كل امبراطور والى الملوك والأمراء والفرسان والقادة بعدهم بأن كل الذين سيكونون صليبيين ويبدون الاستعداد للذهاب الى أرض الميعاد سيغفر لهم كل خطاياهم ، فهو الذي سيتحملها ويمحوها عنهم أمام الرب ، واعلن ان كل االذين يريدون خوض الحرب المقدسة ، سيخولهم السلطة من أجل خدمة الرب وعبادته .

وبعدما سمع هذا الخبر والنداء رجالات المسيحية من ملك وامبراطور ورئيس أساقفة وأساقفة وغيرهم كثير أصبحوا صليبيين ، وكان أول من تحرك ، وركب الطريق فريدريك امبراطور المانيا (فريدريك الأول بربروسا) وقد سافر عبر الطريق البرية ، فكان أن وصل الى أراضي بيزنطية وذلك حسبما جاء الحديث عنه من قبل ، وكان لهذا الامبراطور عدة أولاد ، البكر منهم

يدعى هنري ، وهـذا سـيكون فيمـا بعـد الامبراطور (هنري السادس) وهو الذي تزوج من كونستانس ، وهي عمـة الملك وليم واخت ابيه ، وكان اسم الولد الثاني أوتـو (أمير بـورغون) وهـو الذي تزوج من (مرغريت) ابنة ثيبوت (الخامس) أمير بلوا ، وقد توفي بدون أولاد ، ودعي الابن الثالث باسم فيليب ، وهـو الذي كان رئيس دير بافنبيرك ، وقد خلع لبـاسه الكهنوتـي بعـد وفـاة والده واخيه فردريك امير سوابيا (في كانون ثاني ١١٩١) ، وتزوج هذا الاخير من ابنة كيرساك امبراطور القسطنطينية ، وهي التـي كانت من قبل زوجة وليم الشاب ملك صقلية ، وقد اصـطحبها معـه الى ارض المعياد ، ثم مات فيما بعد في مدينة عكا .

وتفجرت حرب كبيرة بين فيليب ملك فرنسا وهنري ملك انكلترا ، وقد نشبت في اسقفية بورغ قرب المدينة التـي اسـمها ياسـودون ، وكانت الصفوف معبأة والمعركة معدة وكل شيء مرتب لخوض القتال والمواجهة العنيفة ، عندما وصل الى هناك رسـل كنيسـة رومـا ، فعندما جاء هؤلاء الرسل وجدوا المعركة وشيكة الوقوع ، فـكل شيء معد لها ، ولكن بفضل مواعظهم المباركة ونصائحهم القدسية ، حلت نعمة روح القدس على الملكين ، حتى تخليا عن الحرب التي اوشكت على النشوب بينهما ، وقد عقدا سلاما بينهما ، واصبحا بـدورهما صليبين ، واثر هذا غدا الفرسان وسكان المملكتين مـن الصـليبيين وذلك قدوة بـاسيادهم ، ولم يتحـرك ملكا فـرنسا وانكلتـرا ، ولم يسافرا كما فعل الامبراطور ، هذا ولم أحدثكم عن السبب في تفجـر الحرب بين ملكي فرنسا وانكلترا ، وسـأدع هـذا حتـى مناسـبة اخرى ، فانا سـأحدثكم اولا عن صـلاح الدين الذي دخـل الارض واستولى عليها .

٧٥ ـ ووصلت الاخبار الى صـلاح الدين تتحـدث عن امبـراطور المانيا وكذلك عن ملكي فرنسا وانكلترا ، وجميع بـارونات مـاوراء البحر ، وتخبر انهم جميعا صاروا صليبيين بهدف القدوم لمحاربته ، ولم يذف صلاح الدين هذه الاخبار ولم يصدقها كمـا هـي ، غير انه

اقدم على تحصين عكا بشكل جيد وشحنها بالسلاح والعتاد والمؤن ، وسكرها في وجه من يرومها ، ورابط فيها الجند المسلحين ، ولذقل ارقى الرجال وافضلهم ممن وثق بهم ، فهو كان مدركا انه إذا لم يأخذ مع رجاله باسلوب اليقظة والحذر فقد تأتي قوة مسيحية الى مرفأ عكا لتستولي على المدينة ، هذا وامر صلاح الدين الذين عهد اليهم بحراسة عكا من الداخل الا يتخلوا عنها وان يقاوموا كل من يأتي لحصارها ، وحظر عليهم الخروج منها واوجب عليهم مقاومة من يهاجمها حتى النهاية مهما اشتدت الضغوط ، واذا ماجاء المسيحيون لحصارهم عليهم اعلامه ليأتي حالا للتفريج عنهم ، فاذا جاءه الرسل وهو جالس الى مائدة الطعام لن يكمل طعامه بل سيتحرك فورا لانجادهم ، واذا وصل اليه الرسل ليلا او نهارا سيبادر الى التحرك نحوهم حتى وان كان مريضا مدنفا ، وبعد ما فرغ صلاح الدين من تحصين عكا ، التفت الى حصون الساحل ومدنه فحصنها ، وبعد هذا جهز جيشه للذهاب نحو طرابلس وحصارها .

وفي الوقت الذي وصل فيه صلاح الدين الى طرابلس لالقاء الحصار عليها ، وصل اسطول الملك وليم الى صور المحصنة بالقوات والفرسان ، ولهذا اعد الماركيز اسطوله وسلح سفنه الحربية وشحنها بهدف التحرك لنجدة طرابلس ، وطلب بالوقت نفسه من فرسان وليم وقواته مرافقته لانقاذ مدينة طرابلس ، وهكذا توجهوا نحوها جميعا ومعهم الفارس الاخضر ، وبعدما وصلوا الى غايتهم واستراحوا قليلا هاجموا جيش المسلمين ، وكان الفارس الاخضر في المقدمة ، وهنا اعلم المسلمون صلاح الدين ان الفارس الاخضر جاء مع قوات نجدة طرابلس ، فراسله صلاح الدين ورجاه ان يأتي لزيارته ، فلبى الدعوة وحضر امام صلاح الدين ، فرحب به وقدم اليه الخيل والذهب وصنوف المال ، وأظهر له السرور بقدومه وذكر أنه لايريد منه شيئا سوى رؤيته ، وعرض عليه أنه اذا أراد البقاء عنده فسيعطيه أرضا كبيرة ، فأجابه انه لم يأت الا للزيارة ولن

يمكث عند المسلمين بل سيحاربهم ويعطل خططهم بقدر مايستطيع ، ثم استأذن وتوجه الى طرابلس .

وعندما أدرك صلاح الدين أنه لن يحقق النجاح أمام طرابلس لوصول النجدات الكبيرة اليها ، غادر موقعه وتوجه الى المدينة التي اسمها طرطوس وهي واقعة أيضا على شاطىء البحر وإثر مغادرته الى طرطوس راسلته الملكة سيبيل زوجة الملك غي ، وكانت تعيش داخل طرابلس وطلبت منه تنفيذ الاتفاقية التي أبرمها مع البارون عندما سلمه مدينة عسقلان ، فقد حان وقت تحرير الأسرى المتفق على تحريرهم ، فأجابها صلاح الدين بأنه سيعمل على تحريرهم بكل طيبة خاطر .

فبعث أوامره الى دمشق بأن يرسلوا له الملك مع عشرة من الفرسان حددهم بغية اطلاق سراحهم ، وكان قد حدد هؤلاء واختارهم من قبل ، كما وبعث صلاح الدين يأمر بأن يرسل اليه الى طرطوس الماركيز بونيفيس والأسرى الأخرين الى حيث كانت عساكره تحاصر طرطوس ، ونفذت أوامره وحمل رجال صلاح الدين الأسرى الى طرطوس ، وبعد وصولهم أخذ صلاح الدين العهد على الملك وعلى جميع البارونات الذين أطلق سراحهم وجعهلم يقسمون الايمان الا يحملوا السلاح ضده أبدا ، ثم أعطاهم حرياتهم شرط أن يعبروا البحر .

وركب الملك في السفينة وانتقل الى جزيرة (أرواد) الكائنة مقابل مدينة طرطوس ،وأخبر رسل صلاح الدين الذين رافقوه أنه بهذا برهن على أنه عبر البحر ونفذ ماتعهد به ، ومن هناك سافر بونيفيس الى ابنه الموجود في صور ، ثم ذهب الى الكرك واصطحب معه همفري الذي كان محتجزا أيضا في سجنه ، وعندما وصل الى القلعة كاف همفري ان يتكلم الى سكان القلعة ، وبالفعل خاطبهم همفري بقوله :« ايها السادة اذا استطعتم الحفاظ على القلعة لصالح المسيحيين ، تمسكوا بها ، لكن اذا رأيتم أن لن تستطيعوا

ذلك أرجوكم أن تسلموها وتحررونى » وكان سكان القلعة في ضـيق شديد ، فاجتمعوا وتداولوا بالأمر وقرروا أنه اذا أعطـاهم صـلاح الدين الأمان لهم ولأزواجهم وأولادهم وأمـوالهم في أن يذهبـوا الى بلاد المسيحيين وأن يحرر سادتهم فسيسلمون القلعة اليه .

وتلقى صلاح الدين هذا الكلام بكل سرور ، ووافق على العـرض وزاد بأن وعدهم باطلاق سراح نسائهم وأولادهم الأسرى عنده أينما وجدوا في البلاد ، وبعدما أبرمت هذه الاتفاقية بينهـم وبين صـلاح الدين سلموه القلعة ، ومن هناك ذهب صلاح الدين الى الشوبك التي وجد سكانها أنهم بعد سنة ونصف السنة من تاريخ الاسـتيلاء على القدس لم يحصلوا على اية نجـدة ، وجـدوا مـن الأنسـب التسليم ، وهذا مـاكان ، واصـطحب صـلاح الدين همفـري الى أمه ، واقتاد سكان القلعة بسلام الى أنطاكية ، ثـم عاد مـن هناك نحو طرطوس لاستئناف حصارها ، وبعدما عسـكر أمـامها فتـرة وجيزة ، وبعدما فرغ من أمرها توجه نحو مدينة أخرى على مسافة خمسة أميال منها تدعى بلنياس فـاستولى عليهـا ، وكان فـوقها حصن حصين فوق الجبل لم يرغب في اضاعة الوقـت أمـامه ، ثـم توجه الى أراضي أمـارة انطـاكية واسـتولى على مـدينتين هناك وحصنهما ، وكان اسم الأولى جبلة والثانية اللاذقية ، ومـن هناك توجه حتى اقترب من أنطـاكية ، فـوجدها محصـنة تحصـينا جيدا ، وعلم ذلك من جون غاله الذي كان ايضا في الروج ، وذهـب ليحاصر الروج فلم يستطع الاستيلاء عليهـا ، لهـذا عاد مـن هناك وتوجه الى دمشق ليريح جيشه ويجعله يستجم قليلا ، فقـد أراد أن ينزل ضربة شديدة بالداوية ، الذين اشتد غضبه عليهم لأنهم اسروا ابن عمه ، وساندوا جون غالة ضده .

٧٦ ـ وعندما كان صلاح الدين في دمشق ،فـكر بخـطة سـيئة جدا ، فقد أمـر بـاخراج جميع فـرسان الداوية الذين أسرهـم في المعركة مع جميع الناس الآخرين الذين أخذهم أسرى ايضا ، وأمر رجاله جميعا وكل الذين لديهم أسرى أن يأتوا بهم ، وماأن أمر بذلك

وسمع رجاله حتى أحضروا الأسرى الذين كانوا لديهم ، وهكذا عندما جمع الأسرى أمام صلاح الدين توجه اليهم بالخطاب قائلا :« أنتم أيها الفرسان ورجال السلاح لكم عندي فوائد عظيمة يمكن أن تعمكم جميعا ، انتم تعلمون أولا أنني استوليت على أراضي المسيحيين الكائنة شرقي البحر بمجملها ، واستوليت على صليبكم ، وأسرت ملككم وأكثر البارونات ماتوا أو أسروا ، ولقد أشفقت عليكم ، لأنكم فرسان ، وشبان طيبون ، ويمكن أن تتأتى منكم فوائد كبرى للبلاد ، واذا أطعتم أوامري يمكنكم أن تعيشوا ، وسأعطيكم وأرد عليكم النساء والأطفال ، وأمنحكم الذهب والمال وأقطعكم بعض الأرض التي استوليت عليها مثلما فعلت مع رجالي » فسألوه عن الشيء الذي يريدهم أن يفعلوه ، فقال لهم الذي أريد فعله أن تتنكروا لعقيدتكم والصليب والايمان بيسوع المسيح ومن ثم الهداية والتحول الى شريعة محمد (صلى الله عليه وسلم) وعقيدته ، فأجابوه بالاجماع وبصوت واحد : انه اذا شاء الرب لن يتنكروا لعقيدة يسوع المسيح وشريعته ، ويسوع المسيح هو الذي صلبه اليهود في القدس « فهو كما تحمل العذاب من أجلنا على الصليب نريد ان نتألم حتى الموت على يديك من أجله ، لأننا نؤمن أن عقيدة محمد(صلى الله عليه وسلم) وشريعته خطأ وخداع » .

٧٧ ـ وعندما سمع صلاح الدين هذا الكلام تأثر كثيرا ، وشعر بغضب شديد ، فأمر بالحال بقتل فرسان الداوية ، وما أن أصدر أمره حتى شرع أتباعه بقتلهم ، وكان الالم شديدا ، والاضطراب عظيما وكذلك الموت وسفك الدماء ، فهو قد خيل اليه أنه بقتله للمسيحيين يقدم تقدمه كبيرة لله وقربانا عظيما وكما قال مولانا لحوارييه في الانجيل :« بل ستأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقرب لله قربانا » (يوحنا : ١٦ /٢) ، وفيما صلاح الدين يشرف على تنفيذ أوامره رأى مسلم مسن اسمه قراقوش رؤيا فيها غودفري دي بوليون الذي كان أول بارونات الاحتلال يقول لصلاح

الدين :« إنك لم توفق أبدا بقتلك لفرسان الداوية ، فهل تعتقد أنك أنهيت حربك ؟ أنني أعلمك أن الفرسان الداوية سيولدون بلحاهم التامة ، وأقول لك علاوة على ماقلت : ان أصدقاءهم وأهليهم لن يدعوا موتهم يذهب سدى ، ولكنهم سيثأرون لكل واحد منهم »، وكما ذكرنا من قبل ظهر له هذا عندما جاء دي آفين لحصار عكا ، ثم أنه عندما سمع البابا كليمنت الثالث بما حدث ، غضب غضبا عظيما ، وبعث برسله لمزيد من التحريض للاسراع بالحملات الصليبية .

٧٨ ـ في سنة ١١٨٨ لتجسيد المسيح ، بعدما استولى صلاح الدين على القدس وأطلق سراح الملك غي ، عاشت أراضي المملكة بسلام لمدة عامين أو أكثر ، وذلك حتى سمع سكان بلاد ماوراء البحار بأخبار هذه الفواجع والآلام التي حلت بمملكة القدس ، فقد قام جفري دي لوزنغنان ، وكان أخا للملك غي ، غير أنه كان حكيما متشددا ، فلم ينتظر لا ملك فرنسا ولاملك انكلترا ، بل أسرع لاجتياز البحر ، فقد استهدف تقديم النجدة للملك ، وعبر معه رجل نبيل اسمه أندرو دي برن ، فقد كانا رفيقا سلاح ، ولهذا أسرعا بالعبور قبل الآخرين ومعهما عدد كبير من الفرسان ، فوصلوا الى مدينة صور ، وفي صور سمع جفري الأخبار عن أخيه وعن مملكة القدس ، فقد حدثوه عن هزيمة الملك وأسره ، ثم أخبروه أنه قد أطلق سراحه ، وعندما سمع جفري هذه الأخبار وقع بارتباك شديد ، وضاقت نفسه وشعر بخجل أشد من الخجل الذي حصل لأخيه ، ثم سأل أين يستطيع أن يجد الملك ، فقيل له أنه ذهب الى انطاكية .

٧٩ ـ ولم يلبث أن سافر من صور ، وذهب الى طرابلس ، حيث استقبل بحفاوة كبيرة هناك ، وعم الفرح العظيم بين الناس الذين كانوا هناك لدى سماعهم الاخبار التي تحدثت عن حملة التي ستعبر اليهم ، وبعدما ارتاح جفري واصحابه من وعثاء السفر ، اصطحبهم أمير طرابلس حتى انطاكية ، وهناك التقى

جفري بأخيه الذي فرح بقدومه فرحا عظيما ، ولدى اجتماع جفري والملك وايمري مقدم الداوية - كافل المملكة ، وأخوه بالوقت نفسه ، قاموا بحشد فرسانهم الذين فروا من المعركة ، وتحركوا يريدون الدخول الى أراضي مملكة القدس ، وعندما وصلوا أمام مدينة صور فكر الملك والملكة بالدخول الى هذه المدينة وكأنها تابعة لهما ، لكن الماركيز مونتفرات الذي حال بين صلاح الدين و بين الاستيلاء على صور ، منع ملك القدس من الدخول الى صور ، لأن سكان المدينة كانوا قد استقبلوه سيدا لهم ، وحدث ذلك في الوقت الذي كان فيه الملك في سجن صلاح الدين .

٨٠ - وعندما رأى الملك عجرفة الماركيز ونذالته ومنعه اياه من الدخول الى المدينة ، وأنه لم يعد لديه في المملكة قصر أو دار يعيش فيها شعر بألم عظيم حل فؤاده ، وأحب أن يموت بشرف على أن يعيش في الذل ، وبناء عليه اجتمع مع جفري ، ومع مقدم الداوية وبقية البارونات الذين كانوا معه ، وقد قالوا له : انهم يعرفون أهل البلد وموقفهم ، فهم يعرفونه أنه فوق كل شيء سيدهم وملكهم لكن المسيطر الآن على المدينة أناس غرباء ، وعمل هؤلاء مايسر الماركيز ومايرضي ارادته ، وقال له أخوه جفري : ان امبراطور ألمانيا وملك انكلترا وملك فرنسا وعدد كبير آخر من البارونات قد باتوا الآن من الصليبيين ، وقد اقترب وقت وصولهم ، وسألهم الملك بعدما سمع منهم ما سمع فيما اذا كانوا يريدون أن يتبعوه حيثما ذهب ، فأجابوه أنهم ماجاءوا من وراء البحار الا من أجل هذا وأنهم على استعداد للعمل حسب أوامره حتى الموت .

٨١ - وعندما سمع الملك غي كلام هؤلاء السادة فرح فرحا عظيما للارادة الطيبة التي توفرت لديهم ، وعلم أن مولانا لن يحارب أبدا ضد المسيحيين ، لذلك شد من عزيمته واسترد شجاعته وثبتها ، وأوكل مصيره الى الرب ، وأخذ الطريق وسار ليتمركز في أحواز مدينة عكا ، ولا شك أن ايمان المؤمنين بالرب كان عظيما ، وذلك عندما تجرأ حفنة من الرجال على القيام بمثل هذا

العمل الكبير ، اي بمحاصرة عكا ، وبما أنه كان هناك عدد كبير جدا من المسلمين داخل مدينة عكا ، وبالكاد وجد مسيحي واحد مقابل عشرة من المسلمين ، فان المسيحيين حين قدموا الى عكا قد وضعوا أنفسهم بين المطرقة والسندان ، فلو رأى سكان المدينة ذلك ، لكانوا التهموا المسيحيين واستولوا عليهم مثلما يستولى الباشق على الطير الصغير .

٨٢ ـ وبعث في تلك الأثناء صلاح الدين الى جميع سكان مماكته من دمشق الى مصر والى مناطق البلاد التي كان عماله يحكمون فيها فاستنفرهم وقواتهم للقدوم عليه بهدف الحاق ضربة فاصلة بالمسيحيين الذين فروا من المعركة ، ويقومون بتشديد الحصار على عكا ، واستجاب المسلمون لأوامر صلاح الدين وقدموا اليه .

٨٣ ـ وعندما جمع صلاح الدين رجاله واطمأن الى جيشه زحف فتمركز على مسافة ميل واحد من عكا ، ومنطقة مخيمة تعرف الآن باسم ضاحية صلاح الدين لأنه تمركز هناك ، فقد توفر حشد كبير من المسلمين ، وتولى هؤلاء حصار الذين جاءوا لحصار مدينة عكا ، ومرارا قال رجالات الاسلام وقادة الجيش وأعوان صلاح الدين لصلاح الدين :« دعنا نمضي فنستولي على معسكر هؤلاء ونهزمهم وبذلك سنرتاح في المستقبل ، ولسوف لن نجد أحدا يأتي لمحاربتنا » ، فأجابهم صلاح الدين بأنه يود انتظار قدوم أخيه سيف الدين الذي كان قد أرسله الى خليفة بغداد ، فهو يريده أن يكون حاضرا أثناء تحقيق هذا الانتصار وأن يشارك في الفرحة بذلك .

وعندما رأى المسيحيون الجهود التي يبذلها المسلمون الذين سبق لهم أن الحقوا بهم الهزيمة خافوا خوفا عظيما ، ووقعوا في شك رهيب ، ولم يكن ذلك بغريب ، فاستسلموا لهذا الى ملك الرحمة مثلما استسلموا لعبادته من قبل ، واستجاب لهم فأرسل اليهم بالنصيحة التالية قائلا :« تمسكوا بمنهجكم في السلاح والعتاد » ولم يبق سوى أعداء الصليب الذين ماعادوا يخافون من

المسيحيين مثلما كانوا من قبل ، ومع ذلك زار مولانا المسيحيين ومنحهم مشورته وشجعهم لأنهم استسلموا اليه بقلب طيب وفكر نقي .

٨٤ ـ فبينما كان صلاح الدين يجهز حشوده ، تفقد مولانا ـ كما تعلمون ـ أتباعه بنعمته فبعث اليهم من وراء البحار برجل عظيم هو جاك دي آفين والقادة الذين كانوا برفقته ، وينبغي الا يساور أحد الشك في أن الرب قد أرسل هذه النجدة وهذا العون الى هؤلاء الذين استسلموا اليه ووثقوا بنعمته ورحمته ، وفيما كان صلاح الدين يتجول في أحد الأيام وبرفقته الامير قراقوش قال عندما رأى تقاطر القادة الفرنجة واجتماعهم:« العياذ بالله يبدو لي أن الفرنجة جن جنونهم وهم مقبلون على ركوب المخاطر في البحر » ورد عليه قراقوش قائلا :« مولاي ان هذه نجدات قادمة الى الفرنجة ، لقد سبق وقلت لك عندما أمرت بالتخلص من فرسان الداوية بأن هؤلاء سيلدون ثانية مع لحاهم » وعندما ذكره بهذه النبوءة غضب منه صلاح الدين ولهذا أمر قراقوش بالدخول الى مدينة عكا ، وحدث أنه في اليوم نفسه الذي دخل فيه قراقوش الى مدينة عكا أن وصل القادة الى عكا ، وفي الثلث الأول من الشهر بدأ الملك بحصار عكا ، وعندما وصل القادة مع الملك ، بذل المسلمون غاية جهدهم للحيلولة بين الفرنجة وبين العسكرة وانزالهم لعتادهم الذي كان معهم ، لكن الذي حدث هو أن مولانا ساعد اتباعه وتم بنجاح وأمان انزال العتاد ، ومن ثم المعسكرة ، وهنا تأكد فرسان يسوع المسيح من العناية الربانية التي خصوا بها .

وتمركز جاك دي آفين على الشاطىء الرملي أمام عكا ، في حين تولى الألمان والفريزيون والبريتانيون الذين قدموا معه تطويق عكا ووضعها تحت الحصار ، وحفروا بينهم وبين المسلمين خندقا وأقاموا الحواجز والسواتر من الأشجار وسواها ، واستولوا في الوقت نفسه على النهر الذي كان يجري أمام المدينة قرب المتمركزين على الشاطىء الرملي ، وبهذا شرع الذين كانوا داخل المدينة

بالعطش وعانوا كثيرا من قلة توفر مياه الشرب ، حيث لم تتوفر لهم داخل المدينة مياه الشرب الا من مياه الأمطار المخزنة بالصهاريج .

وعندما رأى صلاح الدين التزايد المضطرد في أعداد المسيحيين ، أمر رجاله بالانقضاض عليهم بكل شدة ودون اضاعة للوقت والجهد ، وبات الآن على المسيحيين أن يتولوا الدفاع عن أنفسهم من جهتين ، ومع هذا استمرت حالة الحصار هذه - حسبما وصفناها لكم - حتى قدوم كل من ملكي فرنسا وانكلترا ، ومر الزمن وتخلل ذلك عدة أشكال من المعارك الشديدة ، وكان بارونات ماوراء البحار قد عانوا كثيرا منذ أن أصبحوا صليبيين ، وتكبدوا مشاق هائلة اثناء عبورهم البحر ، لكن عندما وصلوا قدموا مساعدات هامة للاستيلاء على عكا .

٨٥ - وفي هذا الوقت بينما الملك غي يحاصر مدينة عكا جاء لامداده عدد كبير من بارونات مملكة فرنسا والممالك الاخرى ، وشاركوا في هذا الحصار ، وكان صلاح الدين متمركزا في الجهة المقابلة لرجالنا ، ومعه أعوانه جميعا وقواته ،وتمكن صلاح الدين من صد الفرنجة وقمعهم حتى أنهم لم يعد بامكانهم الحصول على المساعدة من أي جهة لاسيما بعدما تناقصت امداداتهم وكلف شح الامداد وتدمير المؤن عددا كبيرا من رجال قواتنا حياتهم ، ووصلوا الى حد لم يعودوا يستطيعون فيه تحمل سوء الحالة التي عاشوها ، ولهذا دعا الملك البارونات وقادة القوات الى الاجتماع في مؤتمر لدراسة الأوضاع ، وفي هذا المؤتمر تم الاتفاق على الزحف ضد معسكر المسلمين وسحقه ، وهذا ماكان فقد زحفوا ضد معسكر صلاح الدين والمسلمين وكان جيرالد دي ردفورت ، مقدم الداوية في المقدمة ، وكان أندريه دي برن في الساقة أما الملك غي ومعه أخوه جفري دي لوزنغنان فقد توليا مواقفة القوات المتمركزة داخل المدينة خوفا من خروجها وهجومها عليهم .

وعندما رأى صلاح الدين زحف قوات الفرنجة ضد معسكره، أفرغ هذا المعسكر وانسحب الى الوراء ، ودخل المسيحيون الى معسكر المسلمين وكانوا جميعا يعانون من الجوع ، ولسوء حظ المسيحيين الذين وجدوا هناك أن حصانا واحدا من خيول الحجاج فر هاربا ، فاندفع الحجاج لامساكه ، فاضطربت صفوفهم وهاجوا وماجوا ، وشرع رجال القوات الرديفة يتصرفون خلافا لما كان عليهم أن يفعلوه ، وارتبكوا ولم يعودوا يعرفون كيف يتصرفون ، وشاهد صلاح الدين من مكان تمركزه اضطراب أوضاع الفرنجة وسوء أحوالهم فسأل واحدا من أعوانه الذين كانوا بصحبته عما يجري في صفوف الفرنجة ، ولماذا الاضطراب فيما بينهم فأجابه :« مولاي مرد هذا الوضع المضطرب هو أنه لم يبق لديهم فرسان ، ولذا اذا هاجمتهم حالا ستتمكن من هزيمتهم وأسرهم جميعا » .

ورأى صلاح الدين الحجاج الفرنجة يخرجون من معسكرهم ويدخلون الى معسكر صلاح الدين فتلاشت اماله بالعودة الى معسكره الاول ، فقد كانت اعدادهم كبيرة جدا وقواهم عظيمة ، ومع هذا انقض صلاح الدين على الفرنجة ، فلم يستطيعوا الصمود له ، فأخذوا يتقهقرون وينهزمون ، وتدفق المسلمون ضد المسيحيين مثل نهر كان يجري بالدم ، وهكذا قهروهم ، ولهذا السبب هب المسيحيون الاخرون والملك غي واندريه دي برن ومقدم الداوية ومعهم اعداد كبيرة من الاتباع والاعوان لنجدة المسيحيين والتفريج عنهم .

٨٦ ـ وكان المسلمون الذين تمركزوا داخل مدينة عكا ، قد رأوا معسكر الفرنجة قد اخلي ، والذين كانوا متمركزين فيه قبالتهم قد ذهبوا مع الملك لنجدة المسيحيين ، لذلك خرجوا من المدينة وسط ضجيج كبير وجلبة عظيمة ، وسعوا الى الاستيلاء على معسكر الفرنجة ، وكادوا يفعلون ذلك لولا ان الرب انقذ المسيحيين بوساطة جفري دي لوزنغنان ، فقد واقف المسلمين ودفعهم وصمد في وجههم

طوال النهار مع حفنة من الرجال الذين تركهم الملك بـرفقته للدفـاع عن المعسكر ، لقد دافع هذا الفارس بشدة وتصميم عن المعسكر فقد كان شجاعا وقـويا ، لذلك لم يسـتطع المسـلمون الســيطرة على المعسكر ، فقد صدهم بالقوة والسيف وقاتلهم امام بـاب القـديس نيقولا وقاومهم بيديه ، وكذلك فعل الذين كانوا معه .

اما الملك ومقـدم الداوية واندريه وجميع الذين كانوا معهـم فقـد هجموا على المسلمين وقدموا المساعدة للذين قد دخلوا الى معسكر صلاح الدين وانجدوهم ، لكن انقضاض تقي الدين ابن اخي صـلاح الدين ومعه قواته المسلمة وهجومه العنيف كبد الملك ورفاقه خسـارة كبيرة حتى اوشكوا ـ بعد قليل من الوقت على الهلاك جميعا ، وكان مقدم الداوية واندريه في مؤخرة الجيش ، وقد قاوما بعنف من اجـل خروج الناس وانسحابهم سالمين ، وفي انقضاض تقي الدين تكبدت قواتهما خسائر كبرى واضطربت وتمزقت صفوفها وأبيدت ، فـكان أن قتل مقدم الداوية وقتل معه أندريه هناك ، وحدثت بلبلة عظيمـة ، وحل الم عظيم بين صفوف المعسكر لموت هذين القائدين الكبيرين ، وقام فرسان الداوية بعد موتهما باختيار مقـدم جـديد لهـم ، كان وقتها في المعـكر ، هو روبرت دي سابلوي (اختير روبرت الثـالث دي سابلوي ابن روبـرت الثـاني دي سـابلوي مقـــدما الداوية في ١١٩١).

٨٧ ـ وبعد هذه الهزيمة الساحقة والخسارة الكبرى كتب صـلاح الدين الى الملك غي يقـول له بـانه لم يحـافظ على قسـمة ولا على الاتفاقية التي ابرمت عندما حرره من السجن ، وكان من واجبه الا يحمل السلاح ضده ، فضلا عن ذلك كان قد وعده بعبـور البحـر ، واجابه الملك بانه نفذ وعده وبر بقسمه بشكل جيد ، فهـو قـد وعده بعبور البحر وبالفعل عبر البحر مـع اتبـاعه ، غير انه لم يسـتطع القول انه لم يشهر السـلاح ضـده ، وفي الحقيقـة كان حصـــانه يحمل في لجامه سيفا ودرعا في ظهره ، لئلا تونبه النبال ، وبهـذه الصور سوغ الملك غي لصلاح الدين اعتذاره عن القسم الذي اداه .

٨٨ ـ وفي فترة الحصار الذي القي حـول عكا ، اعد الامبـراطور فردريك الكبير حملته ، وزحف برا وقد جلب معه عددا كبيرا جدا من فرسان المانيا مع العتاد والمال والثروات ، فقد سار وكأنه يعمـل في سبيل التـاج الامبـراطوري ، وعبـر الى الاراضي البيزنطية مـن هنغاريا ، وبذل امبراطور القسطنطينية (اسحق الثاني) مـاوسعه من جهد ، وحاول بكل جد وجهد وشدة ان يمنع الامبراطور السالف الذكر من العبور من بلاده ، ولهذا بعـث اليه الامبـراطور فـردريك الكبير بوفد ضم هيرمانت رئيس اساقفة موستريير مع رجال اخرين من الاشراف .

ولدى وصول الوفد الى القسطنطينية طلبوا مـن الامبـراطور تجهيز الطريق حتى يتمكن سيدهم امبـراطور المانيا مـن العبـور ومعـه رجاله ، بغية الذهاب لاسـترداد ارض القـدس ، وانقـاذها ، لكن الامبـراطور في القسـطنطينية رفض الطلب ، واعلن انه لم يسـمح بالمرور عبر اراضي بلاده ، ثم اوقـف الوفـد والقـاه بـالسجن ، ولايستغربن هذا التصرف احد ابـدا ، لان الاغريق كانوا يبغضـون دوما كنيسة روما والمسيحيين اللاتين .

وعندما علم الامبراطور فريدريك بخبر رفض طلبه وسجن وفـده غضب كثيرا وابدى امتعاضه ، ورأى الان ان من مصلحته تمضـية ذلك الشتاء بمجمله في الاراضي البيزنطية ليتمكن من حرب امبراطور القسطنطينية حتى يترك له جزءا من اراضيه للعبور ، وعندمـارأى الامبراطور الاخير ان الامبراطور فردريك قد استولى على جزء من امبراطوريته خشي من ان يستولي على الجزء الباقي ، ولهـذا عقـد مفاوضات مع خصمه وقرر التراجع عن موقفه ، فقد اجتمع وفـدان من السادة مثلا الجهتين المتصـارعتين وتـوصلا الى عقـد سـلام وتوافق بين الامبراطورين ، وبناء عليه حرر امبراطور القسطنطينية رئيس الوفد والسـادة اعضـاءه ، اي هيرمـانت رئيس اسـاقفة موستريير والذين كانوا برفقته ، واذن هذا الامبراطور للذين يريدون السفر بحرا بالمرور الى ميناء نيغربونت والعبـور مـن هناك ، امـا

الذين كانوا يريدون السفر برا فقد اعطاهم مبالغ كبيرة مـن المال ، وقدم اليهم المساعدات والمعونات من اجل استرداد اراضي القدس .

٨٩ ـ وعندما سمع سلطان قونيه (قلج ارسلان الثاني) بما حدث وعرف ان الامبراطورين قد عقدا سلما فيما بينهما ، وان امبراطور المانيا سيعبر من خلال ارضه ، انزعج كثيرا ، وحاول صده فقد جمع رجاله جميعا ، وحصن جميع الممرات والطرق التي سـيعبر عبـرها الامبراطور ، وعندما سمع الامبراطور بدوره بانه يريد صـده ، وانه قطع المعابر واغلق الممرات على الطريق الذي سيسلكه ، فترك هـذا الطريق ، وذهب الى طريق اخر ، فقد وجـد بعض المزارعين ليدلوه على الطريق ، وفي الوقت نفسه لم يدر بخلد المسلمين بان المسيحيين سيعبرون على الطريق الذي اختاره الامبراطور ، واسـتغربوا كيف وقع اختياره عليه لانه كان طريقا مزعجا وقاسيا ، يمر عبر الجبـال والجروف والشعاب ، وهو بعيد عن الطريق الاخر المستقيم .

وبعدما عبر الامبراطور صحراء صـعبة حيث قـاسى كثيرا مـن المشاق ومن الجوع والعطش ، اخيرا وصـل الى ارض منبسـطة ، وكانت محصنة ومحمية ، وقد تكبد الامبـراطور خسـائر كبـرى في رجاله وفرسانه وعندما وصل الامبراطور الى هـذا المكان ، ارتـأى الذهاب الى قونيه ، حيث خيل اليه أنه سيجد طريقا أفضل لا يصـد فيه ، هذا ما فكر فيه ، فكر أنه سيجد طريقا صالحا ، غير أنه وجد مصاعب جمة وغضايقات لا عد لها ولا حصر ، فمرارا لم يكن أحـد يستطييع المرور لا على الاقدام ولا على ظهور الخيل ، ولهـذا أمـر الامبراطور بتمهيد الطريق للمشاة ، كما أنه أمر بالقاء الخيول الميتة في الممرات الصعبة لتكون جسرا للعابرين ، والذي حصـل أنه كمـا أمر نفذت أوامره ، وبعدما عبروا هذا الممر الضيق والخطير بمعونة الرب ، وصلوا الى قونيه ، وهنا خرج حاكم قـونيه للتصـدي لهـم ومعه جميع قواته ، ولقد فكر بعـرقلة الطـريق أمـام الامبـراطور المذكور .

وعندما رأى الامبراطور أن قوات المسلمين كانت كبيرة وقوية ، رتب جنوده ورجاله للمعركة ، وكان ابنه فريدريك أمير سافوى في الساقة ، وكان رجلاً دين وشريفاً يتمتع بشهرة عالية وبسمعة طيبة ، وكان أبوه يقف في المقدمة يتولى القيادة بحكمه ومقدرة ، واستطاعوا - بنعمة الرب - أن يهزموا صاحب قونيه ، وأتبعوا ذلك الاستيلاء على المدينة المذكورة ، وهرب الاتراك مع نسائهم وأولادهم ، وآلت المدينة الى الامبراطور (في ١٨ - أيار ١١٩٠ ، وبعد خمسة أيام عقدت معاهدة السلام مع صاحبها).

٩٠ - بعد أمد قصير من استيلاء الامبراطور فريدريك على مدينة قونية ، عقد حاكمها هدنة مع الامبراطور حتى أنه وضع نفسه تحت امرته وأعطاه رهائن مناسبة ضماناً للهدنة ، وزوده بكميات من الأغذية والعتاد ، كل ذلك حتى يثبت له اخلاصه وحسن سلوكه ليتسلم منه مدينة قونية ويستردها لحكمه ، والتقى الامبراطور بهذا الحاكم واستمع الى كلامه وأعجب به ، ولأن اهتمام الامبراطور كان مصروفاً باتجاه مملكة القدس ، فقد أعلن عن توصله الى عقد هدنة مع حاكم نيقية ، على أساس تسلمه منه رهائن من علية القوم ، وأبرمت الهدنة حسب شروط التفاوض والاتفاق ، وأقسم حاكم قونية على التمسك بشروط الهدنة وكذلك فعل الامبراطور ، وفقاً لما جرت عليه العادة بين السادة الحكام ، وما أن أبرمت الاتفاقية حتى خرج الامبراطور من مدينة قونية ومعه جميع رجاله ، وتمركز أمام المدينة ، فعلى هذا تم الاتفاق حسبما ذكرنا ، ولقد حصل رجالنا على الأموال والأعتدة والأشياء التي كانوا بحاجة اليها ، وقد حصل هذا كله في شهر حزيران

٩١ - واستمعوا الآن لما سأحدثكم به ، عما فعله الألمان بالأتراك بعدما جرى اعلان الهدنة مع صاحب قونية واستلام رهائنه ، وشعر الألمان أن لا قانون يلزمهم ولا رادع لكونهم في موقف القوة ، مع أنهم اعتادوا عندما يكونون في موقف صعب على ملازمة الحق واعتبار جميع الناس أصدقاء لهم طيبون ، المهم أنهم

الآن وجدوا أنفسهم في موقف القوة لذلك بدأوا يسببون الاضرار للمسلمين الأتراك وأخذوا في ازعاجهم ، ولأنهم وجدوا أنفسهم في موقف قوة تصرفوا بشكل فوقي فكانوا يأخذون المؤن ويستولون على كل شيء كانوا يجدونه في السوق من دون أن يدفعوا ثمنهم ، واذا حدث وطالبهم بعض الناس بدفع ثمن الأشياء التي اخذوها ، كانوا يعرضونهم جميعا للموت ، وتم اطلاع حاكم قونية على الطرائق التي يعامل بها الألمان رجاله ، فبادر الى ارسال وفد من عنده لاطلاع الامبراطور على الأمر ، غير أن الامبراطور لم يقدم على تغريم أحد من أتباعه ولم يعاقب أحدا أبدا من الذين اساءوا الى المسلمين ، وعندما ازدادت الشكوى وعم الضجيج من تصرفات الألمان الذين لم يرعووا مطلقا بل ساءت تصرفاتهم أكثر من ذي قبل ، هنا خاف حاكم قونية من ان يحدث له أسوأ مما حدث من قبل ، لهذا أمر رجاله بالاستعداد بالخيل والسلاح لملاحقة جنود الألمان ، والسعي بشكل خاص للثأر من الجرائم الت اقترفها امبراطور الألمان ورجاله بحق المسلمين .

وتابع الامبراطور سيره ومعه جميع الرهائن الذين أخذهم من حاكم قونية ، وتوجه مباشرة نحو أرمينية ، وهو يخيل اليه أنه في أمان يتمتع بشروط الهدنة التي عقدها مع حاكم قونية ، غير أن هذه الهدنة لم تفده كثيرا ، لأن حاكم قونية قام بالانقضاض عليه من دون اعذار ولا انذار ، فهذه عادة المشارقة عندما يرون أن من المناسب لهم خرق الهدنة .

على هذا عندما تحرك الامبراطور مطمئنا يريد الوصول الى ارغينية خرق الحاكم المذكور الهدنة وحنث بالوعود التي تعهد بها ، ولم يحافظ على يمينه الذي أقسمه ، فلقد اتفق مع الامبراطور وتعهد له ألا يلحق أحد من رجاله أدنى ضرر بجنود الامبراطور المذكور ، ومهما يكن من أمر ، لقد جمع هذا الحاكم جنوده جميعا ، وبدأ بخرق الهدنة التي تعهد بها ، وأقسم اليمين على

رعايتها ، فكان في كل يوم يهاجم جنود الامبراطور ، ولهـذا لحـق رجال الامبراطور — مرارا وتكرار — الكثير من المضار والانزعاج .

وعندما وجـد الامبـراطور أن المسـلمين كانوا يتآمـــرون عليه وينقضون على قواته بشكل أخذ يزداد كل يوم — استدعى اليه قواده الحكماء والأشداء وأوصاهم باليقظة والانتباه ، ووقف الامبـراطور في المقدمة وتولى ابنه رعاية الساقة وقيادة قـواتها ، وهـكذا دافـع الامبراطور بكل انتباه وحذر عن رجاله ، ومع هـذا كان المشـارقة ينقضون مـرات عديدة على رجـال الامبـراطور فيأسرون منهـم ويقتلون ، وكانوا ينفذون عملهم هذا بكل دقة ، ومـع هـذا استمر الامبراطور يدافع عن رجـاله الذين حشـدهم ولملم أطـرافهم بـكل مهارة ، وبهذه الوساطة وهذا النظام قاد الامبارطور رجاله المشـاة والفرسان بدون توقف وبدون اسـتراحة ، فقـد سـار بهـم ليلا ونهارا ، وبوساطة هذا الجهـد المضـني وصـلوا اخيرا الى أرض ارمينية ، فهناك شعروا أنهم باتوا بأمان .

٩٢ — وعندما وجد الامبراطور أن السلطان لم يحافظ على عهده وحنث بأيمانه ، لم يسرح له رهائنه ، وأخذ بعد هذا بقطع رؤوسهم في عدة أمكنة ، فقد الحـق السـلطان بجنوده المضـار وقتـل بعضهم ، ومن هـؤلاء كان (غودفري) أسـقف وورزبـرغ ، وكان رجلا حكيما ، من أصل نبيل ، وكان أيضا خـطيبا مفـوها واديبـا رفيعا ، وقد عمل مستشارا للامبراطور ، وكان هذا الاسقف يشجع المسيحيين بعظاته المدسة ، وبنصائحه القيمة ، ويعـزيهم ويخفـف عنهم بأن المسـاويء التـي كانوا يتحملونهـا كانت في سـبيل الرب ، ومن أجل التكفير عن خطاياهم .

٩٣ — وعندما وصل الامبراطور الى أرمينية كان يحـكمها امير اسـمه لاون (الثـاني) الكبير ، وكان قـد تـوج آنذاك ملكا على أرمينية ، وكما حدثناكم من قبل جعلت الشهرة الكبيرة التي رافقـت مجيء الامبراطور المسـلمين يخـافون ، ولهـذا تخلى الذين كانوا

يسيطرون على قلعة بغراس عنها ، وهذه القلعة كان قد استولى عليها صلاح الدين بعد استيلائه على مملكة القدس ، وعلم فاوق دي بوليون ابن عم لاون بأن المسلمين قد أخلوا قلعة بغراس فدخلها وسيطر عليها وحكمها عدة سنوات .

وفي هذه الآونة حارب لاون الامير بوهيموند (الرابع) وذلك بعد موت أبيه، وكان سبب الحرب بينهما من أجل روبن بن بوهيموند (الثالث) وحدث آنذاك أيضا أن طالب فرسان الداوية بهذه القلعة (بغراس) لأنها كانت تخصهم ، وقد حاصروها في احدى المرات بأمر من البابا انوسنت ، وعقد لاون اتفاقية مع رجالات الداوية وعدهم فيها أنه عندما سيستولي على أنطاكية وينتزعها لصالح ابن اخته روبن (ريموند روبن ابن اليس الارمنية وابن أخت لاون الثاني) سيعيد اليهم هذه القلعة ، وهكذا عادت القلعة بنعمة من الرب الى المسيحيين ، وسيعيدها لاون بدوره الى فرسان الداوية الذين كانوا يمتلكونها من قبل ، وهذا ماسأشرحه لكم فيما بعد .

٩٤ ـ في فصل الصيف ، عندما كانت الشمس حارة والناس منهكين من شدة الحرارة ، في ذلك الوقت وصل الامبراطور فريدريك مع قواته جميعا الى ارمينية (دولة أرمينية الصغرى في كليكية) ، وهناك كانوا بأمان اكثر مما كانوا عليه من قبل ، لأن سلطان قونية قد تخلى عنهم وعاد الى بلاده ، وعسكر الامبراطور عند أول أرمينية على ضفة نهر قرب قلعة سلوقية التي تسيطر على مجرى نهر السن (غوك سو) حيث غرق بربروسا .

وكان صاحب أرمينية قد توجه لملاقاة الامبراطور عبر بلاده وذلك ليرحب به ويسلم عليه ، غير أنه لم يستطع الوصول اليه لكثافة عدد الجنود وازدحامهم الشديد ، وكان هذا الازدحام على جسر توجب عليهم عبوره ، وعندما اخفق لاون في العبور الى الامبراطور أوفد اليه رجلين من الاعيان في بلادش ، وكانا اخوين يدعى أحدهما كونستانس ، والآخر بلدوين دي كمربيس سيواس ، ووصل هذان

الرجلان الى معسكر الامبراطور الألماني ، وأبلغا باسم سيدهما لاون بالتحيات وأنه أرسلهما الى الامبراطور ليرشداه الى الطريق الى مدخل أرمينية ، واصطحبهما القادة الألمان الى الامبراطور ، وعندما مثلا في حضرته انحنيا أمامه وأبلغاه برسالة لاون .

وتلقى الامبراطور بسرور بالغ ما بعث به لاون اليه ، وسأل مبعثيه عما اذا كانا يعرفان طريقا آخر غير طريق الجسر يمكن العبور عليه بدون صعوبة ، فأجاباه بالايجاب وقالا من الممكن عبور النهر « لان النهر صغير سهل العبور وليس كبيرا » فامتطى حصانه ومعه فريدريك ابنه أمير سافوى (سوابيا) وقالا له :« دعنا يا مولاي نعبر الى الضفة الثانية أمامك لندلك على الممر ، ونقودك الى المخاضة من حيث تستطيع أن تعبر بأمان » ، وأوعز الامبراطور اليهما ان يعبرا أمامه ، فعبرا أمامه الى الضفة الثانية ثم عادا ليسيرا خلفه ويرشداه فأمرهما بأن يعبرا مع ابنه الأمير ، ففعلا ثم عادا الى الامبراطور ليرشداه ، وهكذا بدأ الامبراطور بعبور النهر والفارسان الارمينيان أمامه والرجال الآخرون من حوله وأمامه وخلفه ، وعندما أصبح الامبراطور في وسط النهر كبا به فرسه الذي كان يمتطيه فتقنطر عن ظهره وسقط في النهر ، ولشدة الحرارة التي قاساها ولبرودة الماء الشديدة حيث وقع ، فقد قوته ، ولم يتملك نفسه فعجز أن ينجو ، وتيبست عروق جسمه ففرق ، وتقهقر رجاله ودبت فيهم الفوضى حتى أنهم لم يستطيعوا أن يجتمعوا لايجاد وسيلة يستطيعون بها انقاذ سيدهم .

٩٥ ـ وتكبدت المسيحية خسارة عظمى بوفاة سيد كبير وقدير ، جاء ليسترد أرض مملكة القدس المباركة بكرامة وتقوى ، فمن الذي يستطيع أن يروي أو أن يصف آلام السادة الذين جاءوا معه وبكائهم عليه ، فلقد تحسر الفرسان وتألموا والناس جميعا لفداحة الخسارة التي لحقت بهم بوفاة سيدهم بسرعة

خاطفة ، وفيه تحقق مادون في كتاب سليمان : « جعلوك سيدا ، فكن أيضا مثل واحد منهم » .

هذا الذي كان امبـراطورا عظيمـا تـواضع في قيادة الفـرسان المسيحيين ، فهو الذي كان الناس من الفقراء يعدونه أخا لهم ، لقد كان مثله مثل وردة المحبة ذبلت في طريقها وذوت ، فهو لم يذهب مـن الحاضر حتى أنهكته المتاعب ، ولأنه كان متـواضعا وطيبـا وتـكبد المسيحيون خسارة كبرى بوفاته ، وحصل هـذا كله وحـدثت هـذه الواقعة في يوم أحد كان هـو الخـامس عشر مـن شـهر آب لسنة ١١٩٠ لتجسيد يسوع المسيح ، وأخرج جسمانه من النهر ثم حنط وكفن كما يليق به كامبراطور ، ثم نقل الى مدينة أنطاكية حيث دفن في كنيسة القديس بطرس وسط حزن شديد ، قرب ضريح أدهمر أسقف لي بوي ، والى اليمين من ذلك المكان عثر على الحربة التـي حملها لونغيس بعدما انتزعها من جسد مولانا يسـوع المسـيح على جبل الجلجلة .

٩٦ ــ وسأحدثكم الآن عن السـبب الذي دفـع بـه القـدوم الى الأرض المقدسة ، فهو عندما كان امبـراطورا في المانيا ، جـاء اليه أحد المنجمين ليقدم استشارته ، فقد كان الامبراطور عالي الثقـافة كثيرا ، لهذا كان بعض رجـال الاكليروس يأتـون اليه ليستشـيروه وليسألوه رأيه أحيانا حول بعض القضايا الدينية واللاهـوتية التـي كانوا يتناقشـون حـولها ، وكان يسـتدعيهم اليه كلمـا راق له الحال ، فيتحلقون حـوله فيفيدهـم كثيرا بنصـائحه ، لهـذا كانوا يمدحونه كثيرا ، وقد سأل في أحد الأيام منجمه عن شكل الموت الذي سيلقاه ، فطلب منه المنجم بعض الوقت حتى يتمكن من اجابته على سؤاله ، ومنحه الامبراطور المهلة التي أرادها ، وبعد انقضاء المهلة جاء المنجم الى الامبراطور وقال له : « مولاي يناسبك أن تمـوت في الماء ».

وحفظ الامبراطور هذا الكلام في قلبه ، ولم ينسه أبدا ، وعندمـا

غدا صليبيا تذكر كلام المنجم ولهـــذا عبــر البحـــر وجـــاء الى الأرض ، وكانت معجزة كبرى عندما لم يغرق أحد ممن عبــر النهــر سوى الامبراطور ، فهو وحـده الذي ســقط وغرق ، والمدهش أنه تخلص من خطر البحر الذي اجتازه ، وواجه هذا الخطر في النهر .

وقام صلاح الدين لشدة خوفه من قدوم الامبراطور فأمر بتـدمير أسوار اللاذقية وجبلة وجبيل وبيروت وجميع المدن الأخـرى الكائنة على شاطىء البحر حتى لا يستولي عليها المسيحويون ، ولخوفه من مرور الامبراطور فعل هذا كله بالمدن والقلاع لئلا يأتي الامبـراطور اليها ويستولي عليها ويحصنها ، ثـم يلتفـت بعـد ذلك الى تـكبيد المسلمين الخسائر ، ولهذا دمر ـ كمـا قلنا ـ صـلاح الدين المدن والقلاع القائمة على شاطىء البحر .

٩٧ ـ بات جيش الامبراطور الكبير بدون قائد بعد وفاته ، ولهذا تشتت في عدة أمكنة مثل قطيع بلا راعي ، وعندمـا وصـل فـريدريك أمير سافوى ابن الامبراطور الى سهول أرمينية كان مصابا بمرض شديد ، ولشدة مرضه لم يستطع الصعود إلى الجبل ، ذلك أن سهول أرمينية حارة في الصـيف ومغلقـة ، في حين كان الجبـل رطبـا وصحيا ، ولذلك اعتاد سكان البلاد على الصـعود الى الجبـل حيث كانوا يمكثون هناك أيام اشتداد حرارة الصـيف مـن بـداية شـهر حزيران حتى منتصف شـهر ايلول ، فمنذ ذلك الحين كانوا ينزلون الى السهل لأن الأرض تكون معتدلة وأقل انغلاقا .

ونقل الأمير الى انطاكية كما هو في حالته المرضية ، وجاء معـه قسم من الجيش ، ووجد هؤلاء الراحة في أنطـاكية بعـد الاشـغال القاسية والمآسي التي عانوا منها ، فأخذوا يأكلون هناك ويشربـون حيث استقبلوا في انطاكية بكل حفاوة .

وبعد وفاة الامبراطور وزوال وعثاء السفر ، بـدأ بعض فـرسان ألمانيا والناس الذين هربوا من حطين والقدس بالتجمع ، وسـاروا

مع الأمير الألماني الى عكا (وصل فريدريك دي سوابيا الى عكا في ٧ ـ تشرين أول ١١٩٠ توفي في ٢٠ كانون ثاني ١١٩١) وقد مات هذا الأمير نفسه في عكا بعد الاستيلاء عليها بعدما أدخل الى بيت الالمان ، وفي ذلك الوقت لم يكن بامكان اسبتارية الالمان الاحتفاظ بالمرضى لأنه لم يكن لهم مشفاهم الخاص بعد ، فقد ادعى أصحاب مشفى القديس يوحنا (الاسبتارية) بأنهم وحدهم فقط يمتلكون من روما حق اقامة مشفى في عكا ، ولا يجوز لأحد أن يكون لديه مشفى إن لم يكن من اتباعهم ، ولهذا عندما كان يموت واحد من الرجال العظماء في مدينة عكا ، حتى وان كان في بيت الالمان ، كانوا يأخذونه ليدفنوه في مقبرتهم ، ولهذا السبب طلب هذا الامير في أواخر أيام حياته من الالمان الا يكرموه كثيرا عند موته ، وأن يدفنوه في قبر متواضع بين قبور الفقراء ، لانه كان يعرف بشكل مؤكد أن أصحاب مشفى القديس يوحنا سيعملون على تكريمه بالقوة ،ولهذا فضل الدفن في مكان متواضع .

وما أن توفي حتى جاء أصحاب مشفى القديس يوحنا ليطلبوه لكنهم لم يجدوه أبدا ، ولم يستطيعوا معرفته بين الاموات ، وفي ذلك الوقت لم يخش اسبتارية الألمان من هذا الأمر كثيرا ، فاللباس الذي كانوا يرتدونه تحت معطفهم لونه أحمر مع نصف صليب أسود ، أما الرهبان الفرسان فكان معطف كل منهم من الصوف (المصنع في استامفورد في انكلترا) ولم يتجرأ الفرسان على ارتداء المعطف الابيض الا في جيش دمياط ، فيومها كان المعطف أبيض والصليب احمر (استولى الفرنسيون على دمياط في ٥ تشرين ثاني ١٢١٩ وأرغموا على اعادتها الى السلطان في نهاية شهر آب ١٢٢١) .

وطالبهم اسبتارية القديس يوحنا بعدما توفي مقدمهم بتعيين مقدم جديد لهم ، وهكذا توجب على الأعيان والرهبان اختيار مقدم لهم ، وطالب أصحاب مشفى القديس يوحنا الألمان بأن يكون المقدم منهم ، وهذا ماحاولوه هذه المرة ، غير أن الألمان رفضوا طلبهم

وأعلموهم أنهم لن يعطوهم أعيانا آخرين من أجل اختيار مقدم لهم ، وهكذا نشب الخلاف فيما بينهم .

٩٨ ـ ودفن الألمان فيما بعد الأمير في بيتهم ، ولأجل دفنهم له على هذه الصورة كوفئوا مكافأة عظمى ، وشهد كثير من الناس بكفاءة الأمير ومهارته وخاصة أنه كان مايزال في ريعان الشباب .

وبعدما سمع الألمان بوفاة الامبراطور فردريك توجوا ابنه البكر هنري الذي كان ملك ألمانيا ، توجوه امبراطورا ، وتولى تتويجه البابا كلستين ، الذي كان يشغل في ذلك الوقت الكرسي الرسولي في روما (انتخب كلستين الثالث بابا في ٣٠ آذار ١١٩١ ، وهو الذي توج هنري السادس في ١٥ نيسان ١١٩١ ، أي توجه غداة انتخابه بابا) ، وتزوج الامبراطور هنري (السادس) من كوستانس عمة النبيل وليم صاحب صقلية ، الذي كانت المملكة من حقه بعد وفاة ابن عمه ابن أخي الملك وليم ، لأن هذا الملك قد توفي بدون وريث ، ولهذا خلفه الامبراطور السالف الذكر فردريك (الثالث) الذي غدا فيما بعد امبراطورا وملكا لصقلية .

ولنعد الآن الى موضوعنا لنحدثكم عن ملكي فرنسا وانكلترا ، وعن الحرب التي كانت أن تنشب بينهما ، وهي التي كانت بسبب رتشارد كونت بواتيه ، وكان الملك هنري أربعة أولاد وثلاث بنات من المملكة اليانور ، التي كانت من قبل زوجة لويس ملك فرنسا ، وكان ابنه البكر يدعى هنري وهو الذي تزوج من أخت فيليب ملك فرنسا ، وهي ابنة ملك اسبانيا (هي مرغريت ابنة لويس السابع من زوجته كنستانس ابنة ألفونسو ملك صقلية) وكان الولد الثاني يدعى رتشارد ، وهو الذي أعطى امارة بواتيه ، وكان الولد الثالث يدعى جفري ، وهو الذي أصبح أمير بريتاني ، وكان الولد الرابع يدعى يوحنا سان تيرا ، ومن بناته الثلاث أعطى احداهن للملك ألفونسو صاحب كاستيلا ، ومنها ولدت الملكة بلانشي (اليانور قد تزوجت من ألفونسو الثامن ملك كاستيلا

وابنتها بلانشي تزوجت من لويس الثامن وهي أم القديس لويس التاسع)، وتزوجت الابنة الثانية من أمير سكسونيا (هي ماتيلدا زوجة هنري الأسد أمير ساكسونيا) وتزوجت (جوانا) الابنة الثالثة من وليم ملك صقلية ، ويروى أن يوحنا الذي اصبح فيما بعد ملكا لانكلترا قام باغراق أولاد أخيه جفري .

٩٩ ـ مات الكونت هنري ابن الملك هنري ، وبعدما حدث ذلك جرى في تلك الأثناء تعذيب القديس توماس الشهيد ، وأعقب ذلك أن الملك أراد أن يتوج ابنه الصغير يوحناملكا ، وعندما سمع بهذا الخبر الكونت رتشارد انزعج كثيرا ، وقصد فيليب ملك فرنسا وخاطبه بقوله :« مولاي بودي أن أعلمك أن والدي يريد أن يحرمني ، ويقترف خطأ فقد رأى تفضيل أخي الأصغر علي وتتويجه ملكا ، وانك تعلم تماما أنني رجلك المعتمد ، (في تشرين الثاني ١١٨٨ ادى قسم الولاء لفيليب أغسطس فتكرم عليه فأعطاه جميع الأراضي التي كان يملكها في فرنسا) لذلك ارجوك أن تساعدني بالحصول على حقي » ، ووعده الملك بكل سرور أن يقدم له المساعدة ، وبناء عليه حشد جنوده وساقهم فدخل بهم الى الاراضي التابعة لسيطرة الملك هنري فيما وراء البحار ، فاستولى على ماذس وتوروشيذون ، وحولها الى رتشارد ، وعندما سمع الملك هنري أن الملك فيليب انتزع منه الأراضي التي كان يملكها فيما وراء البحر ، جمع جنوده ، وعبر البحر وساق حتى وصل الى المنطقة التي ذسكر فيها الملك فيليب ، وفيما الجيشان يستعدان لانشاب القتال ، وصل رسل الكرسي الرسولي يحملون الرسائل والأخبار عما حدث في أرض القدس التي خسروها ، ولم يسترد الملك هنري أراضيه من الملك فيليب ، وفي الوقت نفسه ترك على العرش ابنه يوحنا ، ولم يلغ تتويجه وعاد الملك هنري الى انكلترا ولم يلبث أن مات نتيجة الحزن والالم لخسارته اراضي أوفرن وتركه لها لصالح ملك فرنسا ، وكانت هذه الأراضي غنية ، واثر هذا جاء ابنه رتشارد الى ملك فرنسا وشكره على الأراضي التي سلمه اياها في

بلاد ماوراء البحـر ، وأقسـم أنه سـيتزوج أختـه (أليس دي فرانس) بعدما يتوج ملكا في لندن .

١٠٠ ـ وذهب رتشـارد الى ملك فـرنسا طـواعية وبـطيب خاطر ، وأخذا يتداولان حول تحديد الموعد لتحـركهما والذهـاب في سبيل استرداد مملكة القدس ، وحدد له ملك فرنسا يوم الاثنين الاول بعد عيد القديس يوحنا من سنة ١١٩٠ لتجسيد يسوع المسيح ، ومن هناك سـافر رتشـارد الى لندن حيث تـوج ملكا (في ٣ ـ ايلول ١١٠٩) وبعدما استولى على المملكة سحب حاشيته وجاء الى فرنسا الى عند الملك فيليب ، وعندمـا جـاء الى فـرنسا توسل الى الملك وطلب منه مايلي قائلا :« مولاي ، بـودي أن أذكرك أنني رجل شاب ، وقد توجت من جـديد ملكا ، ثـم ركبـت هـذا الطريق ـ كما تعلم ـ للذهاب الى ماوراء البحر ، وبرضاك اريد أن أتوسل إليك أن تؤخر لي هذا الزواج حتى عودتي من وراء البحـر ، وأقسم لك بأنني سأتزوج من أختك خلال أيام من عودتي » ، وصدق الملك كلامه ، وتلقى بكل سرور هذا الاقتـراح وأعطـاه المهلة التـي طلبها ومن ثم التزما بالصمت .

١٠١ ـ وأعد فيليب ملك فرنسا عدته للجواز من غنز ، أمـا ملك انكلترا فقرر السـفر مـن مـرسيليا ، وذلك يوم القـديس يوحنا ، وذهـب ملك فـرنسا الى سـانت دينس للاسـتراحة والاسـتجمام ، والى هناك وصـل اليه رتشـارد ملك انكلتـرا (في ٢٤ ـ حـزيران ١١٩٠) وتبـادلا الأيمـان في أن يكونا رفيقين مخلصين ، وأن يحملا الايمان والكرامة وأن يكن كل واحـد منهمـا للآخر الاحترعم ، وذهب ملك فرنسا الى غنز ، كما ذهب رتشـارد الى مرسيليا حسبما كان مقررا ، وفي تلك الاثناء تحرك العديد مـن كبار رجـال فـرنسا لمرافقـة الملك ، وكان منهـم فيليب دي فلاندرز ، وهنري دي شامبين والأمير ثيبوت دي بلوا والامير استين دي سانكوري وثيوج أمير بورغون وفيليب أسقف دي بوفو ، ووليم دي باري مع عدد كبير آخـر مـن الفـرسان ، وأعداد غفيرة مـن

النبلاء ، وكان لملك فرنسا ابن من الملكة ايزابيل ، التي كانت ابنة كونت هينوت (ايزابيل هي ابنة بلدوين الخامس كونت هينوت ، وهي أم ملك فرنسا المقبل لويس الثامن الذي ولد سنة ١١٨٧) وقد ترك ملك فرنسا ابنه لحماية المملكة ، وترك معه عمه وليم رئيس اساقفة رينز ، والكونت ريندو دي بونثيو (الحقيقة أن كونت بونثيو حمل الصليب في الوقت نفسه الذي حمله فيليب أوغسطس ، وكان اسمه جان وقد مات في أثناء حصار عكا) ٠

وعندما وصل الملك الى غنز شحن سفنه وأعد مراكبه الحربية ، ومثله فعل الملك رتشارد في مرسيليا ، وأقلع ملك فرنسا مسافرا يريد الاراضي المقدسة ، ومنذ اقلاعه من غنز رافقته أنواء سيئة وظل هكذا حتى وصل الى مسينا (في ١٦ ــ ايلول ١١٩٠) وقد أصيب بخسائر كبيرة ولحقته أضرار جمة في السفن والعتاد ، وذلك كله بسبب سوء الأحوال الجوية ، وعندما سمع الملك تانكرد أن ملك فرنسا وصل الى بلاده ذهب الى استقباله ، فرحب به بكل حرارة ووضع تحت تصرفه مملكة صقلية بأكملها ، وقال له كل شيء في المملكة سيكون وقفا على ارادتك وسرورك ، ورجاه أن يمكث في بلاده ما شاء من وقت.

ولما رأى الملك ماحل بعتاده وسفنه من أضرار رأى عين الصواب في نصيحة الملك تانكرد فمكث بعض الوقت في صقلية ، وفي تلك الأثناء كان الملك رتشارد قد تحرك من مرسيليا ، وعندما وصل الى جزيرة صقلية فكر بالذهاب لرؤية أخته الملكة جوانا ، التي كانت زوجة الملك وليم ، واستهدف ايضا أن يسأل فيما اذا كان ملك فرنسا قد وصل الى هناك ، وهكذا عندما اقترب من جزيرة صقلية سأل عن أخبار وصول ملك فرنسا اليها ، فقيل له نعم وصل وهو مقيم في مدينة بلرم (في الحقيقة كان في مسينا ، وكان تاريخ وصول الملك رتشارد ٣ ــ ايلول) المدينة الرئيسية لمملكة صقلية ، ذلك أن فيها أغنى القصور في العالم وأفخمها ٠ ففي هذه المدينة أقام ملك

فرنسا ، فقد افرغ الملك تانكرد أحد القصور ووضعه تحت تصرفه تشريفا له .

١٠٢ ـ وعندما علم رتشارد ملك انكلترا أن ملك فرنسا كان مقيما في بلرم فرح فرحا عظيما ، وأمر رجاله أن يجدوا لأنفسهم مقرا هناك ، فهو قد عزم على البقاء هناك مع الملك حتى ينقضي الشتاء ، ولهذا جرى اعفاء الفرسان والجنود من مهامهم ، وبدوره عندما سمع ملك فرنسا أن ملك انكلترا قد وصل الى هناك فرح كثيرا وجاء لملاقاته ، فابتهج الملكان معا وسر كل واحد منهما بالآخر ، وتولدت محبة كبيرة بين كل من ملك فرنسا وملك انكلترا في تلك الأثناء واقسما لبعضهما الأيمان بأن يظلا رفيقين مخلصين دوما ، وأن يحمل كل واحد منهما للآخر المشاعر الطيبة والثقة الغالية والايمان المتبادل ، ولم أعرف من قبل من الذي بدأ الحرب فيما بينهما ، أعني بين الاثنين ، لأنه نجمت خسائر كبيرة ووقعت مضار عظيمة منذ أن نشبت الحرب بينهما ، بيد أنهما عندما سافرا الى بلاد ماوراء البحار واتجها نحو أرض الميعاد كانا صديقين حميمين الواحد منهما للآخر ، وكان الواحد منهما يدعو الآخر « ياسيدي » ، ولو دام حبهما لبعضهما لازدادا شرفا مع الأيام ولانتصرت الديانة المسيحية المقدسة بهما ، وستجدون في هذا الكتاب خبر من بدأ الحرب بين الملكين .

وبعدما سلم ملك انكلترا على ملك فرنسا وتبادلا التحيات تقدم تانكرد ملك صقلية من ملك انكلترا ورحب به وأحسن استقباله ودعاه للاقامة في القصر نفسه في بلرم حيث أقام ملك فرنسا ، ذلك أن القصر كان كبيرا ومتسعا ، وبامكان الملكان الاقامة معا ، وعندما سمع ملك انكلترا ان ملك فرنسا قد أقام في القصر ، وأن الملك تانكرد يعرض عليه الاقامة معه شكر الملك تانكرد شكرا كثيرا ، وقال له بأنه لايرغب في أن يضايق ملك فرنسا في اقامته ، وهكذا افضل الاقامة في مكان لخر ، وظل ملك فرنسا مقيما في القصر ، كما ذكرنا لكم ذلك من قبل ، لكن ملك انكلترا فضل

الاقامة في ضاحية المدينة ، ولهذا سبب آخر لانه كما قال كان يعرف أن الفـرنسيين متـكبرين متعجـرفين ، والانكليز حمـلان متواضعين ، فهو قد آثر الاقامة بعيدا عن ملك فرنسا حتـى لايكون هناك اختلاط وخلاف .

وبعد أن أقام الانكليز هناك حـدث تنافـر بينهـم وبين سـكان البلاد ، ولذلك نشب خلاف كبير بين رجال ملك انكلترا ورجال الملك تانكرد ، أدى الى الحرب بينهما ، ولهـذا السـبب تحصـن الملك في القلعة بعض الوقت ، واغلقهـا على نفسـه ووضـع عليهـا الرنك الملكي (الغرفين) الانكليزي ، وذلك بسـبب الحـاجة والضرورة ولانقلاب رجال البلاد ضده ، وعندما رأى الملك تانكرد أن الملك قـد أغلق هذه القلعة عليه ، وتحصن بها جاء لتقديم العون له والتفـريج عنه ، ثم أقنع رجال الشـعب الذين شـكلوا بـأن يقـدموا له الغفران ، واسـتقبلهم الملك بسرور وتمـت المصـالحة وبـاتوا في سلام ، وقد ظلوا هناك حتى شهر آذار .

١٠٣ ـ وذهب الملك رتشـارد لزيارة أختـه جـوانا ورؤيتهـا ، ففرحت به فرحا عظيما ، وسرت كثيرا لقـدوم أخيهـا وزيارتـه لها .

وكان الآن قد انقضى على حصار عكا وتطويقها سنة ، وتوجه الى عكا للمشاركة في الحصار وعبر قبل عبور الملكين كل : مـن الكونت هنري (دي شامبين) والكونت ثيبوت (دي بلوا) والكونت استين دي سانكوري وفيليب اسقف دي بوفو ، ووصلوا الى عكا وقـدموا المساعدات وآلات الحصار ، وهـذه الآلات كانت ممـا جهـزة ملك فرنسا ووصل قبل عبوره ، وقام الكونت بتقـديم المسـاعدات التـي جلبها ، وحالما وصل ملك فرنسا وجه هنري آلات الحصار نحو سور مدينة عكا وألصقها به .

وكان الجيش قد عانى من غلاء عظيم حتى أن المكيال الواحد من

القمح بات يباع بثلاثين بيزنتــه ، ومــكيال الطحين بســتين ، ولم يتوفر لحم البقر ولالحم الغنم ، وكانت البيضة الواحدة تباع بـأحد عشر ديناري ، وكان افضل لحم يأكله الجنود هــو لحــم الخيول أو البغال أو الحمير ، وكانت المجاعة كبيرة وشاملة قـاسية حتــى أن الفقراء كانوا اذا ماوجدوا حيوانا ميتا أكلوه بنهم ، وبدأ الجنود بعد مجيء كونت شامبين يضرحــون بـالشكوى لعــدم تــوفر المؤن لديهم ، وأخذوا يعلنون نقدهم للسادة وكبار القـادة الذين شــاركوا بالحصار ، ووجهوا اللوم اليهم ، واتهموهم بعدم الرغبة بـالزحف ضد صلاح الدين وحربه ، ورأى الأشراف والنبلاء بدورهم أنهم لن يستطيعوا حرب صلاح الدين مـادامت مـدينة عكا تحــت سـيطرة المسلمين .

وفي داخل المعسكر لم يعد الفرسان يتجـرأون على التحـرك مــن مكان الى آخر ، لأن كل واحد منهم بات عرضــة للشــتم والاهــانة بالكلام ، فقد تمرد الجنود والسيرجانية على الفرسان ، واعتقــدوا أنه لاقيمة للفرسان وأنهم لم يعودوا بحاجة اليهم ، وخيل اليهــم أن بامكانهم لوحدهم خوض الحرب ضد صلاح الدين ، وأنهــم ليســوا بحاجة الى مساعدة الفرسان .

وطلب السيرجانية من الملك والبارونات مرارا وتكرارا بأن يسمح لهم بالخروج من المعسكر ، وعندما وجدوا أنفسهم غير قادرين على اقناعهم أو اجبارهم أعلنوا أنهم سيخرجون ولو قاد ذلك الى هلاكهم فهم اذا جاء الخير أو الشر ســيفرحون كثيرا ، لأن الأمــر ســواء عندهم ، وهم ايضا مدركون تمام الادراك أنه اذا ماحاق بهم ســوء الحظ فلن يجدوا أحدا سيأتي الى نجدتهم .

وخرج السيرجانتيه والجنود وزحفوا ضــد المســلمين ، ولما رأى صلاح الدين أنهم خرجوا لوحدهم أفرغ لهم معسكره ، وماأن شاهد السيرجانية والجنود أن معسكر صلاح الدين قــد أخلي أسرعوا الى هناك مطمئنين واثقين ، وتركهم صلاح الدين حتى اطمــأنوا وأكلوا

ونهبوا وتأكد في الوقت نفسه أنه لا وجود للفرسان بينهم ، وهنا انقض عليهم في مكان وقوفهم ، وقتل منهم أعداد كبيرة جدا حتى مات منهم الكثير الكثير ، فقد قيل أنه لم يفلت أحد من السيرجانتية ، بل ماتوا جميعا في فترة وجيزة .

ولقد تألم مولانا كثيرا للنازلة التي حلت بين صفوف السيرجانتية والجنود ، فقد انتقم من رعونة هؤلاء القوم الذين تمردوا على فرسانهم وسادتهم ، واثر ذلك أمر صلاح الدين رجاله أن يقوموا بجر جثث القتلى ورميها في النهر ، وكانوا من الكثرة بمكان أن النهر فاض عدة أيام بدماء القتلى وجثثهم ، حتى أن الجنود لم يعد بامكانهم شرب الماء منه ، وواقع الحال أن الضيق في معسكر المسيحيين كان في ذلك العام شديدا فوق حد الوصف ، وكذلك في معسكر المسلمين فلكثرة جثث القتلى ، انتشرت روائح النتن وكثر الذباب الى درجة بات من الصعب جدا البقاء في أماكن العسكرة هذه من الجانبين ، وحدث هذا في يوم عيد القديس جاك الموافق للخامس والعشرين من حزيران ، وماتت في هذا الفصل الملكة سيبل ملكة القدس (في تشرين الاول ١١٩٠) ومات ابنتاها أليس وماري ، ولم يبق لها ولد ، وهكذا انتقلت المملكة بحق الميراث الى ايزابيل زوجة هنفري صاحب تيرون ، وهي ابنة الملك عموري والملكة ماري .

١٠٤ ــ بعد وفاة الملكة سيبل ، عرف الماركيز كونراد ، الذي كان مستوليا على مدينة صور أنه لم يبق لمملكة القديس من وريث شرعي سوى التي تدعى ايزابيل التي ورد ذكرها من قبل ، وللطموح الذي توفر لديه بالحصول على المملكة أقنع الملكة ماريا التي كانت والدة ايزابيل أن تثير دعوى ضد زواج ابنتها من هنفري ، وأن تحصل على موافقة الابنة على هذا التحرك الذي استهدف الطلاق ، وتكلمت الملكة مع ابنتها وحاولت اقناعها لتوافق وتعمل للانفصال عن هنفري من ثم الزواج من الماركيز ، غير أنها لم توافق على ذلك لأنها كانت تحب زوجها هنفري وهذا ما أزعج

أمها ، وقد بينت الأم لها مرارا السبب الذي يحـول بينهـا وبين أن تكون سيدة المملكة ، وقالت : لن تصل الى ذلك مالم تنفصـلي عن هنفري ، وذكرتها بالأخطاء التي اقترفها هنفري ، خـاصة عندما أراد كونت طـرابلس والبـارونات الذين كانوا مجتمعين في نابلس تتويجها ملكة وتتويجه ملكا ، فهرب الى القدس وطلب المغفرة وقدم الولاء الى الملك والملكة ، وأوضحت لها أنهـا مـادامت زوجتـه فلن تستـطيع الحصـول على المكانة والتشريف ونيلهـا مملكة ابيها ، وزادت على جميع ماتقدم بقولها أنها عندما تزوجت لم تـكن في سن الزواج ، ولهـذا السـبب يمـكن الادعاء ضـد الزواج القائم ، وبعد طول وقت وافقت على ماأرادت أمها ، والذي أرادتـه أمها هو الزواج من المركيز ، وكانت الملكة الام تكره هنفري لسـبب لخر هو أنه عندما تزوج من ابنتها بدأ يكره الملكة الام مـاري ، ولم يرد أن ترى ابنتها ، وكان يفعل ذلك بمشورة من أمه استيفاني التي كانت سيدة قلعة الكرك .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى غادر الماركيز مدينة صور وجـاء للمشاركة في حصـار مـدينة عكا وتحـدث الى فيليب أسـقف بوفو ، والى هيوبرت رئيس اساقفة بيزا ، الذي كان يحظى بمكانة عالية في كنيسة روما ، وطلب منهما المساعدة والمشـورة للحصـول على الزواج المرغوب ، وتمكن عن طريق اغداق العطايا والأموال من شراء ذمم عدد كبير من الناس وأفسد كثيرا من رجال الجيش بمنحه ووعوده ، وتمكن بشكل خاص من أتباع رئيس أساقفة بيزا وأعوان أسقف بوفو ، ورتب كل شيء وأعد الأجواء ، وهكذا عندما رفعـت الملكة ماري دعواها ضد هذا الزواج ، تم الانفصـال حـالا وبـدون معيقات ، وكانت مسـوغات الدعوى التـي رفعتهـا الملكة مـاري ووضعتها أمام رئيس اساقفة بيزا وممثل رومـا أن ابنتهـا لم يكن عمرها سوى ثلاث عشرة سنة عندما تزوجت ، وهـي على هـذا لم تكن في سن الزواج وقتذاك ، وبناء عليه تم استدعاء هنفري لسماع هذه الشكوى والاجابة عما لديه من معلومات ونفي هذا الادعاء حتى تبقى السيدة زوجة له ، فقال هنفري انه عندما سئلت السيدة وقتها

وافقت على الزواج ، وكان بين الشهود قاروراتي شرايبار) اسمه سناس (غي الثالث دي سناس) فكذب هنفري وتحداه قائلا : ان السيدة لم توافق مطلقا على الزواج ، وكل مافعله الملك بلدوين (الرابع) كان ضد ارادة السيدة وأمها ، واذا كان لديك شيئا لغر تقوله فتبرهن به على صحة اقوالك وتدحض به خصومك فهاته ، وشعر هنفري أنه قد طعن في الصميم ، ومع هذا تراجع ولم يجرؤ على التحدي ، وقام الذين أفسدتهم عطاءات الماركيز فاشاروا على هنفري ونصحوه بفسخ هذا الزواج والانسحاب منه ، واقنعوه أنه لن يستطيع حكم المملكة ، وصعب عليه الامر كثيرا ، ومع هذا استمع الى نصائحهم ووثق باقوالهم ، وفسخ الزواج وانسحب منه .

١٠٥ ـ وقام رجل الدين البيزاوي المخول ففسخ الزواج وفصل بين الزوجين ، ولو انه أراد خلاف ذلك لم يفسخ الزواج مطلقا ، حيث لم يتوفر سبب كبير يترتب عليه فسخ الزواج ، ولكن رجل الدين المخول نفذ الفسخ لصالح الماركيز ، لأن البيازنة هم الذين اصطحبوا هذا الماركيز من القسطنطينية الى مدينة صور ، وهم الذين ثبتوه هناك ، وفكروا بالحصول على عرفان للجميل وعطايا عظمى من مملكة القدس اذا ما امتدت أيام الماركيز .

١٠٦ ـ لايمكن لأي عمل جبار يبدأ تدفينة بالخداع أن ينتهي نهاية طيبة .

بعد تقديم هذه الحجج وسماع هذه الشهادات أمام رجل الدين أحضرت الملكة ماري ابنتها لاستماع رأيها ولسماع قرار الحكم ، وأعطى رجل الدين المذكور تخويلا كاملا وحرية مطلقة للسيدة ، وأخبرها أنها تستطيع الزواج من أي شخص تريده وصدر هذا القرار وفقا لاحكام الناموس وارادة الرب ، والرب وحده يعلم ذلك ، وهكذا لم تعد السيدة تحت سلطة البارون وولايته ، بل

أصبحت تحت ولاية الماركيز وسلطانة فقد تزوج منها بعدما صدر القرار بالفسخ .

وبعدما قدمت السيدة ايزابيل طالبت بالمملكة على أنها حق لها ، وقدم لها البارونات الذين كانوا هناك الولاء ، واعتبروها الوريث الشرعي للمملكة ، وعندما استلمت حقها من الميراث تحدثت بحضور بارونات المملكة وقالت أنها منذ أن انفصلت عن زوجها الأول لم تتوفر لديها رغبة في أن تجرد من حقها بالميراث لا هي ولا ذويها واستطردت تقول : « انني أسترد جميع الممتلكات التي منحها لي أخي (بلدوين الرابع) عندما تزوج مني (هنفري) ، أن هذا ما ينبغي أخذ العلم به ، وهذه الممتلكات : قلعة تيرون ، والقلعة الجديدة وجميع ماتحتويه وكل ما أودعه فيهما والدي وجدي » .

وبعد هذا الخطاب تزوج الماركيز من ايزابيل ، وقد قيل انه تزوجها حسب الايمان والشرع ، لان زواجها الاول تم بشكل خاص ، بينما عقد الثاني في الكنيسة ، ولم تعد هذه السيدة لتكون ثانية تحت ولاية زوجها هنفري ، لانها لم توافق مطلقا على الانفصال فيما بعد . ومرة ثانية لا شك أن مملكة القدس لم تعلم أنها تسير نحو الخطر والتقهقر بسبب هذا الحدث .

(نص مخطوطه فلورنسا)

وثبت ملك انكلترا مواقعه قرب مسـينا ، وشرع في وضـع الرنك (غريفن) الملكي الانكليزي على واحد من الابراج بكل هدوء ، وذلك بأن عمل على احضار جميع رجال الحرف الى القلعة ، وقـد وافـق ملك فرنسا على عمله هذا ٠

وصف وصول ملك فرنسا الى عكا :

وأمضى فيليب ملك فـرنسا ورتشـارد ملك انكلتـرا الشـتاء في صقلية ، وفي أثناء اقامة الملك رتشـارد هناك رجـا أختـه أن تبيع ممتلكاتها وتذهب معه وتشاركه في مشروع الحج هذا ، واقسم لهـا يمينا تعهد فيه أنه حالما تعود معه الى انكلترا سيعيد اليها ثمن كل ما باعته ، ويعوض عليها ما منحتـه اياه ، وسـيزوجها بشـكل رفيع وبحفلة بهية جدا ، وأجابته بانها توافق على مـطالبه وتقبـل بـكل اقتراحاته وبدون تردّد ، وقد زوجها فيما بعد من الأمير صنجيل وقد انجبت له ولدا أصبح فيما بعـد أميرا لكونتيه سـان جـايل ، وذلك بعدما عقدت معاهدة البي جيوس (تـزوجت جـوان الانكليزية مـن ريموند السـادس كونت سـانت جـايل وطـولوز ـ في تشرين أول ١١٩٦ ، ووقع فيما بعد ريمـوند السـابع في سـنة ١٢٢٩ معـاهدة ميوكس) ٠

وعندما حصـل الملك رتشـارد على مـوافقة أختـه على بيع ممتلكاتها ، تحدث حول الموضـوع مـع تـانكرد ملك صـقلية الذي اشترى هذه الممتلكات بكل طيبـة خـاطر بناء على نصـيحة رجـاله ومشورتهم وبعدما انقضى شهر آذار شـحن ملكا فـرنسا وانكلتـرا سفنهما بالعتاد وبكل الاشياء المحتاج اليهـا ، ومـا أن فـرغا مـن

الجهاز حتى حان وقت الاقلاع ، وتحـرك ملك فـرنسا فـوصل الى عكا ، لكن ملك انكلترا لم يصل معـه ، لأن حـادثا واجـه هـذا الملك ، وهو ما ستعرفونه فيما بعد

وعندما وصل ملك فرنسا الى عكا استقبل هناك استقبالا مشرفا من قبل النبلاء الذين كانوا هناك ، فقـد فـرحوا بـوصوله فـرحا عظيما ، ذلك أنهم انتظروا هذا الوصول منذ زمن طـويل ، وحـالما وصل الى هناك امتطى فرسه ليستطلع المنطقة وليختار الجهة التـي يمكنه منها الاستيلاء على المدينة بسهولة ، ثـم أقـام حـول المدينة سواتر دفاعية .

١٠٧ ـ أمضى فيليب ملك فرنسا ورتشارد ملك انكلترا الشتاء في صقلية ، وكان الملك رتشارد بارعا ، ذلك أنه ما أن وصل الى هناك لم يتوان عن التوسل إلى اخته و الطلب منها أن تبيع ممتلكاتها هناك ومن ثم الذهاب معه و مـرافقته في حملتـه إلى الأراضي المقـدسة ، واقسم لها وتعهد أنه عندما سيعود الى انكلترا سيعيد اليها كل مـا تلقاه منها من ثمـن أمـلاكها ، وأن يزوجهـا زواجـا راقيا وغنيا ، وأصغت هذه السـيدة الى نصـيحة أخيهـا وأخـذت بها ، ووافقت على ماأراده فباعت ممتلكاتها وأخذت أثمانها .

وفرح الملك رتشادر كثيرا عندما خولته أخته ببيع املاكها ، وكان قد تحادث من قبل مع الملك تـانكرد حـول مـوضوع بيع اختـه لأملاكها ، واسـتشار الملك تـانكرد رجـاله فـأشاروا عليه بالشراء ، وبناء عليه تسـاوم مـع الملك رتشـارد لشراء أمـلاك السيدة ، وحالما استلم الملك رتشارد المال من الملك تـانكرد ، اسرع للسفر ، فأعد سفنه في آذار للعبور ، وأعطاه الملك تانكرد الكثير من المساعدات ، وكذلك أعطـي ملك فـرنسا ، وتحـرك الملكان مـن هناك ، وتوجها يريدان المشاركة في حصار عكا ، ولم تتمكن جـوانا ملكة صقلية وأخت الملك رتشارد من السفر مع أخيها الملك ، لوجود

مشاغل كثيرة توجب عليها انجازها فيما يتعلق بممتلكاتها ، ثم انها ارادت ان تسافر بكل راحة وهدوء .

وبعدما غادر الملكان مسينا ، قصد فيليب ملك فرنسا الوصول مباشرة الى سورية ومعه جميع اتباعه ، وقد وصل الى ميناء عكا حيث كان الحصار قائما حول عكا ، وكان النبلاء الذين كانوا هناك ينتظرون وصوله بفارغ الصبر ، ويتمنون مجيئه منذ زمن طويل ، وما أن وصل حتى استقبل بكل حفاوة ، استقبل بما يليق برجل كبير مثل ملك فرنسا ، وابتهج أفراد الجيش كثيرا بقدومه ، ذلك أنه أحضر معه ومع اتباعه سفنا محملة بالاغذية وباشياء اخرى مفيدة ، كما جلب معه عددا من البارونات والفرسان حسبما يليق بتاج فرنسا وبالسادة الآخرين مثل فيليب كونت فلاندرز ، وهيوكونت بورغون ووليم كونت براس ، ولنشوب بعض الخلافات لم تبدأ الحرب مباشرة .

١٠٨ ــ وحالما وصل الملك فيليب امتطى فرسه وطاف حول الجيش وحول مدينة عكا ليستطلع الموقع وليبحث عن المكان المناسب والجهة التي يمكنه منها الدخول الى المدينة والاستيلاء عليها بكل يسر ، وما أن أكمل استطلاعه وتعرف الى المكان قال : « مدهش ورائع قدرة وحكمة هؤلاء الذين بدأوا الحصار ، كيف أمكنهم الحصول على المكان المعسكرين فيه » ثم أمر باقامة حواجز وسواتر حول المدينة ، وكانت مصنعة من الحديد المغطس بالقصدير الأبيض حتى انها كانت تبرق كالفضة ، وأمر رجاله وفرسانه أن يشددوا الحراسة بدون هوادة حتى لا يستطيع أحد من داخل المدينة أن يرفع اصبعه فوق اسوار المدينة .

وعندما رأى سكان المدينة انفسهم وقد حوصروا بشدة ، رفعوا بايديهم من جانبهم سواتر حديدية وثبتوها على أسوار القلعة البيضاء ، وكانت تلمع كالفضة ، ثم نشروا جنودهم من الرماة القناصة والمجانيق بهدف احباط اية محاولة للتسلق فوق أسوار

المدينة ، وتابع ملك فرنسا حصار سكان مدينة عكا حتى مجيء ملك انكلترا ، وقام اللغامون فلغموا الاسوار التي كانت على مقربة من برج الذبان ، فقد دفع البيازنة كبشا الى قرب أسوار المدينة ، ولكن المسلمين أضرموا النار فيه بعدما ألقوا عليه بالزيت والاسفلت من فوق الشرافات وأحرقوا ايضا كل المعدات التي كانت موجودة قرب الاسوار مع الذين كانوا فيها ، وأضرم الملغمون النار بالاخشاب التي وضعوها في اللغم الذي عملوه تحت السور ، فانهار هذا السور ، وحاول مارشال الجيش الفرنسي ومعه اعداد كبيرة من رفاقه الفرسان الدخول الى المدينة من حيث سقط السور ، ولكن تصدى لهم المسلمون واشتبكوا معهم بقوة ، وقتل في تلك الاثناء المارشال الفرنسي وكثير ممن كان معه من الفرسان ، وهذا ما أزعج كثيرا ملك فرنسا والبارونات الآخرين الذين كانوا معه هناك ، ومع هذا لو أراد ملك فرنسا اقتحام المدينة والاستيلاء عليها لكان بامكانه ذلك ، لكنه آثر انتظار ملك انكلترا ، لانهما كانا مترافقين بالسفر ، وقد تحالفا معا منذ ان تحركا واتفقا حول جميع ما سيستوليان عليه من أماكن ولهذا انتظره ليشاطره الفرح في الاستيلاء الذي سيقومان به على مدينة عكا .

يوجد ثلاثة وعشرون كتابا تتحدث ، عن كيفية عبور كل من ملكي انكلترا وفرنسا الى سورية ، وعن احتلالهما لجزء من هذه البلاد ، واحداثهما أضرارا بالغة في أراضي سورية ، وتتحدث كيف أن الملك رتشارد توقف عند مجيئه في جزيرة قبرص التي احتلها ثم باعها الى الملك غي لوزنغنان .

وكان الملك رتشارد عندما عزم على التوجه لنجدة مملكة القدس ، قد أقسم آنذاك يمينا لأخت فيليب ملك فرنسا ، تعهد فيه بأنه سيتزوجها بعد أربعين يوما ، من عودته ، وعندما سمعت أمه الملكة اليانور — التي كانت مرة ملكة فرنسا ، والآن ملكة انكلترا — أن ابنها سيتزوج من أخت ملك فرنسا انزعجت كثيرا ، لانها كانت تكره أقارب الملك لويس ملك فرنسا الذي كان

زوجا لها ، وأرادت أن تحبط هذا الزواج الذي وعد ابنها به ، وهكذا بحثت وسألت أين يمكن أن تجد زوجة لابنها .

وقام على مقربة من كنيسة القديس لينارد رابية صغيرة ، سيطرت عليها وتحكمت بها ، واخذ أصحاب الكنيسة يلوحون من فوق الرابية الى قوات المسلمين ليقدموا لنجدتهم وتقديم العون لهم ، وكمن هناك بعض الفرنسيين ، وهكذا عندما اقترب المسلمون انقض هؤلاء عليهم ولم يستطيعوا المقاومة .

ومع هذا أبقى ملك فرنسا على الذين كانوا داخل مدينة عكا حتى وصول ملك انكلترا ، ولقد ندب الملغمين للغم السور الذي كان على مقربة من برج الذبان ، وقام البيازنة بصنع آلة كبيرة اسمها الكبش ، وسحبوها حتى ألصقوها بالسور حيث كان الملغمون يلغمون ، وأضرم المسلمون النار من داخل المدينة وصبوا الزيوت والاسفلت على آلة الكبش ثم رموها بالنار من الداخل والخارج فأحرقوها والذين كانوا فيها ، وحدث في الوقت نفسه أن نجح الملغمون في لغم السور واضرام النار تحته فانهارت قطعة من السور ، وبادر مارشال فرنسا وبصحبته عدد كبير من رفاقه الفرسان بالدخول الى المدينة من الثلمة التي فتحت بالسور لكن تصدى لهم المسلمون بكل قوة ومنعوهم من الدخول ، وقتل في تلك الأثناء مارشال فرنسا مع عدد كبير من الفرسان الذين كانوا معه ، وقد أزعج هذا الحادث ملك فرنسا كثيرا وكذلك أزعج بقية البارونات الذين كانوا معه .

١٠٩ ــ ولو أراد ملك فرنسا اقتحام المدينة والاستيلاء عليها لكان بامكانه فعل ذلك ، لكنه آثر انتظار ملك انكلترا ، لأنهما كانا مترافقين بالسفر ، وقد تحالفا معا منذ ان تحركا ، واتفقا حول جميع ما سيستوليان عليه من أماكن ، ولهذا انتظره ليشاطره الفرح في الاستيلاء المشترك الذي سيقومان له على مدينة عكا .

١١٠ - وكان الملك رتشارد عندما عزم على التوجه لنجدة مملكة القدس قد أقسم يمينا وقت ذاك تعهد فيه لأخت فيليب ملك فرنسا أنه سيتزوجها بعد أربعين يوما من عودته ، وذكرنا من قبل ان الملكة اليانور أم الملك رتشارد أرادت احباط زواج ابنها من أخت ملك فرنسا ، لانها كانت تكره اقارب الملك لويس ملك فرنسا ، الذي كان زوجا لها من قبل ، وهكذا بحثت وتقصت علها تجد زوجة مناسبة لابنها .

فأخبرت بوجود خالتها في اسبانيا ، وقيل لها بأن ملك نافار لديه أخوات وإذا ما سمعت يمكنها الحصول على احدى هؤلاء الاخوات لتكون زوجة لابنها ، وبالفعل بعثت الى الملك المذكور تخطب احدى اخواته لتزوجها من ابنها ولتجعلها ملكة انكلترا ، وفرح ملك نافار بهذا الطلب كثيرا ، ووافق عليه ، وجهز أخته الكبرى التي تدعى بيرنير بجهاز ثمين واكرمها غاية الاكرام ، وبعث بها في موكب حافل الى بواتو حيث كانت ملكة انكلترا بانتظارها ، وفرحت هذه الملكة بقدومها كثيرا ، ثم جهزت نفسها وبادرت الى السفر ، فقد أرادت الوصول الى صقلية لتعقد قران ابنها على الاميرة النافارية قبل أن يسافر من صقلية ، وعندما غادرت بواتو متجهة نحو صقلية سمعت خبرا أفاد أن ابنها الملك رتشارد وكذلك ملك فرنسا قد تحركا وغادرا صقلية وسافرا ، وأن أخت رتشارد الملكة جوانا ملكة صقلية قد باعت ممتلكاتها في الجزيرة ، وجهزت نفسها للسفر بغية اللحاق بأخيها الى سورية ، وبالفعل توجهت الى مسينا لتقوم بذلك ، وفرحت الملكة بهذه الاخبار كثيرا ، وأسرعت مسافرة الى صقلية ، وقد استهدفت الوصول الى ابنتها لترسل معها بالفتاة النافارية بكل تشريف وكرامة حتى تتأكد من ان الزواج منها سيتم ، وبهذا تنفذ ارادتها وتحقق رغباتها .

شرح صورة سفر ملكة صقلية الى سورية :

سافرت الملكة اليانور مسرعة نحو صقلية ، وعندما وصلتها

وجدت ابنتها هناك فاستقبلتها بتشريف عظيم ، وابتهج بقدومها سكان البلاد ابتهاجا كبيرا ، وكان على ملكة صقلية أن تتحرك وتسافر بأسرع وقت ، وقد تولت أمر العناية بالفتاة ، وقبلت أن تنقلها معها ، وأن تعمل وفق ارادة أمها فتزوجها من الملك رتشارد ، وأن لا توفر جهداً لاتمام هذا الزواج من هذه الفتاة ، وبعد هذا افترقوا عن بعضهم بعضا ، فعادت الملكة اليانور الى بواتو ، وقصدت الملك جوانا بلاد سورية .

وعندما وصلت الى شواطئ جزيرة قبرص وأبصرت اراضيها ، قالت الملكة لمرافقيها ان بودها الحصول على أخبار اخيها ومعرفة فيما اذا كان قد عبر من هناك ، فاستأذنوها بالاقتراب من الساحل حتى يمكن السؤال ، وفي الوقت ذاته كان اسحق صاحب قبرص قد نشر رجاله على الشواطئ لحراسة الجزيرة لأنه كان خائفا من ملكي فرنسا وانكلترا ، وخشي من أن يستوليا على جزيرة قبرص عند وصولهما اليها ، ولهذا عندما رأى عددا من السفن تقترب من الشاطئ بعث بمن يستطلع له خبر القادمين ، وليعرف من أين قدموا ، فقيل له هذا اسطول ملكة صقلية أخت الملك رتشارد الذي سافر قاصدا سورية بهدف الحج ، وسأل رجال الاسطول القبارصة عما اذا كانت لديهم معلومات عن عبور الملكين السالفي الذكر ، فأجيبوا بعدم توفر أي معلومات .

وسافرت ملكة انكلترا من بواتو ، وأمت جزيرة صقلية ، وفعلت ذلك بعدما استقبلت الاميرة النافارية حيث كانت تنتظر قدومها ، وقد سرت بوصولها سرورا عظيما ، ومن ثم جهزت موكبها بالحال ، وتحركت مسافرة نحو صقلية ، فقد أرادت الوصول الى هذه الجزيرة لتعقد قران ابنها على الأميرة النافارية قبل أن يسافر من صقلية ، عندما غادرت بواتو قاصدة صقلية سمعت خبرا مفاده أن ابنها الملك رتشارد وكذلك ملك فرنسا قد تحركا وبارحا صقلية وسافرا ، وأن أخت رتشارد الملكة جوانا ملكة

صقلية ، قد باعت ممتلكاتها في الجزيرة ، وجهزت نفسها للسفر بغية اللحاق بأخيها الى سورية ، وبالفعل توجهت الى مسينا لتقوم بذلك ، وفرحت الملكة بهذه الاخبار كثيرا ، وأسرعت مسافرة الى صقلية ، وقد استهدفت الوصول الى ابنتها لترسل معها الفتاة النافارية ، بكل تشريف وكرامة حتى تتأكد من أن الزواج منها سيتم ، وبهذا تنفذ ارادتها وتحقق رغباتها .

١١١ ـ وسافرت الملكة اليانور مسرعة نحو مسينا ، وعندما وصلتها وجدت ابنتها هناك ، فاستقبلها بتشريف عظيم ـ وابتهج بقدومها سكان المدينة ابتهاجا عظيما ، وكان على ملكة صقلية أن تتحرك وتسافر بأسرع وقت ، وقد تولت أمر العناية بالفتاة ، وقبلت أن تبقيها معها ، وأن تعمل وفق ارادة أمها فتزوجها من الملك رتشارد ، والا توفر جهداً لاتمام هذا الزواج من هذه الفتاة ، وبعد هذا افترقوا عن بعضهم بعضا ، فعادت الملكة اليانور الى بواتو ، وقصدت الملكة جوانا بلاد سورية .

وعندما اقتربت من شواطئ قبرص ـ وأبصرت أراضيها قالت الملكة لمرافقيها إن بودها الحصول على أخبار أخيها ـ ومعرفة فيما اذا كان قد عبر من هناك ، فاستأذنوها بالاقتراب من الساحل حتى يمكن السؤال ، وفي الوقت ذاته كان اسحق صاحب قبرص ، وقد نشر رجاله على الشواطيء لحراسة الجزيرة ، لأنه كان خائفا من ملكي فرنسا وانكلترا ، وقد خشي من أن يستوليا على جزيرة قبرص عند وصولهما اليها،ولهذا عندما رأى عددا من السفن تقترب من الشاطيء بعث بمن يستطلع له خبر القادمين وليعرف من أين قدموا ، فقيل له هذا اسطول ملكة صقلية أخت الملك رتشارد الذي سافر قاصدا سورية بهدف الحج ، وسأل رجال الاسطول القبارصة عما اذا كان لديهم معلومات عن عبور الملكين السالفي الذكر ، فأجيبوا بعدم توفر أي معلومات .

-٣٩٠٣-

حول خبث سكان قبرص :

وعاد القبارصة فأطلعوا اسحق على خبر وصول ملكة صقلية ، وانها جاءت لتلحق بأخيها الى سورية ، وكان اسحق يكره اللاتين كثيرا ، فخطط لعمل خياني ومكيدة ضد الصقليين ، فبعث بوفدين من لدنه الى السيدة ليتوسل اليها ويطلب منها القدوم لتقيم في قبرص في حسن ضيافته ورعايته حتى يحصل لها على أخبار أخيها ، واستشارت الملكة رجالها ، وبناء عليه قالت للقبارصة بأنها تشكر سيدهم لمبادرته لكنها لاتجرؤ على النزول الى اليابسة بدون اذن أخيها وأوامره ، وعاد القبارصة فأعلموا سيدهم بجواب الملكة ، وأنها قالت لهم كل ماترجوه هو تزويد رجالها بالماء ، وعندما سمع اسحق ذلك فكر ، ثم أمر رجاله أن يقدموا الماء الى ركاب سفينة الملكة ، ثم تصرف بحذر شديد فقد كان لايريد أن يقترب أحد من شواطىء قبرص ــ لهذا جهز جنوده للاستيلاء على السفينة بالقوة ، ولاحظ رجال السفينة مكيدة اسحق ، فرفعوا مرساتهم ، ونشروا أشرعتهم ، ثم ابتعدوا الى عرض البحر ، وقد التقوا في اليوم التالي بالملك رتشارد ، الذي فرح بهم فرحا عظيما .

كيف كانت سفن الحجاج تمر بجزيرة قبرص :

في تلك الآونة التي أحدثكم عنها كانت هناك سفينتان محملتان بالحجاج الذين جاءوا لنجدة مملكة القدس ، وخيل لهؤلاء الحجاج عندما وصلوا الى قبرص أنهم قد سلموا من مخاطر البحر ، وأنهم باتوا بأمان أعظم ، لكن العكس هو الذي كان ، حيث تعرضوا لخطر جسيم أعظم ، حين قام قراصنة قبرص بالاستيلاء على سفينتيهما وقادوهم بقسوة وعنف الى اسحق الذي كان يكره اللاتين كثيرا ، وكان قد اتحد بالزواج مع طوروس ملك مملكة أرمينية الصغرى في كليكية ، فقد أعطاه طوروس ابنته زوجة له ، ومن ثم

انجب منها الابنة التي أخذها الملك رتشارد ، وحملها فيما بعد الى ماوراء البحار ، بعد الاستيلاء على جزيرة قبرص .

وكما حدثتكم من قبل عندما جلب الحجاج ليمثلوا أمام اسحق ، أمر بعرضهم جميعا على السيف وأن تقطع رؤوسهم ، وقد وسم بعمله هذا بالاسراف بالقسوة ، فهو قد أمر بقتل أناس لم يسيئوا إليه أبدا ، ولم يأتوا العمل ضده ، انما جاءوا في سبيل الرب ، ولكي يثأروا للعار الذي الحقه بهم المسلمون ، فواجهوا قسوة كبرى عند هؤلاء الذين يسمون أنفسهم مسيحيين وهي قسوة ماكانوا ليواجهوها عند مجرمي المسلمين .

١١٢ ـ وعاد القبارصة الذين بعثهم اسحق ليخبروه بوصول ملكة صقلية ، وأنها جاءت وبنيتها الالتحاق بأخيها الملك رتشارد ، أي السفر الى سورية ، وكان اسحق يكرة اللاتين كراهية عظيمة ، لهذا خطط لعمل خياني ومكيدة ضد ملكة صقلية وأتباعها ، فبعث بوفد من لدنه الى هذه السيدة ليتوسل اليها ويدعوها للنزول في قبرص والاقامة فيها بضيافته الكريمة ، ولتعش برعايته حتى يحصل لها على أخبار أخيها ، وتشاورت الملكة مع رجالها ، وبعد ذلك قالت لرسل اسحق بأنها تشكر سيدهم على مبادرته الكريمة ، وأنها لاتجرؤ على النزول الى اليابسة بدون اذن من أخيها الملك وأمر مباشر منه ، وعاد الرسل القبارصة الى سيدهم وأعلموه بجواب الملكة ، وأنها قالت لهم كل ما ترجوه هو تزويد رجالها بالماء .

واستمع اسحق لهذا الجواب ثم أمر رجاله بتقديم الماء الى ركاب سفينة الملكة ، ثم تصرف بحذر شديد ، وخطط للاستيلاء على السفينة بالقوة ، غير أن رجال السفينة انتبهوا لمكيدة اسحق وخيانته فأخذوا حذرهم ورفعوا مرساة سفينتهم ، ثم نشروا أشرعتها ومن ثم أقلعوا فابتعدوا الى عرض البحر ، وفي اليوم

التالي التقوا بأخي الملكة الملك رتشـارد ، الذي فـرح بهـم فـرحا عظيما .

١١٣ ــ في تلك الآونة التي أحدثكم عنها كانت هناك ثلاث سـفن محملة بالحجاج الذين جاءوا لنجدة مملكة القـدس وقـد خيل لهؤلاء الحجاج عندما وصلوا الى قبرص انهم قـد سـلموا مـن مخـاطر البحر ، وأنهم بـاتوا بـأمان عظيم ، لكن العـكس هـو الذي كان ، حيث تعرضوا لخطر جسيم أعظم حين قام قـراصنة قبـرص بالاستيلاء على سفنهم وقادوهم بقسوة وعنف الى اسحق الذي كان يكره اللاتين كثيرا ، وكان اسحق قد ارتبط بالزواج مـع طـوروس ملك مملكة ارمينية الصغرى في كليكية فقد أعطاه طوروس ابنته زوجة له ، ومن ثم انجب منها الابنة التي أخذها الملك رتشـارد وحملهـا فيما بعد الى ماوراء البحار وذلك بعد الاستيلاء على قبرص .

وعندما أصدر اسحق أوامره بقتل الحجاج اقتـادهم القـراصنة لتنفيذ ذلك ، وكان هناك في خدمة اسحق فارس من أصل نورماندي اسمه سوديو اسحق ، وقد تأثر بقلبـه للمصـير الذي سـيؤول اليه الحجاج وحزن عليهم وأشفق كثيرا لأنهم لم يقترفوا ذنبا يستحقون عليه الموت بهذه الطريقة القاسية ، فما كان منه الا أن حمل سلاحه باسم الرب ، وقـرر التخلي عن جسـده حبـا بـالخالق والشـهادة ، وفضـل أن يمـوت هـو على أن يهلك جميع الحجاج ، وهكذا جاء الى المكان الذي كان من المفتـرض أن تقـطع فيه رؤوس الحجاج والزوار ، وأمـر الذين أوكل اليهـم أمـر تنفيذ الاعدامات التي أمر بها اسحق ، بالتوقف وعدم تنفيذ أي شيء وخيل لهؤلاء انه قد أرسل من قبل سيدهـم ، ولذلك صـدقوه لأنه كان مـن اتباعه المقربين اليه ، فأقلعوا عن الفتك بـالحجاج ، وقـال هـذا الفارس الذي رغب في أن يتمكن مـن انقـاذ الحجـاج مـن الموت المحقق ــ للحجاج ان عليهم الفـرار والاختبـاء في الجـزيرة حيث يلهمهم الرب وييسر لهم ، وتوسل اليهم أن يتضرعوا الى الرب حتي يمنحه السلام والقوة ، فهـو كان يعلم جيدا أن الاجسـاد سـتقدم

الحجاج من الموت المحقق للحجاج ان عليهم الفرار والاختباء في الجزيرة حيث يلهمهم الرب وييسر لهم وتوسل اليهم أن يصلوا للرب من أجل نفسه وسلامة روحه ، لانه كان يعرف معرفة يقينية أن جسمانه سيقدم للشهادة وانه بات عرضة للقتل بسبب انقاذه لهم ، وظلوا على هذه الحالة حتى وصل الرب لنجدتهم ، وثأر لهم بوساطة الملك رتشارد كما سنشرح لكم ذلك فيما بعد .

١١٥ ــ وعندما علم اسحق أن الفارس قد تصرف ضد أوامره ، وانقذ الحجاج من السيف ، أمر بقطع رأسه ، وبالحال نفذ أمره ، ذلك ان الاغريق حاصروا الحجاج الفرنجة ، واعتقدوا أنهم يرضون الرب ويسرونه عندما يقتلون لاتينيا .

١١٦ ــ وبعد هذا الحادث خاف اسحق كثيرا وخشي من قدوم الملك رتشارد ، وسبب خشيته الأعمال السيئة التي اقترفها بحق المسيحيين بجزيرة قبرص ، وهكذا جاء بالحال الى مدينة ليماسول وحصنها بجنود من الرجالة وجنود من الفرسان ، وأمر باليقظة والتشديد في حراسة الشاطئ وأمر جنده بالتمركز أمام الشاطئ وأوعز اليهم أنهم ما أن يروا السفن الحربية حتى ينذروه .

وبعدما فر اسحق من القتال تولى هاربا في الارض وهنا أمر الملك بتنزيل الحمولات من على ظهور خيوله ، وهكذا بعدما خفف من أثقاله ، استأنف مجددا مطاردة اسحق وجنوده في السهول والجبال ، وقد لحق باسحق وجنده في الجبال ، وهناك هزمهم مرة أخرى قرب قناة تدعى كولوس ، وعندما وجد اسحق نفسه قد هزم مجددا تابع فراره وسط الجبال حيث لم يجد الماء ولم يحصل على المساعدة في المناطق الاخرى من الجزيرة ، ولم يجد مكانا يعتصم فيه ويأمن به من سطوة الملك.ومع هذا حشد قواته من اللصوص الأرمن والقرصان ورجال الجزيرة ليعاود الهجوم على الملك رتشارد ويطرده بالقوة من الجزيرة ، ولكن الرب جاء بالملك رتشارد الطيب الى هناك ليزرع عقيدة روما فيها لانها العقيدة الجيدة وليقتلع أعمال

القراصنة ويعم رحمته ، وزحف الملك ضد قلعة كيريندس واستولى عليها فورا ، ووجد فيها ابنة اسحق مع ثروة عظيمة ومال كثير فاستولى عليه ، ثم جاد به ووزعه كرما منه على رجاله .

وبعد هذا : كله اطمأن الملك وشرع بترميم اسطوله وتدعيمه .

وحشد اسحق كل رجاله وجميع الذين كانوا تحت سيادته ، وتمركز بين نيقوسيا وفيماغوستا ، وهناك انتظر الملك رتشارد ليثار منه اذا استطاع ، ولكن العناية الربانية والمساعدة السماوية التي لاتخيب ذويها أعطت القوة والدعم الى الملك رتشارد حتى تمكن من هزيمة اسحق وجميع رجاله الفرسان ، وعندما رأى الملك اسحق انه قد انهزم وهلك رجاله جميعا ، ولم تبق له سلطة في قبرص ولاقدرة للوقوف ضد الملك حاول جاهدا ان يؤمن نفسه ويصون ذاته في قلعة محصنة اسمها بوفوفنت ، لكن الملك توجه نحو هذه القلعة قبله ووصلها واستولى عليها وعلى ماكان داخلها ، وهكذا أخضع ملك انكلترا بمساعدة من الرب جميع سادة قبرص ووضعهم تحت سلطانه وحكمه ، وأعاد الجزيرة الى حظيرة الكنيسة الرومانية ، ومن ثم بات آلن رئيسا لأساقفة نيقوسيا،وذلك بعدما كان راعي دير القديس جرجس في رامس .

كيف سافر ملك انكلترا من قبرص وتوجه لحصار عكا :

بعدما هزم الملك رتشارد اسحق واستولى على جزيرة قبرص وانقذها من حكم قراصنة اسحق ، ذهب الى ليماسول ، وهناك كانت أخته والفتاة التي أرسلتها أمه ليتزوجها ، وحال وصوله الى المدينة تزوجها في كنيسة القديس جورج ، ثم جهز اسطوله وسافر من هناك في البحر ومعه جلده حتى وصل امام مدينة عكا ، وأحضر معه اسحق وابنته .

المسلمين ، وكان في داخلها ثعابين حية كثيرة جدا ، أراد ارسـالها الى جيش المسيحيين كي ترهبهم وتسممهم ، وتوجه ركابهـا نحـو الصليبيين وحاربوا بشدة ، غير أن مولانا أعطى في النهـاية شرف النصر الى ملك انكلترا ، وغرقت السفينة وهلك من كان فيها .

وعندما رأى اسحق نفسه انه انهزم وهلك رجاله جميعا ، ولم تبق له سلطة في قبرص ولاقدرة على الوقوف ضد الملك رتشارد ، حاول ان يؤمن نفسه ويصون ذاته في قلعة محصنة اسمها بوفوفنت ، غير ان الملك قصد هذه القلعة ووصلها قبله فاستولى عليها وعلى ماكان في داخلها ، وهكذا اخضع ملك انكلترا بمعونة من الرب جميع سادة قبرص ووضعهم تحت سلطانه وحكمه ، واقام فيها العقيدة اللاتينية ، فعين الى رئيسا لاساقفة نيقوسيا ، وكان من قبل راعي دير القديس جرجس في رامس .

١١٩ ـ وبعدما هزم الملك رتشارد اسحق ، واستولى على جزيرة قبرص وانقذها من حكم قراصنة اسحق ، ذهب الى ليماسول ، وهناك كانت اخته والفتاة التي ارسلتها امه ليتزوج منها ، وبعيد وصوله الى مدينة ليماسول تزوجها في كنيسة القديس جورج ، ثم جهز اسطوله وسافر من هناك في البحر ومعه جنده حتى وصل الى امام مدينة عكا ، وقد احضر معه اسحق وابنته .

وفرح ملك فرنسا بقدومه فرحا عظيما ، وكذلك فعل جميع الذين كانوا امام عكا ، وبالمقابل انزعج المسلمون وتألموا ، واستقبل رتشارد استقبالا حافلا من قبل قادة الفرنجة الذين كانوا امام عكا ، وقد خف ملك فرنسا لاستقباله لدى نزوله على الشاطىء ، ونزل الملك رتشارد الى اليابسة وانزل معه زوجته ، وعندما اكتشف ملك فرنسا امر زواج رتشارد غضب غضبا شديدا ، وانزعج من الملك رتشارد لانه تزوج من بيرنيرا اخت ملك نافار ، ولم يف بتعهده بالزواج من اخت ملك فرنسا .

١٢٠ ـ وبعد وصول الملك ريتشارد الى عكا ، احضر صلاح الدين سفينة كبيرة من مصر ، وكانت مشحونة بالرجال المسلحين والمدعومين بالمال والعتاد ، وقدمت هذه السفينة بهدف تقديم العون المسلمين ولالحاق الضرر بالمسيحيين ، وجاءت هذه لتقديم النجدة للمسلمين ، وكان في داخلها ثعابين وافاعي حية كثيرة لتسريحها

-٣٩١٦-

وتأثر ملك فرنسا مما حدث كثيرا ، وقام وهو في حالة من الغضب الشديد باعطاء الاوامر الى رجاله بحمل اسلحتهم لمهاجمة ملك انكلترا الذي لم يأبه بالامان الذي اعطاه المسلمين .

كيف سلم المسلمون عكا الى رجالنا :

وتصالح ملكا انكلترا وفرنسا ، ثم قاما معا بمهاجمة المدينة بكل قوة ، وشعر المسلمون الذين كانوا في داخلها ، لا بل أدركوا تمام الادراك أنهم لن يستطيعوا متابعة المقاومة ، ولهذا كتبوا الى صلاح الدين يطلبون انجادهم ، وإلا فسيضطرون الى تسليم المدينة ، وأجابهم صلاح الدين بأن عليهم التصرف وفق أفضل الشروط الممكنة ، وعندما سمع الأمير قراقوش الذي كان سيد المدينة ، بهذا ، بعث الى الملكين يطلب التباحث معهما ، ووافقا على ذلك ، لكن بحذر .

وخرج قراقوش من المدينة وتوجه الى خيمة ملك فرنسا ، فهناك كان مجتمعا به ملك انكلترا وبقية البارونات ، وأعلمهم أنه على استعداد لتسليمهم مدينة عكا بكل طيبة خاطر ، مقابل سلامة حياته وحياة المسلمين الذين في داخل المدينة ، يضاف الى هذا أن صلاح الدين سيعيد اليهم الصليب المقدس الذي فقده المسيحيون يوم قرني حطين ، عندما هزم الملك غي ، وأسر ، وسيطلق أيضا سراح الذين في سجنه من الأسرى ، ويدعهم يذهبون بسلام ، وإذا لم ينفذ صلاح الدين ما أعدكم به ، سنبقى تحت رحمة سلطانكم ونعيش كعبيد لكم .

ووافق الملكان على اقتراح قراقوش ، وهكذا سلم المسلمون المدينة للمسيحيين وكان ذلك في الحادي عشر من آذار من سنة ١١٩١ لتجسيد يسوع المسيح ، وابتهج المسيحيون كثيرا ، ودخلوا الى المدينة شاكرين الرب الذي حرر مدينة عكا من أيدي المسلمين .

اعادة ترتيب الأوضاع :

وبعدما سلمت المدينة الى المسيحيين خاطب ملكا فرنسا وانكلترا رجال الجيش ، واصدرا الاوامر بأن يتمركز الجيش بالمدينة وفيها يقيم ، وأقام ملك فرنسا في القلعة أما ملك انكلترا فقد نزل بدار الداوية ، ونزل بقية الفرسان في بيوت أعيان أهل عكا الذين كانوا فيها قبل صلاح الدين ، وعندما قصد هؤلاء الأعيان بيوتهم للاقامة بها ، منعهم الفرسان الذين استولوا عليها وأقاموا فيها ، وهنا ذهب هؤلاء الأعيان الى ملك فرنسا ، ورفعوا اليه ظلامتهم ، والتمسوا منه مساعدتهم في استرداد ميراثهم وملكياتهم ، لأن المسلمين كانوا قد انتزعوها منهم بالقوة وقالوا له : « قد متم يا مولاي لاسترداد مملكة القدس ، ومن غير المعقول أن تحرمونا من ممتلكاتنا ، ذلك أن الفرسان قد احتلوا بيوتنا ، ويقولون انهم استولوا عليها من المسلمين ».

ومنح الأمان للمسلمين ، واصطحبهم حتى المدينة ، وأعطاهم مهلة ، وأوصاهم بأن يدافعوا عن حقهم وأنفسهم ، وقام ملك فرنسا وهو في حالة من الغضب الشديد باصدار الأوامر الى رجاله بأن يتسلحوا ليذهبوا معه لمهاجمة ملك انكلترا .

وكان مثل هذا الخلاف قد حدث من قبل ، ولولا تدخل البارونات ووساطتهم في ازالة الغضب وتهدئة الخواطر لوقع ضرر كبير بين المسيحيين نتيجة لهذا الخلاف .

ودخل المسلمون الى المدينة ، ودافعوا عن أنفسهم ضد رتشارد بكل قوة ، فلم يستطع الانتصار عليهم ، بل إنه خسر كثيرا من رجاله .

١٢٣ ـ وبعدما تصالح ملكا فرنسا وانكلترا ، قاما بمهاجمة

واحدا من المسيحيين حسب رتبته ، وعندما حل يوم تنفيذ ما وعد به بعث الى المسيحيين يطلب منهم امهاله الى يوم آخر ، لأنه لم يتح له احضار ما تـــوجب عليه احضـــاره ، وأعطـــاه رجـــالنا المهلة المطلوبة ، ذلك أنهم كانوا يعدون حصـــولهم على الصـــليب المقـــدس انجازا رائعا ، وكذلك تحريرهم للأسرى الذين كانوا في سجونه .

وعندما حل الموعد المتفق عليه فيما بينهم استعد الملكان والفرسان جميعا ورجـــال الجيش والأســـاقفة والرهبـــان ورجـــال الاكليروس ، وارتدوا أفخر ما لديهم من ملابس وخرجوا جميعا من المدينة بخشوع تام وتقوى عظيمة ، وساروا الى المكان الذي حـــدده لهم صلاح الدين ، وعندمـــا وصـــلوا الى هناك كانوا يعتقـــدون أن صلاح الدين سيعيد اليهم صـــليب الصـــلبوت ، غير أنه أخلف وعده معهم .

وغضب ملكا فرنسا وانكلترا لذلك غضبا شديدا ، وشـــعر الناس من المسيحيين بآلام عظيمة في قلوبهم ونفوسهم ، وذرفـــوا الدمـــوع الغزيرة طيلة الأيام التالية .

قدمتم لاسترداد مملكة القدس ، ومن غير المعقول أن تحرمونا من ممتلكاتنا ، ذلك أن الفـــرسان قـــد احتلوا بيوتنا ، ويقـــولون انهـــم استولوا عليها من المسلمين .

وبعث ملك فرنسا يطلب ملك انكلترا وبقية البـــارونات للاجتمـــاع معا ، وبعدما التأم الجمع توجه ملك فرنسا بـــالخطاب الى الســـادة الذين طالبوا باعادة بيوتهم وممتلكاتهـــم اليهـــم قـــائلا :« أيهـــا السادة ، نحـــن لم نأت أبـــدا لاحتـــلال أراضي أو أمـــلاك أو بيوت الآخرين ، إننا قدمنا من أجل الرب وفي سبيله ، ولتقديم المســـاعدة لجيوشنا ولاسترداد مملكة القـــدس التـــي اغتصـــبها المســـلمون وانتـــزعوها مـــن المســـيحيين ، واعادة ممتلكات المســـيحيين

اليهم ، ويبدو لي أنه كان من المناسب فعل ذلك بعدما منحنا الرب السلطان والقدرة على احتلال المدينة ، ولقد كان من الواجب القيام بذلك ، إن هذا ما أراه وأقترحه إذا كنتم توافقون ؟

ووافق ملك انكلترا والبارونات الآخرون على ما اقترحه ملك فرنسا ، وقالوا :إن كل من يبرهن على أن ما حصل هو ملكه وحقه يسمح له بالبقاء به ، ثم أصدروا الأوامر للفرسان باخلاء البيوت التي استولوا عليها واعادتها الى أصحابها .

١٢٥ ــ وبعد تسليم عكا ، وعد صلاح الدين كل من ملكي فرنسا وانكلترا باعادة الصليب المقدس الى المسيحيين ، وأن يعطي مقابل كل واحد من المسلمين واحدا من المسيحيين حسب رتبته ، وعندما حل يوم تنفيذ ما وعد به بعث الى المسيحيين يطلب منهم امهاله الى يوم آخر ، لأنه لم يتمكن بعد من احضار ما توجب عليه احضاره . وأعطاه رجالنا المهلة المطلوبة ، ذلك أنهم كانوا يعدون حصولهم على صليب الصلبوت المقدس انجازا عظيما ومفخرة كبيرة ، وكذلك نظروا الى تحريرهم للأسرى الذين كانوا في سجونه .

وعندما حل الموعد المتفق عليه فيما بينهم ، استعد الملكان والفرسان جميعا ورجال الجيش والأساقفة والرهبان ورجال الاكليروس ، وارتدوا أفخر ما لديهم من ملابس ، وخرجوا جميعا من المدينة بخشوع تام وتقوى عظيمة ، وساروا الى المكان الذي حدده لهم صلاح الدين وعندما وصلوا الى هناك ، كانوا يعتقدون أن صلاح الدين سيعيد اليهم صليب الصلبوت غير أنه أخلف وعده معهم .

وغضب ملكا فرنسا وانكلترا لذلك غضبا شديدا ، وشعر الناس من المسيحيين بآلام عظيمة في قلوبهم ونفوسهم ، وذرفوا الدموع الغزيرة طيلة الأيام التالية ، وعندما شاهد الملك رتشارد الشعب

وساروا الى المكان الذي حدده لهم صلاح الدين ، وعندما وصلوا الى هناك كانوا يعتقدون أن صلاح الدين سيعيد اليهم صليب الصلبوت غير أنه أخلف وعده معهم .

وغضب ملكا فرنسا وانكلترا لذلك غضبا شديدا ، وشعر الناس من المسيحيين بآلام عظيمة في قلوبهم ونفوسهم ، وذرفوا الدموع الغزيرة طيلة الأيام التالية .

وخاف صلاح الدين كثيرا عندما رأى ماحدث ، وخشي من أن يتمكن الفرنجة من استعادة مملكة القدس ، ثم أنه تحرك من هناك ، وقصد مدينة عسقلان ، وقام هناك بخوض الحرب ، ولقد خاف صلاح الدين من استيلاء المسيحيين على عسقلان ، لان هذه المدينة كانت واقعة على الشاطىء ، فاذا مااستولوا عليها وحصنوها ، توجب عليه الذهاب الى مصر عبر طريق آخر غير طريق غزة ، الذي كان أقصر طريق وأسهله للسفر من سورية الى مصر .

١٢٦ ــ وعندما شاهد الملك رتشارد الشعب يبكي لاخلاف صلاح الدين بوعده ، ثار غضبه ، وأشفق عليهم كثيرا ، وأراد أن يخفف من آلامهم وأحزانهم ، فأمر باحضار المسلمين الذين كان قد أودعهم في سجنه ، وقام على مرأى من المسلمين الذين كانوا على مقربة منه باعدامهم وقطع رؤوسهم .

١٢٧ ــ وبعد وقت قصير أصيب الكونت دي فلاندرز بمرض خطير ، وهو المرض الذي مات منه (حزيران ١١٩١) وقبل موته أرسل الى ملك فرنسا وطلب منه أن يأتي اليه واستجاب هذا الملك وقدم لعيادته وقد تحدثا معا ، وأعلمه الكونت أن عليه الاحتراس الشديد ، وأن يكثر من الحذر لأن في الجيش عناصر أقسمت الأيمان على التخلص منه وقتله ، واهتم الملك بهذا الكلام ، وحصره في دخيلته ، وغضب كثيرا ، وخاف حتى أنه أصيب من جراء ذلك بمرض شديد ، سيتوفى بعد أمد من جرائه .

وفي أثناء مرض ملك فرنسا عمل الملك رتشارد على حبك مــؤامرة خيانية كبيرة ، فقــد أراد قتــل ملك فــرنسا دون أن يبــدو أن له يد بذلك ، لكن الملك رتشارد شعر أنه مذنب بحق الملك الفــرنسي ، فقــد أساء اليه كثيرا وأذنب بحقه مثــل زواجــه مــن بيرنيرا أخــت ملك نافار ، ثم محاولاته اجتذاب رجاله اليه بالعطايا والوعود المختلفــة مع ازعاجات أخرى سببها له أثناء حصــار عكا ، ولهــذا ندم الملك رتشارد كثيرا .

وحين عزم الملك رتشارد (إقرأ · فيليب) على الســفر دعا كل من دوق بورغونيا ووليم دي باراس وكل من كان في حاشيته ، ونظرا لولائهم له ، طلب منهم اعلامه عما اذا كان لديهم أخبــار عن مــوت لويس ابن ملك فرنسا ، فــاذا كان ، يجــب عليهــم اطــلاعه عليها ، فقال له دوق بورغونيا : « مولاي منذ أن قدمت لحصار عكا لم يأت مركب من بلاد ماوراء البحار لينقل مثل هذا الخبر » ، ولقــد أراد ملك انكلترا اشاعة هذا الخبر ليزيد مــن ازعاج ملك فــرنسا في مرضه ، ولدى اطلاع ملك فرنسا على تفــاصيل هــذا التصرف ، لم يظهر ذلك ، بل اســتدعى بعض الحــكماء ومنحهــم أشــياء ثمينة ليضعوا حدا لمرضه وليعملوا من أجل شــفائه ، وعمــل هؤلاء وفــق طلبه ، وأعطاه الرب النعمة واستجيب لطلبه بالشفاء

كيف عاد ملك فرنسا .

عندما شفي ملك فرنسا من مرضه أمر بتجهيز سفنه مــن أجــل العودة الى بلاده ، واســتدعى اليه دوق بــورغونيا وجميع فــرسان فرنسا ، وأمرهم أن يكونوا تحت إمرة هذا الدوق ، ثم منحه شطرا كبيرا من خزينته ، وأمره أن يتخلف ويأخذ مكانه .

ثم صعد الى سفينة ومن ثم أقلع باسطوله لعبور البحر ، وعندما وصل الى خليج ساتاليا هاجت عاصــفة في البحــر دامــت يومـــا

أن قاموا بتحصين عكا ، ثم شحنوا السفن بالعتاد وأرسلوها الى يافا ، ثم سافر الجيش برا ، وتقرر أن يكون ملك انكلترا والكونت همفري في المقدمة ، ودوق دي بورغونيا ، وجاك دي أفانس في الساقة .

وعندما علم صلاح الدين بنواياهم ومقاصدهم ، جمع قواته كلها ليناوش هؤلاء وليعيق تقدمهم وليحبط خططهم ، وسار بقواته خلفهم وكان يغير عليهم من اليمين ومن الشمال ويصيق عليهم بجنوده ، وقد هاجمهم بالنشاب ، هذا وعندما جاءوا لعبور نهر القصب سلح الملك الساقة تسليحا جيدا ، ونشر قواته تم صفها وعبأها تعبئة القتال ، وبعد هذا وجه قواته ضد صلاح الدين فصدها والحق بها الهزيمة ، ومع هذا مات كثير من الطرفين . وكان من بين القتلى جاك دي أفن وعدد كبير اخر من الفرسان ، المهم تكبد المسيحيون خسائر كبيرة ، ولكن بمعونة يسوع المسيح خرج المسيحيون من المعركة أفضل حالا من خصومهم

وتراجع صلاح الدين مع الدين نجو من المعركة من أصحابه الى الوراء ، وتوجهت قواتنا الى بيت نوبة وهو واد بين يافا والقدس ، وعسكروا هناك لتمضية الليل ، وأمروا بأن يتولى الملك رتشارد قيادة المؤخرة ، وأن يتولى دوق بورغونيا المقدمة ، وذهب كل منهما الى قاعدته .

وعندما رأى دوق بورغونيا ماحدث ، وبعدما إستقر في موقعه ، استدعى للاجتماع به رجالات فرنسا الذين كانوا يحبون كثيرا التا . الملكي ، وتوجه اليهم قائلا : « ايها السادة ، أنتم تعلمون أن مولانا ملك فرنسا قد ذهب وبقيت نخبة فرسانه ، بينما ليس مع ملك انكلترا سوى قلة من الجند ، وهاهم أمامنا ، فاذا ذهبنا قبلهم واستولينا على القدس ، لن يكون بمقدورهم أن يقولوا فيما بعد لم يكن هناك فرنسيون ، ثم أن يقولوا أيضا : لقد استولى ملك انكلترا عليها ، أما ملك فرنسا فقد فر هاربا ، فبسبب ذلك

تلطيخ سمعة الملك وسمعة المملكة بالعار ، وأنتم تعلمون أنه لم يسبق لاحد أن وجه الملامة لفرنسا ، لذلك يجب أن نذهب قبلهم » ، ووافق بعضهم على رغبته ، ولم يوافق بعضهم الاخر ، وحينذاك قال لهم الدوق :« من أراد أن يتبعني فليفعل »، وأما بالنسبة لملك انكلترا الذي لم يعرف شيئا عن هذا المؤتمر ، فقد استعد في اليوم التالي ، وزحف باتجاه القدس ، أما دوق بورغونيا فقد سلح الفرنسيين .

وقصد صاحب الكرسي الرسولي وهناك تحدث عن الأخطاء التي اقترفها الجيش الذي كان في ارض القدس ، ثم أنه اسرع في الذهاب حتى لايتسلم أحد امارة فلاندرز ، لأن الكونت فيليب دي فلاندرز قد توفي وباتت الامارة خالية .

١٣١ ـ وسنتحدث الآن عن ملك فرنسا ، كما وسنتحدث عن ملك انكلترا وعن باروناته الذين مكثوا هناك فقد أعلم ملك انكلترا ان المسلمين قد اخلوا مدينة القدس، وأن الفرصة التي توفرت له ممتازة ، فهو يستطيع الآن الاستيلاء عليها دون قتال أو مقاومة ، وأطلع الملك دوق بورغونيا وبارونات الجيش على ذلك ، واجتمعوا للتداول حول المسألة وقرروا في الاجتماع أن يذهبوا الى تحصين مدينة عكا ، ثم حملوا الأعتدة على السفن وأرسلوها الى يافا ، ثم اقتسموا الوظائف والأدوار ، اي اتفقوا على من سيقود المؤخرة وعلى من سيكون في المقدمة ، وتقرر أن يتولى الملك رتشارد ومعه الكونت ايمري المقدمة ، وأن يقف دوق بورغونيا وجاك دي أفانس في المؤخرة .

وعندما سمع صلاح الدين أنهم على نية قصد هذه المناطق ، جمع قواته كلها ، وحاول أن يمنع المسيحيين من الذهاب الى يافا ، وطاردهم من الخلف ، وهاجمهم من اليمين ومن اليسار ، وقمعهم بجنوده وأطلق عليهم الحراب والسهام من جميع الجهات ، وكان عدد الجنود كبيرا ، وحين جاءوا لعبور نهر القصب

وعندما أصبح الملك هناك رأى مدينة القدس المقدسة ، فنزل لكي يؤدي صلواته فهذا مايقوم به جميع الحجاج الذين يقصدون القدس فهناك يصلون ومن هناك يمكن رؤية الهيكل والضريح المقدس .

وبعدما أدى الملك صلواته وصلته رسالة من قبل أحد أصدقاء الجيش تقول أن دوق بورغونيا وصل الى عكا وكذلك عاد غالبية الفرنسيين الى عكا ، وعندما سمع الملك أن الدوق قد عاد ، غضب غضبا شديدا ، وعاد فورا الى يافا .

وعندما وصل دوق بورغونيا الى عكا ، لم يتجول بها بل توفي ودفن في مقبرة القديس نيقولا ولقد ألحق مؤتمره وما قام به ضررا عظيما بالمسيحيين ، ولولا خلافه مع الملك بشأن الذهاب الى القدس ، لتمكنت حملة ملك انكلترا من الاستيلاء على القدس وعلى جميع أراضي المملكة ، وأغلق ملك انكلترا يافا وقام بتحصينها وشحنها بالرجال المسلحين وبالعتاد ثم ارتحل قاصدا مدينة عكا

كيف استولى فرسان الداوية على جزيرة قبرص ثم تخلوا عنها :

بعدما استولى ملك انكلترا على جزيرة قبرص وبات سيدها باعها الى الداوية بمبلغ مائة ألف دينار اسلامي ، وبعدما استولى رجال الداوية على جزيرة قبرص أرادوا أن يعاملوا سكان قبرص مثل معاملتهم لسكان اقطاعية قلعة من أراضي القدس ، وأرادوا أن يجبروا سكان الجزيرة على الخضوع لحكم وارادة عشرين من رهبان الداوية ، وعندما رأى القبارصة مايلحقهم من أذى ومساوىء ، فضلا عن أنهم كانوا يكرهون اسيادهم هؤلاء ويتألمون كثيرا لزيادتهم ثرواتهم ، لم يعودوا قادرين على تحمل الأعباء التي أثقلهم بها رجال الداوية ، لذلك هبوا ضدهم وزحفوا

لحصارهم في قلعة نيقوسيا ، ولما رأى رجال الداوية حشدا كبيرا من الناس زحفوا لحصارهم انزعجوا كثيرا وخافوا ·

ولما رأى فرسان الداوية أن القبارصة لن يشفقوا عليهم مع أنهم كانوا مسيحيين مثلهم ، وأنهم بالوقت نفسه لم يأتوا الى قبرص بجميع قواتهم ، عرفوا انهم سيعذبونهم ، حتى يخرجوهم من جزيرة قبرص ، فعرضوا عليهم الخروج عن طيبة خاطر ، لكن عندما رأى القبارصة أن فرسان الداوية قد تواضعوا أمامهم كثيرا تعجرفوا وركبوا رؤوسهم وقالوا · انهم لن يسمحوا لهم بالخروج، بل سينتقمون منهم ومن أهلهم ، ومن أصدقائهم لأن اللاتين حطموهم وقتلوهم ، وعندما رأى فرسان الداوية أن القبارصة لن يشفقوا عليهم مع أنهم ..

كيف يمكنه الحصول على المال والقروض ، فسأله الأسقف عن المدة المستوجب عليه فيها تسديد المبلغ ، فأجابه الملك أن عليه أن يسدد ثمنها خلال شهرين ، وبناء عليه ذهب الأسقف الى طرابلس واقترض من أعيان المدينة مبلغا من المال ، وما أن انقضى أول شهر حتى أحضر المال الى الملك غي ، فقام هذا بدوره فأعطاه الى ملك انكلترا حسب الاتفاق المعقود بينهما ، وأراد الذهاب الى جزيرة قبرص ، وهنا طالبه الملك رتشارد بالمبلغ المتبقي عليه وقدره أربعين الف دينار ، فطلب منه الملك أن يسامحه به ، لأنه كان فقيرا ، وليس لديه مال ، وكان رتشارد كريما فلم يطالبه بشيء فيما بعد .

...كانوا مسيحيين مثلهم ، وانهم بـالوقت نفسـه لم يأتـوا الى قبرص بجميع قواتهم ، عرفوا أنهم سيعذبونهم حتى يخرجوهم من جزيرة قبرص ، فعرضوا عليهم الخـروج عن طيبـة خـاطر ، ولكن عندما رأى القبارصة أن فرسان الداوية قد تواضعوا أمـامهم كثيرا تعجرفوا وركبوا رؤوسهم ، وقـالوا : إنهـم لن يسـمحوا لهـم بالخروج، بل سينتقمون منهم ومن ذويهم ومـن أصـدقائهم ، لأن اللاتين حطموهم وقتلوهم .

وعندما سـمع الاخ ريذو بـوكارت الذي كان مقـدمهم والاخـوة الفرسان الاخـرون أن القبـارصة ليس لديهـم أدنى شـفقة نحوهم ، توسلوا الى الرب وسلموا أمرهم له ، واعتـرفوا وتناولوا القربان المقدس ، وتسلحوا وخرجوا ضد القبارصة ، فأعطى الرب بعنايته النصر الى فرسان الداوية ، وهكذا هـزموهم ، وقتلوا عددا كبيرا منهم ، كما أسروا بعضا آخر منهم ، وإثر هذا ذهبوا الى عكا وأطلعوا مقدم الداوية على تفاصيل ما حدث ، ثم تشـاوروا فيمـا بينهم وتداولوا ، وأخيرا اتفقوا على الا يتمسـكوا بـالجزيرة ،وان يعيدوها الى الملك رتشارد إذا أعاد إليهم القلعة التي أعطوه إياها .

١٣٤ ـ وقام الفارس روبرت دي سابلوي مقدم الداوية ورجالات الدير بالتوجه الى الملك رتشارد ، والتمسوا منه أن يعيد اليهم القلعة التي منحوه اياها ، وأن يسترد بالمقابل الجزيرة ، لأنها لم تكن ابدا المكان الذي يستطيعون التمسك به ، وقد تأثروا كثيرا مـن أعمـاق قلوبهم لانهم لا يستطيعون ، لا بل لا يجرؤون على التمسك بالجزيرة والاحتفاظ بها ، وعندما سمع الملك رغبتهم ، قرر تسـلم الجـزيرة منهم ، فطالبوه بالمال الذي أعطوه اياه ، فأجابهم هذا الملك بأنه لن يعيد المال اليهم مطلقا ، لأنه أخذ قلعتهم بثمن مـرتفع مـع انهـا لا تساوي نصف أو ربع السعر الذي دفعه .

ولما استرد الملك رتشارد جزيرة قبرص من فرسان الداوية ألحقها بمملكته ، وإثر ذلك جاء اليه الملك غي الذي بقي بـدون إرث وبـدون

مملكة ، وخاطب الملك رتشارد بقوله : « مـولاي ، انك تعلم بـأنني بدون ارث وبدون مملكة ، لذلك التمس منك أن تبيعني جزيرة قبرص بقدر ما بعتها لفرسان الداوية » ، ووافق الملك رتشارد ، وقـال انه راض ببيعها له بمثل ما بـاعها لفـرسان الداوية ، وفـرح الملك غي فرحا عظيما ، ومالبث أن تحـدث الى مسـتشاره بييردي أنفـويم أسقف طرابلس في ذلك الحين ، وأعلمـه كيف انه اشـترى جـزيرة قبـرص ، ولكونهمـا صـديقان طلب منه أن يبين له كيف يمـكنه الحصول على المال أو من أين يمكن اقتراضه ، فسأله : « ما هـي الفترة المتفق عليها لدفع هذا المال »؟ فأجابه : انه من المتوجب عليه أن يسدد ثمنها خلال شهرين ، فأجابه الأسقف انه خـلال شـهرين سيعينه الرب على ذلك ، ثم سافر الأسقف فـورا بـوساطة احـدى السفن الى مدينة طرابلس ، فاقترض مـن سـايس الذي كان مـن اعيان طرابلس ومن يوهان دي لي موناي ومن اثرياء آخرين مبلغـا من المال ، وبعدما انقضى شهر على ذلك حمل هذا المال الى الملك غي فدفعه بدوره الى الملك رتشارد حسب الاتفاق المعقود بينهما.

وعندما قصد الملك قبرص للاستيلاء عليها ، اصطحب معـه عددا من فرسان المملكة الفقراء . وأرسـل الملك غي رسـالة الى صـلاح الدين يستشيره كيف يمكنه السيطرة على جـزيرة قبـرص ، ولدى تسلم صلاح الدين الرسالة منه قال انه لا يحب الملك غي ، ولكن بما أنه طلب مشورته فسينصحه بكل أمانة ويقول له ما يملكه مـن آراء مفيدة له ، ثم التفت نحو الرسل قـائلا : « قـولوا للملك غي انه اذا اراد التملك في جزيرة قبرص فليضم الجزيرة كلها وليضعها بأكملها تحت سلطانه ». وعاد الرسل الى الملك غي وأعلموه بالذي نصح بـه صلاح الدين ، وبنصيحته اخذ ، فبعث برسله الى أرمينية وانطاكية وعكا معلنا أن كل من يود القدوم الى قبرص والسكن بها فسـيعطيه ما يحتاجه للعيش ، وهكذا ذهب الى قبرص الفرسان والسيرجانتية والفرنجة الذين جردهم المسلمون من ممتلكاتهم والنسـاء الأرامـل اللواتي فقدن أزواجهن ، والفتيات اللواتي فقدن آباءهن ، فـأعطى الملك لهؤلاء أراضي واسعة ، وكل من جاء اليه حصـل على مـارغب بالحصول عليه ، وتزوجت الارامل والفتيات اليتامى مـن الشـبان الذي قدموا الى الجزيرة ، وسـاعدهم الملك بمـا له ، وأعطى لكل فارس ثلاثة اقـطاعات ولكل واحـد مـن السـيرجانتية الخيالة اقـطاعين ، أمـا البقية الذين سـكنوا المدن فـأعطاهم أراضي واسعة ، ومنح كبيرة ، وقد وزع كل شيء حتى لم يبـق لديه الا مـا يكفي لعشرين من فـرسانه ، وهـكذا سـكن الملك غي جـزيرة قبرص ، ولو أن الامبراطور بولدوين فعل الشيء نفسه عندما سـكن القسـطنطينية ، لما كان فقـدها ، لكنه طمـع بحيازة كل شيء لنفسه ، فكان أن فقد حياته وكل البلاد .

ونهب الملك غي ليتسلم جزيرة قبرص ، ومن ثم ليقيم نفسه سيدا عليها ، فطالبه الملك رتشارد بمبلغ الاربعين ألف دينار المتبقي عليه ، وهنا التمس منه الملك غي أن يسامحه ويعفيه من دفع هذا المبلغ ، لما كان يعانيه من الفقر ، فضلا عن انه لم يرث شيئا من اهله ، والآن عندما بات ملكا لقبرص صار واحدا من رجاله ، ولهذا تمنى عليه أن يسقط عنه المطالبة بهذا المبلغ ، وكان الملك رتشارد كريما لذلك سامحه ولم يطالبه فيما بعد بشيء .

١٣٥ ــ وبعدما أعفى ملك انكلترا الملك غي من دفع مبلغ الاربعين ألف دينار ، نهب الى قبرص واصطحب معه عددا من فرسان المملكة الفقراء ، ثم أرسل الملك غي رسالة الى صلاح الدين يستشيره كيف يمكنه السيطرة على جزيرة قبرص ، ولدى تسلم صلاح الدين الرسالة منه قال انه لا يحب الملك غي ، ولكن بما أنه طلب مشورته فسينصحه بكل أمانة ، وسيقول له ما يملكه من آراء مفيدة له ، ثم التفت الى الرسل قائلا : « قولوا للملك غي أنه اذا اراد التملك في جزيرة قبرص فليضم الجزيرة كلها وليضعها بأكملها تحت سلطانه ، وعاد الرسل الى الملك غي وأعلموه بالذي نصح له صلاح الدين .

١٣٦ ــ وسأحدثكم الآن عما فعله الملك غي بعدما تسلم جزيرة قبرص ، فقد أرسل رسلا من قبله الى أرمينية والى انطاكية والى عكا والى كل البلدان معلنا : أنه كل من أراد القدوم الى قبرص للسكنى بها سيؤمن لهم كل سبل العيش فيها .

وعندما سمع الفرسان والسيرجانتية والفرنجة الذين جردهم المسلمون من ممتلكاتهم نداء الملك غي تحركوا وسافروا الى عنده ومعهم فتيات ويتامى كثيرون من أبناء البارونات والفرسان والجنود الذين ماتوا في سورية أو فقدوا فيها ، فأعطاهم الأمان وقدم اليهم المساعدات ، وكذلك أمن القبارصة الذين ثاروا على الداوية والحقهم بخدمته مثلهم مثل الفرسان الذين اصطحبهم معه .

وكذلك رعى البنائين والكتاب ، وهكذا بحمد الرب صاروا جميعا فرسانا وحماتا كبارا لجزيرة قبرص ، كما أنه زوج النساء اللائي قدمن الى الجزيرة وأعطاهن من ماله مساعدة نالها كل من تزوج»، وهكذا استقروا جميعا في قبرص بسلام .

لقد منح أراضي الى كل هؤلاء والى الفرسان والسيرجانتية الخيالة ، أما اهل المدن الذين سكنوا الآن في المدن فقد اعطاهم اراضي وأشياء كثيرة ، وقد وزع كل شيء حتى أنه لم يبق من جزيرة قبرص الا ما يكفي لعشرين فارسا جعلهم تحت سيطرته المباشرة ، وهكذا سكن الملك غي مع هؤلاء في جزيرة قبرص ، وأقول لكم لو أن الامبراطور بلدوين أسكن الناس في القسطنطينية مثلما فعل الملك غي في قبرص لما كان خسرها ، ولكنه مات لانه أراد الاحتفاظ بكل ماني الامبراطورية له شخصيا ، ولذلك فقد كل شيء ، ويقول المثل « من يحاول احتضان كل شيء يخسر كل شيء ».

كيف فتك الحشيشية بالماركيز :

وحدث أن وصلت سفينة من سفن تجار المسلمين من بلاد الحشيشية الى مدينة صور ، وكان الماركيز هو سيد المدينة يتصرف فيها وفق هواه ، وهكذا بعث برجاله فاستولوا على السفينة ، وعندما علم مقدم الحشيشية بما حدث بعث برسالة الى الماركيز تهدده بها ، وطلب منه اعادة ماانتزعه من رجاله والا فسيقتله ، فأجابه الماركيز بأنه لن يعيد شيئا أبدا ، وعند ذلك طلب مقدم الحشيشية من اثنين من رجاله الذهاب الى مدينة صور ليقتلا الماركيز ، فنفذا الامر وارتحلا ، وعندما وصلا الى صور تظاهرا انهما مسيحيين فقد لبسا لباسهم ، وقصد أحدهما الماركيز وقصد الآخر بالين الذي كان متزوجا من الملكة ماري ، والمقيمة آنذاك بصور .

وحــــدث في احــــد الأيام أن ايزابيل زوجــــــة الماركيز كانت بالحمام ، ولم يشأ الماركيز تناول طعامه حتــى تعــود ، غير انهــا مكثت مدة طويلة بالحمام وهـو راغب بالأكل ، لذلك امتطى فرسه هـو وبعض الفرسان وذهب الى بيت رئيس الاساقفة دي بــوا فـ ليتناول الطعام معه ، غير أنه عندما وصل اليه وجده قد تناول طعامه فقــال له : « مولاي الاسقف لقد جئت لتناول الطعام معكم ، ولكن بما أنكم قد تناولتم طعامكم فسأعود من حيث أتيت » وسر الاسقف بقــدومه ورجاه بالبقاء حتى يقدم له ما يأكله ، لكنه لم يقبل ، وأخذ الطــريق عائدا الى بيته ، وفيما هـو في طريق العودة مر بطريق ضــيق ، واذا به برجلين وقفا على جــانبي الطــريق ، كل واحــــد منهمـــا على جانب ، وقد وقفا أمــامه ، وتقـــدم واحــــد منهمـــا منه وناوله رسالة ، ومد الماركيز يده لتناول الرسالة ، فما كان من الآخر الا أن استل مدية هاجمه بها وطعنه عدة طعنات فأرداه قتيلا ، ولقد دفن في بيت فرسان الاسبتارية ، وحدث هذا في سنة ١١٩١ لتجسيد يسوع المسيح .

كيف تزوج الأمير هنري دي شــامبين ســن ايزابيل التي كانت زوجة الماركيز :

وسمع ملك انكلترا الذي كان مقيما في يافا أن فيليب ملك فــرنسا قد وصل الى بلاده .

١٣٧ ــ وسأحدثكم الآن عما قدم من قبرص التى قامت صــلات بينها وبين سورية وبلاد ما وراء البحــر ــ فقــد حــدث أن وصــلت سفينة عليها تجار من بلاد المسلمين ، ومن بلاد مقــدم الحشــيشية الى مدينة صور ، وكان الماركيز هـو المتصرف بشؤون مدينة صــور والمتحكم بها ، ولذلك بعث رجاله فاستولوا على السفينة ، وعندمــا علم مقدم الحشيشية بما قام به الماركيز ، كتــب اليه يتهــدده وطلب منه اعادة ما انتزعه من رجاله واطلاق سراحهم والا سيقتله ، فــرد

عليه الماركيز بأنه لن يعيد اليه شيئا ، ثم راسله مقدم الحشيشية ثانية وكرر طلبه ، لكن الماركيز كرر الرفض ، وبناء عليه أصدر مقدم الحشيشية أوامره الى اثنين من رجاله للذهاب الى مدينة صور واغتيال الماركيز ، فنفذا الامر وارتحلا ، وعندما وصلا الى مدينة صور دخلاها وهما متظاهرين بأنهما من المسيحيين ، فقد لبسا لباسهم ، وقصد أحدهما الماركيز وأما الآخر فقد قصد الى بالين الذي كان متزوجا من الملكة ماري ، التي كانت مقيمة في مدينة صور .

وحدث في أحد الأيام أن كانت ايزابيل زوجة الماركيز بالحمام ، ولم يرغب الماركيز بتناول طعامه حتى تعود ، غير أنها مكثت مدة طويلة بالحمام ، وبما أنه كان راغبا بالاكل فقد امتطى ظهر حصانه وقام برفقة بعض الفرسان بالذهاب الى بيت دي بواف رئيس اساقفة صور مستهدفا تناول الطعام منه ، لكنه عندما وصل اليه وجده قد تناول طعامه ، ومع هذا قال للأسقف :« مولاي الأسقف لقد جئت لأتناول الطعام معكم ، ولكن بما أنكم قد تناولتم طعامكم فسأعود من حيث أتيت » .

وابتهج الاسقف بقدومه وترجاه بالبقاء حتى يقدم مايأكله ، لكنه لم يقبل ، ثم مالبث الماركيز أن أخذ الطريق عائدا الى بيته ، وفيما هو خارج من بوابة بيت رئيس اساقفة صور ، واذا به برجلين قد وقف كل واحد منهما على أحد الجانبين ، ثم تقدما منه ، وقام أحدهما بمناولته رسالة ، ومد الماركيز يده لتناول الرسالة ، فما كان من الآخر الا أن استل مدية ووثب عليه فطعنه بها عدة طعنات فأرداه قتيلا ، وجرى اعتقال القاتلين ، ثم حمل جثمان الماركيز حيث جرى دفنه في مقر فرسان الاسبتارية ، وقد حدث هذا في سنة ١١٩١ لتجسيد مولانا يسوع المسيح (الصحيح ٢٨ ـ نيسان ١١٩٢) .

١٣٨ ـ وكان ملك انكلترا مقيما في يافا ، وقد سمع تقارير وردت

من بلاد ماوراء البحار تفيد أن الملك فيليب ملك فرنسا قد عاد سالما الى مملكته ، ودخل الى فرنسا واستقر في غيسورت ، وهنا أراد ملك انكلترا الاستيلاء على كل البلاد والسيطرة عليها لنفسه ، فغادر يافا وقصد مدينة عكا ، ثم مالبث أن وصلت الاخبار تتحدث عن اغتيال الماركيز من قبل الحشيشية ووجهت أصابع الاتهام والملامة الى الملك رتشارد وقيل انه قتل الماركيز بالتآمر مع الحشيشية والاتفاق معهم .

واستقر في غيسورت ، وهنا أراد ملك انكلترا السيطرة على كل البلاد فغادر يافا الى عكا ، ومالبث ان وصلت الأخبار تتحدث عن اغتيال الماركيز من قبل الحشيشية ووجهت اصابع الاتهام والملامة الى الملك رتشارد .

وسرت اشاعات ان الملك رتشارد قد تآمر مع مقدم الحشيشية ليرسل رجاله للفتك بملك فرنسا ، ولاندري مدى صحة هذه الاخبار ، وقد اطلع ملك فرنسا على هذه المؤامرة ، فما كان منه بعدما سمع بذلك الا أن شدد الحراسة حول نفسه وهكذا لم يسمح لزمن طويل لرجل غريب أو أجنبي من الاقتراب منه .

ووجه آخرون الاتهام والملامة الى الملك غي بسبب الاهانة التي وجهت اليه عندما جاء ومعه الملكة سيبل من طرابلس ، ووقفا أمام مدينة صور فمنعهما الماركيز من الدخول اليها .

وعندما تأكد ملك انكلترا من صحة خبر وفاة الماركيز ، استدعى بارونات مملكة القدس للتشاور معهم بشأن مدينة صور ، واصطحب معه الكونت هنري ليزوجه من ايزابيل أرملة الماركيز ، وبعدما فاتحه الملك رتشارد بهذا الموضوع قال له الكونت : ان هذه السيدة التي تريد ان تزوجني منها حامل من الماركيز ، واذا ماولدت ولدا ذكرا فهو الذي سيرث المملكة ، ثم استطرد يقول : وسأكون وقتها مزعوجا من السيدة ، وأنت تعلم شخصيا السبب الذي يجعلني غير

قادر على الذهـاب الى شـامبين ، فقـال له الملك :« سـأعطيك كل مايلزم من مساعدة للذهاب الى شـامبين ، وأعدك أيضا أنني إذا مامكنني الرب من الذهاب الى انكلترا ، سأجهز جيشـا أقـدم على رأسه لأساعدك به على اعادة احتلال كل اجزاء المملكة مـع احتـلال بلدان اخرى ايضا ، وستتوفر لدي القدرات حين أعود ، فأتمكن من الاستيلاء على امبراطورية القسطنطينية ، وفي ذلك ستنال مسـاعدة كبرى ، كما أنني سأمنحك جزيرة قبرص التي سبق لي الاسـتيلاء عليها ، ذلك أن الملك غي لم يسدد لي مجمل ثمنها ، ومازال مدينا لي بمبلغ أربعين ألف دينار ، وانني سأطارده وسـألاحقه ، ولن يفلت أبدا من يدي حتى يعيد الي جزيرة قبرص ».

وبناء عليه وافـق الكونت هنري على الزواج المقتـرح مـن السيدة ، واحتفل بزواجه مـن السـيدة (في الخـامس مـن أيار سنة ١١٩٢ في مدينة صور) وقيل ان غالبية الشعب ونخبـة الناس في المملكة أقسموا متعهدين أنهم سيجعلون ذويه ، أي أبناءه سـادة القدس وملوكها ، وكان هـؤلاء الذين تعهدوا بهذا للكونت هنري ممن لم يتفاهم مع الماركيز ، ولم يرغبوا به ولابذريته .

وكان البيازنة الذين أقاموا في صور قد اشتكوا من الماركيز ، فقد كانوا قد أقرضوه أموالهم لشراء جـزيرة قبـرص ، لكن الماركيز لم يسدد لهم المال الذي استلفه منهم ، فمـا كان منهـم الا أن بعثـوا برسول خاص من قبلهـم الى الملك غي ليأتـي الى المملكة ليسـلموه صور ، غير ان الملك رتشارد فاجأه ، لأن اغتيال الماركيز وقع يوم الثلاثاء ، وفي يوم الخميس تزوجت ايزابيل من الكونت ، وبناء عليه بعث الملك رتشـارد رسـولا الى الملك غي ليحضره اليه ، ولكن الملك غي أعلم الرسول بتمنعه من الاستجابة والذهاب معه .

-٣٩٤٦-

كيف أغاث ملك انكلترا يافا التي هاجمها صلاح الدين وكاد ان يحتلها :

علم صلاح الدين أن الملك رتشارد قد سافر من يافا ووصل الى عكا ، فما كان منه الا أن حشد قواته وحاصر يافا ، ونصب أمامها المجانيق وأخذ يقذفها ، وركز رماياته على القلعة حتى أن الذين كانوا في داخلها لم يعرفوا الراحة ليلا ولانهارا .

وذكر أنه تعاون تعاونا تاما مع مقدم الحشيشية حتى يرسل بعض رجاله للفتك بملك فرنسا ، ولاندري مدى صحة هذا الخبر ، المهم أن ملك فرنسا قد اطلع على هذا الأمر ، فما كان منه بعدما سمع بهذا الخبر حتى شدد الحراسة حول نفسه ، ولزمن طويل لم يسمح لرجل غريب أو أجنبي من الاقتراب منه .

ووجه اخرون الاتهام واللوم الى الملك غي للاهانة التي وجهت اليه عندما جاء ومعه الملكة سيبل من طرابلس ، ووقفا امام مدينة صور فمنعهما الماركيز من الدخول اليها

وعندما تأكد ملك انكلترا من صحة خبر وفاة الماركيز ، استدعى بارونات مملكة القدس للتشاور معهم بشأن مدينة صور واصطحب معه الكونت هنري ليزوجه من ايزابيل أرملة الماركيز ، وبعدما فاتحه الملك رتشارد بهذا الموضوع قال له الكونت :« ان السيدة هذه التي تريد ان تزوجني منها حامل من الماركيز ، واذا ولدت ولدا ذكرا فهو الذي سيرث المملكة ، ثم استطرد يقول : وسأكون وقتها مزعوجا من السيدة ، وأنت تعلم شخصيا السبب الذي يجعلني غير قادر على الذهاب الى شامبين ، فقال له الملك :« سأعطيك مايلزم من مساعدة للذهاب الى شامبين ، وأعدك أيضا اذا مكنني الرب من الذهاب الى انكلترا ، سأجهز جيشا أقدم على رأسه لأساعدك به على احتلال كل اجزاء المملكة واستردادها مع احتلال بلدان أخرى ايضا ، وستتوفر لدي القدرات حين أعود فأتمكن من الاستيلاء على امبراطورية القسطنطينية ، وفي ذلك ستنال مساعدة كبرى ، كما أنني سأمنحك جزيرة قبرص التي سبق واحتللتها ، ذلك أن الملك غي لم يسدد لي مجمل ثمنها ومازال مدينا لي بمبلغ اربعين الف دينار ، وانني سأطارده وسألاحقه ولن يفلت أبدا من يدي حتى يعيد الي جزيرة قبرص ».

ولهذا وافق الكونت هنري على الزواج المقترح ، واحتفل بزواجه من السيدة (في الخامس من أيار سنة ١١٩٢) وذلك في مدينة

صور) وقيل ان غالبية الشعب ونخبة الناس في المملكة أقسموا له متعهدين أنهم سيجعلون ذويه أي أبناءه سادة القدس وملوكها ، وكان هؤلاء الذين تعهدوا بهذا للكونت هنري ممن لم يتفاهم مع الماركيز ولم يرغبوا به ولا بذريته .

١٣٩ ـ وكان البيازنه الذين أقاموا في صور قد اشتكوا من الماركيز ، فقد كانوا قد أقرضوه أموالهم لشراء جزيرة قبرص ، لكن الماركيز لم يرد لهم المال الذي استلفه منهم ، فما كان منهم الا أن بعثوا برسول خاص الى الملك غي ليأتي الى المملكة ليسلموه صور .

غير ان الملك رتشارد فاجأه ، لأن قتل الماركيز وقع يوم الثلاثاء ويوم الخميس تزوجت ايزابيل من الكونت .

وعند ذلك بعثوا برسالة الى الملك رتشارد يخبروه فيها أن القلعة التي كان قد حصنها واقعة الآن تحت حصار صلاح الدين الشديد ، واستدعى الملك رتشارد الصليبيين وأعيان الرجال في عكا ، واخبرهم أن صلاح الدين قائم على حصار قلعة يافا ، وأراد أن يعرف مدى رغبتهم واستعدادهم وارادتهم في تقديم المساعدة والنجدة ، فأجابوه جميعا أنهم على استعداد للسير معه في سبيل خدمة مصالح المسيحيين ، ثم اتفقوا فيما بينهم على أن يذهب الملك بحرا ، ويزحف الفرسان برا ، وقد سار على رأس المقدمة هيو صاحب طبرية وبلدوين صاحب بيسان ، وسار في المؤخرة بالين دي ابلين ، ووليم صاحب طبرية ، وترامى الى مسامع المسلمين بأن الملك رتشارد قادم لنجدة يافا ، فزادوا من ضغطهم على القلعة وشددوا الهجمات عليها ، وعندما رأى المحاصرون داخل القلعة انفسهم وقد اشتد عليهم الحصار ولامخرج أمامهم راسلوا صلاح الدين يعرضون عليه الاستسلام مقابل التأمين على حياتهم .

وكان صلاح الدين قد علم من مخبريه أن المسيحيين قادمين لنجدة يافا ، فشدد حصاره على القلعة وزاد ضغطه عليها حتى يستولي عليها قبل وصول المسيحيين ، وفيما هذا يحدث في يافا كان الملك رتشارد قد غادر عكا مساء ومعه سفنه فوصل الى يافا عند الفجر ، وعندما وصل الى المرفأ سمع صراخ الناس وضجة عظيمة ، فسأل رجلا كان واقفا فوق السور عما يجري ، فأجابه هذا الرجل : ان المسلمين قد استولوا على القلعة واقتادوا المسيحيين

الى السجون ، فاقسم يمينا بحق القديس جاك بأنه لن يسمح بذلك ، فما كان منه الا أن لبس سلاحه وحمل سيفه بيده ونزل الى الارض وتبعه رجاله فصعدوا جميعا الى القلعة ، فأنجدوا المسيحيين ، وهكذا حافظ جيدا على قسمه .

وبناء عليه بعث الملك رتشارد رسولا الى الملك غي ليحضره اليه ، ولكن الملك غي أعلم الرسول برفضه الاستجابة والذهاب معه .

وعلم صلاح الدين أن الملك رتشارد قد سافر من يافا ووصل الى عكا ، فما كان منه الا ان حشد قواته وحاصر يافا ، ونصب امامها المجانيق وشرع بقذفها ، وقد ركز رماياته على القلعة حتى أن الذين كانوا في داخلها لم يعرفوا الراحة ليلا ولانهارا .

وعند ذلك بعثوا برسالة الى الملك رتشارد يخبروه فيها أن القلعة التي كان قد حصنها واقعة الآن تحت الحصار ، من قبل صلاح الدين ، وهو حصار شديد جدا ، ودعا الملك رتشارد الى اجتماع عام لأعيان عكا ، وأراد أن يعلم عن مدى استعدادهم للسير معه وتقديم المساعدة له خدمة لمصالح المسيحيين ، فأجابوا جميعا بالموافقة على السير معه خدمة لمصالح المسيحيين ، ثم اتفقوا فيما بينهم أن يسافر الملك بحرا ، ويزحف في الوقت نفسه الفرسان برا ، وقد سار على رأس المقدمة هيو صاحب طبرية وبلدوين صاحب بيسان ، وسار في المؤخرة بالين دي ابلين ووليم صاحب طبرية ، وترامى الى مسامع المسلمين أن الملك رتشارد قادم لنجدة يافا ، فزادوا من ضغطهم على القلعة وشددوا الهجمات عليها ، وعندما رأى المحاصرون في القلعة انفسهم وقد اشتد عليهم الحصار ، ولامخرج أمامهم راسلوا صلاح الدين يعرضون عليه الاستسلام مقابل التامين على حياتهم ، وكان الذي فاوض صلاح الدين باسمهم راندولف أسقف بيت لحم وشخص آخر اسمه أوبري دي رايذس .

وكان الملك رتشارد قد غادر عكا مساء ، واقلع ومعه سفنه فوصل الى يافا عند الفجر ، وكان رجال صلاح الدين قد دخلوا القلعة وانتشر رجال المسلمين في المدينة ، وثارت هناك جلبة كبيرة وضجة وعمت الفوضى ، وعندما وصل الملك رتشارد الى ميناء يافا ، وسمع

الصراخ ، سأل رجلا كان واقفا فوق السور عما يجري ، فأجابه هذا الرجل ان المسلمين قد استولوا على القلعة ، واقتادوا المسيحيين الى السجون فبادر الى حمل سلاحه واقسم بأنه لن يسمح بسقوط القلعة ، وشهر سيفه ونزل الى اليابسة . ولحق به رجاله ، فصعدوا جميعا الى القلعة ، فأسعفوا المسيحيين واستنقذوا الأسرى ، وبذلك حافظ الملك على قسمه .

أمر الملك ركاب السفن بأن يضعوا أشجارا وأوتادا وحواجز أمام القلعة لصد هجمات المسلمين ، ونفذت أوامره تنفيذا كاملا ، وهاجم المسلمون رجالنا حتى اشتبكوا معهم بالأيدي داخل ساحة القلعة ، ودافع المسيحيون عن أنفسهم بشدة وقوة ، وكان عندما يدخل المسلمون من جهة يخرجهم المسيحيون بالقوة من جهة أخرى ، وقاتل الملك بكل شجاعة ، وكسر في يده السيف ، فدافع عن نفسه بسيف آخر ، وظل يقاتل حتى حقق هدفه ، وآنذاك ألقى ما عليه من سلاح الى الأرض .

وعاد المسلمون الى مواقعهم ، واثر ذلك سألهم صلاح الدين فيما اذا كانوا قد استولوا على القلعة ، فأجابه هؤلاء : ان ملك انكلترا قد وصل وأغاثهم ، وهنا سأل سيف الدين أخو صلاح الدين : وأين هو الملك ، وأين هو واقف ؟ فأشار له أحدهم وأوضح أنه واقف وسط رجاله على هضبة هناك ، وعند ذلك قال سيف الدين : هذا شيء مستحيل ، ومن غير المعقول أن يكون الملك واقف على قدميه بين رجاله ، فما كان منه الا أن أمر باسراج حصان ولجمه بمقود ، ثم أرسله مع أحد الجنود ، وكلفه ان يقول للملك : انه شيء غير مناسب ان يحارب الملك واقفا على قدميه ، ولاحظ الملك الخدعة ، وأدرك أن الحصان فيه شرك للايقاع به وأسره ، فما كان منه الا أن أعاده الى الرسول وقال له :« شكرا لمولاك لارساله الحصان ، وقل له انه لم يرسل هذا الحصان لمحبة بيني وبينه ، ولكنه ارسله من أجل هلاكي » وعاد الرسول وقاد الحصان

الى سيده وقال له : ان الملك قد اكتشف الخدعة ، وخجل سيف الدين ، ثم عاد وأرسل له حصانا آخر مع الرسول نفسه الذي كان قد قاد اليه الحصان الاول ، وامتطى الملك صهوة الحصان ، وكان سلاحه عجيبا ، وفي اليوم التالي وصل الجيش والفرسان الى يافا ، وحارب صلاح الدين بشدة ومداومة ، وقد تألم كثيرا لسوء المعاملة التي تلقاها راندولف اسقف بيت لحم ، وأوبري دي رايذس اللذان ماتا في السجن .

١٤٠ ـ أمر الملك ركاب السفن بأن يضعوا أشجارا وأوتادا وحواجز أمام القلعة لصد هجمات المسلمين ، ونفذت أوامره تنفيذا كاملا ، وهاجم المسلمون رجالنا حتى اشتبكوا معهم بالايدي داخل ساحة القلعة ، ودافع المسيحيون عن أنفسهم بشدة وقوة ، وكان عندما يدخل المسلمون من جهة يخرجهم المسيحيون بالقوة من جهة اخرى ، وقاتل الملك بكل شجاعة ، وكسر في يده سيفه ، فدافع عن نفسه بسيف آخر ، وظل يقاتل حتى حقق هدفه ، ولذاك القى ماعليه من سلاح الى الارض .

وعاد المسلمون الى مواقعهم ، واثر ذلك سألهم صلاح الدين فيما اذا كانوا قد استولوا على القلعة ، فأجابه هؤلاء : ان ملك انكلترا قد وصل وأغاثهم ، وهنا سأل سيف الدين أخو صلاح الدين : وأين هو الملك ، وأين هو واقف ؟ فأشار له أحدهم وأوضح أنه واقف وسط رجاله على هضبة هناك ، وعند ذلك قال سيف الدين : هذا شيء مستحيل ، ومن غير المعقول ان يكون الملك واقف على قدميه بين رجاله فما كان منه الا أن أمر باسراج حصان ولجمه بمقود ، ثم أرسله مع أحد الجنود ، وكلفه أن يقول للملك : انه شيء غير مناسب أن يحارب الملك واقفا على قدميه ، ولاحظ الملك الخدعة ، وأدرك أن الحصان فيه شرك للايقاع به وأسره ، فما كان منه الا أن أعاده الى الرسول وقال له :« شكرا لمولاك لارساله الحصان ، وقل له إنه لم يرسل هذا الحصان لمحبة بيني وبينه ، ولكنه أرسله من أجل هلاكي » وعاد الرسول وقاد الحصان الى سيده وقال له : ان الملك قد اكتشف الخدعة ، وخجل سيف الدين ، ثم عاد وأرسل له حصانا آخر مع الرسول نفسه الذي كان قد قاد اليه الحصان الاول ، وامتطى الملك صهوة الحصان ، وكان سلاحه عجيبا ، وفي اليوم التالي وصل الجيش والفرسان الى يافا وحارب صلاح الدين بشدة ومداومة ، وقد تألم كثيرا لسوء المعاملة التي تلقاها راندولف أسقف بيت لحم ، وأوبري دي رايذس اللذان ماتا في السجن .

١٤١ ـ وبعدما وصل الملك والجيش الى يافا لانجادها نشب

خلاف حاد جدا بين صلاح الدين وأمراء جيشه ، ولم يلاحظ رجالنا ذلك ، حتى انسحب المسلمون من أمام يافا ، وذهبوا للتمركز بين اللد ورام الله ، وذهب الملك وجنوده للاقامة في قلعة السهول (قرب يازور) وسمع صلاح الدين أن الملك يلاحقه ، وفي الوقت نفسه ارتاب صلاح الدين بأخيه سيف الدين وببقية الأمراء ، لذلك لم يقم في معسكره ولم ينتظر وصول الملك بل توجه الى سورية الجافة حتى يقوم بتحصين قلعتي الكرك والشوبك ، اللتان كان قد استولى عليهما منذ زمن قريب .

الملك رتشارد يستولي على قافلة اسلامية ثرية :

بعدما وصل الملك والجيش الى يافا لانجادها نشب خلاف حاد جدا بين صلاح الدين وأمراء جيشه ، ولم يلاحظ رجالنا ذلك ، حتى انسحب المسلمون من أمام يافا ، وذهبوا للتمركز بين اللد ورام الله ، وذهب الملك وجنوده للاقامة في قلعة السهول (قرب يازور) وسمع صلاح الدين أن الملك يلاحقه ، وفي الوقت نفسه ارتاب صلاح الدين بأخيه سيف الدين وببقية الأمراء ، لذلك لم يقم في معسكره ولم ينتظر وصول الملك ، بل توجه الى سورية الجافة حتى يقوم بتحصين قلعتي الكرك والشوبك ، اللتان كان قد استولى عليهما منذ زمن قريب .

وذهب الملك وجنوده ليتمركزوا قرب قلعة الفرسان الداوية في النطرون وهناك وصل اليه اثنان من البدو ، وأخذا من الملك الأمان والثقة ، وأقسما له يمينا تعهدا به بأنهما سيخدماه باخلاص وسيطلعاه على كمائن جيش صلاح الدين ، وعن كل مايدور حول صلاح الدين وجميع أهل البلاد وسمع عدد من مماليك أمراء صلاح الدين الأحاديث التي راجت حول كرم الملك وسماحته وحسناته ، فصار كل من غضب من مولاه يفر اليه هاربا ، ويلتحق به ويصبح تحت حماية ملك انكلترا ، وتزايد عدد هؤلاء المماليك حتى

وصل الى ثلاثمائة مملوك ، ويذكر أنه عندما غادر الملك سورية عائدا الى بلاد ماوراء البحار اصطحب معه من هؤلاء المماليك مائة وعشرين مملوكا .

وتجسس البدويان لصالح الملك وراقبا الطرق فاطلعا على خبر قافلة كبيرة وغنية كانت قادمة من مصر الى دمشق ، فتوجها الى الملك وأطلعاه على خبر هذه القافلة الكبيرة التي ستعبر قريبا من هناك ، وهي قد قدمت من مصر تريد دمشق للشعور بالأمان وأن صلاح الدين قد استولى على يافا وأن القوات المسلمة مسيطرة على المنطقة ، ثم ان ملك فرنسا والفرنسيين كانوا قد عادوا الى بلادهم منذ زمن طويل ، ولم يكن لدى الملك رتشارد عدد كبير من الرجال حتى يضطروا الى العبور في الممرات الجبلية ، وكانوا مطلعين اطلاعا جيدا على الخلافات الحاصلة في معسكر صلاح الدين ويعرفون واقع حال الملك رتشارد ، وأرسل اليهم صلاح الدين اربعين رجلا مسلحا حتى يقودوهم الى الغور .

وطلب الملك رتشارد من البدويين اللذان نقلا له هذا الخبر أن يتوليا مراقبة القافلة والتعرف من اي الممرات يمكن أن تمر بسهولة ، فأخبراه أنهما يعملان بجد ويبذلان كل مابوسعهما حتى يمكناه من الاستيلاء على القافلة ، ولم يشك الملك بهما أبدا ، وقد أغرقهما بالهدايا الكثيرة ، ومنحهما عددا وافرا من قطع النقود الذهبية ، وسافر هذان البدويان وهما يتباهيان بالهدايا والنقود التي منحها لهما الملك ، ولهذا بذل البداة الآخرون غاية جهودهم لمراقبة حركات القافلة مع تحركات أهالي البلاد لاطلاع الملك عليها ، وبذلك بات الملك على اطلاع ومعرفة بجميع حركات اهالي البلاد .

وراقب البدويان سير القافلة حتى وصلت الى مكان قريب من مكان اقامة الملك ، وعندما أطلعاه على الخبر غمرهما بالهدايا والاعطيات ، وما أن تأكد من أن القافلة قد باتت قريبة منه حتى

تسلح هو وفرسانه وسيرجانتيته بالاسلحة الخفيفة ، ولم يصطحب معه أحدا من الجنود العاديين ، بل كانوا جميعا من الكونتات وكبار القادة ، وهؤلاء ايضا تسلحوا بالاسلحة الخفيفة ، وفيما بعد فقد الفرسان والسرجانتية خيولهم من جراء ما عانوه أثناء الحملة ومع ذلك ، بفضل الحرب تساعدوا على الاقدام ومعروف أنه في تلك الايام عندما كان الفارس يحمل سلاحا محدودا وثقيلا ، كان عندما يسقط عن حصانه لا يمكن لأحد مساعدته .

وتحرك الملك واتباعه من مكان تمركزهم مساء ، وساروا طوال الليل حتى وصلوا عند انبلاج الفجر الى موقع « الصهريج الاحمر » فوجدوا هناك القافلة ومن فيها معسكرين ، وانقضوا عليها وعلى من فيها بسلاحهم ، ودافع رجال القافلة عن أنفسهم لكنهم لم ينجحوا ، فقد غلبهم الملك واستولى على القافلة وعلى ما كان فيها ، ويروى أن عددا كبيرا من المسلمين لا يقل عن ألف ومائتي رجلا لاقوا حتفهم ، واقتاد الملك القافلة الى يافا ، وعاد ومعه اتباعه بسلام وفقد المسيحيون ستين رجلا ، ومع هذا لم يحقق المسيحيون قط مثل هذا النصر ، ولم يحصلوا أبدا على مثل هذه المرابح ، وبعدما رجع الملك الى يافا أعطى مما ربحه من القافلة الى الفرسان والسيرجانتية ، واحتفظ لنفسه بمبلغ كبير من المال.

ثم غادر الملك يافا وتوجه الى عسقلان ليزيد من تحصيناتها ، ثم قصد غزة ففعل الشيء نفسه وأعادها الى فرسان الداوية ، ثم قصد الداروم فحصنها ، وعندما رأى صلاح الدين أن الملك رتشارد قد ضاعف قوته وزاد نشاطه ، جمع قواته وجاء ليقوم بحصار الداروم ، وكان في ذلك الحين بامكان الملك رتشارد مجابهة صلاح الدين على أرض المعركة . وحدث انه .....

ونهب الملك وجنوده ليتمركزوا قرب قلعة الفرسان الداوية في النطرون وهناك وصل اليه إثنان من البدو ، واخذا من الملك الامان والثقة ، واقسما له يمينا تعهدا به بأنهما سيخدماه بالاخلاص وسيطلعاه على كمائن جيش صلاح الدين ، وعن كل ما يدور حول صلاح الدين وجميع أهل البلاد ، وسمع عدد من مماليك امراء صلاح الدين الاحاديث التي راجت حول كرم الملك وسماحته وحسناته ، فصار كل من غضب من مولاه يفر اليه هاربا ، ويلتحق به ويصبح تحت حماية ملك انكلترا ، وتزايد عدد هؤلاء المماليك حتى وصل الى ثلاثمائة مملوك ، ويذكر أنه عندما غادر الملك سورية عائدا الى بلاد ما وراء البحار اصطحب معه من هؤلاء المماليك مائة وعشرين مملوكا .

وتجسس البدويان لصالح الملك وراقبا الطرق فاطلعا على خبر قافلة كبيرة وغنية كانت قادمة من مصر الى دمشق ، فتوجها الى الملك وأطلعاه على خبر هذه القافلة الكبيرة التي ستعبر قريبا من هناك ، وهي قد قدمت من مصر تريد دمشق للشعور بالامان وأن صلاح قد استولى على يافا وأن القوات المسلمة مسيطرة على المنطقة ، ثم إن ملك فرنسا والفرنسيين كانوا قد عادوا الى بلادهم منذ زمن طويل ، ولم يكن لدى الملك رتشارد عدد كبير من الرجال حتى يضطروا الى العبور في الممرات الجبلية ، وكانوا مطلعين اطلاعا جيدا على الخلافات الحاصلة في معسكر صلاح الدين ويعرفون واقع حال الملك رتشارد ، وأرسل اليهم صلاح الدين أربعين رجلا مسلحا حتى يقودوهم الى الغور .

وطلب الملك رتشارد من البدويين اللذان نقلا له هذا الخبر أن يتوليا مراقبة القافلة والتعرف من أي الممرات يمكن أن تمر بسهولة ، فأخبراه انهما يعملان بجد ويبذلان كل ما بوسعهما حتى يمكناه من الاستيلاء على القافلة ، ولم يشك الملك بهما ابدا ، وقد اغرقهما بالهدايا الكثيرة ومنحهما عددا وافرا من قطع النقود النهبية وسافر هذان البدويان وهما يتباهيان بالهدايا والنقود التي

منحها لهما الملك ، ولهذا بذل البداة الآخرون غاية جهودهم لمراقبة حركات القافلة مع تحركات اهالي البلاد لاطلاع الملك عليها ، وبذلك بات الملك على اطلاع ومعرفة بجميع حركات أهالي البلاد .

وراقب البدويان سير القافلة حتى وصلت الى مكان قريب من مكان اقامته وعندما أطلعاه على الخبر غمرهما بالهدايا والاعطيات ،و ما إن تأكد من أن القافلة باتت قريبة منه حتى تسلح هو وفرسانه وسيرجانتيته بالأسلحة الخفيفة ، ولم يصطحب معه أحدا من الجنود العاديين ، بل كانوا جميعا من الكونتات وكبار القادة ، وهؤلاء أيضا تسلحوا بالأسلحة الخفيفة ، وفيما بعد فقد الفرسان والسيرجانتية خيولهم من جراء ما عانوه أثناء هذه الحملة ، ومع ذلك بفضل الرب تساعدوا على الاقدام ، ومعروف أنه في تلك الأيام عندما كان الفارس يحمل سلاحا محدودا وثقيلا ، كان عندما يسقط عن حصانه لا يمكن لأحد مساعدته .

وتحرك الملك واتباعه من مكان تمركزهم مساء ، وساروا طوال الليل حتى وصلوا عند انبلاج الفجر الى موقع « الصهريج الاحمر » فوجدوا هناك القافلة ومن فيها معسكرين ، وانقضوا عليها وعلى من فيها بسلاحهم ، ودافع رجال القافلة عن انفسهم لكنهم لم ينجحوا ، فقد غلبهم الملك واستولى على القافلة وعلى ما كان فيها ، ويروى أن عددا كبيرا من المسلمين لا يقل عن ألف ومائتي رجلا لاقوا حتفهم ، واقتاد الملك القافلة الى يافا ، وعاد ومعه اتباعه بسلام ، وفقد المسيحيون ستين .

وجده في مكان فسيح فتحارب معه ومع جنوده وتمكن من الحاق الهزيمة به وبهم ، وبات المسلمون يخشون الآن من أن يتمكن الانكليز وملكهم من الاستيلاء على جميع المملكة ، وعظمت شهرة الملك رتشارد ، وصار اسمه يخيف المسلمين الى حد انه عندما كان طفل منهم يبكي كانت أمه تخيفه وتسكته باسم الملك رتشارد بأن تقول له « أخرس قبل ان يسمعك ملك انكلترا » ، وعندما يكون واحد من المسلمين يطوف على ظهر حصانه ، فيحرن ويتمنع من الحركة فيقول له : « مالك أتعتقد أن ملك انكلترا موجود في هذه الغابة »؟ واذا ما أراد أحد الجنود سقاية فرسه ، والفرس ترفض الشرب من الحوض فيقول لها : « مالك أتظنين أن ملك انكلترا موجود في الماء ».

كيف أراد صلاح الدين عقد هدنة مع الملك رتشارد ، لكنه رفض :

ولم يلبث صلاح الدين طويلا حتى بعث الى الملك رتشارد يسأله فيما اذا كان يريد العودة الى بلاده ، فإذا ما رغب بذلك انه على استعداد لعقد هدنة معه ، وأن يعيد اليه شطرا من المملكة التي استولى عليها وانتزعها من المسيحيين ، واقدم صلاح الدين على تقديم هذا العرض لخشيته من أخيه سيف الدين ، لأن الملك رتشارد وعده أنه اذا أصبح مسيحيا سيزوجه أخته التي كانت ملكة صقلية ، وخاف صلاح الدين أنه اذا ما تم هذا الزواج فسيخسر كل فتوحاته وجميع البلاد التي استولى عليها ، وكان صلاح الدين حين قدم عرضه للملك رتشارد على استعداد للقبول بمنحه نصف مملكة القدس أو أكثر ، لكن الملك رفض هذا العرض وأخبر رجال الوفد الذين بعثهم صلاح الدين : إنه يريد مملكة القدس بأكملها ويريد أيضا كل ما انتزعه نور الدين من المسيحيين واستولى عليه في أيام الملك عموري ، وأنه اذا لم يشأ صلاح الدين أن يعيد اليه كل ما

يطلبه ، فإنه سيذهب للاقامة في مصر ، لا بل هو ذاهب الى هناك ، وسيرى من الذي سيدافع عن مصر *

وفي تلك الاثناء جاء الملك غي الى عكا وذلك بناء على طلب من الملك رتشارد ، ولم يجد الملك غي الملك رتشارد هناك ، لذلك أراد العودة الى قبرص ، غير أن الكونت هنري الذي كان يعرف سبب استدعائه ، طلب منه الانتظار ، وعلم الملك غي لماذا استدعاه الملك رتشارد ، فخاف الآن أنه إذا ما قال للكونت أنه لن ينتظره ، سيقدم على اعتقاله ، لذلك قال له إنه سيذهب إلى يافا حيث الملك رتشارد ، وذلك ليسمع أوامره وليمتثل لارادته ، فقال له : أنه سيرسل معه اثنين أو ثلاثة من رجاله على ظهر السفينة نفسها ، وفعل الكونت هذا ليحول بينه وبين الهرب ، لكن الملك غي تحدث الى البيازنة ـ أصحاب السفينة ـ ووعدهم بمنح كبيرة وكثيرة وبامتيازات هائلة في قبرص ، فهو سيحكمهم ب « أيوبرت ماريا » وسيجعلهم يحلون محله في حكم قبرص عندما يكون مسافرا في البحر ، واهتمم البيازية ب « أيوبرت » وهكذا أقسموا يمينا تعهدوا فيه باطاعة الملك غي عندما يكون خارج عكا .

وأقلع الملك غي من عكا ، وسافر معه على ظهر السفينة نفسها اثنان من فرسان الكونت وذلك بناء على توجيهه ، وعندما اقتربت السفينة من قبرص وجد هناك مركبا فأنزل اليه فارسي الكونت وقال لهما : أبلغا تحياتي الكونت وقولا له بأنني لاأستطيع الذهاب الى يافا ، وعاد الفارسان الى عكا ، ونزل الملك غي في قبرص ، وهنا لاتسألوا عن الكونت هنري وعن مدى ماشعر به من غضب نتيجة لما قام به الملك غي ، وماحاكه من خديعة .

....رجلا ، ومع هذا لم يحقق المسيحيون قط مثل هذا النصر ، ولم يحصلوا ابدا على مثل هذه المرابح ، وبعدما رجع الملك الى يافا أعطى مما ربحه من القافلة الى الفرسان والسيرجانتية ، واحتفظ لنفسه بمبلغ كبير من المال .

ثم سافر الملك من يافا الى عسقلان حتى تولى تحصينها ، ثم قصد غزة ففعل الشيء نفسه ثم أعادها الى فرسان الداوية ، وبعد هذا قصد الداروم فحصنها ، وعندما رأى صلاح الدين أن الملك رتشارد قد ضاعف قوته وزاد من نشاطه ، جمع قواته وجاء ليقوم بحصار الداروم ، وكان في ذلك الحين بامكان الملك رتشارد مجابهة صلاح الدين على أرض المعركة ، وحدث أنه وجده في مكان فسيح فتحارب معه ومع جنوده وتمكن من الحاق الهزيمة به وبهم ، وبات المسلمون يخشون الآن من أن يتمكن الانكليز وملكهم من الاستيلا على جميع المملكة ، وعظمت شهرة الملك رتشارد ، وصار اسمه يخيف المسلمين الى حد أنه عندما كان طفل منهم يبكي كانت امه تخيفه وتسكته باسم الملك رتشارد بأن تقول له : « اخرس قبل أن يسمعك ملك انكلترا » وعندما يكون واحد من المسلمين يطوف على ظهر حصانه ، فيحرن ويمتنع من الحركة فيقول له :«مالك اتعتقد أن ملك انكلترا موجود في هذه الغابة»؟ واذا ما أراد أحد الجنود سقاية فرسه والفرس ترفض الشرب من الحوض فيقول لها : « مالك اتظنين أن ملك انكلترا موجود في الماء ».

١٤٢ ـ ولم يلبث صلاح الدين طويلا حتى بعث الى الملك رتشارد يسأله فيما اذا كان يريد العودة الى بلاده ، فإذا ما رغب بذلك فانه على استعداد لعقد هدنة معه ، وأن يعيد اليه شطرا من المملكة التي استولى عليها وانتزعها من المسيحيين ، وأقدم صلاح الدين على تقديم هذا العرض لخشيته من أخيه سيف الدين ، لأن الملك رتشارد وعده انه إذا أصبح مسيحيا سيزوجه أخته التي كانت ملكة صقلية ، وخاف صلاح الدين انه اذا ما تم هذا الزواج فسيخسر كل فتوحاته وجميع البلاد التي استولى عليها ، وكان صلاح الدين حين

قدم عرضه للملك رتشارد على استعداد للقبول بمنحة نصف مملكة القدس أو أكثر ، لكن الملك رفض هذا العرض وأخبر رجال الوفد الذين بعثهم صلاح الدين انه يريد مملكة القدس بأكملها ويريد أيضا كل ماانتزعه نور الدين من المسيحيين واستولى عليه في أيام الملك عموري ، وأنه إذا لم يشأ صلاح الدين أن يعيد اليه كل ما يطلبه ، فإنه سيذهب للاقامة في مصر ، لا بل هو ذاهب الى هناك ، وسيرى من الذي سيدافع عن مصر ، أو يدفعه عنها.

وفي تلك الأثناء جاء الملك غي الى عكا وذلك بناء على طلب من الملك رتشارد ، ولم يجد الملك غي الملك رتشارد هناك ، لذلك أراد العودة الى قبرص ، غير أن الكونت هنري الذي كان يعرف سبب استدعائه ، طلب منه الانتظار ، وعلم الملك غي لماذا استدعاه الملك رتشارد ، فخاف الآن أنه اذا ما قال للكونت إنه لن ينتظره ، سيقدم على اعتقاله ، لذلك قال له أنه سيذهب الى يافا حيث الملك رتشارد ، وذلك ليسمع أوامره وليمتثل لارادته ، فقال له أنه سيرسل معه اثنين أو ثلاثة من رجاله على ظهر السفينة نفسها ، وفعل الكونت هذا ليحول بينه وبين الهرب ، لكن الملك غي تحدث الى البيازنة اصحاب السفينة ، ووعدهم بمنح كبيرة وكثيرة وبامتيازات هائلة في قبرص ، فهو سيحكمهم ب « أيوبرت ماريا » وسيجعلهم يحلون محلة في حكم قبرص عندما يكون مسافرا في البحر ، واهتم البيازنة ب « أيوبرت ماريا » وهكذا أقسموا يمينا تعهدوا فيه باطاعة الملك غي عندما يكون خارج عكا .

- ٣٩٦٣ -

كيف عقد الملك رتشارد الهدنة مع صلاح الدين :

ووصلت رسائل ورسل الى الملك رتشارد أخبرته ان ملك فرنسا قد استولى على كل أراضيه وممتلكاته في فرنسا ، كما وقام أخوه يوحنا بانكلترا بالاستيلاء على جميع المدن والقلاع ، وأقسمت المملكة يمين الولاء له ، وعندما سمع بهذه الأخبار لم يكن مسرورا ابدا ، لهذا بادر بمراسلة صلاح الدين يعرض عليه التفاوض من أجل الهدنة ، لكن صلاح الدين أجابه أنه على غير استعداد لعقد الهدنة معه ، لأنه عندما قدم له مثل هذا العرض بالتهادن رفض ، وبعث رتشارد وفدا جديدا الى صلاح الدين ، وكان فيه بالين دي ابلين ، وقد طلب الملك من بالين أن يبذل جهده لعقد هدنة مع صلاح الدين ، وأخبر صلاح الدين بالين أنه لن يبرم اي هدنة مالم يتخل له الملك عن : غزة ، وعسقلان ، والداوم ، ويافا ، ذلك أن جواسيسه أطلعوه على الأخبار التي تلقاها الملك من بلاد ماوراء البحار ، وعاد بالين الى الملك وأخبره بما وجده عند صلاح الدين ، وغضب الملك لهذا السبب ، فهو كان على بينة بضعف أحوال سكان المملكة ، ولم يرغب بالذهاب بدون عقد هدنة ، لذلك أمر بالين بالذهاب ثانية الى صلاح الدين وليحاول أن يستثني يافا من الاعادة ، وذهب بالين وتمكن أخيرا من عقد هدنة مع صلاح الدين على أساس اعادة ، غزة وعسقلان والداروم انما بشرط الا يسكن أحد من المسلمين في عسقلان بل تهدم ، وبقيت يافا للمسيحيين ، وشملت الهدنة : قيسارية وأرسوف وحيفا ، وتنازل الملك عن عسقلان والمدن الأخرى ، واستدعى الملك الكونت وأعلمه أن مدة الهدنة عشر سنوات ، وأنه تنازل عن عسقلان وطلب منه أن يقسم على التمسك بالهدنة وهذا مافعل ، وهنا قال له الملك : « انه من الضروري بالنسبة لي أن أسافر ، وتأكد أنه اذا منحني الرب الحياة سأعود وأحضر لك رجالا استرد بهم لك عسقلان وجميع أجزاء المملكة وسأتوجك ملكا في القدس » ثم إنه شحن يافا بالرجال والعتاد والمؤن والسلاح ، ثم رافق الملك وعاد معه الى عكا .

وتحدث الملك غي الى البيازنة ـ أصحاب السفينة ـ ووعدهم بمنح وافرة وكثيرة وبامتيازات هائلة في قبرص ، فهو سيحكمهم ب « أيوبرت ماريا » وسيجعلهم يحلون محله في حكم قبرص عندما يكون مسافرا في البحر ، واهتم البيازنة ب « أيوبرت ماريا » وهكذا أقسموا يمينا تعهدوا فيه بطاعة الملك غي عندما يكون خارج عكا .

وأقلع الملك غي من عكا ، وسافر معه على ظهر السفينة نفسها اثنان من فرسان الكونت وذلك بناء على توجيهه ، وعندما اقتربت السفينة من قبرص وجد هناك مركبا فأنزل اليه فارسي الكونت وقال لهما : أبلغا تحياتي الكونت وقولا له بأنني لا أستطيع الذهاب الى يافا ، وعاد الفارسان الى عكا ، ونزل الملك غي في قبرص ، وهنا لاتسألوا عن الكونت هنري وعن مدى ماشعر به من غضب نتيجة لما قام به الملك غي ، وما حاكه من خديعة .

١٤٣ ـ ووصلت رسائل ورسل الى الملك رتشارد وأخبرته أن ملك فرنسا قد استولى على كل أراضيه وممتلكاته في فرنسا ، كما وقام أخوه يوحنا بانكلترا بالاستيلاء على جميع المدن والقلاع ، وأقسمت المملكة يمين الولاء له ، وعندما سمع بهذه الأخبار لم يكن مسرورا أبدا ، لهذا بادر بمراسلة صلاح الدين يعرض عليه التفاوض من أجل الهدنة ، لكن صلاح الدين أجابه أنه على غير استعداد لعقد الهدنة معه ، لأنه عندما قدم له مثل هذا العرض بالتهادن رفض ، وبعث الملك رتشارد وفدا جديدا الى صلاح الدين ، وكان فيه بالين دي ابلين وقد طلب الملك من بالين أن يبذل جهده لعقد هدنة مع صلاح الدين ، وأخبر صلاح الدين بالين أنه لن يبرم أي هدنة مالم يتخل له الملك عن : غزة ، وعسقلان ، والداروم ويافا ذلك أن جواسيسه أطلعوه على الأخبار التي تلقاها الملك من بلاد ماوراء البحار ، وعاد بالين الى الملك وأخبره بما وجده عند صلاح الدين ، وغضب الملك لهذا السبب ، فهو كان على بينة بضعف أحوال سكان المملكة ، ولم يرغب بالذهاب بدون عقد هدنة ، لذلك

أمر بالين بالذهاب ثانية الى صلاح الدين وليحاول أن يستثني يافا من الاعادة ، وذهب بالين وتمكن أخيرا من عقد الهدنة مع صلاح الدين على أساس اعادة : غزة وعسقلان والداروم انما بشرط الا يسكن أحد من المسلمين في عسقلان بل تهدم ، وبقيت يافا للمسيحيين ، وشملت الهدنة ، قيسارية وأرسوف وحيفا ، وتنازل الملك عن عسقلان والمدن الاخرى ، واستدعى الملك الكونت هنري ، وأعلمه أن مدة الهدنة عشر سنوات ، وأنه تنازل عن عسقلان وطلب منه أن يقسم على التمسك بالهدنة وهذا مافعل ، وهنا قال له الملك : « انه من الضروري بالنسبة لي أن أسافر ، وتأكد أنه اذا منحني الرب الحياة سأعود وأحضر لك رجالا استرد بهم لك عسقلان وجميع أجزاء المملكة وسأتوجك ملكا في القدس » ثم أنه شحن يافا بالرجال والعتاد والمؤن والسلاح ، ثم رافق الملك وعاد معه الى عكا وبرفقتهما أسقفها .

كيف ألقي القبض على ملك انكلترا عندمـــا عاد الى بلاده :

بعدما حل الملك في عكا أعد شوانيه وحمل سفنه بالرجال وشحنها بالمؤن ، ثم اصعد الى السفن زوجته ، وزوجة ملك قبرص – وكان قد مات في سجنه – وكذلك ابنته ورجاله ، ثم طلب من مقدم الداوية أن يؤجره عددا من فرسانه والسيرجانتية ليرافقوه في ســفره وعلل طلبه بقوله :« انني سمعت أن ملك فـرنسا يراقبني وأخشى مــن أن يقبض علي ، وبوجود الفرسان معي يمــكنني أن أتخفــى كواحـــد منهم ، وبذلك أسافر كواحد من الفرسان الى بلادي ».

ووافق مقدم الداوية على طلبه وعمل وفق هـواه ، وبعدما أكملوا الاستعدادات للسفر صعدوا الى الشواني والسفن ، وودعوا الكونت هنري وسكان البلاد ، وبعدما سافروا من عكا واصبحوا في وســط البحر ، فكر الملك بالانتقال من سفينة الى أخرى ، غير انه وجد انه لايستطيع القيام بذلك مالم يكن معه في السفينة قـوة حـــراسة كافية له ، لذلك استأذن زوجته وطلب منها ومــن حـــاشيتها الذهـــاب الى مرسيليا ، في حين ذهب هـو والفرسان باتجاه آخر ، وعندما وصلوا الى أقويلي ، التي كانت أكبر مدينة في مدخل المانيا قريبة من بحـــر الاغريق ، اشتروا بعض الحاجيات ثم تابعوا طريقهم بالحال حتـــى وصلوا الى دوقية أو ستريا (النمسا) وكان الدوق في احدى قلاعه على مقربة منهم ، وجاء إليه فورا أحـــد الحـــراس وأخبـــره أن ملك انكلترا موجود في قلعته ويرغب في مقابلته اذا سمح بذلك .

وفرح الدوق بهذا الخبـــر فـــرحا كبيرا فهـــو يســـــتطيع الآن أن يثأر العار الذي لحقه في عكا ، لهذا أمر باغلاق أبواب القلعة ، وأن يحمل رجاله اســـلحتهم ، ثـــم تـــوجه نحــــو الملك حيث كان مقيما ، وصدرت أصوات مزعجة من هـؤلاء الرجـــال الذين جـــاءوا لالقاء القبض على الملك ، لأنهم انفعلوا انفعالا كبيرا ، وأمام هـــذا

الحال يروى ان الملك دخل الى المطبخ فخلع ثيابه ، ثم ارتدى ملابس واحد من الخدم ، وتناول بعض الأطعمة ليعدها ثم أخذ يقوم بأعمال الشواء ، وجاء واحد من الحرس الى البيت وشرع يبحث عنه حتى وجده فقال له :« قف يامولاي ان الدوق يريد ان يتحدث اليك » .

وجاء رجال الدوق فساقوه امامهم حتى أوصلوه الى الدوق ، فأمر الأخير بوضعه في أحد الأبراج وحراسته فيه ومعاملته بكرامة تليق بمكانته وذلك حتى يعلم الامبراطور بأمره ، وعندما علم الامبراطور بذلك اهتم كثيرا بالموضوع ، وطلب من الدوق ان يحضره اليه ، وحمله الدوق اليه ، وقام الامبراطور هنري (السادس) بالقائه بالسجن حيث بقي حتى تاريخ اخراجه منه .

وسأتحدث اليكم الآن عن اسباب العداوة التي قامت بين ملك انكلترا ودوق النمسا ، فقد حدث أنه عندما استردت عكا من المسلمين .

١٤٤ ـ وسأحدثكم الان عما حدث لملك انكلترا بعدما غادر مملكة القدس :

بعدما حل الملك في عكا أعد شوانيه وحمل سفنه بالرجال وشحنها بالمؤن ، ثم أصعد إلى السفن زوجته ، وزوجة ملك قبـرص ـ وكان قد مات في سجنه ـ وكذلك ابنته ورجاله ثم طلب من مقدم الداوية أن يؤجره عددا من فرسانه والسير جانتيه ليرافقوه في سفره وعلل طلبه بقوله : « إنني سمعت أن ملك فرنسا يراقبني وأخشى من أن يقبض علي ، وبوجود الفرسان معي يمكنني أن اتخفـى كواحـد منهـم ، وبذلك أسافر كواحد من الفرسان الى بلادي .

ووافق مقدم الداوية على طلبه وعمل وفق هـواه ، وبعـدما أكملوا الاستعدادات للسفر صعدوا الى الشواني والسفن ، وودعوا الكونت هنري وسكان البلاد ، وبعدما سافروا من عكا وأصبحوا في وسـط البحر ، فكر الملك بالانتقال من سفينة إلى أخرى ، غير أنه وجد أنه لايستطيع القيام بذلك ما لم يكن معه في السفينة قوة حـراسة كافية له ، لذلك استأذن زوجته وطلب منها ومـن حـاشيتها الذهـاب إلى مرسيليا في حين ذهب هـو والفرسان باتجاه آخر ، وعندمـا وصـلوا إلى أقويلي ، التي كانت أكبر مدينة في مدخل المانيا قريبة مـن بحـر الاغريق ، اشتروا بعض الحاجيات ثم تابعوا طريقهم بالحال حتـى وصلوا إلى دوقية اوستريا (النمسا) وكان الدوق في احدى قـلاعه على مقربة منهم ، وجاء إليه فورا أحـد الحـراس واخبـره أن ملك انكلترا موجود في قلعته ويرغب في مقابلته إذا سمح بذلك .

وفرح الدوق بهذا الخبر فرحا كبيرا فهو يسـتطيع الان ان يثـأر العار الذي لحقه في عكا ، لهذا أمر بغلاق أبواب القلعة ، وأن يحمـل رجاله أسلحتهم ، ثم توجه نحو الملك حيث كان مقيمـا ، وصـدرت أصوات مزعجة من هـؤلاء الرجال الذين جاءوا الالقـاء القبض على الملك ، لأنهم انفعلوا انفعالا كبيرا ، وأمام هذا الحال يروى أن الملك دخل إلى المطبخ فخلع ثيابه ، ثم أرتدى ملابس واحد مـن الخـدم ،

وتناول بعض الاطعمة ليعيدها ، ثم أخذ يقوم بأعمال الشواء ، وجاء واحد من الحرس إلى البيت وشرع يبحث عنه حتى وجده فقال له : « قف يامولاي إن الدوق يريد أن يتحدث اليك » .

١٤٥ وجاء رجال الدوق فساقوه أمامهم حتى أوصلوه إلى الدوق ، فأمر الاخير بوضعه في أحد الابراج وحراسته فيه ومعاملته بكرامة تليق بمكانته وذلك حتى يعلم الامبراطور بأمره ، وعندما علم الامبراطور بذلك اهتم كثيرا بالموضوع ، وطلب من الدوق أن يحضره إليه ، وحمله الدوق إليه ، وقام الامبراطور هنري (السادس) بالقائه بالسجن حيث بقي حتى اخراجه منه .

كان دوق النمسا مع غاليران دوق لامبروك قد دخلا الى عكا وأقاما فيها ، وحينذاك جاء مارشال ملك انكلترا فهاجم مقر اقامتهما وطردهما منه بكل قسوة وعنف ، الأمر الذي أزعجهما كثيرا ، ولذلك عندما واتتهما الفرصة ثأر لكرامتهما ، وقد أثار هذا الحادث كثيرا من الحقد والحريب حيث هدمت ممالك عديدة من جراء ذلك .

وعندما علم ملك فرنسا انه ألقي القبض على الملك رتشارد وأودع السجن في ألمانيا ، عمل على حماية الطرق ومراقبة المنافذ ثم جمع جنوده ودخل الى بلاد ملك انكلترا ، وقاتل هناك بشدة وشراسة ، واستولى على المدن والقلاع وبذلك توصل الى اسر كونت دي ليفاستري الذي أنابه الملك رتشارد في حكم نورماندي والدفاع عنها وعن البلاد الواقعة تحت حكمه فيما وراء البحر ، هذا ومكث الملك رتشارد زمنا طويلا في السجن ، وقد حدث هذا كله في سنة ١١٩٣ لتجسيد يسوع المسيح .

كيف اطلق سراح ملك انكلترا

بعث هذا الملك إلى انكلترا ليؤتى له بالمال حتى يتحرر من سجن

الامبراطور ، وكان قد أقسم له أن يدفع له الفدية في زمن حـــدده له ، وبذلك أطلق سراح الملك رتشارد ولم يتــأخر الملك رتشـــارد في دفـــع الفدية فقد ساعده أصدقاؤه ورجاله مساعدة كبيرة ، وحين علم ملك فرنسا بذلك ، شدد الحراسة على طرق بــلاده حتـــى لايدخـــل الملك رتشارد إليها ، وعندما وصل الملك رتشارد إلى انكلترا جمـــع مـــال فديته وقدره مائتي ألف مارك ، وأرسله إلى الامبراطور حتى يحـــرر شواطيء انكلترا والرهـائن الذين أودعهم عنده ، وليدفذ القسم الذي تعهد به ، ويحـــكى أنه لم يبـــق كاســـا أو مبخـــــرة في الكنائس إلا واعطاها للامبراطور مقابل فديته ، ونال الامبراطور من هـــذا المبلغ الجزء الاعظم واعطى جل البقية إلى الدوق ذلك أن ملك فرنسا قد نال شطرا من هذا المبلغ لانه سمح بمرور هذا المال من أراضيه ، وبعـــد ذلك حشد ملك انكلترا جنوده وعبر البحر حيث تمكن مـــن اســـتعاده جزء من بلاده مما كان فيليب ملك فـــرنسا قـــد اســـتولى عليه أثناء وجوده بالسجن ، وجعل من ابـــن عمـــه أوتـــو الذي كان ابـــن دوق سواسون كونت على بواتيه ، وبالوقت نفسه قاتل بشدة وعنف ضـــد ملك فرنسا .

وسأتحدث اليكم الان عن أسباب العداوة التـي قـامت بين ملك انكلترا ودوق النمسا ، فقد حـدث أنه عندمـا اسـتردت عكا مـن المسلمين كان دوق النمسا مع غاليران دوق لامبـروك قـد دخلوا إلى عكا وأقاما فيها ، وحينذاك جاء مارشال ملك انكلترا فهـاجم مقـر اقامتهما وطردهما منه بكل قسـوة وعنف ، الامـر الذي أزعجهمـا كثيرا ، ولذلك عندما واتتهما الفرصة ثأرا لكرامتهما ، وقد أثار هذا الحادث كثيرا من الحقد والحروب حيث هدمت ممالك عديدة من جراء ذلك .

وعندما علم ملك فرنسا انه ألقي القبض على الملك رتشارد وأودع السجن في المانيا ، عمل على حماية الطرق ومراقبة المنافذ ثم جمـع جنوده ودخل إلى بلاد ملك انكلترا ، وقـاتل هناك بشـدة وشراسـة واستولى على المدن والقلاع وبذلك تـوصل إلى اسر كونت دي ليفـا ستري الذي أنابه الملك رتشارد في حكم نورماندي والدفاع عنها وعن البلاد الواقعة تحت حكمه فيما وراء البحر ، هذا ومكث الملك رتشارد زمنا طويلا في السجن ، وقد حدث هذا كله في سنة ١١٩٣ ، لتجسيد يسوع المسيح .

١٤٦ ــ بعث هذا الملك الى انكلترا ليؤتي له بالمال حتـى يتحـرر من سجن الامبراطور ، وكان قد أقسم له أن يدفع له الفدية في زمـن حدده له ، وبذلك أطلق سراح الملك رتشارد ولم يتأخر الملك رتشـارد في دفع الفدية فقد ساعده أصدقاؤه ورجاله مسـاعدة كبيرة ، وحين علم ملك فرنسا بذلك ، شدد الحراسة على طرق بلاده حتى لايدخـل الملك رتشارد اليها ، وعندما وصل الملك رتشارد الى انكلتـرا جمـع مال فديته وقدره مائتي ألف مارك ، وأرسله الى الامبراطور حتـى يحرر شواطىء انكلترا والرهائن الذين أودعهم عنده ، وليذفذ القسم الذي تعهد به ، ويحكى انه لم يبق كأسـا أو منجـزة في الكنائس الا وأعطاها للامبراطور مقابل فديته ونال الامبراطور مـن هـذا المبلغ الجزء الاعظم وأعطى جل البقية الى الدوق ذلك أن ملك فرنسا قد نال شطرا من هذا المبلغ لانه سمح بمرور هذا المال من أراضيه وبعد ذلك

- ٣٩٧٢ -
حشد ملك انكلترا جنوده وعبر البحر حيث تمكن من استعادة جـزء من بلاده مما كان فيليب ملك فرنسا قد اســتولى عليه أثناء وجـوده بالسجن وجعل من ابن عمه أوتو الذي كان ابن دوق سواسون كونتا على بواتيه ، وبالوقت نفسه قاتل بشدة وعنف ضد ملك فرنسا .

- ٣٩٧٣ -

كيف مات الملك غي لوزنغنان ملك قبرص :

بعد سفر ملك انكلترا . علم الكونت هنري ان البيازنة استدعوا الملك غي للقدوم والاستيلاء على مدينة صور ، وقد أغضب هذا الكونت هنري المذكور ، وكان في تلك الآونة للبيازنة سلطة كبيرة في سورية ، حتى أنهم كانوا يكبدون الذين كانوا يقدمون الى سورية خاصة الجنويين خسائر عظيمة ، وكانت الشكاوى من الجنويين تصل كل يوم ضد أعمالهم هذه الى الكونت هنري ، مما دفعه الى طلب البيازنة المقيمين في عكا وقال لهم : ان ماتفعلوه في مدينة عكا هو عمل سيء جدا ، وعليكم أن تتوقفوا ومن ثم الامتناع عن هذه التصرفات ، غير أن هذا لم يفد ، بل تصرفوا ضد رغباته وتهديداته ، فغضب الكونت منهم ، وقرر طردهم ، وأمرهم باخلاء بلاده ، وهددهم أنه اذا وجد أحدا من زعمائهم في بلاده فسيمسك به من رقبته ويلقي به في السجن .

وحين فعل الكونت هنري ذلك احتج عليه ايمري لوزنغنان ـ كافل المملكة ـ أخو الملك غي وقال للكونت هنري :« انه أمر غير مقبول طرد أناس طيبين مثل البيازنة من عكا ، وغضب الكونت هنري ورد عليه بحنق قائلا :« كيف ؟ هل تريد أن تبقيهم ضد ارادتي لأنهم أرادوا أن يسلموا صور الى أخيك ؟ اعلم انك لن تفلت من يدي حتى يعيد لي أخوك قبرص ، واثر ذلك جاء اليه مقدم الفرسان الداوية مع مقدم الفرسان الاسبتارية وبارونات البلاد ولاموه على اعتقال هذا القائد الكبير الذي كان يعد من رجاله ، ويعد ايضا اعظم بارونات البلاد ، فرد عليهم الكونت مغضبا : انه لايعده واحدا من رجاله ، ولايعده ايضا قائدا كبيرا ولامن البارونات ، ولم يسلموا له وجادلوه مطولا وضغطوا عليه حتى افرج عنه وأخلى سبيله .

وبعد مضي ثلاثة أيام جاء القائد ايمري الى البلاط وأعلن للكونت عن تخليه عن وظيفته القيادية ، ثم ذهب من هناك الى قبرص حيث

- ٣٩٧٤ -

منحه أخوه الملك غي ولاية يافا ، وبعد موت الملك غي تـرك يافـا ، بسبب أن أخاه جفري استدعي أولا لتسلم المملكة فرفض القدوم الى قبرص فما كان من سكان قبرص إلا أن وجدوا أنفسهم مرغمين على استدعاء أخيه ايمري لينصبوه ملكا، هذا من جانب ومن جانب آخـر أعطى الكونت هنري الوظيفة القيادية التي كان يشغلها ايمـري الى جون دي ابلين ، الذي كان اخا الملكة ايزابيل فاتفق هذا مع البيازنة واعطاهم ما يستحقونه وما يليق بمكانتهم.

١٤٧ ـ بعد سفر ملك انكلتـرا ، علم الكونت هنري أن البيازنة استدعوا الملك غي للقدوم والاستيلاء على مدينة صور ، وقد أغضب هذا الكونت هنري المذكور ، وكان في تلك الآونة للبيازنة سلطة كبيرة في سورية ، حتى أنهم كانوا يكبدون الذين كانوا يقدمون الى سورية خاصة الجنويين خسائر عظيمة ، وكانت الشـكاوى مـن الجنويين تصل كل يوم ضد أعمالهم هذه الى الكونت هنري ، ممـا دفعـه الى طلب البيازنة المقيمين في عكا وقال لهم : ان ماتفعلونه في مـدينة عكا هـو عمل سيء جدا ، وعليكم أن تتوقفوا ومن ثـم الامتناع عن هـذه التصرفات ، غير أن هذا لم يفد ، بـل تصرفـوا ضـد رغبـاته وتهديداته ، فغضب الكونت منهم ، وقرر طردهم ، وأمرهم بـاخلاء بلاده ، وهددهم أنه اذا وجد أحدا من زعمائهم في بلاده فسيمسك به من رقبته ويلقي به في السجن .

وحين فعـل الكونت هنري ذلك احتـج عليه ايمـري لوزنغنان ـ كافـل المملكة ـ أخـو الملك غي وقـال للكونت هنري :« انه أمر غير مقبول طـرد أناس طيبين مثـل البيازنة مـن عكا»، وغضب الكونت هنري ورد عليه بحذق قـائلا :« كيف ؟ هـل تريد ان تبقيهم ضد ارادتي ، لأنهـم أرادوا أن يسـلموا صـور الى أخيك ؟ اعلم انك لن تفلت مـن يدي حتـى يعيد لي أخـوك قبرص»، واثر ذلك جاء اليه مقدم الفرسان الداوية مع مقدم الفرسان الاسبتارية وبارونات البلاد ولاموه على اعتقال هـذا القـائد الكبير الذي كان يعد من رجاله ، ويعد ايضا أعظم بارونات البلاد ، فـرد عليهم الكونت مغضبا : انه لايعده واحدا من رجاله ، ولايعده ايضا قائدا كبيرا ولا من البـارونات ، ولم يسـلموا له وجـادلوه مـطولا وضغطوا عليه حتى أفرج عنه وأخلى سبيله .

وبعد مضي ثلاثة أيام جاء القائد ايمري الى البلاط وأعلن للكونت عن تخليه عن وظيفتـه القيادية ، ثـم ذهـب مـن هناك الى قبرص ، حيث منحه أخوه الملك غي ولاية يافا ، وبعد موت الملك غي

- ٣٩٧٦ -

رواية عما اقترفه هنري بحق رهبان الضريح المقدس :

في الايام التي كان الكونت هنري يحكم فيها في عكا ، مات هرقل الذي كان بطريركا للقدس ، واجتمع رهبان القبر المقدس فانتخبوا بطريركا جديدا ، وكان اسود البشره ، وكان من قبل رئيسا لاساقفة قيسارية ، وتمت عملية الانتخاب من دون اعلام الكونت ، ولهذا عندما علم بذلك غضب غضبا شديدا ، وقال : لقد جرت العادة من قبل عندما يموت بطريرك القدس يقوم الرهبان في الضريح المقدس بانتخاب اثنين ، ويرفعون اسميهما الى الكونت ليقوم باختيار واحد منهما فيكون بطريركا للقدس ، وقام الكونت هنري بالقاء القبض على رهبان الضريح المقدس ، وألقى بهم بالسجن ، ولامهم كثيرا ، وانتقد تصرفهم وقال : إنهم يريدون ازالة سلطة ملوك القدس والصلاحيات التي تمتعوا بها في تقرير انتخاب البطريرك ، وأثار هذا الاجراء ضجة كبيرة وكان أشبه بفضيحة ضخمة ، ووجه رئيس الاساقفة جوسيه النقد الشديد للكونت ومثله فعل البارونات والسادة الاخرون ، ولاموه على فعلته ، وألحوا عليه حتى يطلق سراح رهبان الضريح المقدس ليعودوا الى منزلتهم ، واخيرا وافق على عملية الانتخاب ، ثم منح ابن عمه المسمى غراشيان قلعة في منطقة عكا اسمها كفربولا ومنحه ثقته والحقه بحاشيته .

وقرر الرهبان الذهاب الى روما ليعرضوا نتيجة عملية انتخابهم للبطريرك على البابا ، وهناك حصلوا على الموافقة ، ثم أطلعوا البابا كلستين (الثالث) على ما فعله الكونت بحق رهبان الضريح المقدس ، وقد أزعجه هذا التصرف كثيرا ، وهكذا أوقف دور ملك القدس في انتخاب البطريرك ، وقرر أن يكون الرهبان لوحد هم هم الذين يتولون انتخاب بطريركهم .

ولا يعجبن أحد أو يدهش لهذا الشرف الذي حصل عليه ملك

القدس ، ذلك أنه منذ احتلال القدس وحتـى ذلك الحين ، قليلا مـا كان لكنيسة روما من رأي وتدخل ، لأنه عندما جاء الدوق غودفـري والبارونات الآخرون لاحتلال البلاد جـاء بمـوافقة البـابا أوربـان وكذلك بموافقة الملك هنري ، ثم فيما بعد من قبل البـابا الاسـكندر والامبراطور فردريك ، جد هـذا الذي أقـام بـالحكم سـبع عشرة سنة ، وحدث أن اثنان من البابوات ماتا ميتة مشـؤومة ، ومـامن أحد حمل الملك مسؤولية هذه العادة .

ترك يافا ، بسبب أن أخاه جفري استدعى أولا لتسلم المملكة ، فرفض القدوم الى قبرص ، فما كان من سكان قبرص إلا وأن وجدوا أنفسهم مرغمين على استدعاء أخيه ، ايمري لينصبوه ملكا ، هذا من جانب ومن جانب آخر أعطى الكونت هنري الوظيفة القيادية التي كان يشغلها ايمري الى جون دي ابلين ، الذي كان أخا للملكة ايزابيل ، فاتفق هذا مع البيازنة فعادوا الى عكا وأعطاهم ما يستحقونه وما يليق بمكانتهم، وقد حدث هذا في سنة ١١٩٣ (الصحيح ١١٩٤) لتجسيد المسيح .

١٤٨ ـ في الايام التي كان الكونت هنري يحكم فيها في عكا ، مات هرقل الذي كان بطريركا للقدس ، واجتمع رهبان القبر المقدس فانتخبوا بطريركا جديدا ، وكان أسود البشره ، وكان من قبل رئيسا لأساقفة قيسارية ، وتمت عملية الانتخاب من دون اعلام الكونت ، ولهذا عندما علم بذلك غضب غضبا شديدا ، وقال : لقد جرت العادة من قبل عندما يموت بطريرك القدس يقوم الرهبان في الضريح المقدس بانتخاب اثنين ، ويرفعون اسميهما الى الكونت ليقوم باختيار واحد منهما فيكون بطريركا للقدس ، وقام الكونت هنري بالقاء القبض على رهبان الضريح المقدس ، والقى بهم بالسجن ، ولامهم كثيرا ، وانتقد تصرفهم وقال : انهم يريدون ازالة سلطة ملوك القدس والصلاحيات التي تمتعوا بها في تقرير انتخاب البطريرك ، وأثار هذا الاجراء ضجة كبيرة وكان أشبه بفضيحة ضخمة ووجه رئيس الأساقفة جوسيه النقد الشديد للكونت ومثله فعل البارونات والسادة الآخرون ، ولاموه على فعلته ، والحوا عليه حتى يطلق سراح رهبان الضريح المقدس ليعودوا الى منزلتهم ، وأخيرا وافق على عملية الانتخاب ثم منح ابن عمه المسمى غراشيان قلعة في منطقة عكا اسمها كفربولا ومنحه ثقته والحقه بحاشيته .

وقرر الرهبان الذهاب الى روما ليعرضوا نتيجة عملية انتخابهم

- ٣٩٧٩ -
للبطريرك علي البابا ، وهناك حصلوا على الموافقة ، ثم أطلعوا البابا كلستين (الثالث) على ما فعله الكونت بحق رهبان الضريح المقدس ، وقد أزعجه هذا التصرف كثيرا ، وهكذا أوقف دور ملك القدس في انتخاب البطريرك ، وقرر أن يكون الرهبان لوحدهم هم الذين يتولون انتخاب بطريركهم .

- ٣٩٨٠ -

رجل مقترف للمساوىء في قبرص :

كان في الأيام التي توج فيها ايمري لوزنغنان ملكا على جزيرة قبرص ، في هذه الجزيرة رجلا مقترفا للمساوىء يدعى كانا قي ، وكان نشطا هناك منذ أيام الاغريق ، ولقد أساء في الجزيرة كثيرا الى المسيحيين ، وعندما علم الملك ايمري بخبر هذا الرجل المسيء أمر بالقاء القبض عليه ، ووعد الذي يأتيه به بجائزة كبيرة ، وقد استهدف من القاء القبض عليه محاكمته ، وعندما علم ذلك الرجل بأن الملك يبحث عنه هرب من جزيرة قبرص ، وذهب الى غريفون في كليكية التي كان اسم حاكمها اسحق ، وكان سيدا لأنطاكية القائمة على البحر التي كانت تعرف قديما باسم انطاكية بيسيديا ، وقد وجد الرجل المسيء منقذا كبيرا في شخص اسحق ، فقد استقبله السيد اسحق استقبالا طيبا واعتنى به لمعرفته أنه كان مكروها جدا من قبل المسيحيين ، ولأنه هو نفسه كان أيضا مكروها من قبل المسيحيين ، وطلب هذا المدعو كاناقي من اسحق تزويده بجيش حسن التسليح حتى يحارب به ضد رجال قبرص ، ووافق اسحق على طلبه بكل سرور .

وعندما تم ذلك توجه نحو جزيرة قبرص ، وعندما اقترب منها وجد مركبا لجماعة من معارفه ، فسألهم عن أخبار الملك ، وعن الأوضاع في جزيرة قبرص ، حتى يستطيع أن يقوم بعمل يزعج به أهل قبرص ، وقد أخبره هؤلاء أن الملكة جاءت مع أولادها للاقامة

قرب البحر في منطقة اسمها « الفردوس » ، ذلك أن الملكة كانت متعبة ، فقد قدمت الى هنا لترتاح ولتستبدل هواء مملكة القدس ، وحالما علم كاناقي أن الملكة كانت هناك ، نزل الى اليابسة ، وكذلك فعل اتباعه ، وكان هذا الرجل يعرف مداخل جزيرة قبرص ومخارجها ، وهكذا وصل عند الفجر الى المنطقة التي

كانت فيها الملكة ، وفاجأ الناس الذين كانوا مع الملكة ، فأخذها وأولادها واصطحبهم معه في سفينة .

وبعدما اصطحب معه الملكة ، ارتفع الصراخ في البلاد ، فوصل الخبر الى الملك ، وقد أزعجه هذا الخبر كثيرا ، وبادر بدون تأخير نحو المكان الذي كانت فيه ، ظانا أنه سيدركها قبل أن تحمل الى سطح البحر ، ولكنه لم يتمكن من الوصول في الوقت المناسب ، ولهذا تألم الملك كثيرا ، وكذلك تألم أهل المملكة والآخرون ، وأزعجهم هذا العار الذي لحق بهم في مملكة قبرص ، ووصل كاناقي الى سيده اسحق وهو يشعر أنه حقق نصرا عظيما ، وذلك بسبب الصيد الثمين الذي احضره له .

وعندما سمع لاون دي مونتايين ـ الذي كان سيد مملكة أرمينية بهذا الخبر ، غضب للعار الذي لحق بالملك ايمري وبالسيدة ، وذلك محبة له لأنه كان صديقه ، وحبا بالملك ايمري وحبا ببلدوين دي ابلين الذي كانت السيدة ابنته ، أرسل بالحال وفدا الى اسحق الذي كان عزيزا عليه يحبه حبه لحياته ، وعندما رأى اسحق رسالته احضر السيدة وأولادها الى كورك.

ولا يعجبن أحـد أو يدهش لهـذا الشرف الذي حصـل عليه ملك القدس ، ذلك أنه منذ احتلال القدس وحتى ذلك الحين ، قليلا ما كان لكنيسة روما من راي في البلاد وتدخل ، لأنه عندما جاء الدوق غودفري والبارونات الآخرون لاحتلال البلاد جاءوا بموافقة البـابا أوربان وكذلك بموافقة الملك هنري ، ثم فيما بعد مـن قبـل البـابا الاسكندر والامبراطور فردريك ، جد هذا الذي أقام في الحكم سبع عشرة سنة ، وحدث أن اثنان من البابوات ماتا ميتة مشؤومة ، وما من أحد حمل الملك مسؤولية هذه العادة .

١٤٩ ـ كان في الايام التي توج فيها ايمـري لوزنغنان ملكا على جزيرة قبرص ، في هذه الجزيرة رجـلا مقتـرفا للمسـاوىء يدعى كاناقـي ، وكان نشـطا هناك منذ أيام الاغريق ، ولقـد أسـاء في الجزيرة كثيرا الى المسيحيين ، وعندما علم الملك ايمري بخبر هـذا الرجل المسيء أمر بالقاء القبض عليه ، ووعد الذي يأتيه به بجـائزة كبيرة ، وقد استهدف من القاء القبض عليه محاكمته ، وعندمـا علم ذلك الرجل بأن الملك يبحث عنه هرب من جزيرة قبرص ، وذهب الى غريغون في كليكية التي كان اسـم حـاكمها اسـحق ، وكان سـيدا لأنطاكية القائمة على البحر التي كانت تعرف قديما باسم انطـاكية بيسيديا ، وقد وجـد الرجـل المسيء منقـذا كبيرا في شـخص اسحق ، فقد استقبله السيد اسحق استقبالا طيبا واعتنى به لمعرفته أنه كان مكروها جدا من قبل المسيحيين ، ولأنه هو نفسه كان ايضا مكروها من قبل المسيحيين ، وطلب هذا المدعو كاناقي مـن اسـحق تزويده بجيش حسن التسليح حتى يحـارب بـه ضـد رجـال قبرص ، ووافق اسحق على طلبه بكل سرور .

وعندما تم ذلك توجه نحو جزيرة قبرص ، وعندما اقتـرب منهـا وجد مركبا لجماعة من معارفه ، فسـألهم عن أخبـار الملك ، وعن الأوضاع في جزيرة قبرص ، حتى يستطيع أن يقوم بعمل يزعج بـه أهل قبرص ، وقد أخبره هؤلاء ان الملكة جاءت مع أولادها للاقـامة قرب البحـر في منطقـة اسـمها « الفـردوس » ذلك أن الملكة كانت

متعبة ، فقد قدمت الى هناك لترتاح ولتستبدل هواء مملكة القدس ، وحالما علم كاناقي أن الملكة كانت هناك ، نزل الى اليابسة ، وكذلك فعل اتباعه ، وكان هذا الرجل يعرف مداخل جزيرة قبرص ومخارجها ، وهكذا وصل عند الفجر الى المنطقة التي كانت فيها الملكة ، وفاجأ الناس الذين كانوا مع الملكة ، فأخذها وأولادها واصطحبهم معه في سفينة .

١٥٠ ـ وبعدما اصطحب معه الملكة ، ارتفع الصراخ في البلاد ، فوصل الخبر الى الملك ، وقد أزعجه هذا الخبر كثيرا ، وبادر بدون تأخير نحو المكان الذي كانت فيه ، ظانا أنه سيدركها قبل أن تحمل الى سطح البحر ، ولكنه لم يتمكن من الوصول في الوقت المناسب ، ولهذا تألم الملك كثيرا ، وكذلك تألم أهل الملكة والآخرون وأزعجهم هذا العار الذي لحق بهم في مملكة قبرص ، ووصل كاناقي الى سيده اسحق وهو يشعر أنه حقق نصرا عظيما ، وذلك بسبب الصيد الثمين الذي أحضره له .

وعندما سمع لاون دي مونتايين ، الذي كان سيد أرمينية بهذا الخبر ، غضب للعار الذي لحق بالملك ايمري وبالسيدة ، وذلك محبة له لأنه كان صديقه ، وحبا بالملك ايمري وحبا ببلدوين دي ابلين الذي كانت السيدة ابنته ، أرسل بالحال وفدا الى اسحق الذي كان عزيزا عليه يحبه حبه لحياته ، وعندما رأى اسحق رسالته أحضر السيدة وأولادها الى كورك ، ومن ثم بعث برسالة الى الملك ايمري لئلا يظل حزينا وأعلمه أنه حرر السيدة وأولادها من أيدي أعدائهم ، ولما سمع الملك ايمري هذه الأخبار سر كثيرا ، وشكر هذه الخدمة والعمل الصالح الذي قام به نحوه ، ثم سلح سفنه واصطحب معه خيرة رجاله وتوجه الى ارمينية ، حيث استقبل بحفاوة ، وقد ابتهج كثيرا عندما وجد السيدة وأولاده سالمين أصحاء ، وحظي الملك لاون بمحبة الملك ايمري ومحبة أقارب السيدة للخدمة التي أسداها للسيدة ولأولادها ، واستعد الملك للعودة الى

قبرص ، وعندما أكمل استعداداته أصعد السيدة وأولادها الى السفينة وكذلك صعد هو مع رجاله .

كيف اعتقل لاون سيد أرمينية أمير أنطاكية :

في أثناء حصار عكا ذهب بوهيموند أمير أنطاكية لمشاهدة كل من ملكي انكلترا وفرنسا ، لأنهما كانا من اقربائه ، واغتنمت زوجته سيبل فرصة غيابه ، وكانت علاقتها به سيئة ، فاتصلت بلاون دي مونتايين سيد أرمينية ، وتآمرت معه لاعتقال زوجها ، ووعدها لاون بالزواج منها وباعتقال الأمير وايداعه في سجنه من أجل اعطاءانطاكية الى وليم ابنها وجعله الوريث،ذلك أنه اراد حرمان ورثة الأمير .

وعندما جاء الأمير ثانية الى انطاكية دعاه لاون لتناول الطعام معه قرب نبع بغراس (في سنة ١١٩٤) ووافق الأمير واستجاب لدعوته وذلك بسبب تشجيع الأميرة سيبل له ، وذهب الأمير والأميرة الى نبع بغراس وقد اصطحبا معهما بارونات انطاكية ، وقائد قواتها راؤول دي مون ، ومارشال بيت لحم وأولفر الحاجب وريتشارد دي ارمنت وبقية الاتباع والاصحاب ، ولم يبق في انطاكية سوى البطريرك ايمري وريموند الابن البكر للأمير ، وعندما كان الأمير على نبع بغراس وجد لاون نفسه غير قادر على تنفيذ ماأراده فما كان منه الا أن طلب من الأمير مصاحبته لزيارة قلعة بغراس ، حيث يمكنه من هناك رؤية البحيرة والتمتع هناك ، واستجاب الأمير لدعوته وذهب معه الى القلعة ، وبعدما أكمل تناول طعامه ونال قسطا من الراحة ، أمر أن تسرج خيوله وتعد مراكبه للعودة الى أنطاكية ، ولم يكن احد قد أخبره ان جنوده وفرسانه ورجاله قد جرى اعتقالهم .

وشحن لاون القلعة بالرجال المسلحين وجعلهم على أهبة الاستعداد ثم

وعندما سمع لاون دي مونتايين ، الذي كان سـيد مملكة أرمينية بهذا الخبر ، غضب للعار الذي لحق بالملك ايمري وبـالسيدة ، وذلك محبة له لأنه كان صـديقا له ، وحبـا بـالملك ايمـري وحبا ببلدوين دي ابلين الذي كانت السيدة ابنته ، أرسـل بـالحال وفدا الى اسحق الذي كان عزيزا عليه يحبه حبه لحياتـه ، وعندمـا رأى اسحق رسالته أحضر السيدة وأولادها الى كورك ، اذ انصاع اسحق لأوامر سيد أرمينية ، ونفذ ما أراده منه فأرسلهم الى كورك بكل عناية واحترام ، ومـاأن عرف لاون بـوصولهم حتـى خـف لاستقبالهم ، فاستقبلهم بكل حفاوةوتـرحاب كبير،حسبما يليق بهم فهذا كان مما يبعث السرور في نفسه كثيرا .

١٥١ ـ ولما وصـلت السـيدة الى كورك ارسـل وفـدا الى الملك ايمري ، حتى لايبقى حزينا مغضبا ، وأخبـره أنه حـرر السـيدة وأولادها من سلطة أعدائهم ، وبعدما سمع الملك هذه الأخبار اعتلاه السرور ، وشكر للاون هذه الخدمة وهـذا المعـروف الذي اسـداه له ، ثم مالبث ان أعد سفنه وسلحها ثم اصطحب معه خيرة رجـاله وتوجه نحو أرمينية حيث استقبل بكل حفاوة وترحاب .

وابتهج الملك ايمري كثيرا عندما وجـد السـيدة مـع أولاده بخير سالمين ، وبذلك ازدادت حظوة لاون دي مونتايين عند الملك ايمـري وعظم حبه له ، وأبدى نحوه الشعور نفسه أقارب السـيدة للخـدمة التي قدمها لها ولأولادها ، وعندما شرعوا بالاستعداد للعـودة الى قبرص سار معهم سيد أرمينية من كورك ، ثم سـأل الملك أن يقبـل دعوته لتناول الطعام معه هو وجميع رجاله ، فلبى الملك دعوته بـكل سرور ، وبعدما جهزت الأمور ليأكلوا معا ، جاء ريموند دي بـون دون ، الذي كان آمـرا للاسـطول ، الى الملك ايمـري وقـال له :« يامولاي اذا لم تسافروا الآن من أرمينية سـتضطرون للبقـاء فيها أكثر مما تريدون » وسأله الملك عن السبب ، فبين له أن الوقت قد تغير وتغيرت معه الأنواء ، فصدقه الملك وأمر بصـعود السـيدة والأولاد الى السفن وكذلك فعل هو ورجاله حيث صعدوا ايضا .

- ٣٩٨٦ -

وقد انزعج ملك أرمينية لسرعة رحيلهم ولانه لم يستطيع أن يسرهم أكثر مما فعل ، وعندما وجد أن الملك ورجاله لن يستطيعوا تناول الطعام معه ، أمر بتحميل التجهيزات مع جميع أدوات الطعام في السفن ، وهكذا أقلعوا مسافرين من كورك حيث وصلوا الى شيرني ، ولما أبحروا ثانية هبت عليهم ريح شديدة وهاجت عاصفة كبيرة في البحر ، وتقاذفتهم الامواج وأبعدتهم عن اليابسة ، وعندما صاروا وسط لجة البحر غرقوا وهلكوا .

١٥٢ ـ في أثناء حصار عكا ذهب بوهيموند أمير انطاكية لمشاهدة كل من ملكي انكلترا وفرنسا لانهما كانا من أقربائه ، واغتنمت زوجته سيبل فرصة غيابه وكانت علاقاتها به سيئة ، فاستعانت بلاون دي مونتايين سيد دولة أرمينية وحاكت معه خيوط مؤامرة يستقبل فيها زوجها ويعتقله ، والسبب الذي دفعها الى هذا التصرف ضده ، هو أن الامير كان قد تزوج من قبل من سيدة أخرى ، ثم طلقها لأنه كان فقيرا ركبته الديون ، ووعدها لاون .

جاء الى عند الأمير ، وعندما اكتشف الأمير هـذه الخيانة قـال له :« ماهذا يا لاون هـل أنا الآن رهـن الاعتقـال »؟ فـأجابه: « نعم ، لانني أريد الحصـول على انطـاكية التـي وعدتني بهـا مرارا ، واخذت مني في سبيلها أموالا طـائلة ، وعلاوة على ذلك الا تذكر كيف اعتقلت أخي روبين ، عندما دعوته لتناول الطعـام معـك ولمرافقتك الى مدينة أنطاكية ، فهناك ألقيت القبض عليه وأودعته في سجنك ، واخذت منه أموالا كثيرة ، ولم تخرجه من سـجنك حتـى سلمك البلاد الواقعة فيما بين نهـر جيحـان ومشـارف قلعـة بغراس (اعتقل بوهيموند الثالث روبين الثالث سنة ١١٨٢ وسيطر اثر ذلك على المنطقة الممتدة مابين قلعة بغراس ومصب نهر جيحان) لهذا السبب أريد ان تعيد لي انطاكية مع الأموال التي أخـذتها مـن أخي ، وبدون ذلك لايمكنك أن تفلت من يدي » .

ولما سمع الأمير هذا الكلام قال للاون :« كيف أعيد لك انطـاكية وأسلمها وأنا سجين بين يديك ؟ لذلك دعني أذهب ومن ثم سأعيدها لك ، فقال له لاون :« لالن أفعل ذلك قطعا ، عليك أن ترسل بعضـا من رجالك الذين هم الآن معـك حتـى يسـلموا أنطـاكية الى مبعوثي ، وبعد هذا الاجراء سـأطلق سراحـك وأدعك تـذهب حيث تريد ، ووافق الأمير على طلبه هذا وأصدر أمـره الى رتشـارد دي ارمنت ومارشال بيت لحم أن يذهبا الى أنطـاكية ، ويسـلما المدينة ويضعاها تحت امرة لاون ، وأرسل لاون بـدوره رجـلا نبيلا مـن ارمينية العليا يدعى هيتوم دي سيسون ، وكان متزوجا من ماريا أم السن ابنة أخي لاون ، أي ابنة روبين التي كانت زوجة ريموند ابن الامير البكر ، ومنه انجبت روبين الذي صار أميرا لانطاكية .

بالزواج منها وباعتقال الامير وايداعه في سجنه من أجل إعطاء انطاكية الى وليم ابنها وجعله الوريث ، ذلك أنه أراد حرمان ورثة الامير .

وعندما جاء الامير ثانية الى انطاكية دعاه لاون لتناول الطعام معه قرب نبع بغراس (١١٩٤) ووافق الامير واستجاب لدعوته وذلك بسبب تشجيع الأميرة سيبل له ، وذهب الامير والأميرة الى نبع بغراس وقد اصطحبا معهما بارونات انطاكية ، وقائد قواتها راؤول دي مون ، ومارشال بيت لحم وأولفر الحاجب ورتشارد دي آرمنت وبقية الاتباع والاصحاب ، ولم يبق في أنطاكية سوى البطريرك ايمري وريموند الابن البكر للأمير ، وعندما كان الأمير على نبع بغراس وجد لاون نفسه غير قادر على تنفيذ ماأراده ، فما كان منه الا أن طلب من الامير مصاحبته لزيارة قلعة بغراس ، حيث يمكنه من هناك رؤية البحيرة والتمتع هناك ، واستجاب الأمير لدعوته وذهب معه الى القلعة ، وبعدما اكمل تناول طعامه ونال قسطا من الراحة ، أمر أن تسرج خيوله وتعد مراكبه للعودة الى انطاكية ، ولم يكن احد قد اخبره أن جنوده وفرسانه ورجاله قد جرى اعتقالهم .

١٥٣ ـ وشحن لاون القلعة بالرجال المسلحين وجعلهم على أهبة الاستعداد ، ثم جاء الى عند الامير ، وعندما اكتشف الامير هذه الخيانة قال له :« ماهذا يالاون هل أنا الآن رهن الاعتقال »؟ فأجابه « نعم ، لانني أريد الحصول على انطاكية التي وعدتني بها مرارا ، واخذت مني في سبيلها أموالا طائلة ، وعلاوة على ذلك الا تتذكر كيف اعتقلت أخي روبين ، عندما دعوته لتناول الطعام معك ولمرافقتك الى مدينة أنطاكية ، فهناك ألقيت القبض عليه وأودعته في سجنك ، وأخذت منه أموالا كثيرة ، ولم تخرجه من سجنك حتى سلمك البلاد الواقعة فيما بين نهر جيجان ومشارف قلعة بغراس (اعتقل بوهيموند الثالث روبين الثالث

سنة ١١٨٢ وسيطر اثر ذلك على المنطقة الممتدة مابين قلعة بغراس ومصب نهر جيجان) لهذا السبب أريد أن تعيد لي أنطاكية مع الاموال التي أخذتها من أخي ، وبدون ذلك لايمكنك أن تفلت من يدي »

١٥٤ ــ ولما سمع الأمير هذا الكلام قال للاون :« كيف أعيد لك انطاكية وأسلمها وأنا سجين بين يديك ؟ لذلك دعني أذهب ومن ثم سأعيدها لك ، فقال له لاون : لالن أفعل ذلك قطعا ، عليك أن ترسل بعضا من رجالك الذين هم الآن معك حتى يسلموا انطاكية الى مبعوثي ، وبعد هذا الاجراء سأطلق سراحك وأدعك تذهب حيث تريد ، ووافق الامير على طلبه هذا وأصدر أمره الى رتشارد دي ارمنت ، ومارشال بيت لحم أن يذهبا الى أنطاكية ، ويسلما المدينة ويضعاها تحت امرة لاون ، وأرسل لاون بدوره رجلا نبيلا من أرمينية العليا يدعى هيتوم دي سيسون ، وكان متزوجا من ماريا أم السن ابنة أخي لاون ، أي ابنة روبين ،

كيف تولت كومونة أنطاكية الحكم فيها:

وعندما توجه الفرسان الى أنطاكية لتسليم المدينة واعطائها الى هيتوم ، طلب هيتوم من المارشال ومن رتشارد الذهاب أولا الى أنطاكية ، وأن يقيما في سانت جوليان الى أن يسلموه الابواب والقلعة وبقية الحصون ويضعوها تحت امرته ، ولما دخلوا الى المدينة استولوا على باب الجسر ، ثم قصدوا القصر ، ولما دخلوا الى قلب البلاط أخذ الرجل الذي أرسله هيتوم يستولي على ما فيه من أواني ، وشاهد هناك وراى بيعة صغيرة كان الأمير ريموند قد بناها على اسم القديس هيلاري الصغير ، وبادر بعض رجال الحاشية الى حراسة البيعة ، فما كان من نائب هيتوم الا أن سأل أهل البلاط : ماهذا المبنى ؟ فقالوا له : انها بيعة هيلاري ، فما كان منه الا أن قال : نحن لانعرف قديسا اسمه هيلاري ولامايعنيه ، ولهذا سنعمدها من جديد ونعطيها اسم القديس سرجس

وعندما أنهى الرجل الذي أرسله هيتوم كلامه هذا ، تألم رجال الأمير الذي أشرنا اليه ، والذين كانوا هناك ، وانزعجوا لدى سماعهم لهذا الكلام المتعجرف ، وتجمع هذا مع الالام التي شعروا بها نحو أميرهم، ولشدة تأثرهم قام أحد الرجال الذين كانوا هناك مغضبا وصرخ بصوت مرتفع : « ايها السادة كيف تتحملون هذا العار ، وهذه النذالة ، كيف لكم أن تقبلوا بخروج انطاكية وانتزاعها من سلطة الامير وذويه ، وأن تؤول بالتالي الى سلطة أناس سفلة مثل هؤلاء الارمن »؟! ومالبث أن تناول حجرة من كومة كانت هناك ، وقذف باحداها مندوب هيتوم ، وبهذه الضربة طرحه الى الارض ميتا ، وصرخ الآخرون :« الى السلاح ، واحتشد كل أهالي المدينة بارادة واحدة وصوت واحد ، واندفعوا مسرعين نحو

باب الجسر ، فـاستولوا عليه ، وأسروا جميع الارمـن الذين كان هيثوم قد أرسلهم لاستلام أنطاكية ، ثم نظموا المدينة وأقاموا فيهـا كومونة قوية، وهذا أمر لم يحصل من قبل ودام منذ ذلك الحين.

ثم ذهبوا الى ريموند الابن البكر للأمير ، وأخبروه أنهم قـرروا اختياره أميرا عليهم ، وذلك مثلما كان آباؤه من قبل .

التي كانت زوجة ريموند ابن الأمير البكر ، ومنه انجبت روبين الذي صار أميرا لانطاكية (ريموند روبين أمير انطاكية ١٢١٦ ـ ١٢١٩) .

١٥٥ ـ وعندما توجه الفرسان الى أنطاكية لتسليم المدينة واعطائها الى هيتوم ، طلب هيتوم من المارشال ومن رتشارد الذهاب أولا الى انطاكية ، وأن يقيما في سانت جوليان الى أن يسلموه الابواب والقلعة وبقية الحصون ويضعوها تحت امرته ، فبعدما يسلموها له سيدخل الى المدينة ، ولما دخلوا الى المدينة استولوا على باب الجسر ، ثم قصدوا القصر ، ولما دخلوا الى قلب البلاط أخذ الرجل الذي ارسله هيتوم ليستولي على ما فيه من أواني ، وشاهد هناك ورأى بيعة صغيرة كان الأمير ريموند قد بناها على اسم القديس هيلاري الصغير ، وبادر بعض رجال الحاشية الى حراسة البيعة ، فما كان من نائب هيتوم الا أن سأل أهل البلاط : ماهذا المبنى ؟ فقالوا له : انها بيعة هيلاري ، فما كان منه الا ان قال : نحن لانعرف قديسا اسمه هيلاري ولامايعنيه ، ولهذا سنعمدها من جديد ونعطيها اسم القديس سرجس (كان سرجس بطريركا للقسطنطينية من ٦١٠ حتى ٦٣٨ ، وقد وقف معارضا لكنيسة روما حتى أنه بات رمزا لاستقلال الكنائس الارثوذكسية).

١٥٦ ـ وعندما أنهى الرجل الذي أرسله هيتوم كلامه هذا ، تألم رجال الأمير الذي اشرنا اليه ، والذين كانوا هناك ، وانزعجوا لدى سماعهم لهذا الكلام المتعجرف ، وتجمع هذا مع الآلام التي شعروا بها نحو أميرهم ، ولشدة تأثرهم قام أحد الرجال الذين كانوا هناك مغضبا وصرخ بصوت مرتفع : « ايها السادة كيف تتحملون هذا العار ، وهذه النذالة ، كيف لكم أن تقبلوا بخروج انطاكية وانتزاعها من سلطة الأمير وذويه ، وأن تؤول بالتالي الى سلطة أناس سفلة مثل هؤلاء الارمن » ؟!

ومالبث أن تناول حجرة من كومة كانت هناك ، وقذف بـاحداها مندوب هيتوم ، وبهذه الضربـة طـرحه الى الارض ميتـا ، وصرخ الآخرون :« الى السلاح» واحتشد كل أهالي المدينة بارادة واحـدة وصوت واحد ، واندفعوا مسرعين نحن بـاب الجسر ، فـاستولوا عليه ، وأسروا جميع الأرمن الذين كان لاون قد أرسـلهم لاسـتلام انطاكية ».

١٥٧ ـ وحينما اجتمعوا في الكنيسة الرئيسـية لمدينة انطـاكية ومعهم البطريرك ايمري تداولوا فيما بينهم ، وتوحدوا وهذا أمـر لم يحصل من قبل ودام حتى يومنا هذا ، ثم ذهبوا الى ريمـوند الابـن البكر للأمير ، وأخبروه أنهم قرروا اختياره أميرا عليهم بـدلا مـن أبيه ، وذلك الى حين اطلاق سراح أبيه .

وعندما سمع هيتوم هذا الخبر ، وكان مقيما في سانت جوليان ، وعرف أن سكان انطاكية ثـاروا ورفضـوا أوامـر الأمير واعتقلوا رجال لاون خاف على نفسه أن يعتقل ويؤخذ اسـيرا عندمـا يعثـر عليه ، فما كان منه الا ان بادر مسرعا بقدر ماأمكنه نحـو بغـراس حيث كان لاون مقيما ينتظره هناك .

وماأن عرف هيتوم أن سكان أنطاكية قد ثاروا ورفضـوا أوامـر الأمير ، واعتقلوا رجال لاون خاف على نفسه ان يعتقل ، أو يؤخـذ اسيرا عندما يعثر عليه ، فمـا كان منه الا أن بـادر مسرعا بقـدر ماأمكنه نحو بغـراس حيث كان لاون مقيمـا ، ولدى سـماع لاون ماحدث مع هيتوم حمل الأمير ومن كان معه الى قلعة سـيس وهناك عاملهم معاملة طيبة واحتفى بهم .

كيف جرى اطلاق سراح الأمير من سجن لاون :

وحينما اجتمعوا في الكنيسة الرئيسـية لمدينة انطـاكية ومعهـم البطريرك ايمري تداولوا فيما بينهم ، وتـوحدوا ، وهـذا أمـر لم

يحصل من قبل ودام حتى يومنا هذا ، ثم ذهبوا الى ريموند الابن البكر للأمير ، واخبروه انهم قرروا اختياره أميرا عليهم بدلا من أبيه ، وذلك الى حين اطلاق سراح أبيه .

وعندما سمع هيتوم هذا الخبر ، وكان مقيما في سانت جوليان ، وعرف ان سكان انطاكية ثاروا ورفضوا أوامر الأمير واعتقلوا رجال لاون خاف على نفسه أن يعتقل ويؤخذ اسيرا عندما يعثر عليه ، فما كان منه الا ان بادر مسرعا بقدر ماأمكنه نحو بغراس حيث كان لاون مقيما ينتظره هناك .

وحالما وصل هيتوم الى بغراس واطلع لاون على ماجرى معه ، قام لاون باقتياد الامير وكل من كان معه ووضعهم جميعا في سجن قلعة سيس حيث عوملوا بكرامة ، وفق مايليق بمكانتهم ، وظلوا في السجن حتى ذهب الكونت هنري لتحريرهم .

وقام في عام ١١٢٣ لتجسيد المسيح ايمري بطريرك انطاكية وريموند وبوهيموند ولدا الأمير بمراسلة الكونت هنري وسألوه القدوم اليهم للمساعدة على اطلاق سراح والدهما من سجن لاون ، وبالحال لبى الكونت هنري الطلب الذي تلقاه لأنه كان ابن عمه ، وسافر من عكا فكان خلال عدة ايام في طرطوس ، وهنا كتب اليه مقدم الحشيشية وبعث اليه بوفد يرجوه بالتفضل بالمرور في أراضيه ، وأعلمه أنه سيكون له الشرف العظيم في أن يراه ويجالسه ذلك أنه يعده سيدا وصديقا له ، وسر الكونت هنري بهذا الطلب وتوجه نحوه وهو يشعر بالبهجة .

وعندما تحرك الكونت هنري من طرطوس جاء مقدم الحشيشية لاستقباله وقد تلقاه بكل حفاوة وترحاب ، ثم صحبه في جولة خلال بلاده وجعله يزور قلاعه وعندما وصلوا الى القلعة التي تدعى الرصافة ، وهي أعظم القلاع التي يمتلكها ، سأل الكونت قائلا :« هل يطيعك رجالك كما يطيعني رجالي »؟ فأجابه الكونت :

نعم فقال مقدم الحشيشية وسيدهم :« لكن رجالك لاينفذون أوامرك مثلما ينفذ رجالي أوامري ، وسأريك ذلك » ثم امسك حربة بيده ، وأشار بها اليهم ، فما كان من الذين كانوا واقفين على ظهر القلعة الا أن القوا انفسهم بالقناة فتحطمت أجسادهم ، فعندما رأى الأمير هنري ذلك ، رجاه الا يكرر هذا العمل ثانية ، فأشار اليهم فتوقفوا عن رمي انفسهم ، ثم دخلا الى القلعة ، وكان امام مدخلها حاجز حديدي ، فالتفت سيد الحشيشية نحو الكونت وقال له :« وسأريك ايضا كيف يطيعون أوامري » فالقى بملاءه كانت في يده ، كان قد أخذها من الرجال الواقفين أمام الباب ، فألقى ثلاثة أو أربعة من رجاله بأنفسهم خلفها ، وانقضوا عليها فماتوا ، فرجاه أيضا الكونت هنري بالتوقف وألا يفعل مافعله ثانية .

واقام الكونت هنري عنده فترة طويلة ، منحه خلالها سيد الحشيشية هدايا ثمينة ، وفوق كل ذلك أكرمه وأكرم من كان معه غاية الاكرام ، ومن هناك سافر الأمير الى أنطاكية حيث استقبل استقبالا عظيما ، وهناك اجتمع الكونت بالبطريرك مع ولدي الأمير وتداولوا بشأن تحرير والدهم وبعد هذا الاجتماع سافر الكونت من انطاكية وقصد بلاد أرمينية ، فجاء لاون لاستقباله والترحيب به بكل حفاوة ، ثم اصطحبه معه الى مدينة سيس وهناك اتفق معه على اطلاق سراح الأمير من سجن لاون ، وعلى أن يتم الزواج فيما بين ابنة أخي لاون ، أي ابنة روبين وبين ريموند الابن البكر للأمير .

١٥٨ ـ وحالما وصل هيتوم الى بغراس واطلع لاون على ماجرى معه ، قام لاون باقتياد الامير وكل من كان معه ووضعهم جميعــا في سجن قلعة ســيس ، حيث عوملوا بــكرامة ، وفــق مــايليق بمكانتهم ، وظلوا في السجن حتى ذهب الكونت هنري لتحريرهم ،

١٥٩ ـ وقام في عام ١١٩٣ لتجسيد المسيح ايمــري بـطريرك انطاكية وريمــوند وبــوهيموند ولدا الامير بمــراسلة الكونت هنري وسألوه القدوم اليهم للمساعدة على اطلاق سراح والدهما من سجن لاون ، وبالحال لبى الكونت هنري الطلب الذي تلقاه لانه كان ابــن عمه ، وسافر من عكا فكان خلال عدة ايام في طرطوس ، وهنا كتب اليه مقدم الحشيشية وبعث اليه بوفد يرجــوه بــالتفضل بــالمرور في اراضيه ، وأعلمه انه سيكون له الشرف العظيم في أن يراه ويجالسه ذلك أنه يعده ســيدا وصــديقا له ، وسر الكونت هنري بهــذا الطلب وتوجه نحوه وهو يشعر بالبهجة .

وعندما تحرك الكونت هنري من طرطوس جاء مقدم الحشــيشية لاستقباله ، وقد تلقاه بكل حفاوة وترحاب ، ثــم صــحبه في جــولة خلال بلاده وجعله يزور قلاعه وعندما وصلوا الى القلعة التي تدعى الرصافة ، وهي أعظم القــلاع التــي يمتلكهــا ســأل الكونت قائلا :« هل يطيعك رجــالك كمــا يطيعني رجــالي »؟ فــأجابه الكونت : نعم ، فقال مقدم الحشــيشية وســيدهم :« لكن رجــالك لاينفذون أوامرك مثلما ينفذ رجالي ، وسأريك ذلك » ثم امسك حربة بيده ، وأشار بها اليهم ، فما كان من الذين كانوا واقفين على ظهر القلعة الا أن ألقوا أنفسهم بالقناة فتحطمت أجســادهم ، فعندمــا رأى الامير ذلك رجاه الا يكرر هذا العمــل ثــانية ، فــأشار اليهــم فتوقفوا عن رمي أنفسهم ، ثم دخلا الى القلعة ، وكان امام مدخلها حاجز حديدي ، فالتفت ســيد الحشــيشية نحــو الكونت وقــال له :« وسأريك أيضا كيف يطيعون أوامري » فالقى بمــلاءة كانت في يده ، كان قد أخذها من الرجال الواقفين امام الباب فالقى ثلاثة أو أربعة من رجاله بأنفسهم خلفها ، وانقضوا عليها فماتوا ، فــرجاه ايضا الكونت هنري بالتوقف والا يفعل مافعله ثانية .

- ٣٩٩٧ -

١٦. ـ وأقام الكونت هنري عنده فترة طويلة ، منحـه خـلالها سيد الحشيشية هدايا ثمينة ، وفوق كل ذلك أكرمه وأكرم مـن كان معـه غاية الاكرام ، ومـن هناك سـافر الأمير الى انطـاكية حيث استقبل استقبالا عظيما ، وهناك اجتمـع الكونت بـالبطريرك مـع ولدي الأمير وتداولوا بشأن تحرير والدهم ، وبعد هـذا الاجتمـاع سافر الكونت من أنطاكية وقصد بلاد أرمينية ، فجاء لاون لاستقباله والترحيب به بكل حفاوة ، ثم اصطحبه معه الى مدينة سيس .

- ٣٩٩٨ -

كيف مر الكونت هنري بقبرص وتصالح مع الملك ايمري

وكنا قد تحدثنا من قبل عن ذهاب الكونت هنري لاطلاق سراح الأمير بوهيموند بن بيتابين من سجن لاون دي مونتابين ، وأنه روج ابنه روبين التي كانت ابنة أخي لاون من ريموند ابن أمير انطاكية ، ثم عاد للتوجه نحو عكا ، وقد نصحه بارونات مملكة القدس الذين كانوا بصحبته بأن يمر على الملك ايمري ، لأنه عندما كان ايمري كافلا لمملكة القدس جرى حديث بينه وبين الكونت هنري حول أمور تتعلق بسيادة المملكة ومسائل أخرى أيضا ، ويحكى أن الكونت هنري كان لا يدعم ايمري الذي انتخب بطريركا ، وذلك من أجل خاطر الملك ايمري ، ورأى بارونات المملكة ان العلاقات السيئة وفساد النوايا ليست مفيدة لمملكة القدس ، وأن حسن النوايا والارادة الطيبة من السيدين يمكن أن تكون مفيدة لهما معا ، هذا وكان البيازنة قد بذلوا جهودا كبيرة لاصلاح ذات البين بين الملك والكونت .

وادرك الكونت هنري ان هذا سيكون لصالحه ، فغادر أرمينية قاصدا جزيرة قبرص ، وعندما علم الملك ايمري أن الكونت قد وصل الى قبرص ، ذهب هذا الملك لاستقباله ، فاستقبله بكل حفاوة كما يليق به ، وجرت مصالحة بينهما ، وتمتنت أواصر السلام بينهما ومنذ ذلك الحين باتا أفضل أصدقاء ، وعند ذلك سعى بارونات مملكة القدس وبارونات مملكة قبرص لعقد زواج بين أبناء ملك قبرص وبين بنات الكونت هنري مع بنات ايزابيل زوجته والتي كانت ملكة لمملكة القدس ، وتمت مراسم الزواج وبموجبها دفع الملك ايمري الى الكونت ثمن جهاز جميع البنات ، أما الكونت هنري فقام نزولا عند رغبة زوجته ايزابيل وتحقيقا لارادتها ، بابتياع امارة يافا ، وقدمها هدية الى ابنته بمثابة جهاز وميراث ، ولكن الذي حدث فيما بعد هو أن ولدي الملك ايمري : غويتين وجوهانين قد

توفيا وهما في ريعان الشباب وبذلك انتقلت وراثة الملك الى هيوت الذي سمي فيما بعد باسم هيوج ، وهو الذي تزوج من اليس ابنة الكونت هنري .

وفاة صلاح الدين :

في سنة ١١٩٥ لتجسيد المسيح توفي صلاح الدين (التاريخ الصحيح ١١٩٣)

وبعد وفاته تمكن أخوه سيف الدين من استحواذ السلطة لنفسه ، والحكم بدلا من أبناء صلاح الدين ، فقد دس السم الى احدهم ، وكان سيدا لمدينة دمشق ، واسمه نور الدين ، وقد استدعى هذا الحكماء ، وشرح لهم كيف سممه عمه فساعدوه وقدموا له العلاج. للتخلص من السم ، ثم هرب سيف الدين من القلعة وذهب الى

١٦١ ـ في سنة ١١٩٥ لتجسيد يسوع المسيح توفي الملك غي ، وقام أهالي مملكة قبرص بمراسلة جفري دي لوزنغنان أخي الملك المذكور ، وأعلموه بحادث الوفاة وبرغبتهم في استقباله في قبرص لتتويجه ملكا عليهم ، ولم يرغب جفري بالقدوم ، فقام أهالي قبرص بتتويج ايمري ملكا بدلا من أخيه .

وتوفي في السنة نفسها صلاح الدين (وفاة صلاح الدين كانت يوم ٤ ـ نيسان ١١٩٣) وقد تمكن أخوه سيف الدين من استحواذ السلطة لنفسه ، والتحكم بأبناء أخيه صلاح الدين ، ودس السم لأحدهم ، الذي كان سيدا لمدينة دمشق ، واسمه نور الدين .

١٦٢ ـ بعد وفاة صلاح الدين جاء سيف الدين الى دمشق ليضع ابن اخيه في سدة الحكم ، وجرت العادة أنه عندما كان البطريرك يتوج ملك القدس بتاج من ذهب ويمسحه يغدو ملكا ، وبالمقابل جرت العادة بين صفوف المسلمين أن يقوم أعظم الرجال مكانة بينهم فيحمل راية ويسيربها أمام الذي سيكون سلطانا جديدا ويبرزها عالية أمام الشعب وهو يقول لهم بأعلى صوته : « هذا هو سيدكم » فهذا ما فعله سيف الدين لابن أخيه ، حيث رفع راية سار بها أمامه وهو يعلن للشعب : « هذا هو سلطان دمشق ».

وكان سيف الدين هذا عظيم المكر كبير الحسد ، امتلك رغبة عارمة بالحصول على المملكة وانتزاعها من سلطان أبناء اخيه ، فعلى هذه الصورة خدم ابن اخيه وشرفه ، وتصرف ظاهريا حسبما توجب عليه أن يفعل ، لكن عندما عاد سيف الدين الى القلعة طلب من ابن اخيه احضار بعض التفاح ليأكل ، فجلب له التفاح ووضعه أمامه ، وبعدما اصبح التفاح أمام سيف الدين استل سكينا من وسطه ، كان قد وضع على رأسها سما ، ثم اخذ تفاحة وشطرها الى شطرين ، فأكل منها أولا ، ثم قطع قطعة من التفاحة نفسها ووضعها على رأس السكين ، وبكل أدب ولياقة تقدم من ابن أخيه وأعطاه هذه القطعة ، وأخذ ابن اخوه التفاحة وأكلها ، وبعدما

أكمل أكلها شعر حالا بأن السم سرى في جوفه ، فاستدعى الحكماء لمداواته وانقاذه من هذا السم الذي تناوله ، وقد شرح لهم كيف سممه عمه ، فساعدوه وقدموا له العلاج للتخلص من هذا السم .

ولما رأى سيف الدين أن ابن أخيه قد أكل التفاحة التي كانت مسممة تركه ثم هرب من دمشق بأسرع وقت ممكن ، وذهب الى بلاد ميديا ، أي الى بلاد الموصل والى تكريت ، اسكنى الأكراد في تلك المنطقة ، وحشد هناك حشدا كبيرا من الأكراد والتركمان والشعوب الأخرى ، وعاد على رأس هذا الحشد الى دمشق ، ولدى اقترابه منها سلمت اليه المدينة ، وعندما دخل الى المدينة ثم الى القلعة حيث كان ابن اخيه ، وكان في القلعة عددا من أمراء صلاح الدين ، فأقبل هؤلاء نحو ابن سيدهم ، وجردوه من سيفه الذي كان الى جنبه ، وكان معنى تجريده من السيف عزله من السيادة ، ومن ثم أعلنوا سيف الدين سيدا عليهم .

وبعدما استولى سيف الدين على حكم دمشق ، غادر ابن صلاح الدين الذي كان قبله سيدا عليها ـ المدينة ـ وذهب الى عند أخيه البكر الملك العزيز ، وكان سيدا في القاهرة ، وهذا الذي تحدثنا عنه كان اسمه الأمير نور الدين علي ، وكان لقبه الذي شهر به « الملك الافضل ».

واثر استيلاء سيف الدين على دمشق ، سمع سلطان حلب الذي يدعى الملك الظاهر بن صلاح الدين ، بما اقترفه عمه من مساوىء تجاه أخيه ، فغضب كثيرا وتألم الى أبعد الحدود لما نال أخيه ، فأصدر أوامره الى قائد قواته بحشد جيشه للزحف ضد دمشق للثأر من عمه للأذى الذي الحقه بأخيه ، وهكذا تحرك من حلب مع قوة كبيرة ، وجاء ليحاصر دمشق وعمه الذي كان فيها ، وجاء من جهة ثانية نور الدين الذي كان سيد دمشق ، جاء على رأس القوات التي أعطاه اياها أخوه سلطان القاهرة مساعدة منه لاسترداد ملكه .

وقام سيف الدين في أثناء الحصار خفية بمراسلة قادة قوات ابني اخيه ووعدهم بالاموال والهدايا ، وجذب لهذه الوعود اليه القسم الاكبر من جيش ولدي أخيه ، وانزعج أهالي دمشق حيث خيل اليهم

ان مدينتهم ستؤخذ عنوة ، ولهذا قالوا لسيف الدين بأنهم سيسلمون المدينة مقابل حياتهم وسلامتهم ، فقال لهم سيف الدين « أيها السادة أعدوا انفسكم فأنا على نية الزحف ضد مصر للاستيلاء على الحكم في القاهرة ».

وتابع سلطان حلب حصار دمشق ، غير أنه ما لبث أن عرف أن عددا من قادة جيشه تخلوا عنه وتحولوا إلى عمه ، وعلى الرغم من معرفته بأمور هذه الخيانة التي قام بها القادة لصالح عمه ، شدد الحصار على دمشق مستهدفا الدخول اليها ، غير أنه عندما وجد أن رجاله قد تخلوا عنه ، أوقف الحصار وعاد الى حلب ، وكذلك عاد اخوه نحو القاهرة ، عندما أدرك انه واخوه لم يعد بمقدورهما متابعة حصار دمشق ، وانطلق سيف الدين خلفه ، وسار من دمشق يريد مصر ، وكان ينزل وراء ابن اخيه منزلا تلو الآخر حتى مصر .

وعندما وصل سيف الدين الى بلبيس كان الملك العزيز – ابن اخيه وسلطان القاهرة – في الصيد ، وبينما هو في الصيد تقنطر من على ظهر حصانه فاندقت رقبته ، وبسهولة سيطر سيف الدين على السلطنة في القاهرة ، وطرد ابن اخيه الذي كان سيد دمشق ، الذي سلف وتحدثنا عنه من قبل ، وهكذا استولى اذن سيف الدين على المملكة ، وبات منذ ذلك الحين يعرف بالملك العادل وما زال أولاده يحكمون البلاد .

وأرسل الكونت الذي كان داخل انطاكية الى سلطان حلب يطلب منه تقديم المساعدة ، لأن ملك أرمينية يريد حرمانه وانتزاع الامارة منه ، فأجابه سلطان حلب بأنه سيساعده في كل مرة يطلب منه المساعدة ، ذلك انه لم يكن يحب ملك أرمينية ووافق هذا امير انطاكية ، لأنه بدون ذلك ما كان بإمكانه المقاومة ضد ملك أرمينية وأن يحول بينه و بين السيطرة على البلاد ، ودامت هذه الحروب مدة سبع سنوات ، وأخيرا سلمت انطاكية الى ملك أرمينية عن طريق الخيانة .

وبعدما غادر الكونت هنري أرمينية وجاء الى قبرص واتفق مع الملك ايمري كما حدثتكم من قبل ، جاءته أخبار جديدة أفادت أن العادل قد استولى على مملكة باب اليون (القاهرة) ومملكة دمشق منتزعا اياهما من ولدي أخيه ، وأنه — أي العادل — قد خرق الهدنة التي أبرمها الملك رتشارد ، فانتشر المسلمون في البلاد وأحدثوا فيها أضرارا كبيرة ، ولهذا أسرع الكونت هنري وقدم الى ليماسول ومن هناك عبر الى عكا .

كيف حشد الامبراطور هنري أعداد كبيرة من الناس ليرسلهم الى سورية :

مات في ذلك الزمان ، والأحداث تتسارع هكذا في سورية ، وليم ملك صقلية بدون وريث فانتقلت المملكة الى عمته التي كانت تدعى كونستانس ، وكانت زوجة هنري ملك ألمانيا الذي كان ابن الامبراطور فريدريك الذي مات في أرمينية بينما كان ذاهبا الى سورية ، وكان لكونستانس أخ يدعى تانكرد ، وبعدما مات وليم استولى تانكرد على البلاد ، وتوج نفسه ملكا من دون ان يكون له الحق بذلك ، لأنه — كما قيل — ولد من زواج غير شرعي ، وبعد وفاة تانكرد هذا سيطر أولاده على المملكة من بعده .

- ٤٠٠٥ -

وبعدما وطد الملك هنري أموره في المانيا ولمباريا والبلاد الاخرى التي كانت تتبعه ، استدعى جميع البارونات الذين تحت سلطانه ، وبعدما أمن شؤون الامبراطورية حشد جيشا كبيرا فدخل به الى ...

١٦٨ ـ في العـــــام ١١٩٥ لتســـــجيد مـــــــــــــولانا وميلاده (الصحيح ١٩٩١) توفي كليمنت الثالث الذي كان البابا في روما ، وقد انتخب خليفة له البابا كاستين الثالث ، وكما حكينا من قبل عن غرق الامبراطور فريديريك لدى عبور نهر السن ، وكان أكبر أولاده يدعى هنري ، وهو الذي توجه ملكا على المانيا ، وزوجه من سيدة اسمها كونستانس ، وكانت عمة الملك وليم ملك صقلية ، وقد توفي وليم هذا بــدون وريث ، فــانتقلت مملكة صــقلية الى الســيدة كونستانس ، غير أن واحدا من أخوته واسمه تانكرد اســتولى على المملكة وتوج نفسه سيدا عليها ، وقد قيل انه لم يكن له حــق بــذلك أبدا ، لأنه ولد من زواج غير شرعي ، وبعد وفاة تانكرد هذا ســيطر أولاده من بعده على المملكة .

وبعدما وطد الملك هنري أموره في المانيا ولباريا والبلاد الأخرى التي كانت تتبعه وبعدما أمن شؤون الامبراطورية ، سار على رأس جيش كبير ، فدخل به الى صقلية ، فاستولى على بلرم وعلى القصر فيها ، وكان في داخله أولاد تانكرد فقضى عليهم ، وكان للملك تانكرد ابنتين وقد تمكنتا من الفرار ، وقد تــزوجت احــداهما مــن الكونت غوتيير (الثالث) دي بــرن ، وتــزوجت الثــانية مـــن كونت دي غريفين (بييرزياني دوج البندقية في ١٢٠٥) ، وأبـــاد الملك هنري كثيرا من سكان بيولا مع سكان صقلية .

وحمــل في تلك الآونة دوق النمســا الملك رتشــارد ملك انكلتــرا واعطاه الى ملك المانيا ، وجمع هـــذا الملك مبلغ المائتــي الف مــارك الذي أخذه فدية من الملك رتشــارد مــع المال الذي أخــذه مــن بيولا وصقلية ، ثم ذهب الى روما حيث توج امبراطورا ، فبهذا المال أقنع الرومان في أن يتوج بسلام وأمــان ، لأنه يقــال : أنه في اليوم الذي يستلم فيه الامبراطور تاج امبراطورية رومــا يجــب عليه أن يدفــع كثيرا من المال الى الرومان واذا لم يســتطع أن يدفــع ذهبــا يدفــع دما ، لأنه في تتويج عدد كبير من الأباطرة عندما لم يدفــع للرومــان المال الكثير دفع لهم الدم الغزير الذي كان يسيل مثــل الســواقي في

وسط الشوارع ، وحدث في عدة مرات أثناء تتـويج الامبـراطور ان امتلأت كنيسة القديس بطرس بالدم ، هذا وتـوج هنري هـذا غداة انتخاب البابا كلستين .

١٦٩ ـ رأس الامبـراطور فـريدريك الذي تحـدثنا عنه الامبراطورية في أيام حياته ، كما أمر أن يقسم له بأن تكون السيادة على الامبراطورية له وحده ، وهكذا ظل حتى تاريخ وفاته (في سنة ١٢٥٠) وغمرنا الرب بنعمه .

١٧٠ ـ بعدما أبـرم الصـلح بين الملك ايمـري والكونت هنري حسبما تحدثنا مـن قبـل ، اسـتعد الكونت هنري للعـودة الى عكا ، لكنه سمع أن الملك العادل الذي استولى على مملكة القـاهرة بعدما انتزع الملك من أبناء أخيه قد أوقف العمل بالهدنة التي عقدها معه الملك رتشارد لذلك اسرع بالذهاب الى ليماسول ومن هناك ....

صقلية ، فاستولى على بلرم وعلى القصر فيها وكان في داخله أولاد تانكرد فقضى عليهم ، وكان للملك تانكرد ابنتين ، وقد تمكنتا من الفرار ، وقد تزوجت احداهما من الكونت غوتيير دي برن ، وتزوجت الثانية من كونت دي غريفين ، وأباد الملك هنري كثيرا من سكان بيولا مع سكان صقلية .

وحدث في هذه الفترة أن قبض دوق النمسا على الملك رتشارد ، وحمله الى الملك هنري ، وجمع هذا الملك الاموال التي حصل عليها من فدية رتشارد ومن بيولا ومن صقلية وجاء بها الى روما ، وطمأن الرومان فتوج امبراطورا .

وفي الحقيقة كان فردريك والده الذي تحدثنا عنه قد حكم المملكة واورثها حتى الثالث من أولاده .

وبعدما انجز هنري امبراطور ألمانيا كل هذه الاعمال وبعدما توج امبراطورا ، عطف على مملكة القدس ، متذكرا العواطف التي أبداها والده نحوها وكيف أنه أراد أن يراها بحالة جيدة ولكنه لم يتمكن من ذلك ، فبعث (هنري) بوفود الى ألكس امبراطور القسطنطينية ، طالبا منه أن يعمل على تمهيد الطرق والسبل واعداد المرافئ حتى تتمكن قواته وسفنه من العبور والنجاح ، وأن يرسل ايضا رجاله الى مملكة القدس لينقذها من أيدي أعدائها . واذا لم ينفذ ذلك سيأتي بالفعل ليراه .

وجاءت الوفود الى الامبراطور ألكس وأبلغوه ما أوصاهم به سيدهم ، فانزعج من ذلك كثيرا ، ولم يرق له جل ما قالوه له ، لكنه في النهاية وافق على مطالب الامبراطور هنري ، وذلك نزولا عند مطالب رجاله واستجابة لنصائحهم .

عبر وجاء الى عكا ، فوجد أن المسلمين قد جاسوا خلال الديار حيث أحدثوا أضرارا جسيمة .

١٧١ ـ وكنا قد تحدثنا عن الامبراطور هنري الذي استولى على سالرنو وبلرم مع بقية أجزاء مملكة صقلية ثم توج امبراطورا ، لقد أشفق هذا الامبراطور كثيرا على مملكة القدس ، لهذا قام بأعمال كبيرة ، ثم أخذ هذا الامبراطور بارضاء الناس غير انه لم يستطع اتمام مابدأ به ، ولو أن الرب منحه حياة أطول لكان قد تمم ذلك ، فلقد طلب برجاء ، ثم أمر أمراء المانيا بحمل الصليب للذهاب لتحرير مملكة القدس ، فأجابوه أنهم لن يمكنهم المغادرة قبل العودة الى مناطقهم واماراتهم لاكمال الاستعدادات لهذه الحملة ، فهم أرادوا العودة الى المانيا لتفقد قصورهم وقلاعهم ، فسمح لهم بذلك فعادوا الى المانيا واستعدوا للعبور بالطرق التي تناسبهم ، وقام الامبراطور باستعدادات كبيرة في بيولا حيث جهز السفن وشحنها بالمؤن والعتاد .

١٧٢ ـ وفي أثناء الاستعدادات التي قام بها الامبراطور هنري أوفد رسلا من قبله الى امبراطور القسطنطينية الذي كان يدعى الكسس ، حيث طلب منه اعداد الطرق والمرافئ التي سيعبر منها هو ورجاله وسفنه ، فقد كان هذا مما توجب عليهم القيام به ، وأن يرسل هذا الامبراطور نفسه بعضا من رجاله الى مملكة القدس لينجدها ضد أعداء الصليب ، واذا لم ينفذ مطالبه ويفعل ذلك ، سيأتي اليه ليزوره وهو يتحداه سلفا .

١٧٣ ـ وعندما جاء رسل الامبراطور هنري الى القسطنطينية استقبلهم الامبراطور الكسس بكل حفاوة وذلك تقديرا منه لسيدهم ، وأراد أن يظهر مجده وغناه أمام رسل امبراطور المانيا ، وقبل ان يطلع على مهمتهم ، زين قصره بالزينات الذهبية والحريرية ، وبعد ذلك استدعى اليه الرسل ، وعندما مثلوا في حضرته سألهم عن امبراطور المانيا وعن أملاك وثروات

- ٤٠١٠ -

سيدهم ، وعما أذا كان غنيا مثله ، وعما اذا كان لديه جواهر ثمينة مثله ، ولم يتردد الرسل الذين كانوا حــكماء

ومدربين في احسان الجواب ، فأجابوه ان سـيدهم اغنى منه بعشر مرات ولديه ثروات اكبر بكثير ممـا رأوه في مملكة القسـطنطينية ، وعند ذلك قال لهم:« هل لديه زينات وزخارف غنية مثلما ترون لدي»؟ فقـــــــــــــــــــــالوا له

نعم يامولاي لديه أجمل وأثمن ، فقال الامبراطور :« بأي شيء هـي أجمل »؟ فقالوا :« أولا لديه محبـة رجـاله ، وثـانيا كل أرجـاء الامبراطورية تحت امرته وسلطانه وهـي : رومـا ، وتـوسكانيا ، ولومبارديا ، وألمانيا ، وبورغونيا ، وبيولا ، وصـقلية ، ولذلك يطلب منك بوساطتنا أن تعد السفن والطرق حتى يتمكن هو ورجـاله مـن القيام بمهـام العمل الذي عزموا تنفيذه ،وهو يطلب منك أيضـا أن تستعد أنت بدورك حتى تمضي معه الى مملكة القدس ،عندما سـيمر بك للعبور ، واذا لم تنفذ ماطلبه منك بوساطتنا سـيأتي لزيارتـك في امبراطوريتك ، وآنذاك سيكون بامكانك أن ترى الزينات والزخارف الذهبية التي سميناها لك ».

١٧٤ ـ عندما سمع الكسس ، امبـراطور القسـطنطينية قـول الرسل تأثر كثيرا ، وغضب غضبا شديدا ، لكنه لم يفقد شـجاعته أو توازنه فقال للرسل :« أيها السادة، سمعت جيدا مـاذقلتموه لي من سيدكم ، اذهبوا الآن واستريحوا ، وسأفكر ثم أجيبكم حسبما يترتب علي ».

وبعدما غادر الرسـل حضرتـه ، اسـتدعى اليه جميع الشـيوخ المحنكين وأعيان القسـطنطينية ، ولما اجتمعـوا بـه قص على مسامعهم ماحمله له رسل امبراطور ألمانيا وأبلغوه بـه ، وكان يريد اظهار قدرته على اللامبالاة بـامبراطور ألمانيا ، وكذلك أراد اهـانة الرسل الذين أبلغوه في امبراطوريته مثل هذه الرسالة ، لهـذا قـال مخاطبا الحضور :« انني جمعتكم هنا وأريد أن أستمع الى نصيحة كل واحد منكم ، وليخبرني كل واحد منكم بما يريده ، وقـد وافقـه بعض الشباب على توجيه الاهانة للرسل واذلالهم .

١٧٥ ـ ولكن انبعث من بين الحضور شيخ اغريقي من أيام الامبراطور مانويل ، فطلب من الامبراطور أن يسمح له بالتعبير عن رأيه فقال :« يامولاي هل تسمحون لي بالتعبير عن رأيي ، ولعل ماسأقوله هو الصحيح »؟ فقال الامبراطور :« أريد أن تقول ماتراه الافضل » فقال :« دعني أخبركم أن الملك وليم الذي كان جارا لكم قد خطب ابنة الامبراطور مانويل لتكون له زوجة ، فوافق أولا على طلبه ، ثم ندم على ذلك ، ولهذا حاربه الملك وليم بقسوة حتى أنه استولى على ثلث امبراطوريته وانتزعها منه و لو لم .

وقــال الامبــراطور الكسس لرســل الامبــراطور هنري أنه كان سعيدا جدا لسماع أن الرب قد ألهم رجلا ســاميا مثــل امبــراطور ألمانيا وملك صقلية للذهاب في سبيل انقاذ مــدينة القــدس المقــدسة وللثأر للعار والاضرار التي سببها غير المؤمنين وانزلوها بحق شعب يسوع المسيح ، « وانني سأبذل كل ماأستطيع وأقدم كل مســاعدة ممكنة ، وتأكدوا أنه عندما سيعبر من هنا امبراطور ألمانيا ســأكون قد هيأت كل مايروق له ولاتباعه » ثم أعطى هدايا جميلة وثمينة الى أعضاء الوفد ، واســتأذنه هؤلاء ، وعادوا الى ســيدهم في صــقلية ونقلوا اليه الجواب الذي أعطاهم اياه الامبراطور الكسس .

وثانية حول هذا الموضوع :

وكان عندما ذهب الوفد الى القسطنطينية أن أرسل الامبــراطور هنري الى ألمانيا لاستدعاء الأمراء والبارونات وحثهم على الذهــاب الى مملكة القدس، وبعث كذلك الى الكرسي الرســولي المقــدس في رومــا يطلب منه أن يرســل أســـقفا الى ألمانيا ليبشر بــالحروب الصليبية ، وليعلم الناس أن كل من يريد الذهاب الى بــلاد ســورية من فقراء أو أغنياء أنه سيقدم لهم الاموال والمســاعدات لعبــور كل منهم الى القدس أو سورية ، واستجاب كثير من الناس واصــبحوا صليبيين وقدموا الى بيولا حيث كان الامبراطور بــانتظارهــم وحيث كان قد أعد لهم مايلزم للعبور ، وعندما اجتمع الالمان والذين تقــرر أن يرسلهم الامبراطور على نفقته كان بينهم ثلاثة آلاف من الفرسان واجتمع الى جانب هؤلاء عدد كبير جدا من الرجالة ، وكان في هــذا الحشد كونراد رئيس اســاقفة ميدس والقــاصد الرســولي الممثــل لرومــا ، وكونراد مســـتشار القصر الامبـــراطوري ، وأوصى الامبراطور هؤلاء المسافرين باطاعة أوامر المستشار ، وكان معهــم أيضا هنري كونت بــالادين وهنري دوق بــرابانت وعدد كبير آخــر لايمكن عده ، وأوصاهم الامبراطور بــألا يســافروا مــن بيولا الا

- ٤٠١٥ -

لخدمة يسوع المسيح ، ووعدهم بـارسال المزيد مـن القـوات مـع مساعدات عظيمة .

ولو لم يمت سريعا لكان انتــزع منه مـــا تبقـــى مـــن امبراطوريته ، ولم يعوض عن ذلك منذ ذلك الحين حتى أصبح أخوك امبراطورا ، فعوضه بذكائه ، وقـد شـهدت أنت نفســك قـدوم الامبراطور فردريك والد هذا ، للذهــاب الى مملكة القــدس ، على الرغم من أنه عندما أصبح أخوك امبراطور القسطنطينية ، لم يرغب في استقباله أو التجاوب معه ، وذلك الامبراطور لم تــكن له ســلطة قوية مثلما لهذا الامبراطور ، فهذا يتمتع بسلطة أكبر مما كان لذاك في مملكة صقلية ، وبناء عليه انني أنصحك بأن تجيب جوابا حســنا على طلب الرسل ، وعند وفاة هــذا الامبــراطور يدبــر الرب مــا يريد ، حيث يحكى أن الألمان سيثورون ضده ، والاغريق غاضــبون عليه ، وعليه أنصحك ألا تنفعــل ولا تــظهر أنني غضـــب تجـــاه الرسل ، لأن هؤلاء الرسل أبلغوك ما كلفهم به سيدهم .

وأصغى الامبراطور المذكور بكل عناية الى نصيحة هــذا الشــيخ النبيل ، ورأى أنه قد نصحه بشكل جيد وبكل اخلاص ، ثم دعا اليه رسل امبراطور ألمانيا وقال لهم : لقـد وجـد أن عليه الاجـابة على رسالة سيدهم الذي أرسلهم اليه ، لأنه يحب مملكة القـدس ويرعى مصالح المسيحيين ، ولأنه يبذل جهــوده في ســبيل مصــلحة مــدينة القدس المقدسة ، وفي سبيل تحريرها ، وانه لأمر يبعث على السرور أن ألهم الرب ويسر للقيام بهذا العمل رجــل عظيم هــو امبــراطور ألمانيا وملك صقلية ، فجعله يقرر الذهاب كي يحرر مــدينة القــدس المقدسة ، وكي يثأر للعار الذي لحق بيسوع المسيح ، وبمشيئة الرب وعونه ، إنه سيفعل مثلما فعل أسلافه ، وبالنسبة لي إنه مثلما كان الامبراطور مانويل سيبذل جهده ويقدم مساعداته لتحــرير الأراضي المقدسة ، هكذا سأفعل ، فعندما سيمر الامبراطور من هنا ســأقوم باستعدادات ترضيه وترضي أصحابه ومن معه ، وبعــد ذلك أعطــى الرسل هدايا جميلة وثمينة ، فاستأذنه هؤلاء وسافروا الى صــقلية حيث وجدوا سيدهم امبــراطور ألمانيا ، فقــدموا له الجــواب الذي أعطاهم اياه امبراطور القسطنطينية .

- ٤٠١٧ -

١٧٦ ــ وبعدما عاد الرسل المشار اليهم من القسطنطينية ، وقدموا الجواب الى سيدهم ، كتب امبراطور المانيا حالا الى امراء المانيا والى بقية البارونات للحاق به ومن ثم التحرك للذهاب الى مملكة القدس ، وأخبرهم أنه سيقدم المساعدات والسفن الى جميع الذين سيذهبون للاسهام في بذل المساعدة على احتلال أراضي القدس ، وعلى هذا إن هذا التحرك لن يكلفهم شيئا من النفقات ، ولقد كان هذا هو التحرك الثاني للألمان في سبيل احتلال مملكة القدس .

-٤٠١٨-

كيف وصل الألمان الى عكا:

وصل قسم من الالمان الذين عبروا البحر الى قبـرص ، ووصـل القسم الآخر الى عكا ، وكان مع الذين وصلوا الى قبرص مستشار المانيا ، وعندما علم الملك ايمري بذلك ذهب الى استقباله ورحب بـه ترحيبا كبيرا ، وأعلمه انه منذ أن كان عند الامبراطور تـوسل اليه للقدوم ، لانه رغب في استلام البلاد من أيدي الامبراطور ، واتفـق مع المستشار وأخبروه بأنه سيقوم بذلك لانه استقبله ، ثم اصطحب معه فرسانه وذهب الى نيقوسيا وتوجه فيها وبعدما توجه ذهب الى سفينته وسافر وصحبه مـن قبـرص ، هـكذا وصـلوا الى عكا بعدوصول الآخرين .

وعندما بـات الالمان في عكا تعـالوا على سـكان البـلاد واحتقروهم ، وبدأوا يسببون لهم ازعاجا عظيما ، ويلحقـون بهـم أضرار كبيرة لم يستطيعوا تحملها ولكن مولانا لم يكن يريد حصـول مثل هذه المشاكل والاساءات بين المسيحيين حيث أن سـادة الالمان عندما سمعوا بما يحصل أرسلوا اتباعهم ليتمركزوا على الشـاطىء خارج المدينة .

١٧٧ - وكتب الامبراطور هنري الى بابا روما متوسلا اليه وطالبا منه أن يرسل الى المانيا ممثلا له ليبشر بالصليب ، واعلمه انه سيقدم ما يلزم من المساعدات والسفن الى جميع الذين سيذهبون لتقديم المساعدة في سبيل احتلال مملكة القدس ، وأن السفر لن يكلف أحدا شيئا من المال ، وأنه لن يتخلى عن قيادة هذه الحملة حتى تتحرر القدس ، ونتيجة لهذا الطلب والتحريض اجتمع عدد كبير من الفرسان والبارونات ، وذهبوا الى بيولا حيث كان الامبراطور بانتظارهم ، وهناك أسند الامبراطور قيادة الذين اجتمعوا الى مستشار مملكة المانيا ، فرحب هؤلاء بهذا القرار واستقبلوه بكل سرور ، وظل العدد الأكبر من المتطوعين والفرسان تحت امرة الامبراطور ، وشجع الامبراطور كل الذين باتوا تحت امرة المستشار وحثهم وطمأنهم ووعدهم انه لن يغادر بيولا قبل ان يصلوا الى بلاد ما وراء البحار وسيمدهم بالمال والرجال ماداموا في خدمة يسوع المسيح .

وتجهز الاسطول واحتشد الناس وأقلعوا وابحروا حتى وصلوا الى عكا ، وكان الذين عبروا عبارة عن ثلاثة كونتات مع ثلاثة آلاف فارس ورجالة وسيرجانتية لا يمكن عدهم ، وكان في عداد هذه الحملة مندوب البابا دي لي اغليس دي روما وكونراد رئيس أساقفة دي مذس وكونراد مستشار القصر الامبراطوري ، وهنري كونت بالادين وهنري دوق برابانت ، وعدد كبير آخر ، يمكن أن يقال أشياء كثيرة حول اسم كل واحد منهم .

١٧٨ - وعندما وصلوا الى عكا جعلوا من هنري كونت بالادين قائد الجيش كله ، ومن دوق برابانت رئيس القضاة ، ذلك انه وصف بالنزاهة والشرف والعدل في القضاء ، ومنذ أن وصلوا الى مدينة عكا عاملوا سكان البلاد بازدراء حتى أنهم طردوهم من فنادقهم ، لا بل أكثر من ذلك ، عندما كان فرسان البلاد يخرجون بمهام خارج عكا ، كانوا يذهبون الى بيوتهم ويطردون نساءهم ويسكنون محلهم ، وقد أزعج هذا التصرف سكان البلاد ازعاجا

كبيرا ، فأطلعوا عليه الكونت هنري ، وعندما سمع الكونت بأمر هذه التعديات غضب كثيرا وتشاور مع اعيان المملكة واخبرهم انه سيتدخل لحسم الأمور ، فقال له السير هيو امير طبرية :إن هذه التعديات مما لا يمكن تحمله ابدا ، وهو يعرف شخصيا أن مثل هؤلاء الألمان اذا لم يواجهوا ببعض القسوة لا يمكن احتمالهم ، ثم قال : « لنضع نساءنا وأولادنا في داري فرسان الداوية وفرسان الاسبتارية ولنضع معهم بقية الناس ، فإذا انقضوا عليهم ، يمكن آنذاك التخلص من هذه المشاكل ، وهكذا بحث الأمر واتفق عليه ، ورفض سادتنا نشر أخبار هذه الاساءات بين أوساط المسيحيين ، وعندما سمع أشراف الألمان بأخبار هذه الاساءات نصحوا الألمان بالخروج من المدينة واتخاذ معسكراتهم قرب الشاطىء لئلا يلحق الضرر بأي انسان ، واستمعوا الى هذه النصيحة وخرجوا للسكن هناك .

وجمع العادل الذي استولى على مملكتي باب اليون (مصر) ودمشق وانتزعهما من ولدي أخيه ، عددا كبيرا من رجال السلاح وبذل كل جهوده ، ثم جاء الى عكا ، وبعدما علم الكونت هنري بذلك أعلم الألمان ، فحملوا أسلحتهم وزحفوا ضدهم ، وعندما رأى الألمان المسلمين قال لهم هيو صاحب طبرية : « أيها السادة ، انظروا ها هي مملكة بابليون ومملكة دمشق ومملكة القدس ، لا بل البلاد بمجملها أمامكم ، وبناء عليه فليبرهن من أراد منكم على فروسيته » ، ونشبت معركة قاسية خلال اليوم كله ، وفي النهاية تخاذل الألمان وانسحبوا أمام تفوق قوة المسلمين ، فقد قيل كانوا يتألفون من سبعين ألف مقاتل مسلح ، ولذلك انسحب أكبر قسم منهم ومن سكان المملكة ، وأعلنوا أنهم اضطروا الى التراجع الى داخل عكا ، وتركوا باقي الناس تحت رحمة الرب .

وعندما علم هيو صاحب طبرية أنهم اضطروا الى التراجع مما شكل عارا على المسيحية ، توجه بالخطاب الى الكونت هنري قائلا : أحلفك بالرب يا مولاي ، لا تلحق هذا العار بك وبمملكة القدس ، وذلك بالتراجع والاستسلام ، ولكن أرسل الى عكا واستدع كل الذين يستطيعون حمل السلاح والقدوم الى نجدتكم »
وبعث الكونت واحدا من فرسانه الى عكا لاستدعاء الناس الذين بقيوا داخل عكا ، ووصل في تلك الأثناء أعداد كبيرة من البيازنة والفلورنسيين ، وكانوا قد جاءوا متطوعين من بلادهم ، وكانت لهم مكانتهم الكبيرة في المسيحية ، كما أنهم كانوا مسلحين وفق طرائق بلادهم ، وبناء على نصيحة هيو صاحب طبرية وزع الكونت فيالقة ونظمها ، وعين الناس الذين سيقفون في المقدمة وأمرهم بعدم التحرك لأي سبب كان ، وتظاهر المسلمون الذين رأوا ذلك بأنهم زاحفون نحو رجالنا ، وزحف رجالنا نحوهم ، غير أن المسلمين قاموا بتحرك خاص متعمد ثم عادوا الى الوراء ، ومن ثم عاد رجالنا الى عكا ، وهكذا انقذ الرب في ذلك اليوم المسيحيين بنصيحة هيو صاحب طبرية ، وبعد ذلك رحل المسلمون من هنالك وذهبوا الى يافا .

١٧٩ ـ وفيما هؤلاء في معسكرهم على رمال الشاطىء ، قام العادل الذي استولى على مملكتي دمشق والقاهرة بعدما انتزعهما من ولدي أخيه صلاح الدين ، فحشد رجال جيشه مع جميع الذين كانوا تحت سلطانه وسيادته ، ودخل الى أراضي عكا ، وبعد دخولهم أطلع الكونت هنري دوق برابانت على الأمر وأخبره أن المسلمين باتوا على مقربة من عكا . فامتطى الفرسان خيولهم وحملوا أسلحتهم واستعدوا لملاقاتهم فقال لهم هيو صاحب طبرية :« أيها السادة هاهي مملكة القدس ، ومملكة دمشق والبلاد كلها أمامكم » .

وعندما رأى الألمان قوات المسلمين كم هي عظيمة وكبيرة اعترتهم الدهشة لأنه قيل لهم أن العادل بالذات قد جاء ومعه سبعين ألف رجل مسلح ، وواجه الألمان يوما قاسيا جدا ، حتى أن جل سكان المملكة والألمان اضطروا الى الانسحاب إلى داخل مدينة عكا ، وبقي الكونت في الخارج مع عدد قليل من الرجال علق مصيرهم بين أيدي الرب ، وعندما رأى هيو صاحب طبرية أن رجال امبراطورية ألمانيا مع رجال مملكة القدس اضطروا الى التراجع والانسحاب مرغمين وملحقين العار والخجل برجال المسيحية قال للكونت هنري :« كيف ؟ هل تريد أن تجلب العار والخجل لشعبك ولمملكة القدس »؟ فقال له :« بماذا تشير علي ياسيد هيو ، وماذا تريد مني أن أعمل ؟ ألا ترى أن هؤلاء السادة قد حبطت أعمالهم » فرد عليه قائلا :« أشير عليك باستدعاء بقايا جيشك ليأتوا اليك ، ويقفوا معك لمساعدتك هنا ».

ودخل الى عكا وحرك رجال الدين وأثار الرهبان وسواهم من الناس ، ووصل في تلك الأثناء أعداد كبيرة من البيازنة والفلورنسيين ، فاستنفروا أنفسهم وخرجوا متطوعين للوقوف ضد المسلمين ، فقد كانوا يحبون المسيحيين كثيرا ، وهكذا وضعوا أنفسهم تحت أمرة الكونت هنري ، وعندما فعلوا ذلك قالوا للعسقلانيين :« وأنتم ، لماذا لاتذهبون لنجدة سيدكم »؟ فقال

الكونت :« بالنسبة لي إنهم لم يعودوا من أتباعي » وعندما وصلت النجدات الى الجيش ، قال هيو صاحب طبرية للكونت :« لقد رأى المسلمون أننا حصلنا على بعض النجدات ، ولا شك أنهم حسدونا على ذلك كثيرا ، وسيقدرون الموقف ، فاذا ماوجدوا أنهم مازالوا يستطيعون الانتصار علينا والحاق الهزيمة بنا فسيبقون ، لكن اذا قدروا أنهم ماعاد بامكانهم التغلب علينا والحاق الخسارة بنا ، فسيسافرون ويرتدون عنا ، على كل حال نظموا جيدا فرق فرسانكم وفرق سيرجانتيتكم ، ومروهم الا يخافوا أبدا من هجومهم عليهم ، لأنهم سيحاولون الآن اظهار كل مالديهم من قوة ».

١٨٠ ـ ووثق الكونت بكلام هيو صاحب طبرية ، وأمر بالحال بتنظيم فرق الجيش ، وحصل على عدد كبير من البيازنة والفلورنسيين المسلحين بشكل جيد وفق طرائق بلادهم ، فأمر بوضعهم في المقدمة أمام الفرسان ومعهم كثير من السيرجانتية الآخرين ، وأصدر الكونت أوامره اليهم في أن لايتحرك أي منهم الا بناء على أوامره هو وعندما أكمل الكونت تنظيم فرقه ، تظاهر المسلمون بالزحف نحو رجالنا .

كيف مات الكونت هنري :

بعدما عاد الكونت هنري الى عكا ، أرسل الملك ايمري واحدا من فرسانه ويدعى وليم برلياس ، وهو والد ايمري برلياس ، الى الكونت هنري يطالبه باسم سيده تسليمه يافا وفقا لما تم الاتفاق عليه .

وأعجب الكونت بهذا الطلب وقال للرسول عليك الذهاب للاستيلاء على المدينة ، وعليك أن تبذل الآن كل جهد ممكن وأن تقوم بانجاز مايحتاج الى سنة لانجازة في الأحوال العادية ، لانني سمعت أن الملك العادل يريد محاصرتها ، واذا لم تنجح الآن ستعود منها خائبا ، وعليك أن تقوم مع رجالك وقواتك بحماية المدينة والدفاع عنها بشكل جيد .

وسافر هذا من عند الكونت ، وتوجه الى يافا ، لكنه لم يصنع شيئا مما قال له الكونت وأوصاه به ، بل اصطحب معه زوجته الى هناك .

وكانت ملكة هنغاريا ابنة الملك لويس ملك فرنسا ، خالة الكونت هنري ، وكان زوجها قد توفي بدون خلف ، فآلت المملكة الى أخيه ، وتملكت الملكة رغبة بالذهاب الى القدس لزيارة الضريح المقدس ، وحيث ان الامبراطور كان قد بعث بنجدة كبيرة ، فقد خيل اليها أنه

وعند ذلك قال هيو صاحب طبرية :« لنتظاهر بدورنا أننا متوجهون نحوهم » فقال الكونت : أحسنت كثيرا وأصبت الرأي ، وعندما رأى المسلمون ذلك عادوا الى مراكزهم ، ولم يحققوا هدفهم ، بل تراجعوا من هناك ، وهكذا خلص مولانا يسوع المسيح المسيحيين في ذلك اليوم وأنقذهم بوساطة نصيحة هيو صاحب طبرية .

١٨١ ـ وتخلى المسلمون عن المنطقة وسافروا من هناك الى يافا ، وفي تلك الأثناء عاد الكونت مع رجاله الى داخل عكا ، وفيما هو في عكا أرسل الملك ايمري رجلا واحدا من فرسان قبرص اسمه وليم برلياس ، وهو والد ايمري برلياس ، وذهب وليم الى الكونت هنري لاستلام يافا ، فبذلك كلفه الملك ، وفق ماكان متفقا عليه ، ولدى اطلاع الكونت على هذا التكليف وبعدما قرأ ماجاء في رسالة الملك سر كثيرا وقال لوليم :« اذهب الآن بدون تأخير الى يافا حتى تستولي عليها ، وتتصرف بها ، ولتبذل كل جهد ممكن للحفاظ عليها ، وعليك الآن ان تقوم بالأعمال التي قد تحتاج في الأحوال العادية الى سنة لانجازها ، فلقد بلغني ان الملك العادل في طريقه لحصار يافا ، لأنه اذا لم يحقق هناك نصرا على المسيحيين فسيعود الى مقر ملكه مخفقا مهزوما ، لذلك انني أدعوك لابل اكلفك ان تبادر بالذهاب الى يافا فتستولي عليها وتشحنها برجالك ، فاذا ماوصل اليها لن يستطيع الحاق اي ضرر بها ، لأنك ورجالك ستستطيعون الدفاع عنها » .

١٨٢ ـ وسافر الكونت وليم برلياس بدون تأخير ، وذهب ليستولي على يافا ولكن فعل مثلما فعل بيتابين ، وذلك انه لم يأخذ بنصيحة الكونت ولم ينفذ أوامره ، بل تصرف وفق ماأملاه عليه هواه ، ووثق كثيرا بنفسه ، وهكذا قصد يافا ومعه عدد صغير من المرافقين ، واثر دخوله الى يافا وصل الملك العادل ليقوم بمحاصرتها ، وعندما وجد سكان القلعة انفسهم تحت الحصار ، ولما رأى قائدها ان مالديه من رجال هو قليل بعث الى

الكونت هنري يطلب انجاده بالرجال والعتاد والا فأن القلعة ستدمر ، وستسقط مالم تحصل على النجدات السريعة .

١٨٣ ــ وعندما سمع الكونت بهذه الاخبار غضب غضبا شديدا ، وانفعل وتأثر كثيرا ، لكن الذي حدث ليس مدهشا ، فهو كان قد كلف وليم برلياس ونصحه بالتقيد بالاوامر في أن يشحن القلعة بالرجال والسلاح والعتاد وبكل ماتحتاجه من ضرورات ، لكنه اكتفى باصطحاب زوجته معه .

وفي الوقت الذي وصلت فيه هذه الاخبار الى الكونت ، علم أن الملكة مرغريب ابنة الملك لويس السابع ملك فرنسا وخاله الامير هنري قد توفي زوجها ملك هنغاريا من دون وريث ٠

لابد من أن يتم نصره وانقاذ مملكة القدس ، ولذلك بـاعت هـذه الملكة كل ماكانت تملكه الى أخي زوجها ، وحصـلت على مبلغ مـن المال كبير ، وحملت شارة الصليب ، واصطحبت معها عددا مناسبا من الفرسان ، ثم قـدمت مـع الألمان الى سـورية ، فـوصلت الى صور ، واستقبلها الكونت هنري استقبالا مشرفـا ، غير أنهـا لم تعش سوى سبعة ايام ثم مـاتت ، وقـد دفنت في سـاحة كنيسـة صور ، وقبل موتها اعطت كل أمـوالها الى الكونت هنري لأنه كان ابن اختها ، وعاد الكونت هنري الى عكا بعدما دفنت .

وبينما كان وليم برلياس في يافـا جـاء الملك العـادل الى يافـا وحـاصرها ، وعاث هناك وضرب مـن كان بـداخلها بـكل قسوة ، وعندما رأى حاكم يافا هـذا الوضـع ارسـل الى الكونت هنري يطلب ان ينجده بسرعة ، والا فان القلعة ستسقط ، وعندمـا سمع الكونت غضـب غضـبا عظيمـا ، ولم يكن الذي حـدث مدهشا ، لان حاكم يافا لم يعمل شـيئا ممـا أمـره بـه الكونت ، واستدعى الكونت السيرجانتية ، والعساكر من الرجـالة ليرسلهم الى يافا ، وعندما جاءوا ساحة القصر للاستعراض ، كان الكونت مستندا الى حافة النافذة ينظر الى الوادي ، فسقطت حـافة النافذة وهوى الكونت الى الحفرة العميقة في الوادي ، وسقط واحد من خدمه ، وكان واقفا الى جانبه ، بعده من شدة الخـوف والرعب ويقال لولا ان سقوط الخادم القزم جاء فوق جسمان الكونت لم يمت بسرعة ، وكان الكونت قد أمر مرارا عدة بتـدعيم حـافة النافـذة ، ودفن بعد موته في كنيسة الصليب المقدس في عكا .

وتمكن المسلمون الذين كانوا أمام يافـا مـن الاسـتيلاء عليهـا بالقوة ، واجتاحوا القلعة وأسروا جميع المسـيحيين الذين كانوا في داخلها .

فانتقلت المملكة الى أخيه البارون ، وخططت الملكة للذهاب الى القدس لزيارة الضريح المقدس ، وحيث أن الامبراطور كان قد بعث بنجدة كبيرة ، فقد خيل اليها أنه لا بد من أن يتم انقاذ مملكة القدس ، ولذلك باعت هذه الملكة كل ما كانت تملكه الى البارون أخي زوجها ، وقبضت على مبلغ كبير جدا من المال ، فحملت شارة الصليب ، واصطحبت معها عددا مناسبا من الفرسان ثم قدمت مع الألمان الى سورية ، فوصلت أولا الى صور ، وكلها أمل أن قدوم الألمان سيمكن من استرداد مدينة القدس وانقاذها من أيدي المسلمين .

وذهب الكونت هنري من القدس لرؤية خالته ، فاستقبلته بحفاوة عظيمة ، غير أنها لم تعش بعد دخولها الى صور سوى سبعة أيام ، ثم ماتت ، فدفنت في ساحة كنيسة صور ، وقبل موتها أعطت مالها كله الى الكونت هنري لأنه كان ابن عمها وابن أختها بالوقت نفسه .

وبعدما دفنت الملكة عاد الكونت الى عكا وأمر باستدعاء السيرجانتية والجنود من رماة المجانيق لتجنيدهم ومن ثم ارسالهم الى يافا لمساعدتها ، وبعدما تم استدعاؤهم جاؤوا الى قصره ودخلوا الى ساحته حتى يقوم باستعراضهم ، وكان الكونت آنذاك متكئا على شرفة النافذة ينظر الى الوادي أمامه فسقطت الشرفة ، فوقع في احدى الحفر ، وسقط واحد من مرافقيه بعده ، أو رمى نفسه بعده خوفا عليه وألما ، ويقال ان مرافقه القزم لم يسقط بل جاء لينتشل جسده ، ولم يعش الكونت بل فارق الحياة على الفور ، ويوم وفاته أصيب المسيحيون في مملكة القدس بخسارة عظيمة ، لأنه كان رجلا شريفا وحكيما ، وفر الراحة والمنفعة طيلة حياته لسكان المملكة ، وقد كانوا في أيام حياته يرتدون أفخر الملابس ، ولكن بعد وفاته استولى الرعب على من كان يدين بالطاعة له .

١٨٤ ـ وبعد وفاة الكونت هنري تمكن الملك العـادل ، الذي كان يحاصر يافا ، من الاستلاء عليهـا ، ودخـولها عنوة مـن جهـة البحر ، من المنطقة التي كان البطريرك غيروت قد حصـن بـرجها بشكل جيد ، ذلك أنه كان أضعف مكان في القلعـة وأسر المسـلمون وليم برلياس مع زوجته ، ولجأ الناس الآخرون الذين كانوا في القلعة إلى كنيسة القديس بطرس ، لأنهم أملوا أن ينتظروا هناك وصـول النجدة اليهم مـن عكا ، ولكن الذي كان عليه أن ينجـدهم كان قـد مات ، وهكذا تمكن المسلمون مـن التسـلق الى ظهـر الكنيسـة فأسقطوا قبتها وسقفها فوقهم ، حتى أن العدد الأكبر منهـم لاقـى حتفه هناك ، وأما الذين نجوا فقـد ألقـي القبض عليهـم ، ووقـع اضطراب عظيم بين صفوف أهل يافا وأصيبت قلوبهـم ونفـوسهم بهلع عظيم ، فهم قد وقعوا في أسر المسلمين بعد الحصـار الشـديد مرتين : الاولى أيام صلاح الدين والثانية في أيام أخيه سـيف الدين الذي كان يدعى العادل .

١٨٥ ـ بعد استيلاء المسلمين على يافا اجتمع الالمان بسكان المملكة للتشاور حول اعانة المسيحيين ، ثم غادر الالمان عكا ، وذهبوا لحصار قلعة الشقيف (في ٢٨ تشرين ثاني ١١٩٧) وأثناء حصارها ذهب رئيس الأساقفة ايمري دي ميانس الى ارمينية لتتويج لاون دي مونتايين ملكا على أرمينية (توج لاون الثاني ملكا من قبل بطريرك أرمينية غريغوري أبيراد بحضور رئيس الاساقفة ايمري دي ميانس وذلك في ٦ ـ كانون ثاني ١١٩٨) وفيما مستشار القصر الامبراطوري قائم على حصار الشقيف بعث برسالة الى بلاد ما وارء البحار ، الى الامبراطور هنري ، وعندما وصلته الرسالة وعلم أن رجاله يحاصرون الشقيف ، أزعجه ذلك كثيرا وغضب غضبا عظيما ، وليس هذا مدهشا (في الحقيقة توفي هنري السادس في ٢٨ ـ ايلول قبل حصار الشقيف) لأنه كان في تلك الأيام سيدا عالي المقام وقويا ، فقد اقترف رجاله خطأ كبيرا ، وخاب الامل فيهم حين حاصروا هذه القلعة ، وسأل الامبراطور الرسل : « كيف حدث هذا ، أوليس هناك مدينة أخرى غير هذه القلعة حتى يحاصرونها »؟ فأجابه الرسل : « مولانا ليس هناك مدينةأخرى غير القدس ودمشق ، ونحن لم نمتلك مطلقا ما يكفي من الرجال للقيام بمثل هذا الحصار ، أوالقيام بهجوم ، ذلك أن عدد المسلمين كان كبيرا جدا في هذه المناطق ».

١٨٦ ـ وبعدما أرسلت الرسالة الى الامبراطور ، قام المحاصرون للشقيف بحفر مكان لغمين لنسف القلعة ، وعندما لاحظ الذين كانوا داخل القلعة خطورة الوضع لاشتداد الحصار ولوضع الالغام خافوا ورأوا أنهم لن يستطيعوا الحصول على أية نجدة من أية جهة كانت ، لذلك اجتمعوا فيما بينهم وتداولوا حول الوضع فوجدوا أنفسهم مضطرين لتسليم القلعة ، فبعثوا برسالة الى الالمان عرضوا فيها عليهم تسليم القلعة مقابل حياتهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن يطلقوا سراح غالبية الأسرى المسيحيين الذين في سجونهم ، وعندما سمع الالمان بعرض الاستسلام هذا تكبروا وتجبروا وركبوا رؤوسهم وتشددوا كثيرا ، وقال للرسل :

إنهم على غير استعداد لقبول استسلامهم على هـذه الصـورة ، إذ عليهم التنازل عن كل شيء والخضـوع لهـم ، وبعـدها أطلع الألمان رسل المسلمين على موضع اللغمين ، ثم قالوا لهم بعدما بينوا لهـم ما سيفعلوه : « كيف نمنحكم هذا الأمـان المطلوب وأنتـم الآن ملك أيدينا »؟ وبعد هذا أعطوهـم مهلة للتفكير وسمحوا لهم بـالعودة الى القلعة .

١٨٧ ـ يثق الألمان كثيرا بقوتهم وبفضائلهم الخاطئة ، فهـم لم يشفقوا على الأسرى المسيحيين الذين سيعادون اليهم ، ولم يعرفوا ما يليق بهم من خير وشرف ، لأنهم لو تسلموا

القلعة وفق الشروط التي عرضها المسلمون ، لأعاد لهم المسلمون وقتها قلعة الشقيف القائمة في أرض صيدا مع بقية الحصون ، وهاجم الألمان القلعة برجالهم ومجانيقهم ، غير أن المسلمين دافعوا آنذاك بكل قوة وعزيمة ، وانهارت الاسوار الملغومة ، وأراد الألمان الدخول الى القلعة والاستيلاء عليها عنوة ، ولكنهم صدوا من قبل المسلمين ومنعوا من الدخول ، وعندما رأى المسلون شدة الهجوم خافوا من ان يستولي الألمان على القلعة ويقهروهم بالقوة ، فجددوا عرض الاستسلام وتسليميهم الرهائن ، وقال لهم الألمان : إن عليهم تسليم القلعة بما فيها من أموال ومقتنيات ، وسيتركونهم يخرجون بأشخاصهم فقط ، وتسلم المستشار الرهائن ، وأخبر المسلمين أنه لن يستطيع تسلم القلعة قبل الغد لأنها كانت ليلة الميلاد ، وكان عليه أن يحتفل بالعيد ، وبعدما أطلق المسلمون سراح الرهائن ز ندموا على ذلك ، لأنهم كانا يخشون من وحشية الألمان وقسوتهم ، هذا من جهة ومن جهة أخرى كانوا قد ترامت الى اسماعهم بأن النجدات هي في طريقها اليهم من مصر ، فغيروا رغباتهم ومواقفهم وتوقفوا عن أطلاق سراح بقية الرهائن .

١٨٨ ـ وفيما الألمان ينتظرون استسلام قلعة الشقيف ، بلغهم ان الامبراطور هنري سيدهم قد توفي ، وأن النجدات من مصر في طريقها الى المقيمين داخل القلعة ، وعندما شاهدوا النجدات اجتمعوا واخذوا يتداولون فيما بينهم واضطربوا واستولى عليهم الرعب ، وفقدوا شجاعتهم وارادتهم وحزنوا وما عادوا يدرون ما سيفعلون بسبب وفاة سيدهم .

١٨٩ ـ وفي هذا الوقت بالذات حدث أن سلطان مصر ، وهو ابن صلاح الدين ، ذهب ذات يوم الى الصيد فسقط عن ظهر حصانه فاندقت رقبته ، وعندما سمع عمه الذي كان بدون مملكة ، بذلك استولى على البلاد وحصنها ، وأطلق سراح جميع الفرسان والسيرجانتية وأعطاهم أموالا طائلة ، وعندما علم سلطان دمشق

- ٤٠٣٥ -

بأمر الاستيلاء على يافا وأن أخاه قد مات ، وأن عمه قد سيطر على البلاد خاف كثيرا وانسحب الى دمشق ، وجمع رجاله لأنه كان يعلم ان عمه سيحرمه من كل ارث اذا استطاع وهذا ما فعله .

-٤٠٣٦-

كيف تزوج الملك ايمري من ايزابيل أرملة الكونت هنري :

وبعدما مات الكونت هنري عقد سادة البلاد اجتماعا لانتخاب سيد للبلاد وتزويجه من أرملته ، وكان في البلاد رجلا عالي المقام ، عظيم المكانة اسمه هيو صاحب طبرية ، وكانت ابنته كونتسية قبرص وأخت السيدة زوجة له ، وكان له أخ اسمه راؤول ، وقد نصح بالزواج منها ، ووافق الجميع على ذلك ، ولكن فرسان الداوية مع فرسان الاسبتارية عارضوا ذلك ، وأعلنوا أنهم لن يوافقوا على ذلك مطلقا ، لأن المساعدات التي وصلت إلى الكونت من بلاد شامبين لن تمكنه من حكم البلاد ، ولأنه كان بشكل عام فقيرا ودوما بحاجة إلى المال ، وقالوا : كيف تعطي البلاد إلى رجل لايملك شيئا ، وكيف لهذه لمساعدات التي حصل عليها أن تمكنه من حكم البلاد ؟ إننا سنجتمع ، وسنعطي ـ بمشيئة الرب ـ حكم البلاد إلى الرجل المناسب ثم اجتمعوا واتفقوا على أنه إذا رغب ملك قبرص بأخذ البلاد وتملكها فسيمنحونه إياها فقد قدروا أن هذا سيكون أفضل الحلول ، وآنذاك يمكن صيانة البلاد وانقاذها .

واتفقوا على هذا ، بناء على نصيحة مستشار المانيا جرى استدعاء ايمرى ملك قبرص واعطوه السيدة فتزوجها ، وأخذ التاج ، وصارت هي للمرة الاولى ملكة .

وبعدما مات الكونت هنري عقد سادة البلاد اجتماعا لانتخاب سيد للبلاد وتزويجه من ارملته ، وكان في البلاد رجلا عالي المقام ، عظيم المكانة اسمه هيو صاحب طبرية ، وكانت ابنته كونتيسة قبرص(١) واخت السيدة زوجة له ، وكان له اخ اسمه راؤول ، وقد نصح بالزواج منها ، ووافق الجميع على ذلك ، لكن فرسان الداوية مع فرسان الاسبتارية عارضوا ذلك ، وأعلنوا أنهم لن يوافقوا على ذلك مطلقا ، لأن المساعدات التي وصلت الى الكونت من بلاد شامبين لن تمكنه من حكم البلاد ، ولأنه كان بشكل عام فقيرا ودوما بحاجة الى المال ، وقالوا :كيف نعطي البلاد الى رجل لا يملك شيئا ، وكيف لهذه المساعدات التي حصل عليها ان تمكنه من حكم البلاد ؟ إننا سنجتمع وسنعطي ـ بمشيئة الرب ـ حكم البلاد الى الرجل المناسب » ثم اجتمعوا واتفقوا على أنه اذا رغب ملك قبرص بأخذ البلاد وتملكها فسيمنحونه اياها ، فقد قدروا أن هذا سيكون أفضل الحلول ، وآنذاك يمكن صيانة البلاد وانقاذها

واتفقوا على هذا ، وبناء على نصيحة مستشار المانيا جرى استدعاء ايمري ملك قبرص وأعطوه السيدة فتزوجها ، وأخذ التاج ، وصارت هي للمرة الأولى ملكة ٠

١ ـ هي ابنة كونت طرابلس ، هذا وكان ابن زوجة ريموند الثالث ، فهي قد انجبت في زواجها الاول هيو ، ووليم ، وراؤول ، واوتو ، وكان هيو متزوجا من مرغريت دي ابلين ابنة باليان دي ابلن من ماريا كومينوس التي هي ام ايزابيل

الهوامش والحواشي

حواشي الدراسة ـ المدخل

(١) انظر على سبيل المثال كتاب ج براور ، تاريخ المملكة اللاتينية بالقدس (باريس ١٩٦٩) ص ٥٥١ الحاشية ، حيث وصف ارنولد كشخصية معروفة في بيت ابلين وكفارس يعمل في خدمة باليف الثاني .

(٢) تاريخ وليم الصوري . م سالوخ (لايبزغ ١٩٥٤)

(٣)، تحقيق ل . دي . ماس لاترى باريس ١٨٧١

(٤) مخطوطات ن ف فر ٧٧٠ و ١٢٢٠

(٥)هناك في الوقت الحاضر من المخطوطات المتبقية ، ٥١ ، مخطوطا تحوي ترجمة لوليم مع نيول ذات اتساع اكبر او اصغر ،، من الترجمة وحدها و١٣ من التواريخ الموجزة الثلاث (ومحسوبة معا) تشكل ٧٠ في المجموع .

(٦) مكتبة مدرسة الحقوق ـ السلسلة الخامسة ـ اعادة طباعة ، تاريخ ارنول وبرنارد الخازن ،

(٧) من ارشيف الشرق اللاتيني (١٨٨٠ ـ ١٨٨١)

(٨) انظر اذناه ص ٣٤ ـ ٣٥ وفي الملحق الاول

(٩) من أجل مناقشة أوفى لهذا النص أنظر ادناه ص ٩ ـ ١١ ، وفقط مخطوط ب . ن . ف . فر ٧٧٠ يحتوي على نظام الفروسية .

(١٠) طبعت خطأ كـ ٦٧٧ في م . ل . ص ٣٤ .

(١١) طبعت خطأ كـ ٩٠٠٦ في م ل ص ٤١

حواشي الفصل الأول

(١) راشيل ج ق ١ ق ٢
(٢) ر . ب . س هوغنس . قطعة من تاريخ وليم الصوري . لاتوموس ٢١ (١٩٦٢) ٨١١ ـ ٨٢٩
٣ ـ راشيل ج ١ ص ٩
(٤) انظر ما تقدم ص ٤ ـ ٦
(٥) مخطوط ز ـ الورقة ٤ ظ
(٦)مخطوط ز ورقة ٣٢ ظ العمود ٢
(٧) مخطوط ز ورقة ٣٩ ظ
(٨) مخطوط ز ورقة ٩١ ظ
(٩) انظر م . ل . ص ٣٦٥ الحاشيتان ٣ و ٤
(١٠) مخطوط آ ورقة ١٢٨ وعمود ١
(١١) طبعة ماس لاترى « تاريخ ارنول وبرنارد الخازن » باريس ١٨٧١
(١٢) مخطوط ب . ن . ف . فر ٧٧٠ ورقة ٣١٣ و
(١٣) ورقة ٣١٥ ظ
(١٤) انظر ف ورقة ٣٢٦ و ـ ٣٢٧ ظ وقارن م . ل . ص ٤٣ ـ ٤٥
(١٥) تحقيق وترجمة وليم موريس « نظام الفروسية » (هامر سميث ١١١٩)
(١٦)انا ممتنة للدكتور جاروسلاف فولدا في جامعة نورث كارولينا شابل هل لهذه المعلومات التي نقلت شفاهًا
(١٧) انظر ايضا علي سبيل المثال قصة صلاح الدين معمدا نفسه وهو على فراش موته في نقول من منسترال دي ريمز .' تحقيق نولس دي وللي «
باريس ١٨٧٦ (٢١٢ ـ ١١١ ـ ١١٢)
(١٨) ورقة ٣٥٤ و
(١٩) صمويل دي لوز « السيد ستري دي لاغويت ـ تاريخ فتح مملكة القدس المسيحية من قبل صلاح الدين » (باريس ١٦٧٩)
(٢٠) انظر ايضا أثناه ١٦ ـ ١٧
(٢١) انظر أعلاه
(٢٢) م . ل . ب : ١١٦ راشيل : ٢ / ٦
(٢٣) هرقل : ٢٣ / ١ ـ ٣ (راشيل : ٢ / ١ ـ٦)
(٢٤) راشيل : ٢ / ٥٨ حاشية ٤٤ وعدد لخر .
(٢٥) راشيل :٢ / ٨٢ حاشية ٤ انظر م . ل : ١٩٠ ـ ٢١٠
(٢٦) انظر ما تقدم
(٢٧) م . ل ب : ٢٣ « مزايا وخصائص وتوجهات مخطوط ليون »
(٢٨) يوجد مخطوط بلوتيوس ، ٦ ـ ١٠ في مكتبة لورانتيان في فلورنسا تكمله أخرى تصل بالرواية الى انتخاب فيكولاس الثالث في ١٢٧٧
(٢٩) راشيل : ٢ / ٤٨٩
(٣٠) انظر ماتقدم

حواشي الفصل الثاني

(١) مارينوس تورسلل ، تحرير الاراضي المقدسة من الصليبيين ،في بونغار ،يوميات صاحب اعمال الفرنجة ، ج ٢ (هانوفر ١٦١١)
(٢) انظر مثلا قائمة اسماء الصليبيين في الصفحات ١٣١ ـ ١٣٢
(٣) مثلا سانيوتس ١٣١١ (ص ٢٠٨ فقرة 28...)

وهي ترجمة لتاريخ هرقل ٢٢ / ١٣ ـ ١٤ راشيل ٢ / ٣٣٤)

وايضا سانيوتس : ١١ / ١٢ (ص ٢١٣ فقرة ١٠)

ترجمة لتاريخ هرقل ٣٣ / ١٦ راشيل : ٢ / ٣٧١) ....
(٤) الكتابات الايطالية الوسطية تحقيق ل . م موراتوري (ميلانو ١٧٢٣ ـ ١٧٥١) مجلد ٧
(٥) المصدر نفسه ج ٧ عمود ٨٤٢
(٦)المصدر نفسه عمود ٧٤٦
(٧) م . ل . ص ١ ـ ١٤
(٨) المخطوطات الملكية ١٥ ـ إ ـ ١
(٩) وليم كاكستون ، تاريخ غودفري البويلوني وفتح بيت المقدس صححه هـ . هاليداي سبارلنغ أعيد طبعه من قبل وليم موريس مطبعة كلمسكوت هامر سميث نيسان ١٨٩٥
(١٠) وليم كاكستون غودفري البويلوني طبعة ماري كولفن (جمعية النصوص الانكليزية القديمة لندن ١٨٩٣
(١١) انظر اعلاه ص ١١ ص ١٣
(١٢) ، دورية العلوم ، ج٧ (امستردام ١٦٧٩ ـ ١٦٨٠) ص ٨٠ . وايضا كتاب لبلوك مصادر تاريخ فرنسا تحقيق فيفرت دي فونتري (باريس ١٧٦٩) ص ١٤١ ١٦٠ التي تنقل المقال .
(١٣) انظر اعلاه ص ١١
(١٤) مخطوط غ ج
(١٥) مارتيني وديوراند ، المصنف المجموع ، (باريس ١٧٢٩) ج ٥ الاعمدة ٥٨١ ـ ٧٥٨
(١٦) بارنيوس وراينالدي جوليات تحقيق بانسي (ليوك ١٧٤٧ ج ١ ص ٢٦٧
(١٧) دوكانج مسرد شارح للكلمات الوسيطة واللاتينية (باريس ١٦٧٨) ج ١ عمود ١٩١ .
(١٨) المصدر نفسه كاربنتيير (باريس ١٧٦٦) مجلد ٤ عمود ٨٢
(١٩) ليلونغ في المصدر نفسه تحقيق فونتيت مجلد ٢ ص ١٣٩ رقم ١٦٦٨ استروفيوس ، مصادر تاريخية ، تحقيق ج . غ موسيل (ليبنرغ ١٧٨٦) مجلد ٢ جزء ٢ ص ٢٩٤
(٢٠) ميشو ، مصادر الحروب الصليبية (باريس ١٨٢٢) ج ١ ص ٤٠٥ ...

(٢١) هذه المبينة في الجدول في ص ٧ ـ ٨ بواسطة المخطوطات ا ـ ب ـ أ ـ س ح ـ غ ح
(٢٢) من اجلها انظر اعلاه ص ١٣
(٢٣) ص ٧
(٢٤) ص ٦

(٢٥) ص ص ٣ ــ ٤
(٢٦) مكتبة كلية الحقوق ــ السلسلة الخامسة ج ١ ص ٣٨ ... و ١٤٠ ... واعيد طبعه بعنوان « تاريخ ارنول ووليم الخازن (باريس ١٨٧١)
(٢٧) راشيل ج٢ ص ٤
(٢٨) م . ل ص ٤٩٨ انظر اثناه الفصل الخامس
(٢٩) م . ل ص ٤٩٩
(٣٠) انظر على سبيل المثال قوله ، في ص ٥٠٩ « برنارد الخازن هو ليس الكاتب الشخصي لاحد التواريخ حسب مخطوطات برن وارسنال » ثم قارنه بقوله ص ٥٢٠ : « برنارد هو صاحب الملخص حتى سنة ١٢٢٧ وليس حتى سنة ١٢٣١ » .
(٣١) م . ل ــ ص ٥١٥ « توطئة للتاريخ »
(٣٢) ص ٥١٥
(٣٣) ص ٥٢٠ ــ ٥٢١
(٣٤) ص ٥٢٦ ــ ٥٢٧
(٣٥) القديس أومر ٧٢٢ مخطوط ز .
(٣٦) غريفسوالد ١٨٦١
(٣٧) المصدر نفسه ص ٧
(٣٨) ص ١٩ ــ ٢٠
(٣٩) ص ٤٥
(٤٠) ص ٦٦ ــ ٧٠
(٤١) ص ٧٣
(٤٢) ص ٧٥
(٤٣) باريس ١٨٧١
(٤٤) ارسنال ٤٧٩٧ (مخطوط ا وبرن ٣٤٠)
(٤٥) م ــ ل . ص ٢٢ ج

(٤٦) المصدر نفسه ص ٢٥
(٤٧) أنظر اثناه ص ٣٥
(٤٨) م . ل ص ٢٠ ج
(٤٩ ــ ب . باريس (محقق) « وليم الصوري ونيوله » (باريس ١٨٧٩ ــ ٨٠)
(٥٠) والمقدمة على اي حال ' ترتكب فيها بعض الاخطاء القيمة حول برنارد الخازن وهذا تقلب مدهش طالما ان باريس قد شجب هذا بوضوح في فهرسه للمكتبة الملكية قبل ذلك باربعين سنة انظر ب باريس المخطوطات الفرنسية في المكتبة الملكية (باريس ١٨٣٦) ج١ ص ٨١ المخطوطات المنسوبة لبرنارد الخازن .
(٥١) المصنف المجموع لراينت انظر اعلاه ص ٣
(٥٢) يمكن الآن اجراء بعض التنقيحات رقم ٣٨ موجود الآن في المتحف البريطاني رقم ١٢ من مجموعة بانتس تومبسون أرقام ٤٢ ، ٥٥ موجودة في بهو فنون والتوربلتيمور ماري لاند مصنف ١٣٧ و ١٤٢ على التوالي ويملك هذا البهو ايضا مخطوطين لم يدرجهما راينت يحملان ارقام مجموعتهما
(٥٣) م . بالوخ مصنف وليم الصوري اللاتيني « لا يبزغ ١٣٤)
(٥٤) سجلات كولومبيا (نيويورك ١٩٤٣) العدد ٣٥
(٥٥) انظر كامل القائمة في ثبت المراجع
(٥٦) بالاضافة فان المستر و . غ . غولدن من جامعة نورث ستافورد ــ شير يعمل في الترجمة

الفرنسية القديمة للتاريخ والدكتور ج فولدا من جامعة نورث كاروليدا شابل هيل قدم حديثا في جامعة جونز هو يكنز بحثا في المنمنمات في مخطوطات كل من التاريخ والنصوص الفرنسية المرتبطة بها . (وقد تلطف كل منهما بالسماح لي باستعمال المعلومات المجموعة من قبلهم في مسار بحوثهم الخاصة وانا ممتنة جدا لمساعدتهم

(٥٧) م ل - ص ٢٤

(٥٨) رانيت رقم ١٦

(٥٩) م . ل - ص ٢٥

حواشي الفصل الثالث

(١) انظر مخطوط م . ل ص ١٤٩
(٢) راشيل ــ ج ٢ صفط
(٣) مخطوط ص ٢٢٢
(٤) المصدر نفسه ص ١٣٨ ــ ١٣٩
(٥) ص ١٢١ من ط . لندن ١٨٦٤

(٦) المصدر نفسه ص ٣٣٧
(٧) م . ل . ص ١٦٣ ــ ١٦٤ الهــرقليات ٢٣٠ / ٣٦ راشــيل ج ٢ ص ٥٣ ــ ٥٤ . النص الاساسي
ص ٥٤ ــ ٥٥ متباين
(٨) ماس لاتري ، تاريخ جزيرة قبرص ، ١٨٥٢ ــ ١٨٦١) وانظر ايضا ج١ ص ١٣٦ من اجل ملاحظات حول اسرة فيليب
(٩) انظر ادناه ص ١١٢ .
(١٠) كتاب فيليب دي نوفارو في راشيل ــ لوس ج١ ص ٥٢٥
(١١) راشيل ج ٢ ص ٣٩٩
(١٢) برن ٣٤٠ ــ ١٢٧ ــ و . ارسنال ٤٧٩٧ ، ١٢٨٩ ــ و أيضا .
(١٣) انظر ل . ليفللين ، انظمة ادلهارد ، العصور الوسطى السلسلة الثانية ج ٤ (١٩٠٠) ص ٣٣٣ .
ومن اجل الاشارة الى ورق الرق انظر ص ٣٥٢ وكال لدى مكتبة البودليان نسخة مكتوبة على الالة الكاتبة من النظام الاساسي مع كثير من الخرائط المفيدة ومخططات الدير معنونة النظم الاساسية القديمة لدير القديس بطرس في غوربي وبرقم ١١٠٧ ــ ب ٤ في الفهرس
(١٤) ج مابللون ، كتاب الدبلوماسية الملكية (باريس ١٧٠٩)
(١٥) ل . دلسلي ، ابحاث في المكتبات القديمة في غوربي ــ مكتبة مدرسة الوثائق السلسلة الخامسة (١٨٦٠) و ٤٢٠ . انظر ايضا مقال مع ترجمات وافية حول هذا : ل . و . جون ، المخطوطات في غوربي ، سبكليلوم ١٢ (١٩٤٧) ١٩١ ــ ٢٠٤ و ٣٧٥ ــ ٣٩٤
(١٦) م . ل ص ٥١٠
(١٧) ب . باريس ووليم الصوري ونيوله ، ص ٠٨ والمراسيم غير محققة
(١٨) انظمة الرهبنة البندكتية ــ تحقيق بتلر (فريبرغ ــ ام ــ برسفو ١٩١٢) انظر بشكل خاص ح ٣٣ ، ٥٨ ، ٥٩ (ص ٦٤ ــ ٦٥ ، ١٠٣ ــ ١٠٥)
(١٩) م ل ــ ص ٥١٠
(٢٠) أو . بيرلير ، أسر الرهبان البندكتيين في العصور الوسطى ، الاكاديمية الملكية البلجيكية ــ شعبة الاداب والمذكرات ، سلسلة ٢٩ (١٩٣٠ ــ ١٩٣٢) انظر بشكل خاص ١٢ ومايليها ، ومن اجل الوضع في غوربي في أيام ادلها رد ــ المصدر نفسه ص ٢٥
(٢١) ابوشير ، جمعية فيليب اغسطس الفرنسية ، (باريس ١٩٠٩) حيث يقدم مثالا عن دخول احدى الاسر المؤلفة من أب ، وابنة ، وجده الى الدير في ظل هذه الشروط
(٢٢) م . د ل انكلوذورمان في الاديرة (ادنبره ١٩٥٠) ص ٦ ــ ٧

حواشي الفصل الرابع

(١) من اجل استعمال اصطلاح « المختصر » في مواضع هذه الدراسة انظر اعلاه ص ٧ وجدول المخطوطات ومن اجل وصف الروايتين اعلاه ص ١١ ـ ١٣

(٢) انظر اعلاه ص ٤٦

(٣) ص ٢٣ ـ ٢٤

(٤) مثل (ر ي . س) مجلد ٧ ، عمود ٧٩٢ و ٨٠١ و٨٤٢

(٥) مخطوط م . ل ـ ص ١٠، ٥٢٦

(٦) انظر اعلاه ص ٤٦

(٧) ريس ـ ج ٧ ، عمود ٧٦١

م ل ص ١٢ ـ ٢٣ . راشيل ح ظ ق ٢ ص ٧٩٤ ـ ٨١٣

(٨) اعني حتى عام ١١٨٣ . م . ل ـ ص ١١٦

(٩) ريس ـ ج ص ٨٤٦

(١٠) انظر اعلاه ص ١١ ـ ١٢

(١١)م ل ـ ص ٥٢٥

(١٢) انظر اعلاه ص ٤٧ ـ رقم ١٥

(١٣) ل و جون ـ المخطوطات في غوربي ـ سد كيلوم ٢٢ (١٩٤٧) ١٩٧ .

(١٤) م ل ص ٥١١

(١٥) المصدر نفسه ص ١٥

(١٦ المصدر نفسه ـ ص ٣٧ في وصفه لمخطوط س

حواشي الفصل الخامس

(١) انظر اعلاه ص ١٢ و ٤١
(٢) راشيل – ج٢ ص ٥
(٣) م . ل ص ٤٩٦ – ٤٩٨
(٤) مارتيني وديوارد – ج ٥ ، عمود ٥٤٣ ومايليه
(٥) سلسلة رولف ١٨٦٤ انظر اعلاه ص ٤٣ ورقم ٥
(٦) م . ل المقطع نفسه
(٧) امبرواز – تاريخ الاراضي المقدسة ، تحقيق غاستون باريس في وثائق تتعلق بتاريخ فرنسا ، (باريس ١٨٩٧) ومن أجل مشكلة الرحلة انظر المقدمة ص ٥٩ – ٧٦ .
(٨) ج١ غ ادوارد ، رحلة الملك رتشارد وتاريخ الاراضي المقدسة ، في بحث تاريخي نشر على شرف جيمس تيت (مادشستر ١٩٣٣) ص ٥٩ – ٧٧ .
(٩) ج . ل . لامونت مع م . هيوبرت ، صليبية رتشارد قلب الاسد ، (سجلات الحضارة . نيويورك ١٩٤١)
(١٠) هـ . إ . ماير ، رحلة الحج ، الجمعية الالمانية للاثار التاريخية رقم ١٨ – ستوتغاريت ١٩٦٢ وبما ان طبعة ماير تحتوي على قطعة فقط ان جميع احالاتي على الرحلة هي على طبعة سلسلة رولس .
(١١) انظر على سبيل المثال وصف المجلس الاستشاري قبل حطين م ل ص ١٥٨ – ١٦٢ .
(١٢) الرحلة ص ١٣ (خديعة كونت طرابلس ١ و ١٢١ ، وموت جيرارد ص ٧٠
(١٣) الرحلة ص ٥ – ١٣٧
(١٤) التاريخ – ١٠ – ٢٣٨٧ – ٤٥٦٨
(١٥) التاريخ ١٠ – ٢٤٠١ – ٢٤٠٦ وايضا – ١٠ – ٢٧٤٣ – ٢٧٤٤ ، ٣٥٢٦ ، ٣٥٦٣ ، الخ
(١٦) المصدر نفسه ١٠ – ٢٥٣١
(١٧) الرحلة ص ١٤ – ١٦
(١٨) التاريخ ج٥ ص ٢٥٩٠
(١٩) الرحلة ص ٢٠ – ٢٣
(٢٠) م . ل ص ٢٥٢ – ٢٥٣ انظر ايضا الرحلة ص ٢٥ – ٢٦
(٢١) م . ل ص ٢٥٢ – ٢٥٣ انظر ايضا الرحلة ص ٢٥ – ٢٦
(٢٢) التاريخ ١٠ – ٢٦٥٧ – ٢٦٩٠
(٢٣) الرحلة ص ٢٣ – ٢٥ م . ل – ص ١٧٩ وما يليها
(٢٤) الرحلة ص ٢٦ م ل – ص ١٥٦ – ١٥٧ – ٢١٩ .
(٢٥) الرحلة ص ١٢١ . وانظر ماتقدم ص ند
(٦ب) الرحلة ص ١٢١ وانظر ماتقدم ص ٤٣
(٢٧) م ل – ص ٢٦٧
(٢٨) راشيل ج٢ ص ١٥١ – ١٥٤ ، النص الاساسي ، س ج و غ ج موافقات متعددة مع المختصر .
(٢٩) الرحلة ص ٦١ – ١٣٨ التاريخ ٢٧٢٩ – ٤٥٢٦
(٣٠) انظر تحليل متنوعات د ادناه ص ٨٩ وما يليها ، والفصل السابع
(٣١) الرحلة ص ١٧٥ – ١٧٦ وانظر ايضا ص ١٨٦ – ١٨٨ و ١٩٥ – ١٩٦ راشيل ج٢ ص ١٥٧ وما يليها ، وانظر ايضا م . ل ص ٢٧٠ وما يليها

(٣٢) راشيل ج٢ ص ١٦٠ الحاشية ب . وتشير الرحلة هنا الى « فنسوف » الذي اعتقد خطأ انه المؤلف

(٣٣) هرقل ج ٢٥ ص ٢٧ . راشيل ح٢ ص ١٦٩ الرحلة ج٢ ـ ٤٢ ص ٢٠٤ وما يليها .

(٣٤) الرحلة ص ٢١٤ ـ ٢١٥ و ٢٣١ ـ ٢٣٤

(٣٥) م . ل ـ ص ٢٧٤ ومايليها ، انظر ايضا راشيل ج٢ ص ١٧١ ومايليها ، قراءات مختلفة .

(٣٧) الرحلة ص ٣٣٩

(٣٨) راشيل ج٢ ص ١٩٧ النص نفسه . انظر الرحلة ص ٤١٩

(٣٩) م . ل ص ٢٨١ ـ ٢٨٢

(٤٠) راشيل ج٢ ص ١٩٥ ـ ١٩٦ و « د » يختلف

(٤١) المصدر نفسه ص ١٩٥

(٤٢) المصدر نفسه

(٤٣) انظر ماسياتي في الفصل المقبل

(٤٤) هذا صحيح الى حد معين حول كل روايات الهرقليات والموجز لدى ماير واقـواله ان ارنولد (التي يعني بها الموجز) تصور صلاح الدين في ضوء عاتم ، وهذا شائع في التواريخ التي تبدو غير ماهرة في التفسير ، وهو بالتاكيد مما يتعذر الدفاع عنه ، انظر ماير المقدمة ص ٨٤

حواشي الفصل السادس

(١) انظر الجدل العام في مدخله خاصة ص ٢٣ المصادر الفترة الاولى من الذيول
(٢) انظر اعلاه ص ٤١
(٣) رومانسية تريستان لتوماس تحقيق ج بديير (باريس ١٩٠٥) ومن اجل الطريقة التي تبناها انظر ج ٢ ص ١٨٨ ومايليها .
(٤) م . ل ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩
(٥) م . ل ص ٢٩٣
(٦) من اجل وصف كتابه انظر ما تقدم ص ١٦
(٧) انظر اعلاه ص ١٣ ـ ١٥
(٨) اعني النصوص : أ ، ب و س ج ، و د ، و غ ج
(٩) لعله مزج بين كلمة mere وكلمة frere
(١٠) انظر اعلاه الفصل ٥ ، لاسيما ص ٦٥
(١١) راشيل ج٢ ص ٩٩ رقم ٤ غ متنوع ص ١٩٧ ـ ١٩٩ س متنوع . انظر ايضا م . ل ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤
(١٣) راشيل ج٢ ص ١٩٩.
(١٤) راشيل ج٢ ص ٢١٩ ـ ٢٢١ النص الرئيسي ، وس وغ متنوع وص ٢٢٠ ، ومتنوع . م . ل ـ ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧
(١٥) ومثال مشابه بشكل غريب ورد في ١٣٦٦ حول موت ولي عرش اسبانيا : وانا ممتنة

> . . . Sus hijos fuessen traidos a la seguridad de nuestra Ciudad y Alcaçar donde murio el Infante Don Pedro. Dizen algunos que de una ventana mui alta se cayó de los braços al ama que le tenia; la qual arrebatada del dolor se arrojó tras el. Cierto es que nuestra Ciudad celebró sus funerales con aparato y sentimiento conveniente . . .' Diego de Colmenares, *Historia de la Insigne Cuidad de Segovia, y conpendio de las Historias de Castilla* (Segovia, 1637), p. 283.

للدكتور ج . ب كروفت من الكلية الملكية في هولوي ـ لندن بلفتة انتباهي الى هذا النص .
(١٦) رومانس تريستان لتوماس ج . بديير (باريس ١٩٠٥) ج٢ ص ١٩٢
(١٧) راشيل ج٢ ص ٦٢ ومايليها
(١٨) المصدر نفسه ص ١٢١ ـ ١٢٣
(١٩) المصدر نفسه ص ٧٥ نص رئيسي ص ٧٦ متنوع عن د
(٢٠) المصدر نفسه ص ٦٧ ، النص الاساسي ، ص ٦٩ « د » مختلف متنوع ويمكن لهذا السياق في « د » ان يلقي ضوءا مفيدا على نص لغر ، وهو النيل اللاتيني للتاريخ الذي وجد في المتحف البريطاني . المخطوطات الملكية ١٤ س ١٠ ، وفيه وصف غريب لبعض الوقائع وفيه جرى قتل ارناط مرتين ، انظر م . سالوخ النيل اللاتيني لتاريخ وليم الصوري » (ليبزغ ١٩٣٤) ص ١٢ من المقدمة وص ٧٩ ـ ٨٠ من النص ، ويبدو هنا مزج بين الفعلين الموصوفين في « د » والوحيد من كل التواريخ الاخرى ، ولدى النيل اللاتيني ذكرة عن الهجومين ، ولكنهما في روايته يصبحان حدثين منفصلين تماما . وهكذا ينتج بشكل غير معقول موتان ، ومن الممكن أيضا أنه قد مزج بين شخصية رينودي شاتللون (ارناط) وريتو صاحب صيدا ، ومهما يكن من امر هناك شيء ما خطأ في النص لاننا نعرض أن رينو صاحب صيدا لم يقتل من قبل صلاح الدين لا اثناء حصار الشوبك او في مكان لغر وعلى العكس نجده مازال حيا في سنة ١١٩٢ ، حيث تسلم من صلاح الدين نصف أراضي صيدا مع بلدة الصرفند ، وذلك تعويضا عن المعاملة التي تلقاها اثناء حصار الشوبك . انظر

راشيل ج٢ ص ١١٠ ـ ١١١ « د » متنوع و ص ١٩٩ النص الاساسي

(٢١) راشيل ج ٢ ـ ٤ متنوع ص ٨٤ ـ ٨٥

(٢٢) المصدر نفسه ص ٨٧ ـ ٨٨

(٢٣) المصدر نفسه ص ١٠٠ ـ ١٠١

(٢٤) المصدر نفسه ص ١٠٣ ـ ١٠٤

(٢٥) المصدر نفسه ص ١٠٨ ـ ١٠٩

(٢٦) المصدر نفسه ص ١٠٤ ـ ١٠٥

(٢٧) المصدر نفسه ص ١١٠ ـ ١١١

(٢٨) المصدر نفسه ص ١٠٨ ـ ١٠٩

: 'Cil des chastiaus [sc. Crac and Beauvoir] se furent tenus deus
apres la terre perdue.'

(٢٩) راشيل النص الاساسي ص ١٨٧ ـ ١٨٨

(٣٠) المصدر نفسه ص ١٣٧ ـ ١٣٨

(٣١) المصدر نفسه ص ١١٧

(٣٢) المصدر نفسه ص ١٣٨

(٣٣) المختصر و س و غ ج لاتحوي ٢٤ ، ١٦ / ٢٥ ـ ٥ في الجميع

(٣٤) راشيل ج٢ ص ١٢٤ ، د متنوع

(٣٥) راشيل ج٢ ـ النص الاساسي ص ١٢٨

(٣٦) في الفصل السابع اعلاه

(٣٧) هناك فقرتان مرتا في ٣٠ / ١٠ من اجلها هذا ايضا صحيحا أعني ٢٧ / ٦ ـ ١١ و ١٤ ـ ١٦

(٣٨) م . ل ـ ص ٤٩٩

حواشي الفصل السابع

(١) راشيل ج٢ ص ١٠١ النص الرئيسي حاشية ٣٠ «د» متنوع
(٢) المصدر نفسه ص ١١٨ . النص نفسه و«د» متنوع ، بأحرفي المائلة .
(٣) من أجل اصطلاح « بوليان» انظر الملحق الثاني .
(٤) راشيل ج٢ ص ٢١٠ .
(٥) راشيل ج٢ ، «د» متنوع ص ٢٢٢ .
(٦) المصدر نفسه ص ٢١٧ .
(٧) المصدر نفسه ـ ص ٢٢٢ (٨) المصدر نفسه ـص ٢٢١
(٩) راشيل ـ ج٢ ـ د متنوع ص ٦٣ .
(١٠) المصدر نفسه ص ٢١٩
(١١) المصدر نفسه ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥
(١٢) المصدر نفسه ص ٦٤ ـ ٦٥
(١٣) راشيل ج٢ النص الأصلي ص ٧٥
(١٤) المصدر نفسه ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥
(١٥) راشيل ج ٢ ـ د ـ متنوع ص ٧٦
(١٦) المصدر نفسه ص ٢٠٩ .
(١٧) المصدر نفسه ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣
(١٨) المصدر نفسه ص ٢٠١ ـ ٢٠٢
(١٩) المصدر نفسه ص ١٩٣
(٢٠) انظر اعلاه ص ١٥
(٢١) انظر اعلاه ص ١٥
(٢٢) راشيل ج٢ ـ النص الاساس ص ٢٢٢ ، وانظر ايضا «د» متنوع ص ٢١٢ .
(٢٣) راشيل ج ٢ ـ د متنوع ص ٢١١
(٢٤) المصدر نفسه ص ١٩٦ ـ ١٩٧ انظر ايضا ملاحظات صلاح الدين حول اخيه ـ المصدر نفسه ص ٨٥ .
(٢٥) المصدر نفسه ص ٨٤ ـ ٨٥ ، انظر اعلاه ص ٩١
(٢٦) المصدر نفسه ص ١٨٨
(٢٧) المصدر نفسه ص ١٩٨ .
(٢٨) انظر اعلاه ص ٩٣
(٢٩) راشيل ج ٢ ـ ، متنوع ص ١٢٢ .
(٢٩) المصدر نفسه ص ١٢٣
(٣١) نشيد رولاند ـ تحقيق وايتهد (اكسفورد ١٩٥٧) ج ٢ ـ والعواطف نفسها خلال ذلك .
(٣٢) راشيل ج ٢ ـ متنوع ص ١٨٩ .
(٣٣) انظر اعلاه ب٨٠
(٣٤) انظر ادناه ، الفصل ٩ خاصة ص ١٦٣ ـ ١٦٨ .
(٣٥) راشيل ج ٢ ، د متنوع ص ١٢٣ . انظر يوحنا ـ ١٦ , ٢
(٣٦) المصدر نفسه ص ١٠٠ ، انظر الرثاء ١ , ١
(٣٧) المصدر نفسه ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ انظر اعلاه ص ١٠٠

(٣٨) انظر اعلاه ص ٤٥
(٣٩) انظر اعلاه ص ١٠٥
(٤٠) المصدر نفسه ص ١٠٠
(٤١) راشيل ج ٢ «د» متنوع ص ٦٦ .
(٤٢) المصدر نفسه ص ٢١٤
(٤٣) المصدر نفسه ص ٢١٣ .
(٤٤) المصدر نفسه ص ١٦٥ ــ ١٦٧ .
(٤٥) المصدر نفسه ص ١٦٥ .
(٤٦) راشيل ج ٢ ص ٥٩ ، غ متنوع .
(٤٧) المصدر نفسه ص ١٠٠
(٤٨) انظر اعلاه ص ١٠٥
(٤٩) انظر اعلاه ص ١٠٩ ــ ١١٠ .
(٥٠) راشيل ج ٢ ص ٦٦ ــ ٦٧ «د» متنوع انظر ايضا ص ٦٧ ــ النص الاساس وحاشية رقم ٢ .
(٥١) انظر ماتقدم ص ١٠٨ .
(٥٢) انظر اعلاه ص ص ٩١ ــ ١٠٣
(٥٣) راشيل ج ٢ ، د متنوع ص ١٩٤
(٥٤) المصدر نفسه ص ١٩٩ : «كان الرسول بناء على طلب من الملك هو بالين دي ابلين » .
(٥٥) المصدر نفسه ص ٦٩
(٥٦) المصدر نفسه ص ١١١ .
(٥٧) المصدر نفسه ص ٢٠٦
(٥٨) المصدر نفسه ص ٢٠٧
(٥٩) المصدر نفسه ص ٢٢٢ .
(٦٠) انظر اعلاه ، ص ٩٨ ــ ١٠٧
(٦١) هو غوبوتال « رسم المنمنمات في المملكة اللاتينية في القدس (اكسفورد ١٩٥٧) ص ٨٧ ومايليها .
(٦٢) إن نصوص « اوز » في الواقع متماثلين في هذا القسم المبكر .

حواشي الفصل الثامن

(١) م .ل – ص ١١٦ . انظر ايضا راشيل ج ٢ ص ٦ ، وبداية تاريخ هرقل : ٢٣ , ٤

(٢) بابكوك وكراي ، ص ٣٨ ومايليها
(٣) بابكوك وكراي ، ص ٣٨
(٤) المصدر نفسه ص ٤٠
(٥) معلومات نقلت شفاها
(٦) ف . اوست ، نيل تاريخ الحروب الصليبية لوليم الصوري (هيل ١٨٩٩)
(٧) روبرت دي سانت ريمي ، تاريخ القدس ، الاعمدة ٦٦٧ – ٧٥٦ تاريخ القدس
(٨) س . ب . س هويخز ، وليم الصوري الطالب ،
(٩) تاريخ وليم الصوري – ترجمتي العربية ص ١٣٥
(١٠) م .ل – ص ٨٢ .
(١١) أنظر ماتقدم .

(١٢) اشار في مكان لخر إشارة عابرة إلى فيليبي على أنها مكان تاليف (كذا) الرسائل الانجيلية إلى أهل فيلبي انظر م .ل – ص ٩٥ ، وراشيل ج٢ ص ٢٣ .

(١٣) جميع الاشارات التوراتية هي الى الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس ، والمزامير واسفار الملوك معدة طبقا لذلك .

(١٤) م .ل – ب٦٩ . يوسيفوس – العصور القديمة كتاب ٢ – فصل ١٦
(١٥) م .ل – ص ٧٨ – ٧٩
(١٦) المصدر نفسه ص ٧١ حاشية ٩
(١٧) كل الاقتباسات من يوسيفوس هي من نص العصور القديمة والحرب اليهودية لفلافيوس ، يوسيفوس ، ترجمة وليم ويستون (لندن ١٩٦٣) .
(١٨) م .ل – ص ٧٢ .
(١٩) سفر الملوك الرابع ٦ , ٣٠ – ٣١ .م ل – ص ١١٠ الحروف المائلة من عندي .
(٢٠) م .ل – ص ٧٥ .
(٢١) موت اموري دي ناربون . تحقيق ح كوري دي باري (باريس ١٨٨٤) ح ٥ ص ٣٣٦١ – ٣
(٢٢) م .ل – ص ٧٦ – ٧٧ .
(٢٣) ايزودور الاشبيلي دراسة الكلمات الكتاب ١٢ الفصل ٤ القسم ٢ ، ١٠ ، ١١ , ١٢
(٢٤) جاك دي فيتر – ، الكتاب الشرقي (دواي ١٥٩٧) ص ١٨٦ – ١٨٨
(٢٥) فيليب دي ثاؤون ، تحقيق ولبيرغ (لندن ١٩٠٠) ١٦١٥ ومايليها
(٢٦) هـ ميشلان وغ رينو ،رحلات وصف القدس بالفرنسية،(جنيف ١٨٨٢) ص ٢٣ ومايليها المقدمة ص ١٢ و ١٥ .

(٢٧)راشيل ج ١ ص ٩٤٢ . بابكوك وكراي ج٢ ص ٣٤٤ – ٣٤٥ م . ل – ص ١٨ .

(٢٨) م .ل – ص ١١٤ .
(٢٩) راشيل ج١ ص ٥٢٠ – ٥٢١ . بابكوك وكراي ج ١ ص ٥٢٤ – ٥٢٧ . م ل – ص ٧ – ٩ .
(٣٠) هـ . ميشلان وغ ريموند ، رحلات القدس ، ص ١٥ .

(٣١) راشيل ج ٢ ص ٥٠ ـ ٥٢

(٣٢) م .ل ص ٨٧

(٣٣) راشيل ج ٢ ص ٥٩ ـ ٦١ النص الاساس ص ٦٠ ـ ١ غ متنوع .

(٣٤) راشيل ج٢ ص ٦١ .

(٣٥) المصدر نفسه ص ١٦ ـ ٢٥ انظر ايضا م . ل ـ ص ٩٥ ـ ٩٦ و ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٣٦) انظر ماتقدم ص ١٠١ .

(٣٧) م .ل ص ١٢٣ ، ١٢٦ ـ ١٢٧ . وانظر راشيل ج ٢ ص ١١ ، ١٥١٤ .

(٣٨) راشيل ج ط ص ١٤ ـ ١٥ .

(٣٩) انظر ماتقدم ص ١٢٨ ـ ١٢٩

(٤٠) انا شاكرة للسيدس . ر سندون من سانت ادموندهول في اكسفورد لاقتراحه امكانيه الثـورة العكاوية .

(٤١) كتاب فيليب دي نافار ـ فصل ٤٩ راشيل ـ لوس ١ ص ٥٢٥

(٤٢) ـ م .ل ـ ص ٥٠٠

(٤٣) تاريخ هرقل ٣٣ ، ٣٠٣ راشيل ج٢ ص ٣٩٩ .

(٤٣) تاريخ هرقل ٣٣ ، ٣٣ . راشيل ج٢ ص ٣٩٩ .

(٤٤) انظر البحث حول النصوص الباقية .

(٤٥) م .ل ـ ص ٤٩٥ « خلافا لشروط سداد الدين »

(٤٦) انظر ماتقدم

(٤٧) انظر رنسمان ، مجلد ٣ ملحق ٢ الحياة الفكرية في بلاد ما وراء البحار .

(٤٨) راشيل ج ٢ ص ٢٢٤ ـ ٣٠٤

(٤٩) المصدر نفسه ص ٢٢٨ ـ ٢٣١ ـ « س ، غ و د » متنوع

(٥٠) ـ المصدر نفسه من ص ٢٠٧ ومايليها

(٥١) انظر مخطط ص ٩٦

(٥٢) المصدر نفسه ص ٢٢٤ ـ ٢٢٧ ، النص الأصلي ومتنوع

(٥٣) المصدر نفسه ص ٢٣٤ ـ ٢٣٨ ، النص الأصلى ومتنوع

(٥٤) المصدر نفسه ص ٣٠٤ بداية تاريخ هرقل . ٣٠ ، ١١ .

(٥٥) انظر اعلاه ص ٢٣٨

(٥٥) انظر اعلاه ص ١٣٨ ـ ١٣٩

(٥٦) انظر اعلاه ص ٩٦

(٥٩) انظر اعلاه ص ٨٦ ـ ٨٨

(٦٠) ص ١٣٩ اعلاه . ٦١ ـ ١٤٠ ٦٢ ـ ص ١٤١ .

(٦٣) بشكل المقطع موضوع السؤال نهاية الفصل ٤٠ مع جميع الفصل ٤١

(٦٤) راشيل : ٢ ، ٣٠٤

(٦٥) ـ م . ل ص ٤٠٦

(٦٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧٩ ، متنوع

(٦٧) انظر اعلاه ص ٢٠

(٦٨) راشيل ج ٢ ص ٣٧٨

(٦٩) انظر اعلاه ص ١٤٢ والمخطط ص ١٤٠

(٧٠) راشيل ج ٢ ص ٣٧٩ .

(٧١) ريس ج ٧ – عمود ٨٤٦

حواشي الفصل التاسع

(١) رودلف برومر : « ظهور النثر في الادب الرومانسي للغات الدارجة (بـرلين ١٩٤٨) ج ١ ص ٣٦ .
(٢) على سبيل المثال ـ التاريخ ٩ / ٩ . (راشيل ج ١ ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧) بـابكوك وكراي ج ١ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ . انظر ايضا : كتاب جين دي ابلن ـ راشيل ـ لوس ج ١ ص ٢٢ ، وبير دي بوفياس « الاولمبياد » مخطوط وورقة ٤ ـ ظ ومخطوط البودليان ٧٧ هاتون ـ ورقة ٣٩٣ .
(٣) برنتولاتيني « كتب تيسو » تحقيق ب تشايللي (باريس ١٨٦٣) .
(٤) ب .م سكون « دراسة لنشوء النثر الفرنسي » (فرانكفورت ١٩٦٠) (انادلتا رومانسيا ٨)
(٥) تاريخ وليم ترجمتي العربية ص ٢٩٧ . راشيل ج ١ ص ١٩١ .
(٦) راشيل ج ١ ص ١٩١ .
(٧) راشيل ج ٢ ص ١٧ . مخطوط اورقة ٣١٣ ومخطوط ب ـ ورقة ٢٤٨ ظ .
(٨) مخطوط « د » ورقة ٢٩٠ و . مخطوط « غ ج » الشيء نفسه .
(٩) وقراءة اخرى من قراءات كثيرة لم تلاحظ من قبل ستريت(انظر اعلاه ص ٣٤ ومـابعدهـا) ، ولكنها تدعم تفضيله « غ ج » على « ب » وهذه القراءة هي ايضا واحدة من كثير تدل على تفوق « د » على «ا» و«ب» في الاقسام المشتركة بينها .
(١٠) م .ل ـ ص ١٩٠ ـ ٢١٠ .
(١١) مخطوط ب ن . ف فر ٧٧٠ ـ ورقة ٣٣٠ و ، وعمود ٣ . انظر ايضا م . ل ـ ص ٦٥ .
(١٢) راشيل ج ٢ ص ٤٨٩ وماليها وانظر ايضا ماتقدم ص ٢٠
(١٣) راشيل ج ١ ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩ . التاريخ ٩ / ٢٢ . بابكول وكراي ج ١ ص ٤١٣ .
(١٤) تاريخ جوسلين اوف بريكلوند تحقيق هـ إبتلر (لندن ١٩٤٩) ص ٣٩ ـ ٤٠
(١٥) انظر اعلاه ص ٢٤ ـ ٢٥ .
(١٦) راشيل ج ٢ ص ١٦٢ .
(١٧) المصدر نفسه ص ١٧٠ . م ل ـ ص ٢٧٣
(١٧) المصدر نفسه ص ١٧٠ . م .ل ـ ص ٢٧٣
(١٨) راشيل ج ٢ ، « د » متنوع ١٦٩ .
(١٩) تاريخ هرقل : ٣٣ / ٥٩ ـ ٦٠ . راشـيل ج٢ ص ٨٨ ـ ٩٣ . انظـر أيضـا م .ل ـ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤ .
(٢٠) انظر اعلاه ص ١٦١
(٢١) راشيل ج ٢ ص ١٨٨ ـ ١٩٠ .« د» متنوع .
(٢٢) For 'qu'il la teigne toute' (*RHC* ii, 188) read 'qu'il la doigne toute' (MS *d*, f. 330a) Also in this passage, for 'perdue . . . il fu mort' (*RHC* ii, 190) read 'perdue. Car il fu mort' etc. (MS *d*, loc. cit.).
(٢٣) راشيل ج٢ ص ١٨٨ ـ ١٨٩ . «د» متنوع .
(٢٤) انظر اعلاه ص ٤٤ ـ ٤٥ و ١١٤
(٢٥) راشيل ج٢ ص ١٩٠ «د» متنوع
(٢٦) المصدر نفسه ص ١٨٨
(٢٧) نشيد رولاند تحقيق وايتهد ـ الابيات ٣٧٦٢ ـ ٣٧٦٤ .
(٢٨) ومثل صغير لخر ، العبارة التي استعملها رينو دي سيتي ويحتمـل انه الان سـنويا بين كل

أنواع (راشيل ج ٢ ص ١١١ ـ « د» متنوع) التورية في اللغة الفرنسية القديمة .

(٢٩) مخطوط «د» ورقة ٣١٦ و ، عمود ١ وانظر أيضا راشيل ج٢ ص ١٢٦ «د» متنوع .

(٣٠) راشيل ج٢ ص ١٢٢ ـ ١٢٤ .«د» متنوع

(٣١) المصدر نفسه ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢

(٣٢) المصدر نفسه ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ .

(٣٣) المصدر نفسه ص ٢٢٠

(٣٤) ب .م سكون ـ المصدر نفسه ص ١٣٤ ومايليها .

(٣٥) م .ل ص ٥٠٠

(٣٦) انظر لاتوموس ٢١ (١٩٦٢) ٨٢٢ ـ ٨٢٤

(٣٧) راشيل ج ١ ص ١٥ . بابكول وكراي ج ١ ص ٥٦

(٣٨) راشيل ج١ ص ٣ ترجمتي إلى العربية ص ١٣٣ ـ ١٣٤

(٣٩) راشيل ج ١ ص ٤ ترجمتي ص ١٣٥

(٤٠) راشيل ج ١ ص ١١٣٢ ترجمتي ص ١٠٧٣ .

(٤١) التاريخ ٢١ ٧ راشيل ج ١ ص ١٠١٥ ترجمتي ص ٩٧٩ .

(٤٢) م ل ـ ص ٨٥ .

(٤٣) توقيت و .غ غولدن

(٤٤) المتحف البريطاني رويال ـ ١٥ ـ إ ـ ١ .

(٤٥) راشيل ج٢ ص ٤٣٦ ومايليها

(٤٦) جين سيد جوانفيل ـ تاريخ القديس لويس ـ تحقيق ناتالي دي ويللي (باريس ١٨٧٤)

حواشي الفصل العاشر

(١) انظر المدخل
(٢) راشيل لوس ج١ ص ٧ ـ ٣٤٠
(٣) برور ـ بدايات وأسس الاقطاع في المملكة اللاتينية في القدس :
TIJIDS CHRIFT VOOR RECHTS GESCHIEDENIS XXII (1954)

(٤) انظر على سبيل المثال رنسمان ج٢ ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨ .
(٥) هناك استثناء واحد هام لهذه القاعدة ، سوف يناقش كاملا في هذا الفصل ، انظر ما سيأتي من ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .
(٦) م . و بلدوين ريموند الثالث صاحب طرابلس وسقوط القدس (برنز ستون ـ ن ج ١٩٣٦) ص ١٦٣ .
(٧) راشيل ج ٢ ـ ص ٢٤٣ ومايليها م .ل ـ ص ٣٣٦ ، فقرة ٢ ومايليها .
(٨) راشيل ج ٢ ص ٣٢٦ ومايليها ، النص الاساس ص ٣١٥ ومايليها ، متنوع ـ م . ل ، ص ٣١٣ ومايليها .
(٩) انظر على سبيل المثال ج ٣ ص ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ .

(١٠) راشيل ج٢ ص ١٦٣ ـ ١٦٩ . وانظر ماتقدم ص ٧٠ ومايليها .
(١١) راشيل ج ٢ ص ١٧٠ .م . ل ص ٢٧٣ .
(١٢) انظر ماتقدم ص ٩٦ .
(١٣) اعني كامل نص «أ» كما هو في طبعة ماس لاتري .
(١٤) في م . ل ص ٤٥٨ ، ٤٦٧ ، كل على حده .
(١٥) مقدمة للترتيب التزامي لهوميروس ـ بحث في زمان ومكان هوميروس (لندن ١٨٧٩) ص ٩ والاقتباس من عمله الحامل لعنوان :« دراسات عن هوميروس والعصر الهوميروسي (اكسفورد ١٨٥٨) ١٠ ص ٣٦ . انظر ايضا المناقشة في :
(لندن ١٨٦٩) ص ٧ ـ ٩) .

(١٦) انظر أعلاه ص ١٥٦ ـ ١٥٧
(١٧) انشطة الاستعمار في المملكة اللاتينية في القدس ـ في دورية اللغات والتاريخ ٢٩ (١٩٥١) ١٠٦٣ ـ ١١١٨

(١٨) راشيل ج١ ص ٥٠٠ . ترجمتي العربية ص ٥٦٠ .
(٢٠) رنسمان ج٢ ص ٤٧٧ .
(٢١) وكمثال على الاستعمال الصحيح للترجمة بهذه الطريقة ، انظر سميل ص ٧٦ ـ ٧٧ مع الحاشيتين ٨ ـ ٩ .
(٢٢) انظر ماتقدم ص ١٢١
(٢٣) انظر ماتقدم ص ٢٤ ـ ٢٥
(٢٤) انظر ماتقدم ١٤ ـ ١٥

حواشي الملاحق

(١) في اطروحة دكتوراه لم تنشر بعد
(٢) انظر مقدمة ميسلانت وريذو .
(٣) انظر بوخثال ، مذمنمات مرسومة ، ص ٨٧ ومايليها
(٤) م . ل . ٢٢

اهم المصادر والمراجع

Albert of Aix: *Historia Hierosolymitanae Expeditionis* In *RHC* iv.
Ambroise: *L'Estoire de la guerre sainte.* Ed. Gaston Paris, Paris, 1897. See also La Monte and Hubert.
Babcock (E.) and Krey (A C.): *A History of Deeds Done Beyond the Sea.* Records of Civilisation, 35. New York, 1943.
Baldus (D.) ed: *Enchiridion Locorum Sanctorum.* 2nd ed. Jerusalem, 1955.
Beha-Eddin: *Vita et Res Gesta Sultani Almalichi Alnasiri Saladini.* Ed. A Schultens. Lyons, 1732. See also Wilson (C.W.).
Beugnot (A.A.), ed.: *Assises de Jérusalem.* In *RHC Lois*, i and ii.
Bongars (J.): *Gesta Dei per Francos.* Hanover, 1611.
Brochardus: *L'Advis directif pour faire le saint voyage d'Oultremer, par le frère Brochard Lalemant. RHC Documents arméniens*, ii, contains the Latin text (*Directorium ad passagium faciendum*) with the French text below.
Butler (Cuthbert, O.S.B.), ed.: *Sancti Benedicti Regula Monachorum.* Friburg-im-Breisgau, 1912.
Caxton (W.): *Godeffroy of Boloyne, or the Siege and Conqueste of Jerusalem, by William Archbishop of Tyre, translated by William Caxton.* London, 1481. See also Colvin (M.) and Sparling (H.H.).
Chroust (A.), ed.· *Historia de Expeditione Friderici Imperatoris.* Monumenta Germaniae Historiae. Berlin, 1928.
Citry de la Guette (Samuel de Broë, Seigneur de): *Histoire de la conqueste du royaume de Jérusalem sur les Chrestiens par Saladin. Traduite d'un ancien manuscrit.* Paris, 1679.
Colmenares (Diego de): *Historia de la Insigne Ciudad de Segovia, y conpendio de las Historias de Castilla.* lst ed., Segovia, 1637.
Colvin (M.), ed.: *William Caxton: Godeffroy of Boloyne.* Early English Text Society, London, 1893.
Conder (R.E.): *The City of Jerusalem.* London, 1888. Palestine Pilgrims' Text Society, 6. See also Michelant and Raynaud.
Corbie. 'The Ancient Statutes of the Abbey of St. Peter of Corbie'. A typewritten transcription, with no name of author or date, numbered 1107 b.4. in the catalogue of the Bodleian Library.
Curzon (H de), ed.: *La Règle du Temple.* Paris, 1886.
Du Préau (G.): *L'Histoire de la Guerre Sainte.* Paris, 1573. An edition of the French translation of William of Tyre, with the continuation of Hérold.
Guizot (F.P.G.): *Collection des mémoires relatifs à l'histoire de France.* Paris, 1823-35.
Isidore of Seville: *Etymologiae.* In *PL* lxxxii.
Jacques de Vitry: *Epistola de Captione Damiatae.* Published by Iacobus Gretserus, S.J., Ingolstadt, 1610.
—— *Liber Orientalis, siue Hierosolymitanae* Douai, 1597. Also in Vol i of Bongars and Vol. xv of Guizot (qq.v.).
—— *Lettres.* Ed. R.B.C. Huygens. Leyden, 1960.

Jocelin of Brakelonde: *Chronica Jocelini de Brakelonda de rebus et gestis Samsonis Abbatis Monasterii Sancti Edmundi.* Ed. J.G. Rokewode, London 1840.

Josephus: *The Antiquities and The Jewish War of Flavius Josephus* Translated by William Whiston. London, 1963.

La Monte (J.L.) with Hubert (M.J.): *The Crusade of Richard the Lion Heart.* Records of Civilization, 34. New York, 1941. A translation of Ambroise (q.v.).

Lodeman (F.E.), ed.: *Le Pas Salhadin.* In *Modern Language Notes,* xii (Jan. 1897).

Martène (E.) and Durand (U.): *Veterum Scriptorum et Monumentorum Historicorum, Dogmaticorum, Moralium, Amplissima Collectio.* Paris, 1724-33.

Mas-Latrie (L. de), ed.: *La Chronique d'Ernoul et de Bernard le Trésorier.* Paris, 1871.

Matthew of Edessa: *Chronicon.* In *RHC Documents Arméniens,* i.

Mayer (H.E.): *Das Itinerarium Peregrinorum* Stuttgart, 1962. See also Richard of London.

Michelant (H.) and Raynaud (G.), eds.: *Itinéraires à Jérusalem et descriptions de la Terre Sainte rédigés en français au XIe, XIIe et XIIIe siècles.* Publications de la Société de l'Orient Latin, série géographique, 3. Geneva, 1882.

Migne (J.-P.): *Patrologiae Cursus Completus. Series Latina.* Paris, 1844-55.

Morris (William), ed. and trans.: *L'Ordène de chevalerie.* Hammersmith, at the Kelmscott Press, 1893.

Muratori (L.A.), ed.: *Rerum Italicarum Scriptores* Milan, 1723-51.

Oliver of Paderborn: *De Captione Damiatae.* Ed. H. Hoogeweg, Tübingen, 1894. Also in Bongars, Vol. i (q.v.).

Paris (P.), ed.: *Guillaume de Tyr et ses continuateurs.* Paris, 1879-80. The French translation of William of Tyre only; the continuations were never published.

Philippe de Novare: *Mémoires 1218-1243.* Ed. Ch. Kohler, Paris, 1888.

— *Le Livre des plaits et des us et des costumes des assises d'outre-mer et de Jérusalem et de Chypre.* In *RHC Lois,* i under the title *Le Livre de Philippe de Navarre.*

Pierre de Beauvais: 'Les Olimpiades'. Unpublished. MSS Saint-Omer 722, Berne 41 and 113, and Bodleian Hatton 77.

Pipino (Francesco, O.P.): *Chronicon.* In *RIS* vii and ix.

Ralph of Coggeshalle: *Chronicon Anglicanum,* and the *De Expugnatione Terrae Sanctae per Saladinum Libellus,* doubtfully attributed to Ralph. Ed. J. Stevenson, Rolls Series, 66. London, 1875.

Raynaud (G.), ed.: *Les Gestes des Chiprois.* Publications de la Société de l'Orient Latin, série historique, 5. Geneva, 1887.

Richard of Devizes: *Chronicon de Rebus Gestis Ricardi Primi, Regis Angliae.* Ed. J. Stevenson, London 1838.

Richard of London: *Itinerarium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi; auctore ut videtur Ricardo, Canonico Sanctae Trinitatis Londiniensis.* Ed. W. Stubbs, Rolls Series, 38, London, 1864. See also Mayer (H.E.)

Robert de Clari: *La Conquête de Constantinople.* Ed. P. Lauer, Paris, 1924.

Robert the Monk: *Historia Hierosolymitana.* In *RHC* iii.

Salloch (M.): *Die lateinische Fortsetzung Willelms von Tyrus.* Leipzig, 1934.

Sparling (H.H.): *William Caxton: The History of Godefrey of Boloyne and of the Conquest of Iherusalem.* Corrected by H. Halliday Sparling, printed by William Morris at the Kelmscott Press, Hammersmith, Apr. 1893.

Tobler (T.), ed.: *Descriptiones Terrae Sanctae ex saeculo VIII, IX, XII et XV.* Leipzig, 1874.

—— *Topographie von Jerusalem.* Berlin, 1854.

Tudeboeuf (Pierre) or Tudebodus: *Historia de Hierosolymitano Itinere.* In *RHC* iii.

Villehardouin (Geoffroi de): *La Conquête de Constantinople.* Ed. E. Faral, Paris, 1938.

Vincent de Beauvais: *Speculum Historiale.* Augsburg, 1474.

—— *Speculum Majus.* Venice, 1494.

Wailly (Natalis de), ed.: *Récits d'un menestrel de Reims.* Paris, 1876.

William of Newburgh: *Historia Rerum Anglicarum.* Ed. H.C. Hamilton, London, 1866.

William of Tyre: *Historia Rerum in Partibus Transmarinis Gestarum.* In *RHC* i. See also Babcock and Krey, Du Préau, and Paris.

Wilson (C.W.): *Saladin; or. What befell Sultan Yūsuf-Salāh-ed-Dīn.* Palestine Pilgrims' Text Society, 13. London, 1897. A translation of Beha-Eddin (q.v.).

Bibliographies

Becker (G.): *Catalogi Bibliothecarum Antiqui.* Bonn, 1885.

Carpentier (P.), ed.: *Glossarium Novum ad Scriptores Medii Aevi.* Paris, 1766. A supplement to Du Cange (q.v.).

Du Cange (Charles du Fresne, sieur): *Glossarium ad Scriptores Mediae et Infimae Latinitatis.* Paris, 1678. A revised edition of this work, by Carpentier (q.v.) and others, Niort, 1883-7.

Fabricius (J.A.): *Bibliotheca Latina mediae et infimae aetatis.* Hamburg, 1734-46.

Grober (G.): *Grundriss der romanischen Philologie.* Strassburg, 1886-1901. 2nd ed., Berlin, 1933.

James (M.R.): *A Descriptive Catalogue of Fifty Manuscripts in the Library of Henry Yates Thompson.* Cambridge, 1898.

Lelong (J.): *Bibliothèque historique de la France.* Paris, 1719.

Manitius (M.): *Geschichte der lateinischen Literatur des Mittelalters.* Munich, 1911.

Mayer (H.E.): *Bibliographie zur Geschichte der Kreuzzüge.* Hannover, 1960.

Meusel (J.G.): *Bibliotheca Historica.* Leipzig, 1782-1802.

Michaud (J.F.): *Bibliographie des croisades.* Paris, 1822.

Montfaucon (B. de): *Bibliotheca Bibliothecarum Manuscriptorum Nova.* Paris, 1739.

Paris (P.): *Les Manuscrits français de la Bibliothèque du Roi.* Paris, 1836.
Riant (P.): *Inventaire sommaire des manuscrits de l'Eracles.* In *Archives de l'Orient Latin*, i, 1881.
Woledge (B.) and Clive (H.P.): *Répertoire des plus anciens textes en prose française.* Geneva, 1964.

Secondary Sources

Alphandéry (P.): *La Chrétienté et l'idée de croisade.* Paris, 1954.
Archer (T.A.): *The Crusade of Richard I.* London, 1888.
Baldwin (M.W.): *Raymond III of Tripolis and the Fall of Jerusalem.* Princeton, N.J., 1936.
Beaunier (Dom) and Besse (J.M.): *Abbayes et prieurés de l'ancienne France.* Archives de la France Monastique. Paris, 1905.
Bourgeat (J.B.). *Études sur Vincent de Beauvais.* Paris 1856.
Brummer (R.): *Die erzahlende Prosadichtung in den romanischen Literaturen des dreizehnten Jahrhunderts.* Berlin, 1948.
Buchthal (Hugo): *Miniature Painting in the Latin Kingdom of Jerusalem.* Oxford, 1957.
Butler (Cuthbert, O.S.B.): *Benedictine Monachism.* London, 1924.
Cartellieri (A.): *Philipp II August, Konig von Frankreich.* Leipzig, 1899.
Chevalier (U.): *Répertoire des sources historiques du Moyen Âge.* 2nd ed., Paris, 1905-7
Cottineau (L.H.): *Répertoire topobibliographique des abbayes et prieurés.* Mâcon, 1935.
Cousin (Patrice, O.S.B.): *Précis d'histoire monastique.* Paris-Tournai, 1959.
Curtius (E.R.): *Europaische Literatur und lateinisches Mittelalter.* Berne, 1948.
Daniel (N.): *Islam and the West.* Edinburgh, 1960.
Daoust (J.) and Gaillard (L.), eds : *Corbie Abbaye Royale. Volume du XIIIe Centenaire.* Lille, 1963.
Delatte (Paul, O.S.B.): *The Rule of St. Benedict: a Commentary by Dom Paul Delatte.* Translated by Dom Justin McCann. London, 1921.
Donovan (J.P.): *Pelagius and the Fifth Crusade.* Philadelphia, Pa., 1950.
Du Cange (Charles du Fresne, sieur): *Les Familles d'Outremer.* Published by E.G. Rey. Paris, 1869.
Erdmann (C.): *Die Entstehung des Kreuzzugsgedankens.* Stuttgart, 1935.
Fuller (Thomas): *The Historie of the Holy Warre.* Cambridge, 1639.
Grousset (René): *L'Empire du Levant: histoire de la question d'Orient.* Paris, 1946.
—— *Histoire des Croisades et du royaume franc de Jérusalem.* Paris, 1934-6.
Guérin (V.): *Description de la Palestine.* Paris, 1869.
Hackett (J.W.): 'Saladin's Campaign of 1188'. Oxford B.Litt. thesis, 1937.
Huygens (R.B.C.): *Latijn in Outremer.* Leiden, 1964.
Jenkins (C.): *The Monastic Chronicler and the Early School of St. Albans.* London, 1922.

Kestner (E.): *Der Kreuzzug Friedrichs II.* Göttingen, 1873.
Kohler (Charles): *Mélanges pour servir à l'histoire de l'Orient latin et des croisades.* Paris, 1900.
Laking (G.F.): *A Record of European Armour and Arms through Seven Centuries.* London, 1920.
Lane Poole (S.): *Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem.* Heroes of the Nations, 24, London, 1898.
Longnon (J.): *Les Français d'Outremer au Moyen Âge* Paris, 1929.
—— *L'Empire latin de Constantinople et la principauté de Morée.* Paris, 1949.
Luchaire (A.): *La Société française au temps de Philippe-Auguste.* Paris, 1909.
Maimbourg (L.): *Histoire des croisades.* In *Les Histoires du sieur Maimbourg.* Paris, 1686.
Maître (L.): *Les Écoles épiscopales et monastiques en occident avant les universités.* Archives de la France Monastique, 26. Ligugé, 1924.
Mas-Latrie (L. de): *Histoire de l'île de Chypre.* Paris, 1852-61.
Mercuri (P.) and Bonnard (C.): *Costumes historiques du XIIIe XIVe et XVe siècles.* 2nd ed., Paris, 1860-1.
Michaud (J.F.): *Histoire des croisades.* Paris, 1841.
Montalembert (C.F.R.): *Les Moines d'Occident depuis S. Benoît jusqu'à S. Bernard.* Paris, 1860-77.
Ost (F.): *Die altfranzösische Ubersetzung der Geschichte der Kreuzzüge Wilhelms von Tyrus.* Halle, 1899.
Pihan (A.P.): *Glossaire des mots français tirés de l'arabe, du persan et du turc.* Paris, 1847.
Prawer (J.): *Histoire du royaume latin de Jérusalem.* French translation by G. Nahon, Paris, 1969.
Prutz (H.): *Kulturgeschichte der Kreuzzüge.* Berlin, 1883.
—— *Quellenbeiträge zur Geschichte der Kreuzzüge.* Danzig, 1876.
Richard (J.): *La Royaume latin de Jérusalem.* Paris, 1953.
Riley-Smith (J.S.C.): *The Knights of St. John in Jerusalem and Cyprus.* London, 1967.
Röhricht (R.): *Die Kreuzfahrt Kaiser Friedrich des Zweiten.* Berlin, 1872.
—— *Quellenbeiträge zur Geschichte der Kreuzzüge.* Berlin, 1875.
—— *Zusätze und Verbesserungen zu Du Cange: Les Familles d'Outremer.* Berlin, 1886.
—— *Studien zur Geschichte des funften Kreuzzuges.* Innsbruck, 1891.
—— (ed.): *Regesta regni Hierosolymitani.* Innsbruck, 1893.
—— *Geschichte des Königreichs Jerusalem 1100-1291.* Innsbruck, 1898.
Runciman (Sir Steven): *A History of the Crusades.* Cambridge, 1952-3.
—— *The Families of Outremer. The Feudal Nobility of the Crusader Kingdom of Jerusalem 1099-1291.* Creighton Lecture, London 1960.
Schon (P.M.): *Studien zum Stil der fruhen französischen Prosa.* Frankfurt, 1960.
Setton (K.M.), ed.: *A History of the Crusades.* Vol. i: *The First Hundred Years,* ed. M.W. Baldwin. Pennsylvania, Pa., 1955. Vol. ii: *The Later Crusades,* ed. R.L. Wolff and H.W. Hazard. Pennsylvania, Pa., 1962.

Smail (R.C.): *Crusading Warfare, 1097-1193.* Cambridge, 1956.
Smalley (B.): *The Study of the Bible in the Middle Ages.* 2nd ed., Oxford, 1952.
Southern (R.W.): *Western Views of Islam in the Middle Ages.* Cambridge, Mass., 1962.
Streit (L.): *De rerum transmarinarum qui Guilelmum Tyrium excepisse fertur Gallico auctore specimen.* Greifswald, 1861.
Vasiliev (A.A.): *History of the Byzantine Empire, 324-1453.* 2nd English ed., Oxford 1952.

Articles

Archer (T.A.): 'On the Accession Dates of the Early Kings of Jerusalem', *English Historical Review*, iv (1889).
Cahen (C.): 'Indigènes et Croisés; quelques mots à propos d'un médecin d'Amaury et de Saladin', *Syria*, xv (1934).
Delisle (L.): 'Recherches sur l'ancienne bibliothèque de Corbie', *Bibliothèque de l'École des Chartes*, 5th Ser. i (1860).
Duval (A.): 'Auteur anonyme de l'Ordène de chevalerie', *HLF* xviii (1835).
Edwards (J.C.): 'The *Itinerarium Regis Ricardi* and the *Estoire de la guerre sainte*'. In *Historical Essays in Honour of James Tait.* Manchester, 1933.
Giry (A.): 'Les Châtelains de Saint-Omer 1042-1386', *Bibliothèque de l'École des Chartes*, xxxv (1874).
Hellweg (M.): 'Die ritterliche Welt in der Geschichtschreibung des vierten Kreuzzugs', *Romanische Forschungen* lii (1938).
Huygens (R.B.C.): 'La Tradition manuscrite de Guillaume de Tyr', *Studi Medievali*, 3e série, v, 1 (June 1964).
— 'Guillaume de Tyr étudiant. Un chapitre (XIX, 12) de son "Histoire" retrouvé', *Latomus*, xxi (1962).
Jones (L.W.): 'The Scriptorium at Corbie', *Speculum*, xxii (1947).
Kohler (E.): 'Zur Entstehung der altfranzosischen Prosaromans', *Wissenschaftliche Zeitschrift der Friedrich-Schiller-Universitat Jena*, v (1955-6).
Krey (A.C.): 'William of Tyre: the Making of a Historian in the Middle Ages'. *Speculum*, xvi (1941).
La Monte (J.L.) and Downs (N.): 'The Lords of Bethsan in the Kingdoms of Jerusalem and Cyprus', *Medievalia et Humanistica*, vi (1950).
La Monte (J.L.): 'John d'Ibelin, the Old Lord of Beirut, 1177-1236', *Byzantion*, xii (1937).
— 'The Lords of Caesarea in the Period of the Crusades', *Speculum*, xxii (1947).
Lesne (E.): 'L'Économie domestique d'un monastère au IXe siècle d'après les statuts d'Adalhard, abbé de Corbie'. In *Mélanges Offerts à F. Lot* Paris, 1925.
Levillain (L.): 'Les Statuts d'Adalhard', *Le Moyen Âge*, 2e Sér. iv (1900).
Manzoni (L.): 'Frate Francesco Pipino da Bologna dei pp. Predicatori, geografo, storico e viaggiatore', *Atti e Memorie della R. Deputazione di Storia Patria per le Provincie di Romagna. Terza serie*, xiii (Bologna, 1896).

Mayer (H.E.): 'Zum Tode Wilhelms von Tyrus', *Archiv fur Diplomatik*, v-vi (1959-60).

Mayer (P.): 'Notice et extraits du MS 8336 de la Bibliothèque de Sir Thomas Phillips à Cheltenham', *Romania*, xiii (1884). See especially p. 530 on the *Ordene de Chevalerie*.

—— 'Les MSS français de Cambridge', *Romania*, viii (1879) and xv (1886). See especially description of MS GG 6.28 of the University Library.

Munro (D.C.): 'The Western Attitude towards Islam during the Crusades', *Speculum* vi (1931).

Ohly (F.): Vom geistigen Sinn des Wortes im Mittelalter', *Zeitschrift für deutsches Altertum*, lxxxix (1958).

Ortroy (F. van): S. François d'Assise et son voyage en Orient', *Analecta Bollandiana*, xxxi (1912).

Paris (G.): 'La Légende de Saladin', *Journal des Savants* May to August inclusive, 1893. Ostensibly a review of Fioravanti: *Il Saladino nelle legende del medioevo*. Reggio-Calabria, 1891.

Paris (P.): Untitled article on *Histoire d'Outremer* in a collection under the general heading of 'Chroniques'. In *HLF* xxi (1847), 679-85.

Pastouret (E.C.J.P.): 'Guillaume de Tyr. Sa Vie', *HLF* xiv (1817).

Petit-Radel (L.C.F.): 'Bernard, dit le Trésorier, traducteur et continuateur de Guillaume de Tyr', *HLF* xviii (1835).

Prawer (J.): 'Assise de Teneure et Assise de Vente: a Study of Landed Property in the Latin Kingdom', *Economic History Review*, 2nd Ser. iv (1951-2).

—— 'The Settlements of the Latins in Jerusalem', *Speculum*, xxvii (1952).

—— 'Colonization Activities in the Latin Kingdom of Jerusalem', *Revue Belge de Philologie et Histoire*, xxix. 2 (1951).

—— 'La Noblesse et le régime féodal du royaume latin de Jérusalem', *Le Moyen Âge*, 4e série, xiv (1959).

—— 'La Bataille de Hattin', *Israel Exploration Journal*, xiv (1964).

—— 'Les Premiers Temps de la féodalité dans le royaume latin de Jérusalem—une réconsidération', *Tijdschrift voor Rechtsgeschiedenis*, xxii (1954).

Prutz (H.): 'Studien uber Wilhelm von Tyrus', *Neues Archiv der Gesellschaft fur ältere deutsche Geschichtskunde*, viii (1883)

Richard (J.): 'An Account of the Battle of Hattin referring to the Frankish Mercenaries in Oriental Moslem Sates', *Speculum*, xxvii (1952).

Smail (R.C.): 'Crusaders' Castles of the Twelfth Century', *Cambridge Historical Journal*, x (1951).

Woledge (B.): 'La Légende de Troie et les débuts de la prose française.' In *Mélanges Offerts à Mario Roques*. Paris, 1950.

Wolff (R.L.): 'Baldwin of Flanders and Hainault', *Speculum*, xxvii (1952).

المحتوى